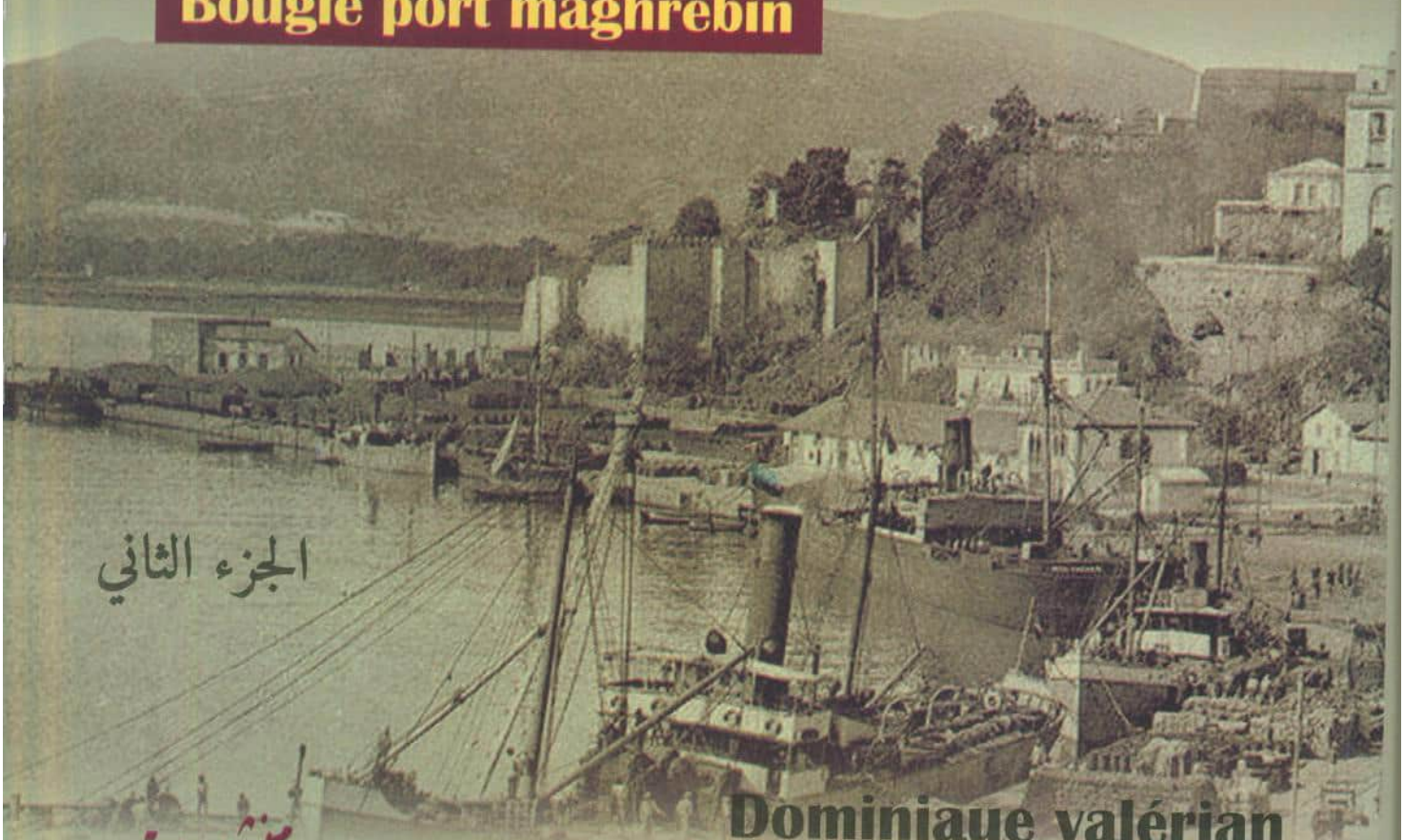
بجاية
ميناء مغاربي

Bougie port maghrébin



الجزء الثاني

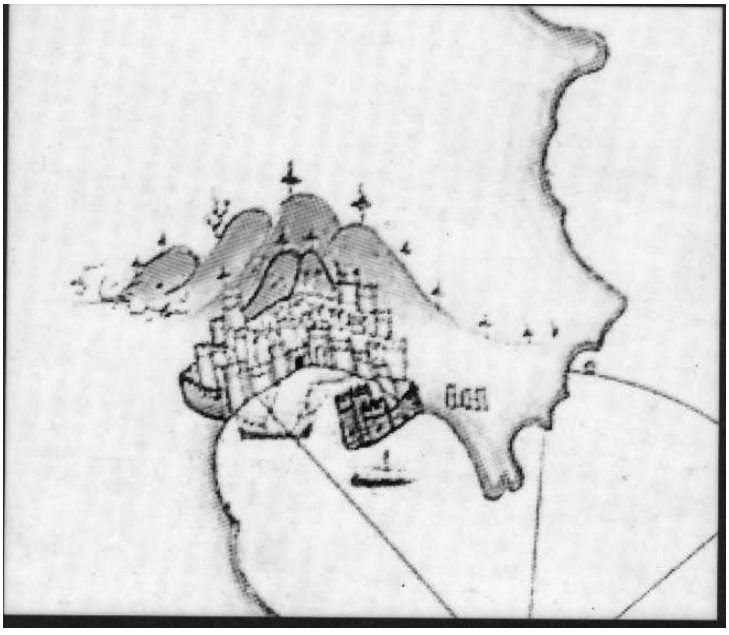
Dominiaue valérian
ترجمة : الدكتور عمار علاوة

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

بجاية ميناء مغاربي

1067_1510

(الجزء الثاني)



تأليف /دومنيك فاليرين

ترجمة د .علاوة عمارة (ج. قسنطينة)

كـتاب: بجاية ميناء مغاربي (1067 -1510)

- **تأليف** : **دومنيك فاليرين**
- **ترجمة** : **د.علاوة عمارة**
- **قياس الصفحة**: 23/15.5
- **عدد الصفحات**: **344**

(الجزء الثاني)

الإيداع القانوني: 2014-5059

ردمك: 978-9947-821-80-0

المـجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرونكلين روزفلت ــ الجزائر

ص. ب: 575 **الجزائر _ ديدوش موراد**

الهاتف: 021.23.07.24/25

الفاكس:021.23.07.07

القسم الثالث
ارتباط قوي بالظرفية المتوسطية

كان النشاط التجاري لبجاية دونما نقاش مصدرا للثروة والازدهار. في هذا المعنى، نرصد توسّع وتطور الملاحة والمبادلات كثيرا الفضاء الاقتصادي الذي ارتبطت به المدينة، فلقد أظهرت دراسة المنتجات أن بجاية كانت على علاقة مباشرة وغير مباشرة مع كل الفضاءات الاقتصادية المتطورة المعروفة في العالم. لكن أدى هذا الانفتاح على البحر في ذات الوقت إلى ارتباط واسع ومباشر بهذه الأسواق الجديدة نظرا لطبيعة التجارة التي سحبت للفاعلين المحليين قسماً كبيراً من المبادرة.

مقارنة بالفترات السابقة (خاصة الأغلبية والفاطمية والزيرية)، مسّ التغيير الجذري كافة المبادلات، حيث كانت العلاقات بين الغرب والشرق منتظمة وكثيفة. لقد تراخت العلاقات السياسية منذ مدة لكن بقي الفضاء الاقتصادي موحد، حيث تعكسه جيدا وثائق الجنيزة بالقاهرة إلى غاية القرن الحادي عشر[1].

إذا احتفظت تونس دائما بعلاقات قوية مع المشرق، فإنّ بجاية وقسما كبيرا من المغرب اتجها بنشاطهما نحو البحر المتوسط الغربي[2]. إذ انفصمت العلاقات السياسية مع الشرق بعد سقوط الحمّاديين، سيما بعدما رفض الخليفة الموحدي عبد المؤمن مساعدة صلاح الدين في 1190[3]. لقد حافظ المماليك على العلاقات

---

(1) Sh. D. Goitein, « The Unity of the Mediterranean World in the “Middle” Middle Ages », *Studia Islamica*, 12, 1960, p. 29-42.

(2) إنها حالة الأندلس أيضا، أنظر:

O. R. Constable, *Trade and Traders in Muslim Spain. The Commercial Realignment of the Iberian Peninsula, 900-1500*, Cambridge, 1994, p. 1-3, 14.

(3) M. Gaudefroy-Demombynes, « Une lettre de Saladin au calife almohade », *Mélanges René Basset*, II, Paris, 1928, p. 284-289=

مع تونس لكن دورهم في الحياة السياسية الحفصية بقي عرضيا[4]. واحتفظ الحج ورحلات طلب العلم كذلك بتقاليد علاقات ثقافية وفكرية ترجمت ربما بهجرات مستمرة أكثر[5]. لكن بجاية تأثرت بالأندلس أكثر من القاهرة ودمشق[6]. وكان

=يجب إذن مراجعة هذه النتيجة للتبيين بعدم إبرام أي عقد جنوي في 1190 يتعلق بالمغرب، وهذا ما يمكن تفسيره بانغلاق الموانئ الموحدية في وجه المسيحيين أو على الأقل بالنسبة للجنويين الذين شاركوا في الحملة الصليبية الثالثة، أنظر:

D. Valérian, « Gênes, l'Afrique et l'Orient : la place du Maghreb dans la politique génoise en Méditerranée (seconde moitié du XIIe siècle) », *Chemins d'outre-mer. Etudes d'histoire sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, éd. D. Coulon, C. Otten, P. Pagès, D. Valérian, Paris, 2004, p. 835-837.

(4) M. Chapoutot-Remadi, « Les relations entre l'Égypte et l'Ifrīqiya aux XIIIe et XIVe siècles d'après les auteurs mamluks », *Actes du premier congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb*, I, *Cahiers du CERES, Série histoire*, 1, Tunis, 1979, p. 139-159.

(5) أنظر:

L. Pouzet, « Maghrébins à Damas au VIIe/XIIIe siècle », *Bulletin d'études orientales*, 28, 1975, p. 167-199.

يلاحظ أن ثلاثة أرباع هؤلاء الغربيين من الأندلسيين. يتبين حضور خمسة أو ستة زواويين يحتمل أن أصلهم من ناحية بجاية، وهذا ما بقي محدودا. نلاقي كذلك أشخاصا أصلهم من بجاية من بين النخب المدنية في القاهرة في أواخر العصر الوسيط أو في حلب في الفترة الأيوبية لكن بقي عددهم ضعيفا.أنظر:

Petry, *The Civilian Elite of Cairo in the Later Middle Ages*, Princeton, 1981, p. 74-75 ; A.-M. Eddé, *La Principauté ayyoubide d'Alep (579/1183-658/1260)*, Stuttgart, 1999, p. 392-394

(والذي يعني خاصة محمد بن إبراهيم البجائي الزواوي توفي في 683ـ/ 1285).

(6) أنظر:

R. Arié, « Les relations entre le royaume nasride de Grenade et le Maghreb de 1340 à 1391 », *Relaciones de la Península ibérica con el Magreb siglos XIII-XVI. Actas del coloquio (Madrid 17-18 diciembre 1987)*, dir. M. Garcia Arenal et M. J. Viguera, Madrid, 1988, p. 33 ; O. Petit, « Les relations intellectuelles entre l'Espagne et l'Ifrīqiya aux XIIIe et XIVe siècles », *IBLA*, 127, 1971, p. 93-121 ; M. Talbi, « Les contacts culturels entre l'Ifrīqiya hafside et le sultanat nasride d'Espagne (1232-1492). Contribution à l'histoire des mentalités », *Actas del II coloquio hispano-tunecino de Estudios Históricos, Madrid-Barcelona, 1972*, Madrid, 1973, p. 63-90, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne et de civilisation musulmane médiévale*, Tunis, 1982, p. 263-293.

تعديل التيارات جذريا خصوصا على الصعيد الاقتصادي والتجاري. لقد كانت بجاية في الغالب على اتصال بالمشرق بواسطة التجار الأوربيين الذين بحثوا عن المواد المشرقية لإعادة بيعها بعد ذلك بالمغرب. في الوقت ذاته أعطت مصر لتجارتها وجهة مشرقية أكثر[7].

تسبّب هذا التوجّه الاقتصادي نحو أوروبا المسيحية في تبعية واسعة لبجاية، حيث اشتركت فيها كل الجهات التي شاركت في التجارة المتوسطية، لكن بمقدار عظمتها وكذا سرعتها ترك البجائيون المبادرة للتجار الأوروبيين في التجارة البحرية. فإذا ما بقوا أسياد النقل البرّي، فقد ارتبط قسم من نشاط المدينة من الآن فصاعدا بنشاط مينائها.

منذ ذلك الوقت أصبحت بجاية في وضعية سلبية تجاه طلبات الأسواق الأوروبية. ونتج عنها تبادل غير متوازن تعرضت له أكثر فأكثر. لكن النتيجة الأكثر أهمية هي تبعية بجاية مقارنة مع ظرفية أكثر اتساعا، والتي ضمّت جنوب أوروبا وفيما وراء كل البحر المتوسط وأوروبا. يسمح لنا الأخذ بعين الاعتبار السياق المزدوج المغاربي المتوسطي على السواء بمتابعة وتفسير تطور المدينة وازدهارها بين القرنين الثاني عشر والخامس عشر.

(7) J.-Cl. Garcin, « Pour un recours à l'histoire de l'espace vécu dans l'étude de l'Égypte arabe », *Annales ESC*, 35/3-4, 1980, p. 443-449 ; Sh. D. Goitein, *A Mediterranean Society. The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, Berkeley - Los Angeles, I, *Economic Foundations*, 1967, p. 149.

الفصل الأول
تجارة لم يتحكم فيها البجائيون إلا جزئيا

لتفسير مميزات تجارة بجاية وتطورها خلال الفترة يجب البحث عن الفاعلين الرئيسيين الذين بإدماجهم للمدينة في الشبكات الدولية، كانوا من محركات نشاطها الاقتصادي. طبعا كل هذا لا يمكن أن يقتصر على التجارة البحرية الكبيرة حيث كانت فيها قطاعات كثيرة من الأنشطة في أغلبها أجنبية. لكن بالنظر للأرباح الكبيرة التي كانت قادرة على جلبها، لعبت هذه التجارة الكبيرة دورا هاما في الحياة الاقتصادية للمدينة. منذ زمن طويل وأمام شح المصادر اعتبرنا أن المغاربة تركوا كلية هذا النشاط بين أيدي التجار الأوربيين. تستحق المسألة هنا إعادة تناولها ويجب توضيح الإجابات جيدا حيث وجدت مشاركة بجائية لم تقتصر فقط على استقبال البضائع في الميناء والمبادلات مع البلاد الخلفية. على الرغم من بقائها محدودة وأسباب هذا الانطواء هو في صميم مشكلة تطور المدينة الاقتصادي. على العكس فالتجارة حركت عددا كبيرا جدا من الفاعلين في الموانئ الأوروبية الرئيسية التي كانت على علاقة مع المغرب. في جنوة وبيزا ومرسيليا وميورقة، إنه؟؟ قسم هام من المجتمع الحضري الذي شارك في هذا النشاط وأرباحه. هذا الفرق الواجب البحث فيه وتفسيره، هو أساسي لفهم تطور تجارة بجاية.

1- مشاركة ضعيفة للبجائيين في التجارة البحرية

إنّ الوسط التجاري البجائي هو مجهول بالنسبة لنا، لأن المصادر الأدبية العربية لم تتحدث عنه. يمكن لكتب الأخبار أو تراجم العلماء بالمناسبة أن تلمّح للنشاطات التجارية لشخصية ما، لكن إطلاقا دون الإثقال بهذا المظهر الحياتي[8].

(8) أ نظر: Constable, *Trade and Traders*, *op. cit.*, p. 54-55.

كتب كذلك كلود كارار (Claude Carrère) عن نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر: "اقتصر المسلمون باستقبال التجار الأجانب في موانئهم، ولم يذهبوا إلى الأرض المسيحية إلا لشيء آخر وهو الغزوات".

توحي كتب الرحلات - القليلة بالنسبة لبجاية – بوجود التجار المتجولين، غير أنها تهتم أكثر بالنخب الدينية. فيما يخص وثائق الأرشيف الأوروبية، فإنها لا تدخل تقريبا التجار الأجانب. تجازف مصادرنا إذن بالتضليل واستخفاف مكانة المسلمين في الأعمال التجارية. على الرغم من كون هؤلاء الشركاء البجائيين وسطاء أساسيين، على الخصوص للوصول إلى الأسواق الداخلية حيث لم يخاطر الأجانب بالوصول إليها. في المقابل، من الصعب تقييم مكانتهم في التجارة المتوسطية. ترى الفكرة الأكثر شيوعا أن المسلمين تركوا التجارة البحرية الكبيرة في القرن الثاني عشر، لصالح القوى البورجوازية الرأسمالية في أوروبا الجنوبية حصريا [9]. وهذا يتطلب مراجعة تلك الفكرة، لأن البجائيين كانوا حاضرين جيدا في المبادلات البحرية الدولية حتى وإن كانت مكانتهم ضعيفة مقارنة بمكانة التجار الأوربيين. لكن إذا لم يكن هناك اختفاء كلي فإنه يوجد تراجع واضح.

1) حيز تجاري محدود

كون التجارة الداخلية كانت الفعل الحصري للتجار المحليين، هذا لا يدخله الشك. كما رأينا، فإن الأوربيين لم يغامروا إلا قليلا خارج أسوار المدينة. في المقابل، كانت مشاركة البجائيين في التجارة البحرية الكبيرة أقل وضوحا. على الرغم من أن الإشارات لا تخطئ إجمالا، لكن إذا دفع بعضهم إلى غاية الموانئ المسيحية، فإن الأغلبية حددت حيز نشاطها بالبلدان الإسلامية.

(9) Cl. Carrère, *Barcelone, centre économique à l'époque des difficultés, 1380-1462*, Paris-La Haye, 1967, p. 625.

أ) تجارة تعدت قليلا حدود دار الإسلام

يوجد تقليد طويل للتجار المتجولين في العالم الإسلامي. لقد كان تنقلهم في قلب دار الإسلام متكررا ومتعددا منذ القرون الأولى للإمبراطورية الإسلامية[10]. رغم اختفاء الوحدة السياسية، سهّلت من الرحلات وحدة اللغة وتقارب العادات. قبل تأسيس بجاية كان الأفارقة يتوجهون بانتظام إلى أعمالهم بالمشرق[11]، في المغرب الأوسط والأقصى وكذلك في الأندلس[12]. أيضا، نصادف في الفترة الحمادية تجارًا مصريين مروا عبر بجاية ومارسوا التجارة بين الأندلس والإسكندرية[13] ووثائق الجنيزة تبيّن أهمية هذا المحور التجاري إلى غاية القرن الحادي عشر[14].

بداية من منتصف القرن الحادي عشر، عدة عوامل أدّت إلى تغييرات ملحوظة. الأول هو تفاقم اللاّأمن على الطرق بسبب استقرار قبائل بدوية جديدة

---

(10) Y. Ragheb, « Les marchands itinérants du monde musulman », *Voyages et voyageurs au Moyen Âge. XXVIe congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Limoges-Aubazine, mai 1995*, Paris, 1996, p. 177-215.

(11) Sh. D Goitein, « La Tunisie du XIe siècle à la lumière des documents de la Geniza du Caire », *Études d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, II, Paris, 1962, p. 559-579.

(12) Constable, *Trade and traders*, *op. cit.*, p. 31-33 ; Chr. Picard, *L'Océan atlantique musulman. De la conquête arabe à l'époque almohade. Navigation et mise en valeur des côtes d'al-Andalus et du Maghreb occidental (Portugal-Espagne-Maroc)*, Paris, 1997, p. 400-401.

(13) ابن ظافر الأزدي، بدائع البداية، تحقيق إبراهيم.فضل، القاهرة، 1970، ص:181. أنظر:

A. Amara, *Pouvoir, économie et société dans le Maghreb hammadide (395/1004 - 547/1152)*, thèse de l'Université Paris 1, sous la direction de Fr. Micheau, Paris, 2002, p. 424.

(14) Constable, *Trade and traders*, *op. cit.*, p. 175.

جرت هذه التجارة في الغالب عن طريق تجار إفريقية. Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit.*, I, p. 213.

وضعف تحكم الدولة. كان الطريق البري الساحلي المار عبر طرابلس للوصول إلى مصر والشرق الأدنى على الخصوص خطيرا[15] والفتاوى المتكررة التي تسمح بالعدول عن الحج بسبب انعدام الأمن خير شاهد على ذلك[16]. في باقي المغرب كان الخطر أقل حدوثا لكن بقيت الطرق صعبة السلوك. لكن لم تكف هذه الأخطار هنا لوقف كل تنقل تجاري. لقد سافر ابن بطوطة بين تلمسان وبجاية بصحبة تجار تونسيين سلكوا طريق الشمال مرورا بمليانة وبجاية وقسنطينة. للوصول إلى هذه المدينة وجب عليهم المشي بسرعة خوفا من نهب البدويين[17].

يظهر هؤلاء التجار البجائيين في الواقع خاصة في المصادر الأوروبية حتى وإن كانوا بكيفية هامشية. لا بد من تفسير هذه المعطيات بحذر كون أن هذه الوثائق لا تظهر إلا الرحلات التي جرت عبر السفن، وتوجد مجازفة لتضخيم دور الطريق البحري. رغم هذه التحفظات القائمة، من الواضح تعويض البحر للطريق البري لقسم كبير من مبادلات ما بين الجهات. في عصر فردناند الأول الأراجوني، كان مسلم من الكدية (في سلطنة فاس) مضطرا للذهاب إلى بجاية من أجل أعماله التجارية، فرأى من الأضمن له الذهاب أولا على متن مركب مسيحي حتى ميورقة للحاق بعد ذلك ببجاية[18]. يقدم الطريق البحري إذن إيجابيات واضحة[19]، كون أوقات المسيرة قصيرة جدا والرحلة مضمونة، رغم خطر القراصنة أو العواصف. من جهة أخرى، كانت قدرات نقل المراكب على صغرها

---

(15) Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit.*, I, p. 276-280.

(16) أنظر:

V. Lagardère, *Histoire et société en Occident musulman au Moyen Âge. Analyse du Mi'yār d'al-Wanšarīsī*, Madrid, 1995, p. 29-30.

(17) ابن بطوطة، ص: 377-378.

(18) ACA, *Real Procesos*, 102/21, cité par A. Unali, *Marinai, pirati e corsari catalani nel Basso Medioevo*, Bologne, 1983, p. 43.

لم يكن هذا الاختيار سليما جدا، لأن القراصنة أسروه.

(19) Picard, *L'Océan Atlantique*, *op. cit.*, p. 379.

أكبر مقارنة بقدرات الدواب. وأخيرا، تحولت الطرق البرية نحو الشمال مع التخلي عن الطريق الجنوبي، وتتبع أساسا الساحل المتوسطي فالأقطاب الاقتصادية الرئيسية تواجدت من الآن فصاعدا على الساحل، وكانت إذن سهلة الوصول عبر السفن[20].

كان بإمكان أصحاب السفن المسيحية نقل التجار المسلمين أو شحن سلعهم من ميناء إلى آخر. نعرف رحلة الحاج الأندلسي ابن جبير الذي أبحر في 578/ 1183 من سبتة على متن سفينة جنوية باتجاه الإسكندرية[21].وفي عودته اعتزم أولا ركوب سفينة من صور إلى بجاية[22]، قبل الإبحار أخيرا إلى صقلية مع مسلمين آخرين. نصّت معاهدة 1278 بين تونس ومملكة أراجونة على إمكانية تأجير الربان لسفنهم للتجار المسلمين[23] وعدد من الشواهد تكشف أن هذا الاستعمال كان ساريا نسبيّا في بعض الرحلات على الأقل. يروي الغبريني أن بجائيا أراد الذهاب إلى الحج حيث وجد في الميناء سفينة مسيحية قادمة من سوريا[24]. أيضا في 1316 حملت سلع على متن باخرة ميورقية بقيمة تراوحت ما بين 180 و200 دينار كانت للبجائيين آرنداسي (Arrendassi) وغاراني (Rharani) اللذان تسلماها في طلبية من محمد بن عصمة بالمرية[25]. وفي سنة

---

(20) قدم الإدريسي الطرق البرية بطريقة ذات دلالة ولكن الطرق البرية وكذلك المسالك الساحلية مشيرا إلى المسافات بين الموانئ. مثل: الإدريسي، ص 175–178.

(21) ابن جبير، الرحلة، ترجمة: ب.شارل دومينيك، « Relation des péripéties qui surviennent pendant les voyages (*Rihla*) *Voyageurs arabes*, Paris, 1995, p. 71.

(22) نفسه، ص: 327.

(23) معاهدة لاكورونيا أراجونة – تونس، 1278، المادة 7.

(24) الغبريني، ص 80.

(25) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 136, *Judíos y musulmanes*, n° 524 (29/5/1316), éd. (avec une cote erronée) par Ch.-E. Dufourcq, *Recueil de documents concernant les relations des pays de la couronne d'Aragon avec le Maghreb de 1212 à 1323*, thèse complémentaire, Université de Paris, n° 1224.

1368 تمّ أسر عشرة مسلمين من بجاية خلال رحلتهم على متن مركب جيلام سيرا (Guillem Serra) الميورقي حيث بيعوا في سردينيا[26]. وأخيرا في 1403 ذهب مسلمون على متن قاليوطة برشلونية من بجاية إلى الجزائر[27]. لكن كان النظام الأكثر اتقانا في القرن الخامس عشر هو نظام الشواني البندقية التي استدارت نحو؟؟ السواحل الإفريقية وأخذت على متنها التجار المسلمين. من تونس حملتهم شواني الترافيجو (*Trafego*) إلى غاية المشرق وبالخصوص إلى الإسكندرية[28]. في الفترة نفسها حمل أيضا الجنويون[29] والكتالانيون[30] التجار المسلمين من إفريقية نحو الأسكندرية لكن دون وضع نظام مساو لنظام الخطوط البحرية البندقية[31].

هؤلاء التجار البجائيين طوروا أعمالهم التجارية في مجمل العالم الإسلامي. في فترة سلطان بجاية أبي زكرياء أجرى فضل وكيل القصر عدة رحلات إلى

---

(26) ACA, C., Rg. 1427, f. 27v-28r (16/10/1368).

(27) ARM, RP 3826, f. 147v (1403).

(28) B. Doumerc, *Venise et l'émirat hafside de Tunis (1231-1535)*, Paris, 1999, p. 114.

(29) J. Heers, « Gênes et l'Afrique du Nord vers 1450 : les voyages "per costeriam" », *AEM*, 21, 1991, p. 233-245.

أنظر كذلك شهادة أنسالم أدومو (Anselme Adorno) الذي روى أنه ركب في تونس على متن سفينة جنوية عائدة من المشرق برفقة مائة موري، رجال ونساء، وبعض التجار والحجاج.

J. Heers, G. de Groer, éd. et trad., *Itinéraire d'Anselme Adorno en Terre Sainte (1470-1471)*, Paris, 1978, p. 140-141.

(30) أنظر:

Emmanuel Piloti, *Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage en Terre Sainte (1420)*, éd. P. H. Dopp, Louvain-Paris, 1958, p. 229-231.

بخصوص سفينة كاتالانية أسرت في ميناء الإسكندرية على متنها عدد من التجار المغاربة متجهين نحو تونس.

(31) دون شك كان للشواني الفلورنسية كذلك هذه الوظيفة لكننا لا نعرف دورها جيدا. أنظر:

M. E. Mallett, *The Florentine Galleys in the Fifteenth Century*, Oxford, 1967, p. 72-74.

الأندلس وإلى تونس لممارسة تجارة النسيج[32]. نجد هؤلاء التجار في موانئ المغرب الأخرى مثل تونس والجزائر أو وهران أو في المدن الداخلية مثل تلمسان. في هذه المدينة تحصل الأمير أبو زكرياء على مساعدة التجار البجائيين، حيث سمحت له ببناء وتدريب جيش واستعادة السلطة في 684/ 1286[33]. أمثلة أخرى تقدمها لنا وثائق الأرشيف. ففي شوال 702/ ماي-جوان 1303 ببنزرت أوقف شيطي ميورقي مركب مسلم قادم من بجاية بحمولة من العمائم والبرانس بقيمة 40000 (دينار؟)[34]. وفي 705/ 1305 مرّ قارب بجائي في مياه بنزرت حيث أسره بلنسيون، وفي 1315 سافر تجار من تونس وبجاية وتلمسان في سفينة تلمسانية على طول السواحل العبد الوادية[35]. تستمر الشواهد عن هذه التجارة بين الموانئ المغاربية في القرن الخامس عشر سواء على متن مراكب مسيحية أم مسلمة. ففي 1410 حضر أسيران مسلمان من مملكة تونس (واحد من قسنطينة والآخر من جيجل) أمام المشرف الملكي العام لبلنسية ليعلن عليهما حربًا جيدة حسنة. لقد أكدوا على تعرضهم للسبي على متن سفينة بجائية ذاهبة إلى وهران محملة بالخشب والجلود[36]. أيضا، أثناء مرور سفن بندقية على بجاية سنة 1475 حمل مسلم يسمى بوزيوتو (البجائي؟) على متنها عبدين أسودين لبيعهما في الجزائر. لكن في

(32) *Berbères*, II, p. 422.

(33) *Ibid.*, p. 399.

(34) *Ibid.*, texte p. 259, trad. p. 265.

(35) ACA, C., Rg. 242, f. 261v-262r (26/10/1315), éd. Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 1163 ; Archivo Histórico de la Ciudad de Barcelona, *Llibre del Consell*, vol. 3, f. 33v-34 (6/11/1315), éd. A. de Capmany y Montpalau, *Memorias históricas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona*, Madrid, 1779-1792, rééd. C. Batlle et E. Giralt, Barcelone, 1961-1963, n° 99, p. 143-145.

(36) ARV, C., Rg. 626, f. 33v-36r (2/5/1410).

هذا الميناء رفض ربان مركب تومازو زن (Tomaso Zen) تسليمهما[37]. في النهاية هذه التجارة الداخلية في المغرب أكّدتها المصادر العربية خاصة بعض النوازل الفقهية. أشارت فتوى لأبي عبد الله بن العباس (ت 871/ 1466) ولأبي عبد الله محمد بن أحمد بن القاسم العقباني (ت 871/ 1467) إلى تاجر من الجزائر قادم من بجاية بالحرير والحنابل (أغطية أو زرابي). تواجد بها شخص يسمى محمد البجائي الذي ترك له ممتلكاته في المستودع واشترى سلعا مختلفة واعتزم توجيهها أولا عبر البحر إلى الجزائر قبل تغيير رأيه واختيار متابعة الطريق البري[38].

إلى الغرب أكثر، كانت التجارة نشطة مع الأندلس. ففي النصف الأول من القرن الثاني عشر زاوج ابن الرمانة –وهو عالم ولد في قلعة بني حماد ودرس في هذه المدينة وفي بجاية ورحل إلى الأندلس– بين التجارة وطلب العلم[39].

في النهاية مارس البعض التجارة مع الشرق الأدنى وبالخصوص مع مصر. تظهر وثائق الجنيزة عددا من اليهود الإفريقيين في الأسكندرية وفي القاهرة[40]، لكن شلومو.د.جواتين (Shelomo D. Gotein) لاحظ تناقص وجودهم انطلاقا من منتصف القرن الحادي عشر. رغم أن حركتهم لم تتوقّف كلية. ففي القرن الخامس عشر نقلت الشواني البندقية تجار إفريقية انطلاقا من تونس على

---

(37) Éd. L. Greco, *Quaderno di bordo di Giovanni Manzini : prete-notaio e cancelliere (1471-1484)*, Venise, 1997, p. 54, 56 (14/10/1475).

(38) Analyse dans Lagardère, *Histoire et société*, *op. cit.*, p. 147.

(39) استقر في النهاية بفاس أين أصبح قاضيا في 536ـ/ 1142 وتوفي في 567ـ/ 1172.

R. Bourouiba, *Les H'ammadites*, Alger, 1984, p. 167.

هذه الصورة للعالم التاجر قديمة ومستمرة في الإسلام، أنظر:

H. Touati, *Islam et voyage au Moyen Âge*, Paris, 2000, p. 99-101 ; H. Ferhat, *Sabta des origines au XIVe siècle*, Rabat, 1993, p. 312-313.

(40) Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit.*, I, p. 59.

الخطوط التجارية، وضمنت أيضا سفن إسلامية هذه الروابط. وفي 1453 أمر ملك أراجونة خوان لول (Joan Llull) بالذهاب بسفينتيه و"السير على طول السواحل البربرية إلى غاية الأسكندرية لمحاولة مباغتة موكب السفن التجارية التي عادة ما تسير بمحاذاة السواحل من الإسكندرية إلى تونس. فرخص له لمهاجمة ومصادرة -في سياق "الحرب الحسنة"- كل مركب "موري أو تركي أو كفار آخرين أو أعداء العقيدة المسيحية"[41]. لكن لا نعرف جيدا ما إذا شارك البجائيون بكثرة في هذه التنقلات أو إذا كانت هذه الأخيرة مارسها تجار إفريقية الشرقية.

ب) حضور استثنائي في الموانئ المسيحية

إذا كان ذهاب التجار البجائيين إلى جهات أخرى من العالم الإسلامي عاديا، فإنه كان في المقابل العثور عليهم في الموانئ المسيحية استثنائيا[42]. لم يُعترض على مجيئهم معارضة مطلقة، لكن كان من النادر مجيئهم لممارسة التجارة في موانئ الشمال الكبرى.

تبنى الفقهاء المسلمون حول هذه المسألة موقفا فيه ضبابية. من جهة، منعوا الذهاب للتجارة عند المسيحيين لأسباب دينية وإستراتجية على حد سواء، ومن جهة أخرى، تصوروا حالات يفترض وجود هذه المبادلات بصورة جيدة. كان الموقف المبدئي هو المنع كما تظهره فتاوى المازري (ت 536/ 1141) المتعلقة بالتجارة مع صقلية المسلمة: "لا يمكن لمسلم الذهاب إلى أرض خاضعة لأحكام الكفر مهما تكن حاجياته". وقدّم لهذا الحجة التالية: "إذا ما ذهبنا عندهم، سيرتفع

(41) Ch.-E. Dufourcq, « La continuité des activités catalano-aragonaises dans les États musulmans méditerranéens d'Alphonse le Magnanime à Ferdinand le Catholique », *IX Congresso di storia della Corona d'Aragona*, Naples, 1982, p. 211.

(42) D. Valérian, « Ifrīqiyan Muslim Merchants in the Mediterranean at the End of the Middle Ages », *Mediterranean Historical Review*, 14/2, 1999, p. 50-54.

سعر المواد في بلدهم وسيجمعون منا مبالغ معتبرة، يستعملونها لقتال المسلمين وغزو بلدهم"[43]. لكن في فتاوى أخرى لمازري نفسه توقع إمكانية السفر إلى صقلية كواقع[44]. إنّ موقف الفقهاء الجازم كان في الواقع متذبذبا من حيث الممارسة[45].

من الجهة المسيحية، لم يكن هناك اعتراض على قدوم المسلمين. فتحتوي المعاهدات -التي تفصّل في شروط التواجد المسيحي في المجال الحفصي- في الغالب على بنود المعاملة بالمثل. سمح اتفاق 1270 بين فليب لو أردي (Philippe le Hardi) وشارل دانجو (Charles d'Anjou) من جهة والمنتصر سلطان تونس من جهة ثانية للتجار رعايا السلطان بالمجيء لممارسة التجارة في دولتي هذين الملكين" "سيكون في أمان الله تعالى كل مسلمي دولة أمير المؤمنين والأراضي الخاضعة له والأماكن التي تتبعه عند ذهابهم إلى دولة أحد الملكين المذكورين آنفا. لا يتعرض أحد منهم لشتم لا في شخصه ولا في ممتلكاته، ولا لضرر كبير أو صغير. سيكون في منأى عن كل عداء من السفن التي تخرج من الأراضي الخاضعة

---

(43) تحليل في:

Lagardère, *Histoire et société, op. cit.*, p. 128 ; H.-R. Idris, « Commerce maritime et kirād en Berbérie orientale d'après un recueil inédit de fatwās médiévales », *JESHO*, 1961, p. 228-229.

(44) Lagardère, *Histoire et société, op. cit.*, p. 316.

حول فتاوى المازري، أنظر التوضيح الأخير ل أ. ل. إيدوفتش:

A. L. Udovitch, « I musulmani e gli ebrei nel mondo di Federico II : linee di demarcazione e di comunicazione », *Federico II e il mondo mediterraneo*, dir. P. Toubert, A. Paravicini Bagliani, Palerme, 1994, p. 191-192.

(45) Cf. Constable, *Trade and traders, op. cit.*, p. 59-60 ; A. Nef, *L'élément islamique dans la Sicile normande : identités culturelles et construction d'une nouvelle royauté (XIe-XIIe siècle)*, Thèse de l'université Paris X - Nanterre, sous la direction de H. Bresc, 2001, p. 550-551.

للأمراء المذكورين". إذا ما هاجمهم أحد رعايا الملكين، سيعوضون "إذا ما أثبتوا هذا الضرر بذهابهم إلى البلدين المذكورين آنفا أو بالعودة إليهما[46]".

في بعض الحالات لم تتعد هذه الاتفاقات التعبير عن معاملة نظريا بالمثل[47]. لكن لم تكن الحالة نفسها في المعاهدات الكتالانية، التي هي مفصّلة أكثر. فمعاهدة 1271 بين لاكورونيا أراجونة وتونس تحتوي على عدة مواد تضمن حماية الرعايا الحفصيين على أراضي المملكة[48]. لا يتعلق الأمر في هذه الحالة ببساطة ببند معاملة بالمثل مجانية، لأنه تمّ افتراض مجيء مسلمي إفريقية فعليّا. ففي 1343، بعد استيلائه على ميورقة التي كانت لجاك الثالث الميورقي، منح بيار لوكريمونيو إعفاء للتجار المغاربة (يهودا ومسلمين) الذين قدموا لممارسة التجارة في الجزيرة، وحدد حقوق الجمركة التي وجب عليهم دفعها[49]. أيضا، طالب مزاد علني أقيم بميورقة في 1386 بمنع شتم أوسوء معاملة بسوء كل مسلم أو مسلمة أجنبي موجود في

(46) معاهدة مملكة فرنسا وأنجو – تونس، 1270، المادة 1. تنص نفس المعاهدة أيضا: "إذا كان أي مركب يعود لأحد المسلمين المذكورين آنفا أو سفينة ما تعود للمسيحيين وعلى متنها أحد المسلمين المذكورين آنفا، غرقت في أحد مراسي دول الأمراء المذكورين سابقا، وفي الأماكن الخاضعة لهم، على كل طرف السهر على الحفاظ على كل ما سيلقى على سواحل دوله، سواء أشخاص أم ممتلكات ويرجع الكل إلى المسلمين". (المادة 3).

(47) في معاهدة 1313 بين بيزا وتونس على سبيل المثال، تؤكد المادة السادسة والأربعون والأخيرة على تأمين كل مسلم رعية للسلطان ذاهبا إلى بجاية أو إلى بلدان تحت سيطرتها، في شخصه وممتلكاته.

(48) معاهدة لاكورونيا أراجونة – تونس، 1271، المادة 1، 4، 7، 12، 13.

(49) حدد ب 5 في المائة (*vintè*) عوض 10 في المائة (*deè*) حقوق على الواردات والصادرات لخمس سنوات.

ACA, C., Rg. 1409, f. 91v-92r (15/10/1343), éd. A. Pons, *Los Judíos del reino de Mallorca durante los siglos XIII y XIV*, Palma de Majorque, 1984, II, n° 103-104.

جدّد هذا الإجراء بيار الثالث دون توضيح نسبة الرسوم، لكن سجلات الرسوم لسنوات 1350 كان لها نسبة 10 في المائة من جديد.

الجزيرة سواء في بعثة أم في تجارة أم لأي سبب آخر[50]. كانت هذه الحماية في حدود الإمكان فعلية وموضوع عناية، لأن المشرف الملكي لميورقة أبلغ الملك جاك الثاني بالتجاوزات التي ارتكبها برنات دو ساريا (Bernat de Sarria) وأسطوله ضد مسلمي بجاية وتونس "وأماكن أخرى ببلاد البربر"، الذين مارسوا التجارة مع الجزيرة، وذلك بتسديد حقوق معتاد عليها بانتظام[51]. أيضا، في رخصة مرور منحت ببلنسية في 1406، التزم ربان مركب على عدم مهاجمة سفن لاكورونيا أراجونة "لا للرهبان الدعاة ولا لليهود ولا للمسلمين من أي جهة من بلاد البربر قدموا لممارسة التجارة سواء في المدينة أم في مملكة ميورقة وفي أي مكان من ممالك وأراضي السيد الملك المذكور آنفا[52]".

لكن كانت وضعية بلدان لاكورونيا أراجونة خاصة، بسبب ماضيهم المسلم وتواجد المدجنين. في إيطاليا لم تكن هناك إجراءات ما مشجعة، لكنها وجدت في المقابل في مرسيليا كما يوضحه اتفاق في 1290 بين الأسقف ومجلس المدينة، الذي نصّ على إمكانية قدوم المسيحيين واليهود والمسلمين إلى مرسيليا للاتجار بحرية وفي أمن تام[53]. أيضا رخّصت رسالة الملك روني (René) بتاريخ 9 أفريل 1472

(50) Éd. E. de K. Aguiló, « Rubrica dels llibres de pregons de la antiga curia de la governació, llibre I, any 1385 », *BSAL*, 9, 1901-1902, p. 14 (23/4/1386).

(51) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 1, n° 326 (16/09/1297).

(52) *Neque conversis seu judeis autem etiam sarracenis de quibusvis partibus barbarie venientibus mercantiliter, tam ad civitatem et regnum Maioricarum quam ad quascumque alias partes regnerum et terrarum predictum domini regis*. ARV, C., *Libres de armaments de fustes de la cort de la Batlia general del Regne de Valencia*, 702, f. 13v-16v (25/1/1406).

(53) *Cives et homines supradicti, sive sint christiani, sarraceni, vel judaei, possint libere et secure intrare et manere et exire in civitate vicecomitali, et negociari, et suas merces et avera vendere et emere...*, cité par G. B. Dapping, *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe depuis les Croisades jusqu'à la fondation des colonies d'Amérique*, Paris, 1830, I, p. 286.

لا يوضّح النص أصل المسلمين واليهود المعنيين.

التجارة في مرسيليا بكل أمان سواء عبر البر أم البحر و"منع الكفار من تصدير الأسلحة"[54]. وتمّ توضيح إمكانية القدوم لمرسيليا للتجارة كل أشخاص "ممالك وجهات وأقسام العالم"، بغض النظر عن دينهم، بشرط أن لا يكون ملكهم في حرب مع مرسيليا ولا يتعاطوا القرصنة. وأضافت الوثيقة: "وأيضا إذا ما كانوا من مملكة تونس وبجاية أو رعايا لأي دولة كافرة".

بالرغم من أن التواجد الفعلي للتجار البجائيين غير منصوص عليه خارج بلدان لاكورونيا أراجونة بعد القرن الثاني عشر، فقد تحدث بنيامين الطليطلي في حوالي 1165 عن مسلمين بمنبيلييه[55]، لكن هذه الشهادة معزولة. نلاقي طبعا مسلمين من موانئ أخرى بإفريقية وبالمشرق وفي مرسيليا[56] وجنوة[57] وبيزا[58] أو أيضا

(54) AM, AA 149, 9/4/1472.

(55) *The Itinerary of Benjamin of Tudela*, éd. et trad. M. N. Adler, Londres, 1907, p. 3. « Men come for business there from all quarters, from Edom, Ishmael, the land of Algarve, Lombardy, the dominion of Rome the Great, from all the land of Egypt, Palestine, Greece, France, Asia and England. »

(56) في 1227 عقد حكيم وهو مسلم من الأسكندرية عقدا مع برنار منديال بمرسيليا أمام الموثق جنيار (Januaire). Blancard, I, n° 14

(57) G. Jehel, *Les Génois en Méditerranée occidentale (fin XIe-début XIVe siècle), ébauche d'une stratégie pour un empire*, Amiens, 1993, p. 280. يطرح التعرف عليهم كتجار مشكلا. أنظر أيضا:

G. Jehel, « Jews and Muslims in Medieval Genoa: from the Twelfth to the Fourteenth century », *Mediterranean Historical Review*, 10, 1995, p. 120-132.

(58) اشتكى الرهبان دنزيوني (Donizione) كاتب سيرة الأميرة ماتيلد (Mathilde) من تواجد مسلمين في ميناء بيزا في نهاية القرن الحادي عشر.

Vita Mathildis celeberrimae principis Italiae carmine scripta a Donizone presbytero, éd. L. Simeoni, Bologne, 1930-1940 (*Rerum Italicarum Scriptores*2, V, *parte* 2), p. 53.

أنظر أيضا شهادة البندكتي الإسلندي نكولاس (Nikolás)، الذي رأى مسلمين خلال مروره ببيزا في حوالي 1150=

في صقلية[59]، مما يترك انطباعا بتواجد البجائيين أيضا في هذه الموانئ. لكن لم يبق من ذلك أثر، ويمكن أن نعتبر ذلك استثنائيا[60].

كان إذن هؤلاء التجار أساسا في بلدان لاكورونيا أراجونة المسلمة سابقا. لكن رغم التشجيع والحماية التي ضمنها الملوك والتي تمّ التأكيد عليها بانتظام، بقيت الحالات نادرة. لا نعرفها إلا من خلال الرسوم التي وجب على هؤلاء الرجال تسديدها للإقامة في البلاد أو عند مغادرتها أو أيضا حقوق ديوان الجمارك على المنتجات المستوردة والمصدّرة[61]. لكن سلاسل الوثائق غير مستمرة وحضور

=Trad. M. Scovazzi, « Il viaggio in Italia del monaco islandese Nikolas », *Nuova Rivista storica*, 51, 1967, p. 360 : « Ce sont des hommes d'Egypte, des Syriens et des Africains. »

(59) في أكتوبر 1438 عيّن رايسي علي مرسان الساكن في الحمامات ببلاد البربر الوكيل فرانشيسكو دو لي فرو (Francesco de lu Ferru) للمطالبة بقروضه في لكاتا (Licata)، على الساحل الجنوبي للجزيرة.

Archivio di Stato di Trapani, not. Miciletto (10/10/1438), cité par C. Trasselli, « Sicilia, Levante e Tunisia nei secoli XIV e XV », *Mediterraneo e Sicilia all'inizio dell'epoca moderna*, Cosenza, 1977, p. 128.

أيضا نصّت تسعيرة قبالة تراباني (Trapani) على رسم ب 5 في المائة لسلع المسلمين ويهود بلاد البربر إلا بالنسبة ليهود جربة وجزيرتي قرقنة وبنتاليريا.

R. M. Dentici Buccellato, éd., *Fisco e società nella Sicilia Aragonese. Le pandette delle gabelle regie del XIV secolo, Acta curie felicis urbis Panormi*, 2, Palerme, 1983, p. 81.

(60) نذكر أيضا هذا النص الطريف لداعية دمنيكاني في النصف الثاني من القرن الثالث عشر وهو برتلومي التوري (Barthelemy de Tours)، الذي ندّد ب "تجار إفريقيا ولومبارديا وأماكن أخرى الذين حملوا سلعهم المتواضعة إلى باريس لبيعها بسعر جيد ويعودون بثراء إلى بلدانهم".

(*sicut mercatores de Africa et Lombardia et aliis villis, Parisius portant merces suas viles ut melius vendantur et sustententur in terris suis*). » Paris, BNF, manuscrits latins, n° 14952, f. 32, cité par M.-M. Dufeil, « Traces d'Orient à Paris au XIIIe siècle », *RHCM*, 3, 1967, p. 48-49.

(61) M. D. López Pérez, « Los operadores magrebíes en la Corona de Aragón a finales del trescientos y principios del cuatrocientos : las actividades mercantiles de judíos y musulmanes norteafricanos », *XIV Congresso di Storia della Corona d'Aragona, Sassari-Alghero, 19-24 maggio 1990*, III,=

التجار المغاربة يقيّم إذن بنقصان. يمكننا تكملة هذه المعطيات ببعض الوثائق التجارية النادرة والشكاوى التي هي نتاج أعمال القرصنة ضد المغاربة الذين وفدوا للتجارة مع بلدان لاكورونيا.

كانت ميورقة الوجهة الرئيسية لهؤلاء التجار المغاربة[62]، حيث كانت الجزيرة على اتصال كبير مع بجاية واحتفظت بسكانها المسلمين الذين كان عددهم غير كثير، لكنهم كانوا نشطين[63]. ففي جويلية 1279 تلقى محمد وهو مسلم بجائي حر قرضا من مسيحي يدعى أندري سافر (André Safre)، لتسديد رسم إقامة بلاكورونيا[64]. وفي 1285، أعار علي البجائي ومحمد القرطبي 26 ليفر من ريو بلنسي لبرناردو دو روزان (Bernardo de Rosanes) وجوهانز دومنجاز (Johannes Dominguez)، حيث استعمل قسما كبيرا منه في تعويض أ. دو فيلمار (A. de Vilamar)، اللذين كان قد أعار لهما ما مجموعه 31 دينار مزدوج في إفريقيا وفي ميورقة. شهر بعد ذلك، الشخصان ذاتهما أعارا 30 ليفر من ماتيو دو بورتو فنيري (Mathieu de Porto Venere)، منها 27 ذهبت إلى برناردو (Bernardo) وجيوفاني (Giovanni)، وفي نفس اليوم وعدهما

=Sassari, 1996, p. 558 ; Ead., *La Corona de Aragón y el Magreb en el siglo XIV (1331-1410)*, Barcelone, 1995, p. 358-359.

(62) Cf. J. Sastre Moll, « Estancia y salida de musulmanes libres y esclavos durante el reinado de Sancho I y Felipe de Mallorca », *BSAL*, 44, 1988, p. 125-170.

(63) Cf. N. E. Gais, « Aperçu sur la population musulmane de Majorque au XIVe siècle », *RHCM*, 9, 1970, p. 19-30. قدَّر جام ساستر مول (Jaime Sastre Moll) هؤلاء السكان بحوالي 5000 شخص (أحرارا أم لا) في الربع الأول من القرن الرابع عشر، بمعنى من 8 إلى 10 في المائة من سكان الجزيرة. Sastre Moll, « Estancia y salida », art. cité, p. 170.

(64) ARM, P. 351, f. 104, éd. A. Santamaría Arández, *Ejecutoria del reino de Mallorca*, Palma de Majorque, 1990, p. 95.

ماتيو (Mathieu) بإخراجهما من الجزيرة يوم 15 أوت[65]. أيضا في 1354 أخذ التاجر البجائي أحمد الزواوي طلبية من الميورقي برنات برو (Bernat Bru) ب 5 ريو ميورقية وتعهد بحملها إلى بجاية مع تاجر آخر من الجزيرة وهو أنتوني جارثيا (Antoni Garcia)[66].وأخيرا في 1423 تحصل علي بن غرنيط وهو تاجر بجائي آخر على رخصة مرور له ولأصحابه ووكلائه وموزعيه مقابل دفعهم على غرار كل موري أو يهودي أجنبي رسم دخول[67]. تبيّن هذه الأمثلة – على الأقل للبعض من هؤلاء التجار- تنظيما مستقرا جدا لتجارتهم مع البلدان المسيحية.

بالإضافة إلى الانشغالات التجارية، ربما قدم البعض لافتداء الأسرى المسلمين. ففي 1313 قدم إبراهيم أرجوني البجائي للبحث عن اثني وثلاثين أسيرا من ميورقة وعد بها جريجوري سالومي (Grégori Salembé) السلطات البجائية[68]. وفي 1384 كلّف محمد الفيات البجائي بالذهاب للبحث عن رعية لسلطان أراجونة كان أسيرا في مملكة غرناطة[69]. لكن نحن هنا أمام حالات تتأرجح بين الدبلوماسية والتجارة.

---

(65) ARM, P. 351 (19/4/1285 [?] et 24/5/1285), cité par E. Lourie, « Free Moslems in the Balearics under Christian Rule in the Thirteenth Century », *Speculum*, 45, 1970, p. 634.

(66) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos* 14580, f. 58v (Majorque, 2/7/1354), cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 377.

(67) ARM, LLC 99, f. 295 (1/10/1423), cité par P. Macaire, *Majorque et le Maghrib au XVe siècle*, thèse de troisième cycle, sous la direction de Ch.-E. Dufourcq, Université Paris X, 1977, p. 454.

(68) ARM, *Reales cedulas*, vol. III, f. 110 (08/1313), éd. E. de K. Aguiló, « Tractat de pau entre el Rey de Mallorca Don Sanxo i el de Bugia Boyahia Abubechre, firmat a Mallorca (1312) », *BSAL*, 15, 1915, p. 227-228, 230.
يتعلق الأمر هنا ببعثة رسمية في إطار تبادل الأسرى.

(69) ACA, C., Rg. 1389, f. 165r (30/1/1384).

أنظر: في 1353 حالة تونسي: محمد الرشيد، وهو تاجر واعتبر أيضا الفكاك أي مفتدي الأسرى] *(alfaqueque)*، حيث غادر ميورقة إلى تونس على متن مركب ميورقي.

ARM, RP 1353, f. 30v (1353).

جدول 21: مسلمون ويهود متواجدون في ميورقة وبلنسية (1279–1500)

التاريخ	الاسم	مكان الإقامة	المصدر
1279/7	محمد	ميورقة	ARM, P. 351, f. 104[70]
1285/4/19	علي	نفسها	ARM, P. 351[71]
1285/7/27	محمد	نفسها.	نفسه.
القرن 14	ميمون بن ميمون	نفسها	ARM, RP 1106[72]
القرن 14	يوسف الكودي	نفسها	نفسه
1311/3/2	محمد	نفسها	ARM, RP 1865, f. 42v
1311/5/17	إيكسا وابنها صال	نفسها	Id., f. 28r
1311/10/7	موسفريق	نفسها.	Id., f. 28v
1311/8/20	صيدانا، مينور	نفسها	Id., f. 29v
1314/7	عصمت بن إبراهيم	نفسها.	ARM, RP 3764, f. 40v
1316/3/23	بجائي	بلنسية	ACA, CRD, Jaime II, *caja* 60, n° 11052[73]
1316/11/19	عيسى	ميورقة	ARM, RP 3765, f. 28r
1318/9/4	أرزوس	نفسها	ARM, RP 3766, f. 25v
1320/5/6	عيسى	نفسها	ARM, RP 3767, f. 30r

(70) Éd. Santamaría Arández, *Ejecutoria*, *op. cit.*, p. 95.

(71) Cité par Lourie, « Free Moslems », art. cité, p. 634 (idem pour le suivant).

(72) Cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 376 (idem pour le suivant).

(73) Éd. A. Masia de Ros, *La Corona de Aragón y los estados del Norte de Africa*, Barcelone, 1951, n° 138.

1320/7/1	مريم كاباشا	نفسها	Id., f. 31r
1320/9/17	عيسى	نفسها.	Id., f. 31v
1325/10/22	عيسى	نفسه	ARM, RP 3769, f. 41r
1326/3/1	أرزوس	نفسها.	Id., f. 43r
1327/11/6	عيسى	نفسه	ARM, RP 3770, f. 39v
1327/12/18	أرزوس	نفسه	Id., f. 40r
1328/9/2	عيسى	نفسها	ARM, RP 3771, f. 38r
1328/9/2	عيسى	نفسها	Id., f. 47r
1329/2/4	أرزوس	نفسها	Id., f. 40v
1329/2/19	أرزوس	نفسها	ARM, RP 3772, f. 43r
1329/2/21	عيسى	نفسها .	ARM, RP 3771, f. 41r
1351/1/12	عبد الله بن علي أبنت قيلاش، محمد عبد الله	نفسها	ARM, LLC 12, f. 148r
1354/7/2	حامد التزواهي	نفسها	ACM, P. 14580, f. 58v(74)
1362/7/28	سعيد القفصي	نفسها	ARM, RP 1008, f. 14v
1365	محمد بن قري	نفسها	ARM, RP 1108, f. 10v

(74) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos*, cité par López Pérez, *La Corona, op. cit.*, p. 377.

1366/6/17	عبد الله زفوني	نفسها	ARM, RP 1106, f. 9r
1367/7/30	البوفريز أريان ويوسف بن علي.	نفسها	ACA, C., Rg. 1389, f. 70v
1373/6/30	ميمون بن محمد	نفسها	ARM, LLC 40, f. 73r-v
1450/2	سليم وعمت	نفسها	ARM, RP 3864, f. 331
1450/10/26	سالف ماليني يهودي	نفسها.	ARM, P. 2507, f. 172[75]
1452/4/20	علي	نفسها	ARM, RP 3865, f. 30
1454/10/25	موازي كاب يهودي	بلنسية	ARV, MR, Rg. 66, f. 212r-v
1491/3/28	هوبيدا يهودي بربري من بجاية	نفسها	ARV, MR, Rg. 102, f. 189v
1493	راش قاسم	مملكة أراجونة	ACA, C., Rg. 3569, f. 197r-v[76]
1500/12/14	إبراهيم بوقيس	بلنسية	ARV, Batllia, Rg. 1162, f. 123v-124r

تماشى تواجد البجائيين في ميورقة إجمالا مع فترات السلم مع الحفصيين، لأننا نجدهم في سنوات 1320 وفي بداية سنوات 1360. كان حضورهم في بلنسية

(75) Cité par O. Vaquer, « Navegació i comerç a Mallorca, segle XV, segonda meitat », *Fontes rerum Balearium*, 1990, p. 110.
أمّن تاجر بلنسي على أشرعة قطنية حملت إلى الجزائر.

(76) Éd. A. de la Torre, *Documentos sobre relaciones internacionales de los reyes católicos*, IV, Barcelone, 1951, n° 158, p. 226.

نادرا أكثر أو غير ملحوظ كثيرا، حتى وإن وجدناهم تكرارا بداية من منتصف القرن الخامس عشر[77]. لكن عددهم بقي غير كثير[78].

إنّ مؤشرات نشاط التجار البجائيين هي إذن نادرة. إذا ما افترضنا أن قلة النصوص العربية يخفي عنا الأهمية الفعلية لهؤلاء الفاعلين في البلدان المسلمة، تجب ملاحظة محدودية تواجدهم خارج هذا الفضاء.

لتفسير هذه الظاهرة، لا يمكن الإشارة إلى الإجراءات المقيدة لهم. ففي ميورقة وبلنسية على الأقل، سهّلت السلطات قدومهم، حيث منحت لهم الحماية. يمكن أن نعتقد في الأسباب الضريبية، حيث أن مختلف الحقوق التي سدّدها المسلمون واليهود الأجانب ربما كانت كابحا لقدومهم. في الواقع لجأ البعض منهم إلى ممارسات سمحت لهم بتفادي تسديد الحقوق الإضافية[79]. لهذا أمكنهم إجراء

---

(77) في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كان الإفريقيون بصفة عامة عددهم كبيرا في بلنسية.
J. Guiral Hadziiossif, « L'apport des communautés juives et musulmanes de Valence au commerce méditerranéen au XVe siècle », *Économies méditerranéennes. Équilibres et intercommunications, XIIIe-XIXe siècle. Deuxième colloque international d'histoire du Centre de recherche Néohelléniques (Athènes, 18-25 septembre 1983)*, Athènes, 1985, p. 469 ; J. Hinojosa Montalvo, « Sobre los mercaderes extrapeninsulares en la Valencia del siglo XV », *Saitabi*, 26, 1976, p. 85. Leur présence devient cependant exceptionnelle à partir de 1475. J. Guiral Hadziiossif, « Les relations commerciales du royaume de Valence avec la Berbérie au XVe siècle », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 10, 1974, p. 102, 108.

(78) في وثيقة لعام 1320 لمجلس برشلونة، تمّت المطالبة بالثأر ضد عمل قرصني تونسي وطلب مصادرة ممتلكات الرعايا الحفصيين مسلمين ويهود بميورقة. AHCB, Rg. GC, vol. VI, f. 38 (13/5/1320), éd. Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 1377. صحيح أن سجلات التراث الملكي لا تأخذ بعين الاعتبار إلا المقيمين وليس التجار العابرين، الذين كانوا كثر. Hinojosa Montalvo, « Sobre los mercaderes », art. cité, p. 85

(79) في 1327 نزل تجار من تونس بميورقة وفي لحظة تسديدهم للرسم المفروض على التجار المسلمين الأجانب، حاولوا تقديم أنفسهم على أنهم مدجنين أحرار رعايا ملك أراجونة.
Ch-E. Dufourcq, « Aspects internationaux de Majorque durant les derniers siècles du Moyen Âge », *Mayurqa*, 11, 1974, p. 37.

رسالة تبادل مع تاجر كاتالاني في المغرب، أو عقد اتفاق ما قبل البيع، حيث تنقل السلع رغم مخاطر التاجر الكتالاني، ولا تسدد إلا بوصولها إلى المغرب[80]. توحي بعض الوثائق في الواقع بأن التجار البجائيين كانوا "مستقرين" وحمل المسيحيون سلعهم إليهم. ففي 1365 سدّد اليهودي الميورقي المحبوب الفقيه رسما في ميورقة بأربعة كوستال (*costals*) من الشمع القادم من الجزائر، والذي يعود لمراسله عبد الزفوني، وهو موري (*moro*) من بجاية[81]. أيضا في 1406، وصل من بجاية جوهان دولو (Johan Deulo)، وهو ربان مركب مع سلع مختلفة "مسيحية ومسلمة على حد سواء"، عندما أجبره الطقس السيئ على الإرساء بإبيزا، وفيها سرقت حمولته[82]. ليست هناك مسألة أسرى في هذه القضية، وهذا ما يبيّن بأنّ البجائيين لم يكونوا على متنها، وعهدوا دون شك بممتلكاتهم إلى ربان المركب، أو إلى التجار المسيحيين.

يمكن أن يفسّر ضعف تواجد التجار المغاربة في الموانئ المسيحية أيضا بغياب هياكل استقبال للجماعات مماثلة للهياكل التي نجدها في الموانئ المسلمة بالنسبة للمسحيين. خصوصا وأننا لا نجد تقريبا فنادق على نمط فنادق المسيحيين في أرض الإسلام[83]. أيضا لا تتحدث الاتفاقيات – على غرار اتفاق 1270 بين لاكورونيا

(80) López Pérez, « Los operadores magrebíes », art. cité, p. 565-566.

(81) ARM, RP 1108, f. 9r (17/6/1365).

(82) ARV, Batllia, 1144, f. 145r (14/6/1406).

(83) أشار جام ساستر مول إلى بناء فندق للمسلمين في ميورقة في 1311.

J. Sastre Moll, « El puerto de la ciutat de Mallorca durante el reinado de Sancho y la regencia de Felipe de Mallorca (1311-1330). Rentas reales= portuales y su reinversion », *Miscel.lania de Textos medievals*, 7, 1994, p. 160.

أنظر أيضا: M. T. Ferrer i Mallol, « Les mudéjars de la Couronne d'Aragon », *REMMM*, 63-64, 1992, p. 186. ربما أنه استعمل لمسلمي الجزيرة وأيضا للتجار العابرين. كان تواجده لمدة قصيرة لأننا نلاحظ عشرين سنة بعد ذلك فراغات في إقامات المغاربة المؤقتة في الجزيرة. أيضا في 1268 بني فندق وحوانيت في برشلونة لاستعمالها من قبل المسيحيين واليهود والمسلمين.=

أراجونة وتونس- عن أي تنظيم جماعي في موانئ لاكورونيا. وحدها تتحدث معاهدة 1477 بين ملك نابولي فردناند وعثمان عن المعاملة بالمثل فيما يتعلق بالفندق، لكن لا شيء يدل على تطبيق هذا البند[84]. بيد أن التاجر المنعزل حتى وإن كان تحت حماية العاهل اعترضته صعوبات العيش في الخارج، على الأقل لتنمية أعماله. عندما وجد الخميادو، في بلنسية على سبيل المثال، تمكن المغاربة دون شك من الاندماج والحصول على هيكل استقبال مسلم. وفي ميورقة حيث لم تكن مؤسسة ما[85]، استقبل السكان المسلمون المغاربة الوافدين للتجارة[86]. كانت الوضعية أصعب طبعا في البلدان التي لم تقطنها جالية مسلمة. وتطرح المادة الغذائية مشكلا أيضا هاما باستمرار في المدن المسيحية[87]. وأخيرا ورغم ضمانات الملوك المسيحيين ورخص العبور، كانت هناك إمكانية للثأر بسبب القرصنة البجائية[88].

لكن ولا سبب واحد يفسّر كلية ندرة التجار المغاربة في الأرض المسيحية. ويجب إذن الاستدارة إلى مجتمع الانطلاق في بجاية نفسها لمحاولة الإحاطة بالوسط التجاري.

=O. R. Constable, *Housing the Stranger in the Mediterranean World. Lodging, Trade, and Travel in Late Antiquity and the Middle Ages*, Cambridge, 2003, p. 189.

(84) معاهدة ملك نابولي – تونس، 1477، المادة 5.

(85) D. Abulafia, *A Mediterranean Emporium. The Catalan Kingdom of Majorca*, Cambridge, 1994, p. 61.

(86) Constable, *Housing the Stranger*, *op. cit.*, p. 190-191.

(87) Constable, *Trade and Traders*, *op. cit.*, p. 59.

تشير أيضا إلى مسألة الحمامات. في الموانئ المغاربية نعرف وجود تمييز في هذا الميدان وأنّ المسيحيين كان لهم حق استعمال الحمامات حيث يخصص لهم يوم.

(88) في 1316 قدم بجائي إلى البلاد البلنسية لشراء الزيت وتهيأ للمغادرة إلى موطنه، حيث أوقفه المشرف الملكي للثأر من أسر تاجر بلنسي ببجاية. ACA, CRD, Jaime II, *caja* 60, n° 11052 (23/3/1316), éd. Masia de Ros, *op. cit.*, n° 138. ولهذا أصبح تواجدهم استثنائيا بعد 1370 في فترة قوة القرصنة البجائية.

2) أوساط تجارية ضيقة

تنذر المعطيات لدراسة الوسط التجاري البجائي، وهي ليست مقصورة على هذه المدينة وهي قابلة للتعميم على قسم كبير من العالم الإسلامي في هذه الفترة. مرة أخرى هناك إحساس كبير بغياب وثائق الأرشيف، ويجب الاقتصار على معلومات هزيلة يمكن للنصوص المتوفرة أن تقدمها، حيث تقدم صورة دون شك مشوهة عن الواقع. فقط تمّت الإشارة إلى بعض المجموعات التي أوضحتها المصادر، وهم الأندلسيون واليهود والنخب السياسية. لا يجب الاستنتاج بكونهم هم فقط من شارك في التجارة الدولية الكبيرة أو أنهم مارسوا نوعا من الاحتكار. لكن يبدو جليا أنهم استفادوا من وضعية ملائمة على الخصوص، وكانوا فيها وسطاء مفضّلين مع التجار الأوروبيين..

أ) الأندلسيون

إنّ مشاركة الأندلسيين في التنشيط التجاري للميناء قديمة، لأنهم كانوا متواجدون قبل تأسيس الناصر للمدينة في المرسى حيث قاموا فيه بمبادلات[89]. تأكد دورهم بعد ذلك عندما استقر عدد كبير منهم في بجاية، خصوصا بداية من القرن الثالث عشر. ولفهم مكانتهم في الوسط التجاري البجائي، تجب الإشارة إلى أقدمية العلاقات بين بجاية ومسلمي إسبانيا، وأيضا الروابط التي واصل هؤلاء الأخيرين في عقدها بعد استقرارهم بالمغرب مع وطنهم السابق.

عدّ الأندلسيون مبكرا من بين الفاعلين في التجارة البحرية وتنشيط الموانئ على طول السواحل المغاربية[90]. كانت المرية ومالقة واشبيلية على علاقة مع

---

(89) البكري، الترجمة ص 166.

(90) بداية من عصر الخلافة الأموية، كانوا نشطين في إفريقية:
O. R. Constable, « Muslim Merchants in Andalus International Trade », *The Legacy of Muslim Spain*, dir. S. Kh. Jayyusi, Leyde, 1992, p. 763.

أسواق المغرب، التي انفتحت على الشرق الأدنى وخصوصا مصر[91]. عرفت فترة الخلافة الأموية خصوصا تطور تجارة الأندلسيين على طور السواحل الإفريقية إلى بونة على الأقل. وأسسوا مدنا لاستعمالها كمواقف في هذه التجارة، على غرار تنس في 262/ 875 ووهران في 290/ 902[92]. إلى غاية الفترة الموحدية، كانت هذه التجارة مزدهرة، حيث ساعدتها الوحدة الجديدة للفضاء المسلم الغربي[93]. استمر هذا التقليد بعد القرن الثاني عشر، غالبا باستعمال المراكب المسيحية. ففي 1337 قدم مسلمو المرية للتجارة ببجاية على متن قارب للبلنسي أندرو دو برجا (Andreou de Bergé)، الذي استولى عليه لوح القراصنة البجائيين[94]. واستعملت موانئ الأندلسيين في الواقع مبكرا كنقاط ارتكاز في التجارة الإفريقية للأوروبيين. هي حالة الجنويين[95] بداية من القرن الثاني عشر، وربما أيضا

---

(91) Constable, *Trade and Traders*, *op. cit.*, p. 18-20, 31.

حول اشبيلية: أنظر: Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit.*, notamment p. 108-112, 400-401

حول مالقة:

F. Melis, « Malaga nel sistema economico del XIV e XV secolo », *Economia e Storia*, III/1, 1956, p. 19-59 ; III/2, p. 139-163, rééd. *I Mercanti nell'Europa medievale e rinascimentale*, Florence, 1990, p. 135-213 ; M. I. Calero Secall, « Málaga : un puerto en una ciudad », *Al-Andalus y el Mediterráneo*, Barcelone-Madrid, 1995, p. 115-122.

(92) J. D. Latham, « Towns and Cities of Barbary – the Andalusian Influence », *Islamic Quarterly*, 16, 1972, p. 190, rééd. *From Muslim Spain to Barbary*, Londres, 1986.

(93) Constable, *Trade and Traders*, *op. cit.*, p. 33.

(94) ACA, C., Rg. 592, f. 26v-27r (18/5/1337).

(95) D. Abulafia, « Gli inizi del commercio genovese a Maiorca e il patto maiorcino-genovese del 1160 », *Oriente e Occidente tra medioevo ed età moderna. Studi in onore di Geo Pistarino*, dir. L. Balletto, Gênes, 1997, p. 9-10.

يعتقد هذا المؤلف بمبالغة –دون شك– أن ميورقة كانت في أعين البيزيين والجنويين نقطة رصد للبحر المتوسط الغربي وأنّ المعاهدة التي أبرمت مع جنوة وميورقة في 1160 سمحت بتنمية التجارة مع سبتة وبجاية. لكن لم تجر أغلب الرحلات بين جنوة وبجاية بواسطة ميورقة، وهذا ما يشكل التفافا هاما. أنظر أيضا: =

البيزيين، وتأكد هذا الدور بعد ذلك. ففي 1253 حرّر عقد استئجار بحري في جنوة لرحلة إلى مالقة ثم إلى المغرب. لكن كان التوقف في مالقة قصيرا لأنه لم يدم إلا ثلاثة أيام ولم يكن هدفه تجاريا فقط[96]: يوضّح العقد ضرورة استشعار الأخبار الجديدة عن سبتة. إذا لم تكن الظروف الأمنية كافية، يجب الذهاب مباشرة إلى بجاية أو إلى تونس، حيث يمكن قضاء الشتاء (كان من المفروض الانطلاق من جنوة يوم 8سبتمبر)[97]. وجد إذن تقليد تجاري جنوي لدى سكان المدن الساحلية الكبيرة في إسبانيا المسلمة وعلاقات تجارية قديمة مع بعض موانئ المغرب كبجاية. في المجالات التي سيطرت عليها الممالك المسيحية، استمر المدجنون في أداء دور ما في التجارة المغاربية[98]. كانت الحالة كذلك خصوصا في بلنسية حيث بقي السكان المسلمون مهمين لفترة طويلة. فعائلة ريبول (Ripoll) كانت لها استثمارات امتدت على كل البحر المتوسط إلى غاية الأسكندرية وحتى في فلورنسا[99]. ونرى

=B. Garí, « El reino de Granada y la política comercial genovesa en la Península ibérica en la segunda mitad del siglo XIII », *Relaciones exteriores del Reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza*, Almeria, 1988, p. 287-296 ; G. Doxey, « Diplomacy, Trade and War. Muslim Majorca in International Politics, 1159-1181 », *Journal of Medieval History*, 20/1, 1994, p. 39-61.

(96) حتى وإن أعطى العقد تسعيرات لاستئجار بحري للسلع المحمّلة في مالقة إلى بجاية.

(97) ASG, min. 29, f. 164r (20/7/1253), éd. E. H. Byrne, *Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries*, Cambridge (Mass.), 1930, p. 120-124.

(98) R. Arroyo, « El comercio valenciano de exportación con Italia y Berbería a finales del siglo XIV », *VIII Congreso de historia de la Corona de Aragón*, II, Valence, 1973, p. 255-289.

لعب المعتنقون دورا هاما:

J. Boswell, *The Royal Treasure: Muslim Communities under the Crown of Aragon in the 14th Century*, New Haven et Londres, 1977, p. 58-61.

(99) في 1448 بالأسكندرية، عيّن التاجر غالب ربولي (Galip Ripoli) الوكيلين إبراهيم وبن رنتسي وهما تاجران مسلمان لبيع الفلفل باسمه إلى صاحب رودس الأكبر. Éd. F. Rossi, *Servodio Peccator, notaio in Venezia e Alessandria d'Egitto (1444-1449)*, Venise, 1983, n° 23, p. 46-47 (14/10/1448). في النصف الثاني من القرن الخامس عشر=

أعضاءها في بلنسية يسددون رسوما للسفر إلى بجاية وموانئ مسلمة أخرى[100]، وفي 1422 لحق كعات ربول (Caat Ripoll) ببجاية للاستفسار عن جديد أخ زوجته علي بن غرنيط الذي كان قد تكفل به[101]. بصفة عامة كان المدجنون في بلنسية نشطين جدا في التجارة المتوسطية[102]، ورخّص لهم الملوك بالذهاب إلى المغرب للإقامة المؤقتة به[103]. فبين 30 سبتمبر و4 أكتوبر 1458 ركب ثلاثة وعشرون مسلما ويهوديا واحدا من المملكة على الشواني البندقية إلى بلاد البربر[104].

=كان لمحمد ربول وعلي تشوبيو نشاطات في المغرب ومملكة غرناطة وفي إيطاليا. كما كان لهما فرع في فلورنسا حيث كان لهما موزع-وكيل وهو إبراهيم عمر رفقة خادم وهو محمد فريج. وفي 1452 ترك علي تشوبيو في إدارة أعماله في مملكة غرناطة والمغرب لابنه كعات تشوبيو وفي نفس الفترة اقتسم محمد ربول أنشطته بين أولاده الثلاثة وهم أحسن وعبد الله ومحمد الصغير، الذي وضع على رأس فرع تونس من 1452 إلى 1459، في بادئ الأمر بشراكة مع أحسن ثم وحيدا. واستقدم إليها ابنه أزمت ليتلقى تعليمه.

J. Guiral, « L'organisation de la production rurale et artisanale à Valence au XVe siècle », *AEM*, 15, 1985, p. 420.

ونجد من جديد في 1470 عبد الله ربولو *maurus filius sidi Mahometh de Tunisio* ، حيث يشير اسمه إلى استقراره بتونس. وبعد ذلك بقي أعضاء من هذه العائلة في بلنسية حيث اعتنقوا المسيحية، ولكنهم احتفظوا بنشاط تجاري مع المغرب بفضل روابطهم العائلية خصوصا. حول هذه العائلة، أنظر:

M. Ruzafa Garcia, « Els orígens d'una família de mercaders mudèjars en el segle XV : Caat Ripoll (1381-1422) », *Afers*, 7, 1988-89, p. 169-188.

(100) على سبيل المثال: ARV, MR, Rg. 43, f. 91v-92r (21/4/1423): سدّد غالب ربول من مريرة بلنسية رسما للسفر إلى بجاية لكل من يوسف قاسم ومحمد بن قاسم وقاسم بن يوسف وعلي بن قاسم وهو مسلمون من فراجة (La Fraga) في مملكة أراجونة.

(101) ARV, MR, Rg. 50, f. 80v-82r, cité par Ruzafa Garcia, « Els orígens », art. cité, p. 184.

(102) M. Ruzafa Garcia, « Los mudéjares en desarrollo mercantil valenciano del cuatrocientos », *Revista d'historia medieval* (Valence), 2, 1991, p. 179-189.

(103) ففي 1408 سمح مارتان الأول بمنح رخص تسمح للمسلمين بالإقامة إلى غاية خمس سنوات في المغرب=.

جدول 22: تجار مسلمين ويهود من مملكة بلنسية نشطون ببجاية (1492-1336)

التاريخ	الاسم	طبيعة المعلومة	المصدر
8/ 1/ 1336.	قينا الخليفة مسلم من مورلة (مملكة بلنسية)	رخصة للتجارة	ARV, Batllia, 1142bis, f. 53v-54r
1336/1/13	يحي بن حسن مسلم من أوندارا (مملكة بلنسية).	رخصة للتجارة	Id., f. 54v
1337/9/1	ميمون فيستر وأيمت رابولي تاجران من بلنسية	قبض عليهما على متن مركب رامون بيجور دو بالافيرجال من طرف يخت ذاهب من مالقة إلى بجاية	ACA, C., Rg. 587, f. 158r-v
1343/2/26	ميمون فيستر تاجر من بلنسية	رخصة للاستيراد من مملكتي بجاية وتونس 1000 سالمي حمولة من السلع غير الممنوعة	ACA, C., Rg. 874, f. 59v-60r

=ARV, *Lletres y privilegis*, Rg. 2, f. 234v (15/7/1408), éd. L. Piles Ros, *Estudio documental sobre el bayle general de Valencia, su autoridad y jurisdicción*, Valence, 1970, n° 47bis.

(104) ARV, C., Rg. 705, f. 277r-296v (30/9 - 4/10/1459).

بالنسبة لسبعة عشر منهم، كان هدف الرحلة هو التجارة (أساسا لبيع الحرير والأجواخ البلنسية)، وسافر خمسة للدراسة وواحد لاسترجاع دين والأخير لتركة.

1363 /3 /2	عبد الله أبو رأس من بلنسية	دفع ضريبة الاستيراد لعمودين من الشمع الجزائري و190 دوبل	ARM, RP 3988/2, f. 34r
1363/5/9	سيد أسيبا من بلنسية	دفع رسم استيراد ل 2 كستال من شمع الجزائر	Id., f. 9v
1363 /07 /18	محمد كسي بيورو من بلنسية	دفع رسم استيراد لخمسة كستال من الشمع.	Id., f. 14v
1363/7/28	سايت القفص	دفع رسم الاستيراد لأربع كتل من الشمع	Id.
1394	محمد	رسم تصدير مرجل من النحاس	ARV, MR, Rg. 12, f. 249v
1399	سليمان	رسم تصدير لنصف قنطار من القصدير، ومرجل ومقلاة نحاسية.	ARV, MR, Rg. 19, f. 34r
1404/1/16	سليمان أبو النقال	رسم تصدير على مواد خياطة (« coses vedades »)	Éd. J. Hinojosa Montalvo, *Coses vedades, en 1404*, Valence, 1972, n° 38, p. 15
1409/5/7	يوسف كسيبيو من خميادو بلنسية وموزعه ببجاية يحي الرواغ، سليمان بن	استيراد مشاط تونسية، واستيراد القماش والشمع، وجلد البقر والسكر، صادرها حاكم كاجلياري.	ARV, *Batllia*, 1144, f. 264r-v

	عطال البلنسي، وكعات تشوماد من قاندیا[105].		
1492/6/22	شالمو المالقي يهودي من كزاتيفا ومقيم ببلنسية.	استئجار بحري إلى وهران وبجاية والجزائر أو تنس	ARV, P., Rg. 2009, f. 315r-316v

كانت الجماعة المسلمة أقل أهمية في ميورقة ومكانتها في التجارة البحرية الكبيرة قليلة. اعتبر دافيد أبو العافية أن الميورقيين اقتصروا على الملاحة الساحلية وعلى تجارة مواد ضعيفة القيمة[106]. لكن قدم بعض مسلمي لاكورونيا أو المقيمين في المجالات النصرية إلى الجزيرة للذهاب بعد ذلك إلى المغرب، وخصوصا إلى بجاية. ففي 1242 تهيأ أموكس دو كلديس (Amicus de Caldis) والمسلمان فرج السرقسطي وعبد الله الفرشي الليدي للذهاب في أعمال إلى بجاية وربما إلى سبتة[107]. أيضا في 1247 قدم أحمد بن حقير اللقنتي إلى بالما (Palma) واستأجر لوحا يعود إلى برنات دو كوارت (Bernat de Quart) من سان فليو (Sant Feliu)، في رحلة من القنت إلى الجزائر أو بجاية، وهذا ما يوضح عمليات أكيدة واسعة النطاق[108].

---

(105) يظهر يوسف تشوبيو هذا أيضا كوسيط لافتداء الأسرى في الأرض المسلمة.

A. Díaz Borrás, *El Miedo al Mediterráneo : la caridad popular valenciana y la redención de los cautivos bajo poder musulmán 1323-1539*, Barcelone, 2001, p. 69.

(106) D. Abulafia, *A Mediterranean Emporium, op. cit.*, p. 63-64.

(107) ARM, P. 342, f. 160r (février 1242), cité par Abulafia, *A Mediterranean Emporium, op. cit.*, p. 123.

(108) ARM, P. 343, f. 243v-244 (29/12/1247), éd. Santamaría Arández, *Ejecutoria, op. cit.*, n° 51, p. 639-640.

بداية من منتصف القرن الثالث عشر، أجبر تقدم حركة الاسترداد عددا كبيرا من الأندلسيين على الفرار من إسبانيا واللجوء إلى المجال المسلم[109]. اختار عدد كثير منهم الاستقرار ببجاية بسبب علاقاتها القديمة مع الأندلس وأيضا لازدهارها. وشكلوا بسرعة جماعة هيكلها الشعور القوي نظرا لوضعيتهم في المنفى[110]. وحملوا معهم تقاليد تجارية، وخبرات في ميدان التجارة وأيضا بالنسبة للذين لم يهاجروا في الحين بعد السيطرة، وتأقلموا مع الأعراف المسيحية في الوسط الذي عاشوا فيه. في القرن الرابع عشر شغلوا المناصب الهامة في التجارة، وخصوصا في ديوان البحر[111]. واحتفظوا بشبكات فعالة وعقدوا علاقات تجارية مع إخوانهم في الدين القاطنين بإسبانيا. بقيت الصلات خصوصا العائلية في الواقع قوية كما تبينه الأسباب المذكورة لتبرير الرحلات انطلاقا من بلنسية،

(109) Cf. D. Valérian, « Les Andalous à Bougie, XIe-XVe siècle », *Migrations et diasporas méditerranéennes, XIe-XVIe siècles*, dir. M. Balard et A. Ducellier, Paris, 2002, p. 313-330 ; J. D. Latham, « Toward a Study of Andalusian Immigrations and its Place in Tunisian History », *CT*, 19-20, 1957, p. 203-252, trad. fr. « Contribution à l'étude des immigrations andalouses et leur place dans l'histoire de la Tunisie », *Recueil d'études sur les Moriscos andalous en Tunisie*, dir. M. de Epalza et O. R. Petit, Madrid-Tunis, 1973, p. 21-63, rééd. *From Muslim Spain to Barbary*, Londres, 1986.
م. ح. بلخوجة، "الهجرات الأندلسية إلى إفريقية في القرن 7 ه/ 13م"، الكراسات التونسية، 69-70، 1970، ص 129-137.

(110) م. الطالبي، "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، الأصالة، 26، 1975، إعادة نشر: دراسات في تاريخ إفريقية والحضارة الإسلامية الوسيطة، تونس، 1982، ص 201، 203، Valérian, « Les Andalous », art. cité, p. 327-328.

(111) في سبتة التي استقبلت عدة أندلسيين، تولى البلنسي ابن خلاص رئاسة ديوان البحر في النصف الأول من القرن الثالث عشر. وتحصل من الخليفة الموحدي الرشيد على استفادة مسلمي بلنسية وسكار وشاطبة من امتيازات ضرائبية على وجه الخصوص. وبصفة شخصية، استثمر في التجارة وعقد شراكة مع المرسيليين وأصبح غنيا بسرعة.
H. Ferhat, « Le rôle de la minorité andalouse dans l'intervention hafside à Sabta », *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993, p. 147-148 ; Ead., *Sabta*, *op. cit.*, p. 121-122.

مقدمين الحاجة للذهاب للتكفل بتركة[112]. ففي 1366 كتب الملك بيار الأراجوني إلى سلطان بجاية ليطلب منه الاستقبال الجيد لوكيل المسماة فاطمة، لاسترجاع الأملاك التي ورثتها من رعايا السلطان. كانت فاطمة هذه هي بنت ميمون فوستر (Maymo Foster) -الذي رأيناه يتاجر عامي 1337 و1343 ببجاية- وزوجة فرج دو بلفيس (Farig de Belvès)، وهو مسلم من دار الملك[113]، ينحدر من عائلة مورية بلنسية نشطة في الأعمال التجارية. دون أن نتمكن من دراستهم بالتفصيل، يبدو هنا وجود شبكات تجارية استندت على الروابط العائلية الممتدة.

استفاد التجار البجائيون طبيعيا من العلاقات مع المدجنين. ففي 1270 تلقى المسلم (وهو بلنسي دون شك) إبراهيم بن خلف من الملك جاك الثاني رخصة لشراء مركب برنات ماسو (Bernat Masot)، أو قسما منه. كان بإمكانه استعماله في التجارة وفي الشراكة لذات الغرض مع المسيحيين أو المسلمين في تونس وبجاية أو في مكان آخر، حيث أخذ تحت حمايته شركاءه المستقبليين وسلعهم[114]. أيضا في 1316 أعطى محمد بن عصية من المرية طلبية إلى أرنداسي

---

(112) على سبيل المثال ARV, MR, Rg. 31, f. 23v-24r (1410): رخّص لصال بن بصال الذهاب إلى بجاية لاسترجاع تركة. أنظر أيضا: ARV, C., Rg. 705, f. 192r-v (1457). يشار إلى الروابط العائلة في 24 في المائة من الرخص التي أعطيت في بلنسية في القرن الخامس عشر للذهاب إلى المغرب أو إلى سلطنة غرناطة.

M. Ruzafa Garcia, « Las relaciones económicas entre los mudéjares valencianos y el reino de Granada en el siglo XV », *IV Coloquio de Historia Medieval Andaluza. Relaciones exteriores del reino de Granada. Almería, 1985*, Almeria, 1988, p. 352.

(113) "موري دار نوسترا". كان آل بلفيس قضاة الملك ابن عن أب.

Guiral Hadziiossif, « L'apport des communautés juives », art. cité, p. 467.

(114) ACA, C., Rg. 16, f. 206r-v (23/8/1270), éd. R. I. Burns, « Les mudéjars du royaume de Valence au temps des Croisades : une majorité traitée en minorité dans un royaume du Moyen Âge », *Minorités et marginaux en Espagne et dans le Midi de la France (VIIe-XVIIIe siècle)*, Paris, 1986, p. 112-113.

(Arrendassi) والغراني (Rharani) البجائيين سلعا لحملها على متن مركب الميورقي بليسيي (Pelicier)، بقيمة من 180 إلى 200 دوبل[115]، وفي 1365 سدّد محبوب الفجري وهو يهودي ميورقي رسما لاستيراد أربعة كستال من الشمع القادم من بجاية وأعلن بأنها تعود إلى عبد الله الزفوني، وهو موري من بجاية[116].

استعمل الأندلسيون سواء أكانوا مسلمين أم مسيحيين كمناوبة للتجار المغاربة، حيث استقروا ببجاية وفي بقية المغرب حيث استمروا في إبرام علاقات تجارية مع شبة الجزيرة الإيبيرية. روى عبد الباسط أنه في فترة إقامته بتونس في 866/ 1462، كان رئيس تجار المدينة أندلسي الأصل واسمه أبو القاسم الغرناطي الأندلسي، وهذا ما يشير إلى المكانة التي احتلتها الجماعة في التجارة[117]. رأينا من جهة أخرى أن الحاجب ابن غمر تاجر في شبابه مع الأندلس، حيث حافظ على العلاقات[118]. وفي الأخير في 1423 بقي علي بن غرنيط البلنسي الأصل والبجائي الإقامة مرتبطا بالعائلات الكبيرة في المريرة (بلنسية)، على غرار آل ربول (Ripoll) وآل بلفيس (Bellvis) ، وقدم إلى ميورقة من أجل أعماله التجارية[119].

هذه الإشارات جزئية، لكنها تبيّن جيدا فئة من التجار المرتبطين بشبه الجزيرة الإيبيرية، المسيحية أو المسلمة، وشكّلوا أحد العناصر الديناميكية للوسط التجاري البجائي.

---

(115) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 136, *Judíos y musulmanes*, n° 524 (29/5/1316), éd. Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 1224.

(116) ARM, RP 1108, f. 9r (1365).

(117) عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ترجمة:
R. Brunschvig, *Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord au XVe siècle, 'Abd al-Bāsit b. Halīl et Adorne*, Paris, 1936, rééd. 2001, p. 21.

(118) البربر، 2، ص 422.

(119) ARM, LLM 99, f. 295 (1/10/1423).

ب) اليهود

شكّل اليهود جماعة نشطة في التجارة ومتواجدة في العالم المسيحي والبلدان المسلمة على حد سواء، وهو ما سمح لهم بالاستفادة، على غرار الأندلسيين، من شبكات لصالح أعمالهم.

كان حضورهم في بجاية دون شك قديما، وكانوا متواجدين في قلعة بني حماد، حيث ازداد عدد سكانها اليهود بصورة محسوسة بعد استيلاء الهلاليين على القيروان[120]. واستقروا بعد ذلك في بجاية، حيث كان يشهد على تواجدهم في الفترة الموحدية[121]. رغم السياسة الدينية لخلفاء مراكش التي كانت نتيجتها الاختفاء الكامل لآخر الجماعات المسيحية المحلية، والتي أدت أيضا إلى تناقص عدد اليهود بشكل كبير. لكن على نقيض ما حلّ بالمسحيين، صمد اليهود ضد هذه الاضطهادات، حيث قلت كثافتها بسرعة. إذا ما فضّل البعض ترك الجهة إلى مصر أو إلى البلدان المسيحية، وبقي عدد كبير منهم أو عاد بسرعة[122]. نظرا للسياسة الحفصية التي كانت ملائمة لهم أكثر[123].

ازداد عددهم بقوة خصوصا بعد لجوء الأندلسيين، ودفعهم جو اللاتسامح والشعور باللاأمن اللذين سادا المجالات التي استولى عليها المسيحيون إلى البحث عن بلدان أقل عرضة للأخطار. في بداية حركة الاسترداد، بقيت وضعيتهم في

---

(120) H. Z. Hirschberg, *A History of the Jews in North Africa*, I, *From the Antiquity to the Sixteenth Century*, Leyde, 1974, p. 116 ; Bourouiba, *Les H'ammadites*, *op. cit.*, p. 169.

(121) Hirschberg, *op. cit.*, p. 117.

(122) حول الفترة الموحدية، أنظر: Hirschberg, *op. cit.*, p. 120-139

(123) A. Cahen, « Les Juifs dans l'Afrique septentrionale », *Recueil de la Société archéologique de Constantine*, 11, 1867, p. 145. I. Jadla, « Les Juifs en Ifrīqiya à l'époque hafside », *Histoire communautaire, histoire plurielle. La communauté juive de Tunisie. Actes du colloque de Tunis, 25-27 février 1998*, Tunis, 1999, p. 145-151.

إسبانيا محتملة، لكن بداية من القرن الرابع عشر وخصوصا بعد المذابح المنظمة في نهاية القرن، كانت ضرورة اللجوء ملحّة جدا. أدت الأزمة الكبيرة المعادية لليهود في 1391 إلى الرحيل الجماعي أو إلى اعتناق المسيحية، خصوصا في ميورقة[124]. بسرعة كبيرة دعا الملوك الكتالانيين اليهود إلى العودة للاستقرار على أراضيهم[125]، لكن مواصلة السياسة المعادية لليهود في القرن الخامس عشر عجّلت بالرحيل إلى غاية أزمة 1492 واختفائهم من أراضي الملوك الكاثوليك. جرت هذه الهجرات باتجاهات متعددة، خصوصا إلى المغرب حيث استقر عددهم أكبر بمدينة الجزائر وفي جهتها، واستقبلت بجاية أيضا عددا منهم، كما تبيّنه خصوصا مجاميع أجوبة (*responsa*) الحاخامات. وشكّلوا فيها في القرن الرابع عشر جماعة منفصلة عن جماعة اليهود المحليين، حيث كانوا في نزاع معها أحيانا[126].

تمّت الإشارة في الغالب إلى مكانتهم في التطور الاقتصادي للمغرب، وأدوا دون شك دورا هاما في بعض القطاعات التجارية منذ أمد طويل، خصوصا في التجارة البعيدة[127].

نجدهم في بادئ الأمر في التجارة الداخلية، خصوصا كوسطاء في التجارة الصحراوية. تواجدت منهم جماعة هامة في وارجلان بين القرن العاشر والقرن

---

(124) M. D. López Pérez, « El pogrom de 1391 en Mallorca y su repercusión en los intercambios comerciales con el Magreb », *I Col.loqui d'Història dels Jueus a la Corona d'Aragó, Lérida, 1989*, Lérida, 1991, p. 242-243.

(125) *Ibid*., p. 249.

(126) استشارة قانونية أعطاها سليمان سيمون بن دوران، أشار إليها: Hirschberg, *op. cit.*, p. 386-387

(127) إنّ اليهود المغاربة حاضرون بصورة كبيرة في وثائق الجنيزة وضمنوا في هذه الفترة تجارة نشطة بين المغرب ومصر. فضلا عن دراسات شالمو د. جواتين (Shelomo D. Goitein)، أنظر:

A. Greif, « Reputation and Coalitions in Medieval Trade: Evidences on the Maghribi Traders », *Journal of Economic History*, 48, 1989, p. 857-882.

الثاني عشر، وبصفة عامة، في كل المراكز الحضرية الواقعة على حافة الصحراء[128]. بمجرد عبور الأزمة الموحدية، عاد ازدهار هذه المجموعات، حيث اعتبر ميشال أبي الطبول (Michel Abitbol) الفترة الواقعة بين منتصف القرن الثالث عشر ونهاية القرن الرابع عشر عصرا ذهبيا لتجارة اليهود الصحراوية[129]. نجدهم في تقورت[130] وفي توات[131]، بمعنى في منافذ الطرق الصحراوية، التي يمكنها الامتداد باتجاه بجاية[132]. اعتبر الكثيرون مشاركتهم في التجارة الصحراوية بالأكيدة، حتى وإن اعتبر إلياهو أشتور بأنها لم تكن ذات دلالة[133]. كانت معرفتهم بجغرافية إفريقيا السوداء على كل حال بيّنة[134]. أيضا تبيّن كتابات الحاخامات علاقات جماعات الحواف الصحراوية هذه مع مدن الشمال على غرار تلمسان وقسنطينة أو بجاية[135].

كان اليهود في بجاية نشطين في التجارة، حيث تظهر أجوبة الحاخام رشباش تجارتهم في الملح والجلود والأنسجة والشمع والعبيد غير المختونين (بمعنى السود

(128) M. Abitbol, « Juifs maghrébins et commerce transsaharien au Moyen Âge », *Les communautés juives des marges sahariennes du Maghreb*, dir. M. Abitbol, Jérusalem, 1982, p. 233-235.

(129) Abitbol, « Juifs maghrébins », art. cité, p. 231.

(130) *Ibid.*, p. 243, انطلاقا من أجوبة الحاخامات

(131) J. Oliel, *Les Juifs au Sahara. Le Touat au Moyen Âge*, Paris, 1994.

(132) انطلق طريقان من توات نحو الشمال واحدة باتجاه تلمسان وفاس والأخرى نحو ميزاب ووارجلان. *Ibid.*, p. 57

(133) Abitbol, « Juifs maghrébins », art. cité ; Oliel, *op. cit.*, *passim*. E. Ashtor, « Gli Ebrei nel commercio mediterraneo nell'alto medioevo (sec. X-XI) », *Gli Ebrei nell'alto medioevo*, Spolète, 1980 (*Settimane di studio del centro italiano di studi sull'alto medioevo*, XXVI), p. 401-464 et la discussion avec Tadeusz Lewicki, p. 465-466.

(134) Ch. de La Roncière, « Une nouvelle carte de l'école cartographique des Juifs de Majorque », *Comité des travaux historiques et scientifiques : Bulletin de la section de Géographie*, 47, 1932, p. 113-118. Oliel, *op. cit.*, p. 83-85.

(135) Abitbol, « Juifs maghrébins », art. cité, p. 234, 247.

أو المسيحيين) [136]. استفادت مشاركتهم في التجارة البحرية الكبيرة من وجود جماعات موزّعة على المحيط المتوسطي، حيث كانت في الغالب على علاقة مع بجاية. تواجدت هذه الجماعات في الشرق الأدنى، وخصوصا في مصر[137]، وفي مدن المغرب الأخرى خصوصـــا في إفريقية[138]، وفي شبه الجزيرة الإيبيرية[139]، وفي مرسيليا[140] وصقلية[141]، ولكن بقلة في جنوة والبندقية[142]. كان هؤلاء اليهود المتوسطيون نشطين في التجارة البجائية، وهذا ما سمح لإخوانهم في الدين في بجاية بالاستفادة من شبكتهم التجارية.

---

(136) *Ibid.*, p. 247.

(137) Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit.*, *passim*.

(138) H. Toukabri, « La communauté juive de l'Ifrīqiya au temps des Fatimides et des Zirides », *Histoire communautaire, histoire plurielle. La communauté juive de Tunisie. Actes du colloque de Tunis, 25-27 février 1998*, Tunis, 1999, p. 135-143 ; Id. *Les Juifs dans la Tunisie médiévale (909-1057) d'après les documents de la Geniza du Caire*, Paris, 2002 ; Jadla, « Les Juifs en Ifrīqiya », art. cité.

(139) L. Piles Ros, *La Judería de Valencia*, Barcelone, 1991 ; José Hinojosa Montalvo, *The Jews of the Kingdom of Valencia, from Persecution to Expulsion, 1391-1492*, Jérusalem, 1993 ; J. Régné, *History of the Jews in Aragon. Regesta and Documents 1212-1327*, Jérusalem, 1978.

(140) I. Loeb, « Les négociants juifs à Marseille au milieu du XIIIe siècle », *Revue des Études Juives*, 16, 1888, p. 73-83.

(141) Sh. Simonsohn, *The Jews in Sicily*, I, *383-1300*, Leyde - New York - Cologne, 1997.

(142) R. Urbani et G. N. Zazzu, *The Jews in Genoa*, I, *507-1681*, Leyde - Boston - Cologne, 1999, p. X-LVI ; Jehel, « Jews and Muslims », art. cité, p. 120-132 ; A. Agosto, « L'Archivio di Stato di Genova e le fonti relative alla storia degli Ebrei genovesi dal XV al XVIII secolo », *Italia Judaica. Gli ebrei in Italia tra Rinascimento ed età barocca. Atti del II convegno internazionale, Genova, 10-15 giugno 1984*, Rome, 1986, p. 91 ; C. Roth, « Genoese Jews in the XIIth Century », *Speculum*, avril 1950, p. 190-197 ; D. Jacobi, « Les juifs à Venise du XIVe au milieu du XVIe siècle », *Venezia, centro di mediazione tra oriente e occidente (sec. XV-XVI)*, Florence, 1977, p. 165-169.

بالنسبة للقرن الحادي عشر، تبيّن وثائق جنيزة القاهرة دور هذه الجماعة في المبادلات المتوسطية. استقرّ عدد كبير من اليهود المغاربة في القاهرة بسبب الاضطرابات التي سادت في المغرب، وأيضا بسبب تعديل تيارات المبادلات في البحر المتوسط لصالح مصر[143]. ولكنهم احتفظوا بروابط عائلية خصوصا مع إخوانهم في الدين المقيمين في ذات المكان[144]. ترجع أغلب رسائل الجنيزة التجارية للأسف إلى القرن الحادي عشر[145]، ولا تسمح برؤية المكانة التي احتلوها في هذه المبادلات التي تعلقت خصوصا بإفريقية الشرقية وخصوصا تونس. رسالة واحدة منها مؤرخة في حوالي 1135 تبيّن أبا سعيد، الذي قدم من مصر على متن سفينة مسيحية ووصل إلى بجاية، حيث أجرى كما تقول تجارة رابحة[146]. لكن يجب مراجعة أهمية اليهود في التجارة المتوسطية، حيث أشار إلياهو أشتور إلى عدم ترك غزارة وثائق الجنيزة تغوينا وتدفعنا إلى الخطأ. خصوصا كما سجّل أنه بداية من القرن الثاني عشر، أصبحت مكانتهم هامشية[147]. لكن نستمر في رؤيتهم بدرجات متفاوتة حسب الأماكن والفترات يشتغلون بالتجارة الدولية انطلاقا من الموانئ الأوروبية على الخصوص.

في مرسيليا في القرن الثالث عشر، كانوا حاضرين بقوة في التجارة مع بجاية[148]. من بين 367 عقدا تخص عام 1247 التي نشرها لويس

---

(143) Goitein, *A Mediterranean Society, op. cit.*, I, p. 32, 41, 56.

(144) *Ibid.*, p. 48.

(145) *Ibid.*, p. 148.

(146) Trad. Sh. D. Goitein, *Letters of Medieval Jewish Traders*, Princeton, 1973, p. 324.

(147) Ashtor, « Gli Ebrei », art. cité, en particulier la discussion avec Shelomo D. Goitein, p. 472-476.

اعتبر هذا الأخير بأنهم همّشوا في هذه التجارة وبنفس الدرجات مع المسلمين.

(148) Cf. D. Valérian, « Les archives de Marseille, sources de l'histoire du Maghreb médiéval : le cas du port de Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *Annales du Midi*, 113, 2001, p. 12-13.

بلونكار[149] (Louis Blancard)، 45 منها (12،25 في المائة) تتعلق باليهود. ونجدهم في 20 في المائة من العقود باتجاه المغرب مع مكانة خاصة لبجاية: بينما لا يظهر اليهود إلا في عقد واحد من 23 عقدا يخص سبتة (كانت الوجهة الثانية للمرسيليين بالمغرب) فهم حاضرون في 23 عقدا من مجموع 58 باتجاه بجاية[150]. يتعلق الأمر عموما باستثمارات متوسطة، أقل من التي قام بها التجار المسيحيون[151]. في المقابل، كان وزنهم ضعيفا، لأن من بين 160 شخصا معنيا بالرحلات في 1248، ثلاثة فقط منهم يهود[152]. يبيّن أولئك المشتركين في التجارة البجائية مجموعة مهيكلة بمتانة. ففي 1248 انطلق مركبان إلى بجاية وهما للقديس جيل (Saint-Gilles) والقديس فرانسوا (Saint-François). بالنسبة للأول، لم يظهر اليهود إلا في ثلاثة عقود (من 22) وفي الثاني في 17 وثيقة (من 29)، وهذا ما يظهر تجميعهم لاستثماراتهم في واحد من المراكب، حيث احتلت سلعهم مكانة هامة. من بينهم تتضح عائلة فرسول (Ferrussol)، حيث استقل عدد من عناصرها المراكب التي سافرت في 1248. كما نراهم يبرمون عقودا سواء في العائلة[153] أم مع يهود آخرين، حيث يعهدون لهم بالطلبيات[154]، أم في الأخير

---

(149) Blancard, II.

(150) تختلف هذه النتائج مع نتائج لويس ستوف (Louis Stouff) الذي أحصى عقدين من 29 بالنسبة لسبتة و20 من 83 بالنسبة لبجاية.

L. Stouff, « Les Juifs d'Arles et leurs relations avec les communautés de la Méditerranée occidentale au bas Moyen Âge », *Les relations intercommunautaires juives en Méditerranée occidentale, XIIIe-XXe siècle, Abbaye de Sénanque, 1982*, dir. J-L. Miège, Paris, 1984, p. 11.

(151) *Ibid.*, p. 10 ; D. Iancu-Agou, « Les relations entre les Juifs de Marseille et les communautés juives d'Afrique du Nord à la fin du XVe siècle », *Les relations intercommunautaires juives*, *op. cit.*, p. 24,

حيث يتحدث عن "تجارة صغيرة خالية من رؤوس الأموال".

(152) A. Sayous, « Le commerce de Marseille avec la Syrie au milieu du XIIIe siècle », *Revue des Études Historiques*, 1929, p. 396.

(153) Blancard, II, n° 474 (10/4/1248), 810 (27/5/1248), 814 (id.), 815 (28/5/1248).

مع أصحاب الطلبيات المسيحيين[155]. يظهر تجار يهود عدة مرات مثل جوزيف بن موسى البلرمي، الذي ركب على متن مركب سان فرانسوا وأخذ ست طلبيات بمجموع حوالي 90 ليفر[156]. كان دورهم هاما خاصة في التوابل لأننا نلاحظ أن العقود المهمة جدا لرحلة مركب القديس فرانسوا تعلقت بالزعفران والقرنفل، التي مرّت تقريبا كلها عن طريق اليهود[157]. كانت الاستثمارات الأخرى في المقابل ذات مستوى منخفض من مستويات المسيحيين: كان معدل مبلغ طلبيات المسيحيين من 103 ليفر و14 سو و6 دونيي في حين كان بالنسبة لليهود 71 ليفر والمعدل هو 17 ليفر و4 سو و8 دونيي، بينما ارتفع إلى 31 ليفر و5 سو و8 دونيي بالنسبة للمسيحيين. لكن اختفى اليهود تقريبا كلية من التجارة البحرية المرسيلية بعد القرن الثالث عشر[158].

كان يهود مرسيليا مرتبطين في الغالب بيهود ميورقة، حيث تواجدت جماعة هامة كانت روابطها متينة مع جنوب فرنسا. رغم سياسة الملوك الكتالانيين التي كانت أحيانا فوضوية ورغم المذابح المنظمة، فإن اليهود الميورقيين استطاعوا الذهاب إلى المغرب للتجارة بصفة منتظمة جدا. ففي 1242 سافر برنات مروليس (Bernat Marellus) إلى بجاية بأموال صامويل بن خافي وعشرة جرار

(154) *Ibid.*, n° 568 (22/4/1248), 572 (id.), 586 (24/4/1248), 613 (28/4/1248), 618 (id.).

(155) *Ibid.*, n° 466 (10/4/1248), 603 (27/4/1248), 621 (28/4/1248).

عندما يكون صاحب الطلبية يهوديا يكون الطالب يهوديا دائما. أنظر أيضا:

Stouff, « Les juifs d'Arles », art. cité, p. 10.

(156) Blancard, II, n° 499 (14/4/1248), 500 (id.), 578 (23/4/1248), 598 (27/4/1248), 599 (id.), 657 (8/5/1248).

(157) من بين 7 طلبيات من الزعفران، خمسة أخذها يهود، وكذلك نفس الشيء في 4 طلبيات من القرنفل أيضا.

(158) Iancu-Agou, « Les relations », art. cité, p. 26.

زيت[159]. أيضا في 1303 أرسل قناصل بجاية إلى ميورقة أربعة يهود ليحاكموا بها[160]. كانت أهمية أعمالهم التجارية في بجاية كافية لأن يعفي الملك جاك الثاني في 1308 جماعة الجزيرة من المشاركة في النفقات التي أجريت للأسطول المسلح ضد سلطان بجاية، حيث لم يرد -دون شك- ما يشير إلى صعوبات في وضعهم[161]. تتواصل الشهادات حول رحلات اليهود الميورقيين إلى بجاية حتى 1430. لكن بداية من 1391 كان المعتنقون من يغادر، حيث يتعهدون بالرجوع إلى الجزيرة في أجل سريع[162]. انتهز بعضهم في الواقع الفرصة أحيانا للعودة إلى العقيدة اليهودية حيث تمّ ردعهم[163]. حتى بعد أزمة 1391 تبين عدة عقود يهودا ميورقيين يتاجرون مع المغرب[164]، بالشراكة أحيانا مع المعتنقين أو مع المسيحيين[165]. في المقابل، حمل الاعتناق الجماعي للمسيحية في 1435 ضربة قوية لهذه الجماعة[166].

---

(159) ARM, P. 342, f. 149v (janvier 1242), cité par Abulafia, *A Mediterranean Emporium*, *op. cit.*, p. 124.

(160) ARM, *Reales cedulas*, vol. 1, f. 37r-38r (28/6/1303), éd. Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 574-575.

(161) ARM, *Reales cedulas*, vol. 2, f. 202r (12/9/1308), éd. A. Pons, « Los Judíos del reino de Mallorca durante los siglos XIII y XIV », *Hispania*, 20, 1960, n° 32, p. 435-436.

(162) على سبيل المثال: ARM, *guiatges* 5, f. 99r (19/2/1396). تلقى دلمو دو منتجوت (Dalmau de Montagut) وجورجيو يوليانوس (Georgio Julianus) رخصا للذهاب إلى بجاية على متن لوح برنات أمات (Bernat Amat) وتعهدا بالعودة خلال ثلاثة أشهر. أنظر:

J. Guiral Hadziiossif, « Les convers à Valence à la fin du XVe siècle », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 11, 1975, p. 81-98.

(163) López Pérez, « El pogrom de 1391 », art. cité, p. 244.

(164) على سبيل المثال ARM, *guiatges* 6, f. 86r (22/6/1403) : رخصة لكوستال من خيط البورجونيون استورده اليهودي أبراع ساكالي (Abraae Sacalli) إلى بجاية.

(165) López Pérez, « El pogrom de 1391 », art. cité, p. 254-258.

(166) Abulafia, *A Mediterranean Emporium*, *op. cit.*, p. 91.

على عكس ذلك لا يبدو تواجد يهود مملكة بلنسية في التجارة مع بجاية[167]. تبيّن سجلات التراث الملكي في الواقع عدة يهود نشطين في المغرب الأوسط والأقصى، وفي تونس ولكن دون بجاية. نفس الشيء بالنسبة ليهود صقلية الذين درسهم هنري برسك (Henri Bresc)، حيث كانوا على علاقة بإفريقية الشرقية على الخصوص[168].

استفاد يهود المغرب – حيث ازداد عددهم بوصول اللاجئين الأندلسيين- دون شك من الشبكات المتوسطية هذه. استطاعوا التنقل في البلدان المسيحية والمسلمة على حد سواء واستفادوا – خصوصا في داخل المغرب- من جماعات مستقرة بصلابة. أخيرا، كانوا في الغالب مستعربين[169]، كان لهم الأفضلية بأن يكونوا وسطاء بين المسيحيين والمسلمين. نجدهم في الغالب مترجمين سواء في المغرب أم في الموانئ المسيحية[170]، ولم تكن لهم صعوبات في الأعمال مع تجار الديانتين الأخريين[171]. ففي 1306 أعطى فيرمان جيني (Firmin Ginies)، وهو تاجر مرسيلي، وكالة لاستعادة دين اليهودي البجائي فتال (Vital) وابنه، الناجم عن طلبيتين من 69 ليفر و21 ليفر و8 سو[172]. تجاوزت تجارتهم إذن إطار الشبكات الجماعية وأدوا بالعكس دورا أساسا كوسطاء.

---

(167) R. Ferrer Navarro, « Los judíos en el comercio valenciano durante el siglo XIV », *Primer congreso de historia del País Valenciano, Valencia, 1971*, Valence, 1973, p. 553-566. Hinojosa Montalvo, *The Jews of the Kingdom of Valencia*, *op. cit.* ; Id., « Actividades comerciales de los judíos en Valencia (1391-1492) », *Saitabi*, 29, 1979, p. 21-42.

(168) H. Bresc, *Arabes de langue, juifs de religion. L'évolution du judaïsme sicilien dans l'environnement latin, XIIe-XVe siècles*, Paris, 2001.

(169) على الأقل لحالة يهود شبه الجزيرة الإيبيرية وأيضا صقلية. أنظر حول الأخيرين: *Ibid.*, p. 39-51

(170) Hirschberg, *op. cit.*, p. 374-375 ; Bresc, *Arabes de langue*, *op. cit.*, p. 40.

(171) Goitein, *A Mediterranean society*, *op. cit.*, I, p. 293-295.

(172) ADBR, 381E 371, f. 49v-50r (2/1/1306).

استطاع اليهود البجائيون بسهولة الذهاب إلى بلدان لاكورونيا أراجونة، حيث استفادوا بصفة عامة من حماية الملوك[173]، ووجدوا جماعات يهودية. ففي 1454 استورد موزر كاب (Moiser Cap)، وهو يهودي من مملكة بجاية، إلى بلنسية برميل نيلة على متن شانية بندقية[174]. وفي 1451 ثم في 1456 كان التاجر اليهودي البجائي سالفس مليتي (Salves Militi) متواجدا في ميورقة[175]. وفي 1482 بعد مصادرة مشرف الجزائر لممتلكات تاجر من قلعة أومبارياس (Castel d'Ampurias)، حيث تقرّر في ميورقة حجز ممتلكات يهود الجزائر وبجاية التي كانت في حوزة جوهان فيدال (Johan Vidal) ولويس مارتيناز (Luys Martinez)[176]. وأخيرا في 1491 وصل عبيدة وهو يهودي من بلاد البربر إلى بلنسية على متن مركب بيرو فالس، قادما من بجاية محملا بالبضائع[177].

---

(173) بنفس صفة التجار المسلمين المغاربة. استفادوا خصوصا من تخفيضات على الرسوم وبضمان لحمايتهم، سيما بعد أزمة 1391 التي أدت إلى فرار عدد منهم نحو المغرب.

L. Piles Ros, « El Dret del XXe e XXXXXe. (Para favorecer las relaciones comerciales de los judíos nor-africanos con el Reino de Valencia, 1393-1495) », *Sefarad*, 44, 1984, p. 218-219.

(174) ARV, MR, Rg. 66, f. 212r-v (25/10/1454).

(175) ARM, P. 2505, f. 103v ; P. 2525, f. 196v, cité par O. Vaquer Bennasar, *El Comerç Marítim de Mallorca. 1448-1531*, Palma de Majorque, 2001, p. 155,

حيث يشير أيضا إلى حالة بنيامين عمار وهو تاجر يهودي بجائي كان متواجدا في الجزيرة حيث أخذ في 1454 طلبية المعتنق لويس بلفيور (Lluís Bellviure) إلى بلاد البربر بقيمة 2531 ليفر ARM, P., M-178, f. 24)، وأيضا حالة مكسي كاب الذي هو أيضا تاجر يهودي من بجاية كان متواجدا في 1455 (ARM, P. 2522, f. 29v, 54). بصفة عامة، لاحظ بأن التجار المغاربة الحاضرين في ميورقة كانوا يهودا، حيث أصل غالبيتهم من الجزائر.

(176) ACA. C., Rg. 3827, f. 68r-v (7/8/1482).

كان جوهان فيدال (Johan Vidal) معتنقا، وهذا ما سهّل علاقاته مع اليهود المغاربة. أنظر:

Vaquer Bennasar, *El Comerç Marítim*, *op. cit.*, p. 148.

(177) ARV, MR, Rg. 102, f. 189v (28/3/1491).

أنظر أمثلة أخرى في: Piles Ros, « El Dret del XXe », art. cité, p. 245 s.

على غرار المسلمين، استفاد اليهود الأندلسيون من شروط ملائمة أكثر، بفضل شبكاتهم العائلية. فقد التحق الحاخام جوزيف بن أبراهام زمرون ببجاية رفقة عائلته، بعد دراسته وانطلق في التجارة[178]. أيضا في 1393 قدم إلى بلنسية فوكس عبد الفاش -وهو يهودي ميورقي سابق استقر بالمغرب- ليحمل إليها سلعا وغادر بأجواخ زرقاء والقرنفل وأخزمة وطرطار[179]. كانت الروابط قوية خصوصا مع اليهود والمعتنقين المتواجدين على الأرض المسيحية. تبيّن أجوبة الحاخام الميورقي سيمون بن زماح ديران (Simeon ben Zemah Duran) - الذي استقر بالجزائر بعد مذبحة 1391- استقرار يهود أندلسيين ببجاية وتجارتهم مع العالم المسيحي. ففي سنوات 1390 لدينا أثر لموسى عمر أصيل ميورقة الذي استقر ببجاية ومارس التجارة، حيث تسلم الخمر من أخ زوجته المعتنق بميورقة[180]. قضية أخرى مرتبطة بفعل القرصنة تبيّن سفينة على متنها تجار يهود[181]. استطاعت هذه الديناميكية أن تؤدي إلى منافسة بين اليهود المحليين واليهود الأندلسيين كما تشهد على ذلك أجوبة الحاخامات. بعد 1391 تسبب تدفق اليهود الجدد نحو المغرب في الواقع في توترات لدى الجماعة. ففي بجاية لم يتحمل اليهود المحليين (*toshavim*) منافسة "المطرودين" (*megorashim*)، حيث اشتكوا إلى الحاخام ديران الذي أجابهم: "قبل وصول يهود بلاد أدوم (أوروبا) إلى مدينتكم كنتم تعيشون في بحبوحة من صلاتكم بالعرب الذين كانوا في حاجة إلى حرفكم، حيث قدموا لكم أقساطا عينية لتجارتكم ولمعيشتكم. وعلى غرار اللاجئين الذين قدموا إلى مدينتكم بأموال سمحت لهم بتجاوزكم في صناعة المواد

(178) Hirschberg, *op. cit.*, p. 458.

(179) ARV, MR, *Batllia general* (*Cuentas de administración*), Rg. 11, f. 267r (1393).

(180) E. Gutwirth, « El comercio hispano-magrebi y los judíos (1391-1444) », *Hispania*, 45, 1985, p. 204.

(181) I. Epstein, *The Responsa of Rabbi Simon B. Zemah Duran as a Source of the History of the Jews in North Africa*, New-York, 1930, p. 53.

الحرفية، فضّلهم العرب عليكم، حيث وجدوا فيهم كل ما يحتاجونه[182]." تبيّن هذه الإجابة أنه فضلا عن المعارف التقنية المهنية، قدم الأندلسيون برؤوس أموال أكثر أهمية من التي توفّر عليها اليهود المحليين، ومارسوا بذلك منافسة اعتبرت مخادعة[183]. ومن المحتمل وجود هذه المنافسة في الأعمال التجارية أيضا.

مثّل اليهود إذن خصائص مشتركة مع الأندلسيين بسبب الشبكات التي استطاعوا أن يستفيدوا منها على ضفتي البحر المتوسط، والتي سهّلت أعمالهم التجارية. في المقابل بخلاف الأندلسيين، لم يشاركوا في الحكم ولم يستفيدوا من أفضلية القرب من الأمير الذي يمكن أن يقدمها للتجارة.

ج – دور الحكم والنخب السياسية

كان السلطان ومحيطه في الواقع من بين الفاعلين في التجارة البجائية ولعبا دورا هاما[184]. لعب الحكم في العالم الإسلامي في الغالب دورا نشطا في التجارة

---

(182) Cité par Abitbol, « Juifs maghrébins », art. cité, p. 187.

حول هذا التنافس داخل الجماعة أنظر أيضا:

J. Shatzmiller, « Au sein de la communauté juive : l'étranger et sa concurrence économique », *Forestieri e stranieri nelle città basso-medievale*, Florence, 1988, p. 223-233.

(183) كان للمسلمين واليهود الحق في بيع ممتلكاتهم قبل مغادرة المجالات المسيحية وقد ضمنت لهم ذلك معاهدات التنازل.

L. P. Harvey, *The Islamic Spain. 1250 to 1500*, Chicago-Londres, 1990, p. 125, 314-316.

(184) حول مكانة النخب السياسية في المجتمع البجائي، أنظر: م. ص. بعيزق، بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، إشراف م. شبوتو-الرمادي، 1995، ص 398-422.

D. Valérian, « Les élites politiques et l'activité économique des ports musulmans (XIIIe - XVe siècle) », Architecture, institutions et sociétés portuaires des cités maritimes de la Méditerranée (IXe - XIIIe siècle), Seventh International Conference on Urban History (European Association of Urban Historians), *European City in Comparative Perspective*, Athens - Piraeus 27-30 October 2004.

الدولية الكبيرة، على غرار حالة مصر[185] والأندلس[186] وعدة مدن بالمغرب مثل سبتة[187] أو تونس[188]. في بجاية، كانت مشاركة النخب السياسية بادية، حتى وإن وجب الاعتراف بمنح مصادرنا– بطبيعتها– الحكم مكانة أكبر دون شك من تلك التي كانت له في الواقع . تظهر هذه النخب السياسية في كتب الأخبار العربية أو في المادة الخبرية الدبلوماسية، ومن الطبيعي إذن أن تكون مرئية أكثر من التجار الآخرين. لا تبقى إلا إذا كانت مكانتها مهيمنة إذا ما تحفظنا على هذا الواقع المشوّه.

منحت أولا تسهيلات كبيرة لأعوان الحكم. بداية من المعاهدات الأولى، نصّت على إمكانية كراء السلطان إلى غاية الثلث للسفن الحاضرة في الميناء[189]. ضمنت هذه الاتفاقيات فضلا عن ذلك العمليات المقامة باسم العاهل بواسطة أحد أعوانه[190]، وهذا ما شجّع التجار على تفضيل هؤلاء الشركاء. أيضا،

---

(185) Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit*., I, p. 310 ; A. L. Udovitch, « Merchants and *Amīr*s: Government and Trade in Eleventh Century Egypt », *Asian and African Studies*, 22, 1988, p. 61.
نجد من بين الفاعلين في التجارة الكبيرة، السلطان وأعضاء بيته، والعمال، والقادة العسكريين، والقضاة، إلخ.

(186) Constable, *Trade and Traders*, *op. cit*., p. 123-126 ; Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit.*, p. 459 ; R. Arié, « Aperçus sur le royaume nasride de Grenade au XIVe siècle », *Quaderni di studi arabi*, 5-6, 1987-1988, p. 68.

(187) كانت الوضعية في سبتة خاصة، لأن النخبة التجارية هي التي تولت الحكم السياسي. Ferhat, *Sabta*, *op. cit.*, p. 213-259.

(188) في بداية القرن الحادي عشر، نعلم أن سفن سلطان تونس فقط كانت متوفرة، وكان من الواجب تدخل أحد الأعيان لحمل سلعه بسعر مرتفع جدا. Goitein, *A Mediterranean Society*, *op. cit*., I, p. 310.

(189) ظهر هذا البند منذ المعاهدة بين بيزا والحفصيين لعام 1234 (المادة 6): يتعلق الأمر بحمل المخازن (les *res magazeni*). كررت هذه القاعدة بانتظام بعد ذلك.

(190) على سبيل المثال، معاهدة بيزا – تونس، 1353، المادة 27: إذا باع بيزي أو اشترى سلع واحد من المشتغلين أو كان له وعد بيع جرى أمام شهود، لا يمكن إلغاء هذا الإجراء على نافقيه [على نفقته]، إلا في حالة غش أو مغالطة. أنظر أيضا معاهدة بيزا – تونس، 1313، المادة 41، 42، 43. تتحدث

يتحدث سلم 1403 بين لاكورونيا أراجونة وتونس عن ديون لدى البلاط أو أعوان السلطان التي يمكن للتجار الكتالونيين أو الصقليين التخلي عنها لرعايا آخرين من لاكورونيا[191]. لم يكن الديوان فقط جهازا لاسترجاع الرسوم بل كان أيضا مكلفا بتسيير شؤون السلطان مع التجار المسيحيين. إنّ التمييز بين موارد الدولة وموارد السلطان كشخص لم يكن دائما واضحا ومتشددا، على غرار ما كان في هذه الفترة[192]. يمكن لكلمة *curia* في الوثائق اللاتينية الإشارة ببساطة إلى الديوان، لكن أيضا إلى الجهاز التجاري المرتبط بالسلطان. ففي 1272، تلقى فرانشينو دون سان سنيكسيو (Franceschino de San Sinexio) في جنوة شبا أفرغته سفينة جيوفاني برتوناريو (Giovanni Portonario) وطريدة جيوردانو دو أنسولس (Giordano de Insu lis) وشركائه. تمّ شراء هذا الشب من بجاية (*a curia Buzee seu a nuancions régis sue curie Tune xi*)[193]. يغوينا وضع متواز مع الوضعية المصرية التي وصفها كلود كهان انطلاقا من كتاب المخزومي. لقد احتكر الحكم الفاطمي في الموانئ المتوسطية لبعض المواد الهامة، حيث لم يكن بوسع المسيحيين اكتسابها إلا بشرط حملهم كمقابل الخشب والحديد اللذين تكتسبهما عليها الدولة[194]. يقوم ديوان التجارة – المتجر- بالإشراف على المشتريات والمبيعات لحساب الدولة[195]. لهذا فقد كان للمتجر خصوصا احتكار بيع الشب، وهي مادة رأينا أهميتها في تجارة

معاهدة 1343 بين جنوة وتونس عن بيوع عن طريق أحد أعوان المشرف *officiario vel musirifo alte regie magestatis* (المادة 18). في حالة وفاة العاهل، لا يمكن لخليفته الطعن في البيع.

(191) معاهدة لاكورونيا أراجونة – تونس، 1403، المادة 46.

(192) « Bayt al-Māl », II, « aspect historique », *EI²*, I, p. 1178-1181 (Cl. Cahen).

(193) ASG, min. 109, f. 4v (8/11/1272) ; ASG, min. 109, f. 46r (17/6/1273).

(194) Cl. Cahen, « Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Égypte médiévale », *JESHO*, 7, 1964, p. 258.

(195) *Ibid.*, p. 257.

الأوروبيين[196]. لكن ليس هناك ما يشير بالنسبة لبجاية إلى وضعية احتكار لبيع الشب أو مواد أخرى. لقد احتل الديوان مكانة مفضّلة مقارنة مع بقية الفاعلين في التجارة البجائية. تعددت في الواقع علاقات التجارة مع الحكم. ففي 1441، دافع القنصل الجنوي أمام سلطان تونس عن قضية برتوني دي فانتميجليا (Bertone di Vintimiglia) الذي قدم إلى إفريقيا لاسترجاع ممتلكات مارينو دو ماريني (Marino de Marini) الموزع السابق للاركاري (Lercari) وأمبريالي (Impériale)، الذي توفي فجأة في بجاية، حيث كان يدين إلى ديوان بجاية[197]. أيضا في 1445، ذهب مركب فليبو دو نجرونو (Filippo de Negrono) في رحلة *(per costeriam)* إلى كيو (Chio) وأفرغ سلعا في بجاية منها أجواخا بيعت إلى "ملك بجاية"[198].

شاركت أيضا النخب المقربة من الحكم في هذه التجارة. ففي 1316، هاجمت زوارق برشلونة مركب بليس (Palis) واستولت على سلع ملك للحاجب ابن غمر، قيمتها 700 دينار. وكان هذا الأخير قد عهد بها في طلبية إلى محمد بن ليلية، وهو مسلم من المرية أسر خلال الهجوم. لهذا طلب نائب قنصل الكتالانيين ببجاية من جاك الثاني إعادة هذه الممتلكات، وإلا "سيكون هناك خطر على التجار الكتالانيين في بجاية"[199]. هنا أيضا يبدو أن هؤلاء الأشخاص ونظرا لوزنهم السياسي، استفادوا من وضعية ملائمة أكثر من بقية التجار.

---

(196) Cl. Cahen, « L'Alun avant Phocée », *Revue d'histoire économique et sociale*, 1963, p. 433-447 ; Id., « Douanes et commerce », art. cité, p. 260.

(197) ASG, AS, Rg. 1786, f. 405v-406r (4/5/1441), cité par G. Petti Balbi, « Il consolato genovese di Tunisi nel Quattrocento », *Archivio storico italiano*, 576, 1998, p. 246.

(198) ASG, Archivio di San Giorgio, *sala* 38/54, *Caratorum Veterum*, n° 1552, f. 318r. Cf. Heers, « Gênes et l'Afrique du Nord », art. cité, p. 243.

(199) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 59, n° 10769 (22/2/1316), éd. Masia de Ros, *op. cit.*, n° 146.

تبيّن لنا إذن المادة الخبرية جليا هذه "المجموعات" الثلاث . لا يجب الاستنتاج بهذا القدر أنهم الوحيدون الذين شاركوا في التجارة البحرية. تبقى مكانة النخب الدينية غير معروفة لدينا في حين نعلم أن دورها كان ملحوظا، في الأندلس على سبيل المثال[200] أو في سبتة[201]. من الصعوبة خصوصا تحديد برجوازية تجارية بوضوح على أنها جماعة اجتماعية مميّزة[202]. ينص عليها في سبتة لأنها دخلت في اللعبة السياسية واستولت على الحكم خلال وقت ما. لا نملك جوابا على عدم وجودها في بجاية أيضا، رغم أنّ لها ظروفا مشابهة كثيرا للميناء المغاربي الكبير. لكن من الممكن تهميش الجماعات المهيمنة -التي كانت لها تسهيلات للتجارة مع البلدان الأوروبية- لفئات التجار الأخرى.

شارك إذن البجائيون في التجارة البحرية باستقبالهم للتجار الأوروبيين وبالاشتراك معهم وأيضا بحمل سلعهم إلى الموانئ المسلمة والمسيحية في البحر المتوسط. رغم ذلك، يتبيّن بقاء مكانتهم محدودة، وخصوصا دون وزن مشترك مع تجارة المتعاملين المسيحيين، بما في ذلك المسيرات الداخلية في العالم الإسلامي.

3) عدم كفاية الأسطول التجاري

يتجه الواقع – وهو استقلال التجار حتى الآن في الغالب لمراكب مسيحية- إلى إظهار اختفاء الأساطيل التجارية المسلمة بعد الفترة الموحدية. باستثناء بعض الوثائق الصعبة التأويل، لا نرى فعليا سفنا إفريقية في الموانئ المسيحية، حيث أن حركة السير نعرفها جيدا من خلال بعض سجلات الديوان.

---

(200) Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit.*, p. 395, 484-503.

(201) Ferhat, *Sabta*, *op. cit.*, p. 306-307, 311-314.

(202) بالنسبة لإسبانيا المسلمة، أنظر: Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit.*, p. 507

هنا أيضا، من الملائم أن ينظر إليها من خلال نتائج عامة جدا[203]، وضرورة البحث في إشارات بقاء هذه الملاحة التجارية[204].

وجدت في بجاية دور الصناعة البحرية، التي أنشئت مبكرا، دون شك في وقت تأسيس الناصر للمدينة. في روايته لهذا الحدث، كتب النويري أن ابن البعبع "رسم له المدينة وأشار له بدار الصناعة والميناء"[205]. أقل من قرن بعد ذلك، تحدث الإدريسي في وصفه للمدينة: "وبها دار لصناعة الأساطيل والمراكب والسفن والحرابي لأنّ الخشب في جبالها وأوديتها كثير موجود ويجلب إليها من أقاليمها الزفت البالغ الجودة والقطران"[206]. بامتياز نادر في العالم الإسلامي المتوسطي، كانت بجاية في الواقع مخرج جهة غنية بالغابات ومناجم الحديد، ولم ترتبط بالخارج بالنسبة لمواد الصناعات البحرية[207]. سنوات بعد الإدريسي، تحدث صاحب كتاب الاستبصار عن دار صناعتين لإنشاء المراكب وصناعة السفن: "لصناعة

---

(203) J. Heers, « Types de navires et spécialisations des trafics en Méditerranée à la fin du Moyen Âge », *Le Navire et l'économie maritime du Moyen Âge à la fin du XVIIIe siècle, principalement en Méditerranée, Actes du 2e colloque international d'histoire maritime, 1957*, Paris, 1958, p. 108 :=

"=لا نجد (أسطولا) في المشرق ولا في العالم الإسلامي: ليس بعد في تركيا، على الأقل حتى وضع اليد على القسطنطينية على ما يبدو، ولا أبدا على طول الساحل الإفريقي"

(204) لا يوجد في العصر الوسيط اختلاف فعلي بين مركب تجاري ومركب حربي أو قرصني. حول أسطول بجاية الحربي، أنظر:

D. Valérian, « Contribution à l'étude de la guerre dans le Maghreb médiéval : Bougie et la mer de la fin du XIe au début du XVIe siècle », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 126-142.

(205) النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق ح. نصار وع. الأهواني، القاهرة، 1983، ص 225.

(206) الإدريسي، النص ص 116، الترجمة ص 166.

(207) M. Lombard, « Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane du VIIe au XIe siècle », *Le Navire et l'économie maritime du Moyen Âge au XVIIIe siècle, principalement en Méditerranée, Actes du IIe colloque international d'histoire maritime*, Paris, 1958, p. 53-106.

المراكب وإنشاء السفن"[208]. لكن استعمال دار الصناعة الثانية تتوافق دون شك مع سياسة الموحدين الملاحية الكبيرة[209]، ولم تمتد إلى أبعد من ذلك. في منتصف القرن الرابع عشر خلال مرور أبي عنان المريني ببجاية، يحكي مادحه النميري، ذهابه لتفقد دار الصناعة في ربض المدينة بعد وصوله مباشرة، وأمره باستعمال الأجفان الموجودة بها في قتال الأعداء[210]. أخيرا، يشير ابن قنفذ بالنسبة لنهاية القرن الرابع عشر لدار صناعة أو منجرة سيّرها القائد ابن أبي مهدي، والتي استعملت دون شك لإنشاء المراكب[211]. إنّ مظهر هذه البناية غير معروف، ونعلم فقط بموقعه خارج سور المدينة الرئيسي، من الجانب الغربي. في بقية المدن، مثل مالقة، كانت له مساحة هامة، مع الأبراج والتحصينات[212].

تشير النصوص العربية إلى هذه السفن التي استعملت في التجارة البحرية، حتى وإن قلّ ذكرها وصعب التعرف عليها. يذكر الغبريني حالة موثق قام بتحرير عقد بيع سفينة[213]. ويبيّن البرزلي في واحدة من فتاويه حالة تاجر اشترى مركبا واكترى النوتية وسدّد ضمانتهما لحمل السلع، لكن الروم استولوا عليه في الميناء

---

(208) الاستبصار، النص ص 130، الترجمة ص 35.

(209) Chr. Picard, *La mer et les musulmans d'Occident au Moyen Âge. VIIIe-XIIIe siècle*, Paris, 1997, p. 81 ; Id., *L'Océan atlantique*, *op. cit*., p. 280-289. إلا إذا كان المؤلف بإشارته لدار صناعتين، أراد الإشارة إلى منطقة مستودعات أو ورشات إنشاء المراكب.

(210) ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق م. بن شقرون، بيروت، 1990، ص 266.

(211) الفارسية، ص 186.

(212) Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit*., p. 275-277 ; Id., « Les arsenaux musulmans de la Méditerranée et de l'océan Atlantique (VIIe-XVe siècle) », *Chemins d'outre-mer. Etudes d'histoire sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, éd. D. Coulon, C. Otten, P. Pagès, D. Valérian, Paris, 2004, p. 700 ; L. Torres Balbás, « Atarazanas hispanomusulmanas », *Al-Andalus*, 1946, 11, p. 188-196.

(213) الغبريني، ص 86.

قبل وضع الشراع وأسر التاجر مع قسم من الطاقم[214]. وتدل خصوصا عدة وثائق متعلقة بالقرصنة المسيحية ضد المسلمين على وجود أسطول تجاري. تبيّن سلسلة من شكاوى سلطان تونس في حوالي 1305 عدة سفن إفريقية تتاجر مع بجاية وأسرها القراصنة الكتالونيون. ففي شوال 702/ماي-جوان 1303، نقل جفن إفريقي حمولة من بجاية إلى بنزرت حيث فتّشه شوني ميورقي، مع جفن صغير لبونيين، محملا بسلع بقيمة 5000 دينار[215]. وفي 1310، اشتكى سلطان قسنطينة إلى جاك الثاني الأراجوني عن أعمال قرصنة ارتكبها في البحر شونيان بلنسيان على حساب سفينتين بجائيتين بين دلس والجزائر[216]. سنوات بعد ذلك في 1314، احتج أبو بكر نفسه على الاستيلاء على مركب بين بجاية وجيجل[217]. وفي 1409، أسر البلنسيون مركبا بنوتيته ومسافرين من ممالك فاس وتلمسان وبجاية وتونس، الذين عملوا في التجارة إلى غاية مالقة حيث يبيعون القمح المشترى في وهران مع الرماح المستقدمة من بجاية[218]. في السنة الموالية، أسر مركب قشتالي مركبا بجائيا قرب مستغانم، محملا بالخشب والجلود باتجاه وهران

---

(214) نقلا عن: Idris, « Commerce maritime », art. cité, p. 236

(215) Éd. Alarcón y Santón, García de Linares, *op. cit.*, n° 119, texte p. 259, trad. p. 263.

(216) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 20, n° 3975 (5/11/1310), éd. (avec une date erronée) A. Giménez Soler, « Documentos de Túnez, originales ó traducidos, del Archivo de la Corona de Aragón », *Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans*, 3, 1909-10, p. 229-230. Jacques II d'Aragon lui donne alors satisfaction. ACA, C., Rg. 239, f. 129v (12/8/1311).

(217) ACA, CRD, Jaime II, *caja* 25, n° 4780 (traduction contemporaine ; 17 *safar* 714 / 2 juin 1314), éd. Giménez Soler, « Documentos de Túnez », art. cité, p. 232.

(218) ARV, C., Rg. 626, f. 2r-7v (2/8/1409), éd. J. Hinojosa Montalvo, « Confesiones y ventas de cautivos en la Valencia de 1409 », *Lugarzas*, 1971, p. 123-125.

وعلى متنه ستة وعشرين شخصا[219]. وأخيرا، في 1420، تمّ اعتراض مركب في مياه الجزائر يحمل الخشب البجائي إلى وهران وعلى متنه أحد عشر مسلما[220].

إشارة أخرى لوجود هذه البحرية هي بيع المسيحيين مراكب للمسلمين أو شركات امتلاك السفن[221]. رأينا كيف اعتزمت المعاهدات بيع مراكب للمسلمين، خرقا لممنوعات الكنيسة. تنص قوانين مرسيليا ونص قنصلية البحر (*Consulat de mer*) أيضا على هذه الإمكانية. أكدّت بعض أعمال القرصنة هذه القابلية. ففي 1423 على سبيل المثال، تلقى علي بن قرنيط البجائي ترخيصا للتجارة مع ميورقة على متن مراكبه ومراكب أخرى، وهذا ما يفترض امتلاكه لمراكبه الخاصة التي أبحرت بين بجاية وميورقة[222].

رغم ذلك، فمن النادر وجود سفن إفريقية في الموانئ المسيحية. لم تظهر ولا واحدة منها في سجلات جنوة الديوانية في نهاية القرن الرابع عشر، أو في برشلونة في منتصف القرن الخامس عشر[223]. لم تلق جاكلين جيرال (Jacqueline Giral) بالنسبة لبلنسية ما بين 1410 و1520 إلا قاربين مغربيين، الأول يعود ليهودي من مستغانم والثاني لروميرو التونسي (Ramiro)، الذي صدّر السلع نحو تونس[224]. وفي 1439، نلاقي طبعا جياكومو دي أندريا دو بكتوريا

---

(219) ARV, C., Rg. 626, f. 33v-36r (2/5/1410).

(220) ARV, Batllia, Rg. 193, f. 29r-v.

(221) أنظر حالة مركب امتلكه المسيحيون والمسلمون على حد سواء بتونس في 1277.
Alarcón y Santón et García de Linares, *op. cit.*, n° 115, p. 245-246 (2e décade de *rabī'* II 676 / 11-21 septembre 1277).

(222) ARM, AH 99, f. 295 (1/10/1423), éd. Macaire, *Majorque et le Maghrib*, *op. cit.*, p. 561-563.

(223) J. Day, *Les Douanes de Gênes 1376-1377*, Paris, 1963 ; Cl. Carrère, « Le droit d'ancrage et le mouvement du port de Barcelone au milieu du XVe siècle », *Estudios de historia moderna*, 3, 1953, p. 67-156.

(224) Guiral, « Les relations commerciales de Valence avec la Berbérie », art. cité, p. 106.=

(Giacomo di Andrea de Pectora) ، وهو بيزي يقطن بتونس، الذي دخل على متن فرقاطة مورية إلى تراباني (Trapani)[225]، لكن كانت هذه حالة معزولة. يفسّر هذا السكوت في جزء منه بحالات امتلاك مشترك للمراكب[226]، حيث يخفي رئيس المركب مشاركة الأجانب في رأس المال لتفادي دفع رسوم قوية في الميناء[227]. لكن ممارسة الملكية المشتركة مع المسلمين لا يبدو أنها كانت عامة[228].

إلى هذه الأسباب الضريبية، يمكن إضافة الإجراءات التي هدفت إلى منع السفن الأجنبية من القدوم لتفريغ حمولتها في ميناء أوروبي. سدّد الأرباب الأجانب رسما خاصا في ميورقة، لكنه لم يكن خاصا بالمسلمين[229]. أيضا في

=لكن التعرف على روميرو كمسلم غير مؤكد. أنظر أيضا بالنسبة لميورقة:

A. Riera Melis, « La llicencia per a barques de 1284. Una font important per a l'estudi del comerç exterior mallorqui del darrer quart del segle XIII », *Fontes rerum Balearium*, 3, 1979-1980, p. 121-140 ; Sastre Moll, « El puerto de la ciutat de Mallorca », art. cité, p. 163-164,

الذي يشير إلى مركب مسلم في سجلات تقسيم الميناء.

(225) Archivio di Stato di Trapani, not. Miciletto (9/1/1439), cité par Trasselli, « Sicilia, Levante e Tunisia », art. cité, p. 128.

لا تشير هذه العبارة إلى مركب هو ملكية للمسلمين. يمكن لها أيضا الإشارة إلى نوع خاص من المراكب.

(226) فأحمد بن بيان (Hamet ben Bien) – الذي أتى إلى ميورقة بانتظام– امتلك باسم السلطان الحفصي، نصف يخت سانتا ماريا (Santa Maria)، مع تاجرين ميورقيين، الأخوان أنتوني (Antoni) وجوم كانيال (Jaume Canyelles)، وانكشف هذا الامتلاك المشترك عندما باعا السفينة إلى التجار البروفانسيين بمبلغ إجمالي يقدر ب 8058 ليفر ميورقي، حيث ذهب النصف إلى السلطان.

ACA, C., Rg. 1422, f. 87r-88r (13/3/1363).

(227) في ميورقة، إذا كان المركب هو ملك لشركة يتدخل من خلالها تاجر من الجزيرة، تخفّض الضريبة وفقا لحصة الميورقي.

Sastre Moll, « El puerto de la ciutat de Mallorca », art. cité, p. 161.

(228) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 382-383.

(229) Sastre Moll, « El puerto de la ciutat de Mallorca », art. cité, p. 161

أنظر أيضا:=

برشلونة في 1227، تمّ إقرار إجبارية تحميل كل سلعة باتجاه المشرق أو المغرب على متن مركب برشلوني إذا كان متوفرا[230]، وفي جنوة في نهاية القرن الرابع عشر، وجب استخدام السفن الجنوية لكل تجارة بعيدة[231]. فضلا على عدم استهداف هذه الإجراءات للمراكب المغاربية بشكل خاص، لم يتم تطبيقها دائما بصرامة.

وجدت إذن مراكب تجارية بجائية تشهد عليها النصوص حتى القرن الخامس عشر. لكن الحالات التي أحصيت كانت نادرة، حتى وإن لم تكن المادة الخبرية ملائمة لقياس سعتها[232]. على غرار التجار المتجولين، اقتصر إشعاع نشاط المراكب البجائية على العالم الإسلامي، خصوصا الغربي[233]. لكن المسألة هي معرفة متى بدأ ضعف البحرية البجائية. إلى غاية القرن الحادي عشر، دون نقاش سيطرت الأساطيل المسلمة على البحر المتوسط[234]. وإلى غاية الفترة الموحدية، كانت دور صناعة المراكب والسفن نشطة جدا في المغرب، حتى وإن

=M. D. López Pérez, « Las asociaciones de fletadores mallorquines bajomedievales : ¿ un intento de monopolización del comercio magrebí ? », *AEM*, 24, 1994, p. 89-104

منع في منتصف القرن الرابع عشر نقل السلع إلى المغرب على متن المراكب التي أجرها التجار الأجانب أو غير المتّبعين لجمعية تجار الميناء.

(230) AHCB, *Llibre Vert*, vol. I, f. 213 (12/10/1227), cité par Ch.-E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles* : *de la bataille de Las Navas de Tolosa (1212) à l'avènement du sultan mérinide Abou-l-Hasan (1331)*, Paris, 1966, p. 32.

(231) Day, *Les Douanes de Gênes*, *op. cit.*, p. XI.

(232) ليس من الممكن على الخصوص معرفة بأي نوع من المراكب تعلق الأمر. إضافة إلى العدد القليل من الحالات، هناك عدم دقة في المصادر، غير العربية غالبا.

(233) نلاقي طبعا المراكب الإفريقية على الطرق الشرقية، خصوصا باتجاه مصر. لكن يبدو أنها قدمت من تونس وموانئ السلطنة الشرقية.

Valérian, « Ifrīqiyan merchants », art. cité, p. 49-50.

(234) نعرف العبارة الشهيرة لابن خلدون حول البحرية الإسلامية في هذه الفترة: "وقد ملأت الأكثر من بسيط هذا البحر عدة وعددا، واختلفت في طرقه سلما وحربا، فلم تسبح للنصرانية فيه ألواح"، المقدمة، ص 522.

أعوزتنا المادة الخبرية لرؤية المراكب التجارية[235]. امتدح صاحب كتاب الاستبصار نشاط الميناء ووصف – دون مبالغة- السفن المسلمة القادمة من الأسكندرية واليمن والهند والصين وبلدان أخرى. لكنه يشير أيضا إلى حضور مراكب الروم القادمة من سوريا وجهات أخرى بعيدة من بلاد الروم[236]. بدأ إذن إحساس بالانحطاط خصوصا بداية من القرن الثالث عشر. نسب الإخباري الكتالاني برنات دسكلو (Bernat Desclot) - مع إفراط في الوطنية- لأميرال مسيحي في نهاية القرن الثالث عشر العبارة التالية التي تلمح إلى عبارة ابن خلدون: "الآن، حتى السمك لا يحاول بجسارة، ولا سفينة شراعية، ولا أي مركب آخر، يخاطر بنفسه فوق الأمواج دون جواز مرور من ملك أراجونة[237]".

تمّ تفسير تراجع الأسطول التجاري بطرق مختلفة. لقد فسر في بادئ الأمر بقدّم القصور التقني في إنشاء وتدبير المراكب[238]. رغم أن تقنيات الملاحةلم تكن خافية عن الملاحين الإفريقيين والتذكير البسيط بأهمية نشاط القرصنة يكفي لإظهارها. ولا يفسّر جيدا من جهة أخرى هذا التأخر التكونولوجي بالنسبة للإنشاءات البحرية. إنّ الجديد في هذا الميدان – الذي بقي قليلا حتى نهاية القرن

---

(235) Picard, *La Mer et les musulmans d'Occident, op. cit.*, p. 75-96.

(236) الاستبصار، النص ص 130، الترجمة ص 36.

(237) Bernat Desclot, *Cronica*, chap. 166, cité par Ch.-E. Dufourcq, *La Vie quotidienne dans les ports méditerranéens au Moyen Âge (Provence, Languedoc, Catalogne)*, Paris, 1975, p. 100.

(238) يتحدث روبار برونشفيك عن "التقنية المتأخرة": "إنّ التقدم التقني الملحوظ الذي حققه الأوروبيون في القرون الأخيرة من العصر الوسيط في الإنشاءات البحرية وقيادة المراكب لم يتابعه رجال بلاد البربر طبعا إلا من بعيد وبطريقة غير مكتملة".

R. Brunschvig, *La Berbérie orientale sous les Hafsides, des origines au XVe siècle*, II, Paris, 1947, p. 97.

أنظر أيضا رأي إ. أشتور المماثل:

E. Ashtor, « L'artiglieria veneziana e il commercio di Levante », *Armi e cultura nel Bresciano, 1420-1870, Ateneo di Brescia*, 1981, p. 151, rééd. *East-West Trade in the Medieval Mediterranean*, Londres, 1986.

الثالث عشر- لم يكن معقدا ولم يكن صعب الاستيعاب[239]، في حين أن إمكانيات المبادلات كانت متكررة سواء مع المشرق أم مع إسبانيا المسيحية أم إسبانيا المسلمة[240]. إنّ وجود دليل موانئ مغاربي، الأول بتاريخ النصف الأول من القرن الرابع عشر، يبيّن من وجهة أخرى معرفة طرق الملاحة في البحر المتوسط[241]. لقد تمّ أيضا تفسير هذا التراجع بالافتقاد إلى الوسائل[242]. لكن إذا ما صحّ تطبيق هذا التفسير على مصر الفقيرة في الخشب، يصعب التلميح إليه بالنسبة لبجاية التي توفرت على موارد بلاد القبائل. من جهة أخرى، كان احترام التجار المسيحيين للممنوعات البابوية احتماليا جدا فيما يخص السفن ومواد الصناعة.

لقد تمّ أيضا التأكيد على تمتع التجار المسلمين بأمن أكبر على متن السفن المسيحية في مواجهة القرصنة، وهذا ما دفعهم ربما إلى إهمال الإنشاءات

---

(239) لا يميّز جون ه. بريور (John H. Pryor) بين الاختلاف المحتمل بين سفن التجار المسلمين والمسيحيين في البحر المتوسط الغربي في بداية القرن الرابع عشر، حتى وإن رجع الابتكار التقني إلى المسيحيين.

J. H. Pryor, *Geography, Technology and War. Studies in the Maritime History of the Mediterranean, 649-1571*, Cambridge, 1988, p. 46, 162.

(240) نفكر في الموحدين المستقرين في إفريقية الذين أقاموا – بالنسبة للبعض منهم- في بلاد لاكورونيا أراجونة، لكن أيضا في التجار الذين استعانوا بالسفن المسيحية. سمحت السفن التي أشتريت من المسيحيين أو أسرها القراصنة بالانتقالات التكنولوجية أيضا.

(241) J. Vernet-Ginés, « The Maghreb Chart in the Biblioteca Ambrosiana », *Imago Mundi*, 16, 1962, p. 1-16 ; S. Soucek, *Piri Reis and Turkish Mapmaking after Colombus. The Khalili Portulan Atlas*, Londres, 1996, p. 30 ;

أنظر أيضا بالنسبة للقرن السادس عشر:

M. Chapoutot-Remadi, « Les Charfi et la cartographie », *Itinéraires du savoir en Tunisie*, dir. H. Annabi, M. Chapoutot-Remadi et S. Kamarti, Tunis-Paris, 1995, p. 84-95 ; M. T. Mansouri, « Une famille de cartographes tunisiens : les Sharfi », *La Méditerranée médiévale. Perceptions et représentations*, dir. H. Akkari, Paris-Tunis, 2002, p. 263-277.

(242) Lombard, « Arsenaux », art. cité, p. 53-106.

البحرية[243]. يبدو أن هناك اتفاقية مقبولة في البحر المتوسط تقرر في الواقع أنّ "الصيوان يغطي السلعة"[244]. لكن هذه الفرضية تثير اعتراضين. من جهة، تنص المعاهدات المبرمة مع الدول المغاربية على وجوب عدم مهاجمة القراصنة لرعايا الملك إن كان معه سلم[245]، وتستثني رخص القرصنة إذن هذه السفن من الغنائم الممكنة، دون الأخذ في الاعتبار دين المالك أو القبطان. ومن جهة أخرى، لم يكن للقراصنة تقريبا أي اعتبارات دينية وهاجموا على السواء السفن المسيحية والمسلمة.

(243) Ch.-E. Dufourcq, « Le commerce du Maghreb médiéval avec l'Europe chrétienne et marine musulmane : données connues et problèmes en suspens », *Actes du premier Congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb, Tunis, 1974, Cahiers du CERES*, Série histoire, 1, Tunis, 1979, p. 180 ; Pryor, *Geography*, *op. cit.*, p. 159.

(244) J.-M. Pardessus, *Collection des lois maritimes antérieures au XVIIIe siècle*, Paris, 1828-1845, III, p. 82.

(245) طبقت السلطات المسيحية جيدا هذه القاعدة، كما تبيّنه محاولات القراصنة لاستدارة وإخفاء شنيعتهم. إذا منعهم سلم من الاستيلاء على شخص، يجبرون ضحاياهم على الاعتراف بأصولهم من دولة غير معاهدة. ففي 1304، أسر قرصان بلنسي، بيري ربالطا (Pere Ribalta)، تونسيين رغم الهدنة بين تونس ومملكة أراجونة، وأجبرهم على الاعتراف بأنهم بجائيين (لم تكن هناك هدنة مع بجاية)، قائلا لهم: إذا قبلوا سيبيعهم كعبيد إلى بنتليريا (Pantelleria)، حيث يمكنهم أن يكونوا موضوع فداء بسهولة. في الحالة المعاكسة، يبيعهم إلى رومانيا حيث لا يمكنهم الرجوع إلى بلدهم. ACA, CRD, Jaime II, *caja* 21, n° 4160 (26/07/1304), éd. Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 654

إنّ الأسرى الذين أجبروا على إعلان بجائيتهم بيعوا إذن في بنيليريا. لكن برتومو المالطي (Barthomeu de Malta) – تاجر من مسينا– الذي صعد على متنها لشرائهم تعرّف على واحد منهم، وهو صاحب السفينة الأسيرة، الذي رآه في رحلة سابقة إلى تونس. كانت هذه الممارسات منتشرة جدا، حيث يعود الأسرى عن اعترافاتهم بمجرد وصولهم. قرّر جاك الفاتح (Jacques le Conquérant) عدم إمكانية الرجوع عن الكلام عند الوصول إلى الميناء.

Aureum Opus, *Regalium privilegiorum civitatis et regni Valencie*, Valence, 1515, p. 442, cité par Dufourcq, *Recueil*, *op. cit.*, n° 654.

مبدئيا، الذين يصعدون على متنها كانت لهم حماية[246]، لكن عمليا، كانت التجاوزات ممكنة ومتكررة[247]، لأن تبرير القراصنة هو حضور كفار على متنها لأسر المراكب. كان أيضا نفس الشيء بالنسبة لسلطات الميناء، التي لم تتردد في سجن المسلمين الموجودين في السفن المسيحية[248]. إعتاد الحفصيون على إجبار ربان المراكب على ترك رهينة كضمانة[249]. إنّ هذا التفسير هو ربما مقبول عندما تكون السفن محمية، كما هو حال المراكب الجنوية التي استفادت في هذا الصدد من سمعة أمنية كبيرة، لم تكن كذلك بالنسبة لأغلب سفن التجارة.

---

(246) ينص مشروع معاهدة 1444 بين لاكورونيا أراجونة وتونس (المادة 19) على عدم أسر المسلمين في حالة كرائهم لمراكب القشتاليين والبنادقة والفلورنسيين أو حتى الرودسيين أو أي أمة مسيحية أخرى لم تكن في حرب مع لاكورونيا.

Le projet de traité de 1444 entre la Couronne d'Aragon et Tunis (art. 19) prévoit que si des musulmans nolisent des navires de Castillans, Vénitiens, Florentins, ou même de Rhodes, ou toute autre nation chrétienne qui n'est pas en guerre avec la Couronne, ils ne seront pas capturés.

(247) تتحدث فتوى لابن عرفة في القرن الرابع عشر عن عادة أخذها المسلمون لركوب المراكب المسيحية للذهاب من إفريقية إلى الأسكندرية وخطر خيانة المسيحيين لهم، تحليل: Lagardère, *Histoire et société*, *op. cit.*, p. 33. لكن في القرن الخامس عشر، زعم البرزلي عدم تجرئ المسيحيين الإخلال بتعهدهم لأن سلطان تونس كان قويا ومحترما. Analyse dans *ibid.*, p. 38.

(248) في 1464، استولي على اثنين من ثلاث سفن موكب الترافيجو (*Trafego*)، -القادم من الأسكندرية والمحمّل بالكتان والتوابل التي نقلها التجار المسلمون إلى المغرب- في رودس، وهذا خرقا لجواز المرور. وكان قد اتفق أصحاب السفن والمسلمون على تفادي هذا الميناء، لكن "حظ البحر" أجبرهم على التوقف به وسجن 220 مسلما. هدّدت البندقية صاحب رودس الكبير بقنبلة المدينة إذا لم يرجع المراكب والأسرى في الوقت.

« che dura una candela da un soldo ». Domenico Malipiero, *Annali Veneti, dall'anno 1457 al 1500*, *Archivio Storico Italiano*, 7, 1843-1844, p. 614-615.

(249) في 1382، غادر الميورقي بيري بيدرو (Pere Pedro)، صاحب مركب، بالما (Palma) إلى وهران، حيث حمّل قمح تاجر مسلم إلى بجاية. أجبر على ترك رهينة أنتوني ماركدر (Anthoni Mercader)، الذي هو كاتب المركب. بينما ذهب صاحب المركب إلى إبيزا حيث أفرغ الحمولة وتاجرا مسلما وآخرين، ومكث أنتوني في سجن السلطان. ACA, C., Rg. 1444, f. 113r-v (29/5/1382)

وأخيرا، استطعنا أيضا تقديم تغيير موقف المسلمين اتجاه البحر. نترك جانبا الاعتبارات المشكوك فيها حول عجز الإسلام عن الاهتمام بالبحر[250]. من الوضوح أن إفريقية كانت – في بعض الفترات على الأقل- بلاد البحارة والتجار الذين لم يترددوا في ركوب البحر. كانت للأغالبة والزيريين وأبناء عمومتهم الحماديين، دون الحديث عن الموحدين، سياسة بحرية فعلية[251]. هل يجب الاعتقاد إذن بوجود تغيّر في الموقف بعد القرن الثاني عشر؟ لقد تغيّر في الواقع الخطاب حول البحر بداية من هذه الفترة[252]. إنّ الشعور بالخطر أصبح أكبر، خصوصا حين تضاعف الإحساس بكونهم أجانب في المياه. في نهاية القرن الرابع عشر، تحسّر ابن خلدون بأن أصبح المسلمون "في البحر أجانب، باستثناء نذر من سكان الساحل[253]". يندرج هذا الخطاب مع مثيله المهيمن عند الكثير من مؤلفي هذه الفترة، وهو تراجع الإسلام أمام المسيحية[254]. لكن في أي اعتبار يترجم فكر النخب هذه – الذي تعكسه هذه النصوص – فكر رجال البحر؟ إنّ مخاطر الملاحة غذّت مخاوف عند البحارة أو التجار، وهذا لا شك فيه، لكن هذا لم يكن جديدا وليس خاصا

---

(250) طوّر مؤخرا. ك. بلانول هذه الأطروحة كثيرا. X. de Planhol, *L'Islam et la mer. La mosquée et le matelot, VIIe-XXe siècle*, Paris, 2000. إنّ الكتاب الذي نشر ضمن سلسلة "تاريخ وانحطاط" يندرج ضمن تقليد دراسة الإسلام ككل غير قابل للتغير وغير قادر على التأقلم. في الفقرة الموسومة ب "أسباب الفشل: جو ثقافي"، يطرح قواعد منطقه: "ولأول وهلة، تحقق يفرض نفسه. لم تهتم الحضارة المتنامية للإسلام الكلاسيكي في أي لحظة فعليا بالبحر، ولم تجد الوسائل المحظية لعظمته، مبدأ نجاحاته ... في الأسوأ، كان الإسلام معاديا للبحر، وفي الأفضل، تجاهله". *Ibid.*, p. 41-42.

(251) Chr. Picard, « L'échec maritime musulman ? », *La puissance maritime*, dir. Chr. Buchet, J. Meyer, J.-P. Poussou, Paris, 2004, p. 123-133.

(252) M. T. Mansouri, « Perceptions arabes de la Méditerranée médiévale : de la maîtrise à la crainte », *Sailing Ships of the Mediterranean Sea and the Arabian Gulf*, Koweït, 1998, p. 56-57.

(253) المقدمة، الترجمة ص 525. أيضا كانت هذه الوضعية مرتبطة أكثر باعتبارات سياسية (انشقاق السلطان) من ثورة الذهنيات.

(254) G. Martinez-Gros, « Ibn Khaldūn et la mer », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 99-112 ; A. Cheddadi, « Les Musulmans et la Méditerranée », *Qantara* (Paris), 1992, rééd. *Ibn Khaldoun revisité*, Casablanca, 1999, p. 69-74.

بالمسلمين. تسبب هذا الشعور بداية من القرن الثالث عشر بالعدول عن الملاحة، الذي هو في المقابل فيه نظر. تأتي جرأة القراصنة هنا لمخالفة هذه الأطروحة.

إنّ المشكل لم يرتبط بالملاحة بصفة خاصة ويجب التفكير فيه كواحد من مظاهر التراجع العام للمتعاملين البجائيين مع متعاملي أوروبا المتوسطية.

4) أسباب هذا التراجع

بالرغم من الشهادات حول نشاط التجار المسلمين وبقاء بحرية تجارية، يتبيّن انخفاض مشاركة البجائيين في التجارة البحرية الكبيرة، خصوصا وأنها أقل بكثير من مثيلتها الأوروبية. هناك تغيير جذري، حتى وإن كان تدريجيا مع وضعية البحر المتوسط الغربي حتى القرن الثاني عشر كما تظهره لنا خصوصا وثائق الجنيزة. يصعب تفسير هذا التراجع، والذي هو في قلب المشكل المطروح من قبل أغلب المؤرخين، وهو تراجع أو انكماش اقتصاديات الجنوب مقارنة مع التوسع العام للضفة الشمالية للبحر المتوسط. إذا لم يستفد المغرب بقدر المستطاع من هذا الانطلاق، فلأنه قبل كل شيء وجد نفسه في وضعية سلبية وترك التجار الأوروبيين ينظمون المبادلات البحرية لصالحهم.

تبقى أسباب هذا التطور أيضا مجهولة كثيرا، وليست هنا مسألة تجرأ لتفسير تطور المغرب العام في نهاية العصر الوسيط[255]. علاوة على ذلك، هل يمكننا انطلاقا من وضعية بجاية طرح بعض الفرضيات، وخصوصا تفنيد بعض التفسيرات الساذجة جدا.

---

(255) Cl. Cahen, « Quelques mots sur le déclin commercial du monde musulman à la fin du Moyen Âge », *Studies in the Economic History of the Middle East*, dir. M. A. Cook, Londres, 1967, p. 31-36, rééd. *Les Peuples musulmans dans l'histoire médiévale*, Damas, 1977, p. 359-366.

إنّ الأطروحتين اللتين تجابهتا في الغالب (للتبسيط أطروحة المؤرخين الاستعماريين وأطروحة المؤرخين ما بعد الاستعماريين) لا يمكن في الواقع اعتبارهما مرضيتين.

بحث الأوائل – الذين تعلقوا بتحديد خصائص المسلم أو المغاربي[256]– على إظهار عدم الأهلية العميقة والعامة لهؤلاء الرجال على تطوير اقتصاد رأس مالي. أضيفت الاعتبارات العرقية حول عدم القدرة على الاستثمار (وعلى الجهد) الدائم إلى نظريات حول عدم توافق الإسلام العميق مع التنمية الرأسمالية. إنّ الحجة الأساسية هي قدر المسلمين المحتمل، الذي يكون قد عرقل كل مبادرة. فسّرت ضوابط الفقه الإسلامي، خصوصا منع الربا، ككابح للتطور الاقتصادي والتجاري. وأخيرا، استند إلى تحريم الإبداعات للتأكيد المبدئي على أن الإسلام منع كل تطور للقانون التجاري، والذي يكون ربما قد أدى بسرعة إلى تأخر هام اتجاه أوروبا الغربية[257].

---

(256) اعتبر روبار برونشفيك –الذي يرفض ربط هذا "الجمود" أو "التطور الضعيف جدا" للمجتمع الإسلامي بالإسلام– رفض التجديد ب "موقف ذهني" و"سمة بسيكولوجية جماعية".

R. Brunschvig, « Capitalisme et islam traditionnel » (conférence inédite de 1960), *Études sur l'Islam classique et l'Afrique du Nord*, Londres, 1986, p. 7.

(257) G.-H. Bousquet, « Dans quelle mesure l'enseignement dogmatique a-t-il pu entraver l'évolution des institutions économiques et sociales de l'Islam ? », *Classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'Islam. Actes du symposium international d'histoire et de civilisation musulmane, Bordeaux, 25-29 juin 1956*, dir. R. Brunschvig et G. E. von Grünebaum, Paris, 1977, p. 187-188.

حسب رأيه، يبدو أن الفقه "وفّر تعاليم تعترض التقدم الاقتصادي والعلمي". تتبعه قائمة لكل المقدرات المفترضة التي تسبب فيها الإسلام: التقدم العلمي، وعقلانية الإجراءات الاقتصادية، والخوف من البدع، غياب تكديس رأس مال منتج، جهل بالتقنيات الحديثة في المحاسبة، ومنع القرض بالفائدة، واشمئزاز من أنظمة الضمان... إلخ. أثارت هذه المداخلة نقاشا حادا. حول مسألة البدع، أنظر موقف م. طالبي الموضّح: =

رفض ماكسيم رودنسون (Maxime Rodinson) كل هذه الحجج، التي تستند إلى فكرة مجتمعات إسلامية ثابتة في جوهرها[258]. وبيّن أن الإسلام – الذي هو دين ولد في وسط تجاري- لم يكن سببا في جمود الاقتصاد، وأن مبادئه لم تختلف أساسا عن مبادئ مسيحية تلك الفترة. هدف منع الربا خصوصا إلى تفادي الإفراط وكان له آثار محدودة عمليا، حيث كانت عمليات التحويل جارية[259].

لم يكن تأخر التقنيات التجارية باديا أيضا. إنّ عقد القراض – الذي سمح رغم الضوابط الصارمة بليونة فعلية- ليس له ما يشهي الطلبية الغربية[260]. وجدت من جهة أخرى تقنيات قرض أو صرف سمحت بتطوير الأعمال التجارية[261]. فيما يخص قدر المسلمين المفترض، أقر كلود كهان بصحة وجوده أيضا في الفكر البروتستانتي ولم يمنع أبدا التطور الرأسمالي[262].

=M. Talbi, « les *bida'* », *Studia islamica*, 12, 1960, p. 43-77, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne et de civilisation musulmane médiévale*, Tunis, 1982, p. 319-349.

(258) M. Rodinson, *Islam et capitalisme*, Paris, 1966, et Id., « Les conditions religieuses islamiques de la vie économique », *Handbuch der Orientalistik*, sechster Band - *Geschichte der Islamischen Länder*, sechster Abschnitt, *Wirtschaftsgeschichte des vorderen Orients in islamischer Zeit*, Teil 1, Leyde-Cologne, 1977, p. 18-30 ; J. L. Abu-Lughod, *Before European Hegemony. The World System AD 1250-1350*, Oxford, 1989, p. 216-224.

(259) Rodinson, « Les conditions religieuses », art. cité, p. 21.

(260) Cahen, « Quelques mots sur le déclin commercial », art. cité, p. 362. Voir également A. L. Udovitch, « At the Origins of the Western *Commenda* : Islam, Israel, Byzantium ? », *Speculum*, 37, 1962, p. 202-207 ; Idris, « Commerce maritime », art. cité, p. 225-239 ; Picard, *L'Océan Atlantique, op. cit.*, p. 455-456,

الذي أشار إلى عجز هذه التقنيات، خصوصا في ميدان الضمان. لكن لم يتطور هذا الأخير في الغـرب إلا بداية من القرن الرابع عشر في وقت كان انكماش التجار المسلمين باديا.

(261) أنظر على الخصوص:

A. L. Udovitch, *Partnership and Profit in Medieval Islam*, Princeton, 1970 ; Id., « Bankers without Banks: Commerce, Banking and Society in the=

كرد فعل بالأساس على الأطروحات التقليدية حول مسؤولية الهلاليين في أزمة المغرب وفي سياق معارضة الأشكال الجديدة للاستعمار الاقتصادي، بحث الكثير في تفسير صعوبات المغرب في نهاية العصر الوسيط بإرادة الأوروبيين إقصاء الفاعلين المغاربة من الازدهار والتجارة المتوسطية. هي الأطروحة التي شرحها خصوصا عبد الله العروي في 1970، حيث أشار خصوصا إلى التقاء الأهداف السياسية بالإمبريالية الاقتصادية(263). تستدعي هذه الأطروحة عدة اعتراضات. في بادئ الأمر، إنّ اصطدام المصالح التجارية والسياسية ليست بادية بتاتا، وتبيّن عدة أمثلة لنا عكس ذلك المصالح المتشعبة(264). من ناحية أخرى، ليس ممكنا بوضوح استخراج سياسة توسع اقتصادي غربي بصفة عامة. مما لا جدال فيه هو أنّ جنوة وبيزة وملوك أراجونة وآخرون كانت لهم سياسات معينة، خصوصا اتجاه

=Islamic World of the Middle Ages », *The Dawn of Modern Banking*, Yale, 1979, p. 255-273.

(262) Cahen, « Quelques mots sur le déclin commercial », art. cité, p. 362.

(263) "إنّ ضعف الدول المغاربية كان ظرفا ملائما، والإمبريالية التجارية كانت وسيلة – خنق الموانئ المغاربية واحتكار للتجارة في البحر المتوسط- لسياسة كانت الحماسة الدينية محركها. A. Laroui, *L'Histoire du Maghreb. Un essai de synthèse*, Paris, 1970, rééd. Casablanca, 1995, p. 219. قبل ذلك بقليل، تحدث عن القرصنة كـ"نموذج حرب موجهة للإجابة على استحالة المغاربة تقريبا امتلاك تجارة منتظمة في البحر المتوسط بداية من القرن الثالث عشر"، في حين أنهم كانوا "غير قادرين على الدفاع على تجارتهم الخالصة". *Ibid.*, p. 217. نجد موضوع تراجع التجار المسلمين المحليين أمام التوسع التجاري الأوروبي في سياق المشرق المسلم (أنظر أعمال أشتور) والبيزنطي. أنظر رفض ميشال بلار في هذه الفكرة:

M. Balard, « Les hommes d'affaires occidentaux ont-ils asphyxié l'économie byzantine ? », *Europa medievale e mondo bizantino. Contatti effettivie possibilità di studi comparati (tavola rotonda del XVIII Congresso del CISH, Montréal, 29 agosto 1995)*, dir. G. Arnaldi et G. Cavallo, Rome 1997, p. 255-265.

(264) D. Valérian, « Le facteur économique dans la politique catalane à Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *L'Expansio catalana a la Mediterrània a la baixa edat mitjana*, dir. M. T. Ferrer i Mallol et D. Coulon, Barcelone, 1999, p. 145-160.

المغرب. لكن البحث في إرادة الغرب المعتبرة ككل متكامل يكون ربما إعطائه وحدة كانت بعيدة عن مناله. بالعكس، بحث التجار المسيحيون على كسب الأسواق وإقصاء منافسيهم الأوروبيين[265]. في أي وثيقة لم يظهر الإيطاليون والكتالانيون أو البروفانسيون توتراً -أيا كان- تسبب فيه التجار المغاربة. أيضا، بحثنا دون جدوى عن إجراءات عنصرية في موانئ أوروبا المتوسطية ضد هؤلاء التجار. بالعكس، كما رأينا، تبيّن عدة وثائق إرادة تسهيل مجيئهم. لا تجب هنا رؤية إشارة لانفتاح خاص اتجاه هؤلاء المغاربة، لكن بالأحرى دليل على عدم تشكيلهم لتهديد جاد للتجار المحليين. يمكننا طبعا الحديث عن لا تسامح نما في سياق الحروب الصليبية وأنّ المناخ لم يكن ملائما لمجيء مسلم إلى الموانئ الأوروبية. لكن في الموانئ الإيبيرية، ليس هناك أثر لردة فعل لعنف ديني ضد التجار المسلمين، بينما الحدود مع الإسلام كانت قريبة وأيدلوجيا الاسترداد أُشربها المجتمع. وأخيرا، إذا ما افترضنا أن هذه الأطروحة صحيحة، فإنها لا تفسّر لماذا عوّض الأوروبيون أيضا جزئيا التجار البجائيين في المدن التجارية المسلمة في المشرق وأيضا في المغرب.

عوضا من استدعاء أحكام عامة جدا وغير مؤسسة في الغالب، من الأفضل إذن البحث عن فهم معادلة: لماذا في السياق الحفصي لم يكن للتجار الديناميكية الضرورية لمنافسة التجار المسيحيين بفعالية ؟

يتعلق المشكل الأول بسياسة الدولة الحفصية. هل استفاد التجار البجائيون من تشجيع أو تأطير من الحكم، كما كان الحال في المدن الكبرى في أوروبا الجنوبية؟ لا نعرف تقريبا شيئا عن سياسة الحفصيين التجارية (والاقتصادية بصفة عامة). لقد ساعدوا دون شك على تطوير التجارة البحرية كما تبيّنه الجهود لعقد

(265) أنظر خصوصا النزاع بين جنوة وبيزا:

D. Valérian, « Gênes et Pise : une concurrence pour le marché bougiote », Colloque « Bougie et sa région à travers les âges », Bougie, 9-12 novembre 1997 (à paraître).

الهدنات مع الدول المسيحية، والتي أدت في الغالب إلى تقليص ظاهرة القرصنة. لكن جهودهم كما نراها في المادة الخبرية اللاتينية تحمل خصوصا على استقبال التجار الأوروبيين. لم تكن هناك على ما يبدو محاولة تهدف إلى تنصيب بنى تأطير لرعاياها في الموانئ الأجنبية. لا نجد مطلقا مؤسسة تهدف إلى تشجيع وتنظيم التجارة البحرية[266]. لا يمكن مقارنة قائد البحر أو صاحب الديوان بقناصل البحر في بيزا أو شخصيات أخرى مماثلة في الموانئ المسيحية. ربما يجب النظر إليها هنا كتعبير عن سياسة تترك التجارة للمبادرة الفردية وتحدد تدخل الدولة. يمكننا أيضا تقديم فرضية عدم استحسان نظام الحكم التصادم مع النخب الدينية بمساعدة تنقل أو استقرار المسلمين في الأرض المسيحية. لكن السبب الرئيسي لغياب مؤازرة التوسع التجاري يرجع بالأحرى إلى تنظيم الحكم. كانت مشاركة النخب الاقتصادية في القرارات في الواقع ضعيفة، حتى وإن وجب الاعتراف بغموض المجالس (الشورى، المشيخة) بالإضافة إلى تشكيلاتها. نعرف فقط في عصر الغبريني هيمنة القاضي على الشورى. أيضا عندما تدخلت هذه النخب في الحياة السياسية، كان في الغالب للحفاظ على مواقعها ومناصبها ضد الرجال القادمين من الخارج، أو للاحتجاج ضد الضرائب، دون إبداء مصالح تجارية واضحة. تبيّن فقط تدخل ممثلي الوسط التجاري كالمساعدة التي قدمها التجار البجائيون لاغتصاب أبي زكرياء السلطة في 684/ 1285. لكن لا نعرف كلية دوافعهم. لا يبدو إذن توفر رجال التجارة على بدائل قوية لدى الحكم لمساعدة أعمالهم التجارية. طبعا كانت ربما للنخب الدينية مصالح في المبادلات البحرية، دون شك أكبر من التي تظهرها النصوص. كانت أيضا حالة الأمراء وأقربائهم.

(266) A. L. Udovitch, « Time, the Sea and Society: Duration of Commercial Voyages on the Southern Shores of the Mediterranean during the High Middle Ages », *La Navigazione mediterranea nell'alto Medioevo*, Spolète, 1978 (*Settimane di studio del centro italiano di studi sull'Alto Medioevo*, XXV), II, p. 520.

إنها جماعات مقيّدة نسبيا وفي حالة الحكم السياسي، ينظر إلى التجارة البحرية كنمط استثماري لرؤوس الأموال ومصدرا للموارد الضريبية.

إنّ المظهر الوحيد المعروف للسياسة الاقتصادية هو السياسة الجمركية، التي لم تكن خاصة ببجاية حيث وجب تطبيق الاتفاقيات التي أمضاها السلطان. منتقدا بشدة آثار التجارة البحرية، ويعتقد عبد الله العروي ببحث الحكم على جذب التجار المسيحيين لهدف ضريبي قبل كل شيء، حيث وجد في الرسوم الجمركية موارد سهلة التحكم، وهذا محتمل[267]. وأضاف أنّ هذه السياسة أدت إلى عداوة التجار المحليين الذين همّشوا حسب رأيه[268]. لكن لا يبدو أنّ هؤلاء المسيحيين قد استفادوا من معاملة جمركية مفضّلة مقارنة بالآخرين. لا نعرف حقا تفاصيل كل هذه الأعباء الضريبية التي وقعت على التجار البجائيين، لكن لا شيء يسمح بالاعتقاد بعنصريتها على وجه الخصوص.

لاحظ كلود كهان في موضوع مصر في عصر المخزومي مساعدة السياسة الجمركية بوضوح للواردات، وليس الصادرات التي يمكنها تحفيز الإنتاج المحلي[269]. وبيّن أن هذا الموقف السلبي هو إشارة "لاقتصاد مضاربة وكسب"[270]. كان هدف الدولة والأرستقراطية – يضيف- هو الحصول على عناصر قوتهما أو رفاهيتهما وليس ترويج إنتاج[271]. حسبه، لم توجد أبدا في الشرق الأوسط فكرة تموين تجارة بفضل فائض الإنتاج لضمان أو زيادة العمل وموارد المنتجين (أو ببساطة لتوازن

(267) Laroui, *op. cit*., p. 195, Cl. Cahen, « Quelques problèmes concernant l'expansion économique musulmane au haut Moyen-Âge », *L'Occidente e l'Islam nell'alto Medio Evo*, Spolète, 1965 (*Settimane di studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medio Evo*, XII), I, p. 424.

(268) Laroui, *op. cit*., p. 195.

(269) Cahen, « Douanes et commerce », art. cité, p. 255, 264-265.

(270) Cahen, « Quelques mots sur le déclin », art. cité, p. 364.

(271) *Ibid*., p. 364.

القيم التجارية بين الواردات والصادرات) [272]. وتبيّن المعاهدات التي وقّعها الحفصيون توجها مشابها، ربما ساعدته موارد ذهب السودان، والتي خلقت حلا سهلا سمح باكتساب ممتلكات دون إجبارية مبادلتهم بمنتجات محلية أخرى.

وراء سياسة الدولة، تطرح أيضا مسألة رأس المال المتوفر للاستثمارات التجارية. حمّلت النخب السياسية مسؤولية الركود، بما أنها ربما دعّمت "تجارة طفيلية" على حساب زيادة الإنتاج[273]. تستند هذه الفكرة على فرضية زراعة غير قادرة على استخراج فائض، وبالتالي لا يأتي الغنى إلا من الأرباح التجارية[274]. لم ينظر للمغرب إذن إلا كمنطقة عبور بين ثروات السودان وأوروبا، منميا بذلك نمطا إنتاجيا مصطنعا"، وإذن هشًّا على وجه الخصوص[275]. لكن يتطلب إعادة النظر في فكرة غياب الاستثمار في النشاط البحري.

كان لرؤوس الأموال عدة مصادر: الإنتاج الزراعي والصناعي، التجارة نفسها، وأخيرا أرباح نشاط القرصنة. ليس بالإمكان تقدير الفائض من الناحية الكمية بسبب طبيعة المادة الخبرية، بيد أنه من الممكن تقدير ديناميكية كل قطاع

---

(272) *Ibid.*, p. 365.

(273) محمد القبلي الذي استلهم من كلود كهان كتب ما يلي: "وجد اقتصاد المغرب عمليا محكوما بنمط إنتاج عقم قائم على فلاحة جوهرية، لكن خصوصا على مركنتية طفيلية، سهلة ومستقلة، مبنية على المضاربة والكسب الكمي، بصفة أخرى على الاستهلاك وجمود الثروات، دون مراعاة كل نمو داخلي للثروات، لأن كتلة المنتجات الموجهة للتصدير "تعبر البلاد ولا تنتمي إليه".

M. Kably, *Société et religion au Maroc à la fin du « Moyen Âge » (XIVe-XVe siècle)*, Paris, 1986, p. 96-97. M. F. Vidiásov, « Le Maghreb médiéval : "mercantilisme parasitaire" ou société productrice ? », *Anaquel de Estudios Arabes* (Madrid), 3, 1992, p. 241-246.

(274) Y. Lacoste, *Ibn Khaldoun. Naissance de l'Histoire, passé du tiers-monde*, Paris, 1966, rééd. 1981, p. 39 :

"في المجتمع المغربي، حيث يبقى مستوى القوى الإنتاجية فقير جدا- لا يؤدي الغنى الذي لا شك فيه أي فائض يقتطع من الجماعات القبلية غير المنتجة كثيرا وحجم الفوائد التجارية، التي أصبحت ممكنة بالموقع الاستثنائي لإفريقيا الشمالية على طرق التجارة الدولية الكبيرة".

(275) *Ibid.*, p. 44.

بالأقل أو بالأكثر. في بادئ الأمر لا شيء يسمح بالاعتقاد خصوصا بنكبة القطاع الزراعي. إنّ وفرة صادرات الصوف والجلود تبيّن بالعكس وعيا ديناميكيا وقادرا على استخراج فائض للتصدير[276]. أيضا إنّ النشاط الصناعي منصوص عليه في بجاية كما في جهتها. لكن يبدو أنها انتظمت حول بنى متواضعة ونادرا ما تمّ تصدير منتجاتها عبر البحر، وهذا ما يوحي بديناميكية محدودة.

يمكن تفسير عدم كفاية الإنتاج بعدة أسباب. السبب الأول الأساسي هو ديموغرافي. إنّ إخلاء الأرياف من السكان كان دون نقاش عامل إبطاء للنمو وحدّد من الفائض القابل للتصدير نحو الميناء. التفسير الثاني هو الثقل الزائد في الاقتطاعات الضريبية التي قامت بها الدولة وأيضا القبائل في المناطق ذات التحكم القليل. يمكن طبعا استثمار الرسوم التي يجبيها الحكم السلطاني في النشاطات التجارية للعاهل أو العامل. لم تكن دون شك حالة الرسوم التي فرضتها القبائل، والتي لا نعرف جيدا حجمها، لكن يبدو أنها أثرت على موارد المنتجين الزراعيين. أشار ماكسيم رودينسون بالنسبة لنهاية العصر الوسيط إلى استقرار زهد يدعو إلى الاعتكاف عن الدنيا (والذي يسميه الاتجاهات السلبية)، حيث توجهت صورة القديس لتعويض صورة التاجر في سلم القيّم. إنّ هذا الموقف ليس بالضرورة إدانة للثراء والعمل[277]، لكنه يمثّل بالنسبة للرأسمالية "ضياع بريقها"[278]. يصعب تقدير أثر هذه الاتجاهات، لكن يظهر جيدا جامع الغبريني أمثلة لزهاد عاشوا نشاطا مهنيا متواضعا، ولا نستطيع نفي مساهمة تحوّل هذه الذهنيات الدينية في عرقلة ازدهار القطاع الصناعي وتحديثه.

---

(276) إنّ امتلاك النخب الحضرية لملكيات زراعية هو غير مرئي في النصوص ومن الصعب التأكيد على تمويل هذا الإنتاج لاستثمارات تجارية.

(277) بالنسبة لسبتة، أنظر: Ferhat, *Sabta*, *op. cit.*, p. 318

(278) Rodinson, « Les conditions religieuses », art. cité, p. 26-29.

في هذا المعنى، كان التطور مغايرا جدا في العالم المسيحي.

يمكن أن يأتي رأس المال أيضا من أرباح التجارة نفسها سواء برية كانت أم بحرية. من المحتمل إثراء هذه المبادلات للعديد من الوسطاء الذين عملوا في الميناء أو نقلوا المنتجات إليه. وأخيرا، استثمرت أرباح القرصنة المرتفعة جدا في نهاية القرن الرابع عشر وبداية القرن الخامس عشر في التجارة عندما أصبحت هذه الأخيرة نشطة بداية من سنوات 1420.

لكن إجمالا، شكّل فقدان حركية المنتجات الزراعية والصناعية كابحا للاستثمار في التجارة البحرية. ليس إذن إلى هذا الحد كانت للتجارة آثار سلبية على الإنتاج والعكس.

وأخيرا، تطرح مسألة اختيار الاستثمارات نفسها. لماذا لم تخصص إلا رؤوس أموال قليلة في إنشاء المراكب وفي التجارة البحرية الكبيرة في حين ثمّن النشاط التجاري في البلدان المسلمة؟ استعمل المال في ميادين أخرى كما أشارت حليمة فرحات بالنسبة لسبتة، والتي بيّنت تحويل استثمارات التجارة نحو العقار بداية من القرن الثالث عشر[279]. ربما اختفى "بريق التاجر" كما ألمح إلى ذلك ماكسيم رودنسون، حتى وإن بقيت التجارة مصدرا مشرفا للإيرادات[280]. يذكر الغبريني بعض حالات الفقهاء الذين مارسوا التجارة، ورأينا مشاركة المقربين من الحكم في العمليات البحرية، وهذا ما يبيّن نشاطا مقدّراً اجتماعيا. إنّ فئة التجار الكبار منصوص عليها في مصر[281]، كما في سبتة حيث شكلوا نخبة المدينة الاجتماعية[282]. يبيّن واقع مشاركة التجار البجائيين في تمويل جيش الأمير أبي

(279) H. Ferhat, « Remarques sur l'histoire des villes et la fragilité du tissu urbain avant le XVe siècle », *Sciences sociales et phénomènes urbains dans le monde arabe*, Casablanca, 1997, p. 101.

(280) الغبريني، ص 177، 218. لكننا لا نعلم حجم تجارتهم، التي يبدو بالأحرى أنها محلية.

(281) E. Ashtor, *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages*, Londres, 1976, notamment p. 320-321.

(282) Ferhat, *Sabta*, *op. cit.*, p. 309.

زكرياء[283] في حوالي 683/ 1384 توفر البعض منهم على الأقل على رؤوس أموال دائمة. لكن حضور التجار –حتى إن كانوا من الصنف الكبير – لا يعني أبدا جذب التجارة لكثير من الأشخاص. تبين المصادر رغم محدوديتها بالعكس وسطا ضئيلاً يقتصر على بعض فئات الفاعلين، الذين لم يشكلوا بالضرورة جماعة منسجمة ومتحدة بالمصالح المشتركة. لا يجب الاستنتاج بالضرورة بوضع الحكم لاحتكار ما [284]، لكن بالأحرى مارست بعض الجماعات – الأفضل تموقعا بعلاقتها مع العالم الإسلامي والمسيحي، وربما أكثر صلابة ماليا- الأهم في هذا النشاط. لم تكن هناك تعبئة واسعة، كالتي كانت في نفس الفترة في الموانئ الأوروبية الكبيرة.

يجب البحث عن السبب الرئيس لتراجع التجار البجائيين أمام شركائهم المسيحيين خصوصا في عجز رؤوس الأموال المستثمرة. يترجم الفائض قليل الأهمية بالضعف الديمغرافي وبتواضع مؤسسات الإنتاج. من جهة أخرى، إذا بقيت التجارة نشاطا مشرفا، فيبدو أنها لم تصبغ المجتمع الحضري إلى درجة تعبئة شاملة لرؤوس الأموال. يجب وضع هذا على علاقة بغياب تأييد وتحفيز الحكم، الذي فضّل تسهيل مجيء التجار اللاتين على تشجيع رعاياه على ركوب البحر والاستثمار في الأسواق الأوربية.

تبقى كل هذه الفرضيات – يجب الإقرار بذلك- هشّة في غياب معرفة جيدة لهذا المجتمع الحضري. من الواضح في جميع الحالات أن بنى التجارة البجائية كانت ضعيفة جدا لمنافسة التجار ومالكي السفن الأوربيين بفعالية، حيث أنّ قوتهم لم تتوقف عن ثباتها. طوّر هؤلاء الأخيرين – الذين دفعتهم على السواء حاجيات اقتصاد في قمة النمو وضرورة إيجاد أسواق جديدة لتصريف الإنتاج-

(283) البربر، 2، ص 399.

(284) على الأقل الاحتكار الرسمي. سجّل ابن خلدون – ليس دون معنى جيد- "إذا كان الملك أغنى منهم (أي الصنائع الأخرى) وينافسهم، فليس بإمكان أحدهم الحصول على ما يرغب فيه، وهذا ما يترتب عليه انزعاج واستياء". المقدمة، الترجمة، ص 575.

تجارة قوية وهجومية والتي انتهت بإبعاد التجار المسلمين حتى إلى المسالك الداخلية في عالم الإسلام.

II- غلبة التجار المسيحيين

كان المسيحيون دون نقاش الفاعلين الأكثر عددا في التجارة البحرية، حيث يعرفون نسبيا من خلال المادة الوثائقية. استفادت أعمالهم التجارية من التطور السريع للتقنيات التجارية والإنشاءات البحرية. من جهة أخرى، ساهم تطور الذهنيات والأرباح الناجمة عن التجارة في تثمين مهنة التاجر. كانت نتيجة هذا التطور المزدوج هي مشاركة أطياف واسعة من مجتمع المدن التجارية بأوروبا الجنوبية في التجارة البحرية.

1) وسائل التوسع التجاري

بداية من القرن الثالث عشر، سمح تطور التقنيات التجارية الفعّالة واللينة في ذات الوقت لأوساط مختلفة من المشاركة في التنشيط التجاري المتوسطي. في نفس الوقت أعطى ازدهار الإنشاءات البحرية وسائل نقل سمحت بربط الأسواق الإفريقية والمتوسطية بصفة عامة. كل هذا معروف ودرسه جيدا مؤرخو التوسع الأوروبي والبحرية[285] والقانون التجاري[286]. إذ طوّر كل ميناء تقاليده الخاصة، ومن الممل عرض التفاصيل، لكن يجب التذكير بسرعة ببعض الخصائص المشتركة.

---

(285) أنظر خصوصا: Pryor, *Geography, op. cit., passim* ، وسلسلة الملتقيات الدولية للتاريخ البحري التي نظّمها مشال مولا (Michel Mollat).

(286) إنّ البيبليوغرافيا حول هذا الموضوع غزيرة، أنظر على الخصوص:

A.-E. Sayous, *Le Commerce des Européens à Tunis depuis le XIIe siècle jusqu'à la fin du XVIe siècle*, Paris, 1929, en particulier p. 32-36.

لنفس المؤلف، عدة مقالات حول تقنيات برشلونة ومرسيليا التجارية في القرن الثالث عشر، والتي أخذت ثانية في:

El mètods comercials a la Barcelona medieval, Barcelone, 1975 et *Commerce et finance au Moyen Âge*, Londres, 1988 ; J. H. Pryor,

أ) تطور التقنيات التجارية

يتعلم التاجر بداية من شبابه تقنيات التجارة. أولا في المدرسة[287]، ولكن خصوصا بمرافقة الأكابر يأخذ التاجر الشاب تلقينه[288]. ليوناردو البيزي (Leonardo Pisano)المعروف بفيبوناتشي (Fibonacci) هو مثال عن هؤلاء الشباب الذين ذهبوا إلى ما وراء البحر لتعلم مهنتهم، والبحث عن التحول في تاريخ المعارف الرياضية المطبّقة في التجارة. في نهاية القرن الثاني عشر، رافق وهو مراهق أباه، حيث كان كاتب البيزيين في بجاية. صاحب هناك أستاذا نقل له قسما من المعرفة الرياضية العربية. بعودته إلى بيزا كتب كتاب الحساب *(Liber Aba ci)* ، الذي أصبح قاعدة المعارف الحسابية التي استعملها التجار خلال كل العصر الوسيط، جاعلا من العمليات المعقدة الضرورية للتجارة البحرية سهلة الإدراك[289].

« Mediterranean Commerce in the Middle Ages : a Voyage under Contract of Commanda », *Viator*, 14, 1983, p. 133-194 ; Id., « The Origin of the Commenda Contract », *Speculum*, 52, 1977, p. 5-37 ; sur les contrats génois voir M. Balard, *La Romanie génoise (XIIe-début du XVe siècle)*, Rome-Gênes, 1978, p. 599-641 ; R. Doehaerd, *Les Relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outre-Mont, d'après les archivesnotariales génoises aux XIIIe et XIVe siècles*, Bruxelles-Rome, 1941, notamment p. 106-141.

حول بلاد لاكورونيا أراجونة في القرنين الرابع عشر والخامس عشر، أنظر أساسا:

López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 401-431 ; sur Venise G. Luzzatto, « La commenda nella vita economica dei secoli XIII e XIV con particolare riguardo a Venezia », *Convegno internazionale di studi storici del diritto marittimo medioevale di Amalfi, ottobre 1934*, I, Naples, 1934, rééd. *Studi di Storia economica veneziana*, Padoue, 1954, p. 59-79.

(287) بداية من القرن الثالث عشر، نظّمت المدن التجارية مدارس لأبناء البرجوازية. بعد تعلمهم القراءة والكتابة بشكل صحيح، يمر الطفل إلى الحساب، في حوالي 11 سنة، ويخصّص له من اثنين إلى ثلاث سنوات حسب قدراته واحتجاجاته.

A. Sapori, *Mercatores*, Milan, 1941, p. 151-157.

(288) A. Sapori, « La cultura del mercante medievale italiano », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 65-66.

(289) Leonardo Pisano, *Liber abbaci*, éd. B. Boncompagni, Rome, 1857, p. 1 ; trad. angl. L. Sigler, *Fibonacci's Liber Abaci*, New York, 2002, p. 15=.

موازاة مع تطوير تقنيات المحاسبة، عرف القانون التجاري تقدما هاما، سمحت بتمويل التجارة البحرية الكبيرة. كان العقد الأكثر استعمالا وبساطة هو الطلبية، التي نجدها في موانئ أوروبا الجنوبية الرئيسية. يعطي صاحب رأس المال مبلغا ماليا أو سلعا لحملها وجعلها مثمرة في مكان آخر. يجب على الطالب بيع السلع واستثمار الأموال المتحصل عليها من جديد سواء في مشتريات محددة في العقد أم في الغالب بحسب الأفضلية الممكنة في السوق. بعد عودته، يسلم رأس المال إلى صاحب الطلبية في حين يتم اقتسام فائدة العملية بين الاثنين، حيث يحتفظ التاجر في الغالب بالربع(290). سمح هذا النوع من العقد لكل شخص حتى من دون رأس مال أولي من المشاركة في التجارة، وإذا كان بارعا ومحظوظا، يربح بسرعة. هو إذن يتلاءم خصوصا مع المتعاملين الصغار، الذين لا يأتون هنا إلا بعملهم. فيما يخص الشركات البحرية، فقد أشركت عدة مستثمرين. إنّ التاجر الذي يقوم بالرحلة يشارك عموما بثلث رأس المال ويتلقى نصف الفائدة. يجب عليه إذن التوفر على موارد للاستثمار، ولا يلائم هذا النوع من العقد الجميع. من الواضح أن التاجر يحمل هو نفسه سلعه أو رأس ماله. في هذه الحالة، لم يكن من الضروري تحرير عقد وهذه العمليات لم تترك أثرا في المادة الوثائقية. أكثر تعقيدا من ذلك، عمليات الصرف التي كانت ضرورية للتوفر على العملات السارية في الأماكن الأجنبية، كما بإمكانها أيضا أن تكون أنماطا استثمارية أو قروضا بفوائد متنكرة.

=Sapori, « La cultura », art. cité, p. 60-65, 72-78 ; sur Fibonacci et son influence voir les actes du colloque *Leonardo Fibonacci. Il tempo, le opere, l'eredità scientifica*, dir. M. Morelli et M. Tangheroni, Pise, 1994, en particulier Dj. Aïssani et al., « Les mathématiques à Bougie médiéval et Fibonacci », p. 67-82 ; T. Antoni, « Leonardo Pisano detto il Fibonacci e lo sviluppo della contabilità mercantile nel Duecento », p. 45-50.

(290) يحتفظ استثنائيا التاجر بربع الربح. أحيانا، يمكننا إيجاد أيضا عقود لا تنص على أجر حاملها. لكن يمكن إخفاء الفائدة.

تطورت بداية من القرن الرابع عشر أنظمة ائتمان سمحت بتحديد مخاطر الملاحة في المسيرات الأكثر عرضة لها، وبناء على ذلك شجعت الاستثمارات[291]. في جنوة بداية من 1340، قدم العقد على شكل قرض افتراضي لمبلغ يتعهد المؤتمن بتعويضه، إلا إذا وصلت السلعة أو المركب إلى وجهتها. بعد 1362، كانت الصيغة بالأحرى صيغة البيع، دائما افتراضية، حيث يتم التسديد في حالة الضرر[292]. إنّ معدلات الضمان كانت ضعيفة كثيرا، ولم تؤثر إذن بإفراط في تكاليف النقل. بجنوة في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، كانت من 5 إلى 10 في المائة[293]، وفي برشلونة في سنوات 1450-1460، تنوعت المعدلات بين 8 و16 في المائة لرحلة ذهاب وإياب نحو الجزائر أو بجاية[294].

وأخيرا مع تطور المؤسسات الأوروبية في الموانئ المسلمة، كان لبعض الشركات ممثلون دائمون في عين المكان. استقبل هؤلاء الأخيرين السلع، وباعوا واشتروا في السوق المحلي. إنّ هذه المؤسسات الكبيرة المنتشرة غالبا في الأماكن

---

(291) حول المظاهر القانونية لهذا النوع من العقد:

E. Bensa, *Il Contratto di assicurazione nel medio evo*, Gênes, 1884. Voir également M. Balard, « Assurances et commerce maritime à Gênes dans la seconde moitié du XIVe siècle », *Les Transports au Moyen Âge. Actes du VIIe Congrès des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest*, 85/2, 1978, p. 273-282 ; J. Heers, « Le prix de l'assurance maritime à la fin du Moyen Âge », *Revue d'histoire économique et sociale*, 37, 1959, p. 7-19, rééd. *Société et économie à Gênes (XIVe-XVe siècle)*, Londres, 1979. Sur les assurances à Barcelone, voir principalement M. del Treppo, *I Mercanti catalani e l'espansione della Corona d'Aragona nel secolo XV*, Naples, 1972, p. 423-440, et Id. « Assicurazioni e commercio internazionale a Barcellona nel 1420-1429 », *RSI*, 69, 1957, p. 508-541 ; 70, 1958, p. 44-81.

(292) Balard, « Assurances », art. cité, p. 274-275.

(293) *Ibid.*, p. 279.

(294) AHPB, Pere Bastat, *Liber securitatum*, 9/8/1454 - 24/1/1461, f. 55v-56r (1/7/1455) ; AHPB, A. Vilanova, *Liber securitatum*, min. 6 (165/95), non folioté (18/12/1466).

التجارية الكبرى لا يبدو أنها صانت ممثلين دائمين في بجاية. وتطورت بداية من نهاية القرن الثالث عشر وخصوصا في القرن الرابع عشر، في وقت كان من الأفضل أن يكون لها عون في تونس له سلطة على كامل الفضاء الحفصي. كان لبعض التجار المهمين مراسل مستقر في بجاية، يكون أحيانا عضوا من العائلة، أو شريكا أو موظفا.

تطورت وتحسنت إذن تقنيات التجارة – البسيطة والفعّالة على حد سواء– تدريجيا، حيث درت أرباحا سريعة وهامة للأعوان المقاولين، حتى وإن كانوا متواضعين، الذين قبلوا السفر أو المجازفة بأموالهم في الأسواق البعيدة. كان لرؤوس الأموال المستثمرة عدة أصول[295]. موّن فائض الفلاحة والصناعة التقليدية التجارة البحرية، لكن كانت التجارة نفسها خصوصا هي التي موّنت رؤوس الأموال الأكبر عددا، بأرباحها الكبيرة التي جلبتها[296]. استفادت طبقات

---

(295) نوقشت مسألة الموزع المشعل والأصل الأول لرؤوس أموال الثورة التجارية. قدمنا أثر النمو الديمغرافي وازدهار الانفتاح في الأرياف، حيث تطلّب البحث عن مخارج تجارية بعيدة. إنّ الأرباح التي أنجبتها أوائل أعمال القرصنة ضد السواحل المسلمة في القرن الحادي عشر أعيد استثمارها في العمليات التجارية. وأخيرا، جعلت النشاطات الحضرية والحرفية ضروريا وممكنا البحث عن أسواق لترويج المنتجات، لكن أيضا لاستيراد المواد الأولية. أنظر:

R. S. Lopez, *La Révolution commerciale dans l'Europe médiévale*, Paris, 1974, en particulier p. 98-100 ; Id., « Aux origines du capitalisme génois », *Annales d'Histoire Économique et Sociale*, 9, 1937, p. 429-454.

لكن مسألة الأصول هذه بالنسبة لنا هي قليلة الأهمية. هناك خصوصا التقاء عدة عوامل موجّهة نحو النمو بداية من القرن الحادي عشر وتصرفت الظواهر بطريقة متبادلة الواحدة مع الأخرى. أنظر:

M. Tangheroni, *Commercio e navigazione nel Medioevo*, Bari, 1996, p. 127-130.

(296) في منتصف القرن الثاني عشر، ضاعف بثلاث مرات أنجو دلا فولتا (Ingo della Volta) – من عائلة نبيلة ومالك كبير لعقارات– رأس ماله في سنتين، بثلاثة عقود متوالية من طلبية وشراكة. وربح شريكه أنسالدو بيالاردو (Ansaldo Baialardo) – الذي سافر دون رأس مال انطلاقًا– في نفس الوقت حوالي 150 ليفر، وهو مبلغ كبير في هذه الفترة.

Lopez, « Aux origines du capitalisme génois », art. cité, p. 449.

واسعة من المجتمع من هذا النشاط، بقدر تطور الذهنيات سريعا. إنّ الإدانات التي صاغتها الكنيسة ضد الربا جرى استدارتها بسهولة[297]. ونلاحظ خصوصا تثمين النشاط التجاري[298]، حيث أصبح التاجر شخصًا في نظر المجتمع ينتمي إلى نخب المدينة السياسية. يعرّف الإخباري الجنوي كفارو (Ca faro) المواطن الجيد بتاجر يذهب عبر البحر، يستثمر ويثري رأس ماله، ويعتبر التجارة نشاطا لامعا. أيضا، يبيّن كتاب أخبار مدينة ينوسيس (*Chroniqua Civitatis Ianuensis*) للأسقف الدومنيكاني جاك دو فوراجين (Jacques de Varaigne) ورود نجاح المدينة من النشاط التجاري[299].

ب) ازدهار أساطيل التجارة

كان إنشاء واستغلال المراكب المحرك الآخر للتوسع التجاري الأوروبي في البحر المتوسط. إنّ دور الصناعة البحرية الحاضرة في كل الموانئ الكبرى هو تزويد

---

(297) J. Le Goff, *La Bourse et la vie*, Paris, 1986 ; A. Sapori, *Le Marchand italien au Moyen Âge*, Paris, 1952, trad. it. *Il Mercante italiano nel Medioevo*, Milan, 1981, p. 25-26 ; Id., « Economia e morale alla fine del Trecento. Francesco di Marco Datini e ser Lapo Mazzei », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 155-179 ; A. Spicciani, « La produttività del capitale monetario e la questione dell'interesse nella dottrina teologico-canonistica dei secoli XIII e XIV », *Fonte Avellana nella società dei secoli XIII e XIV, Atti del terzo convegno del Centro di Studi avellaniti*, Fonte Avellana, 1979, p. 325-362, rééd. *Capitale e interesse tra mercatura e povertà nei teologi e canonisti dei secoli XIII-XV*, Rome, 1990, p. 17-48.

(298) R. S. Lopez, *Storia delle colonie genovesi nel Mediterraneo*, Bologne, 1938, rééd. Gênes, 1996, p. 27 ; J. Favier, *De l'or et des épices. Naissance de l'homme d'affaires au Moyen Âge*, Paris, 1987, p. 407-417.

(299) G. Airaldi, « Aspetti dell'espansione mediterranea genovese », *L'Italia ed i paesi mediterranei. Vie di comunicazione, scambi commerciali et culturali al tempo delle repubbliche marittime*, Pise, 1988, p. 38-39 ; R. S. Lopez, « Le marchand génois. Un portrait collectif », *Annales ESC*, 13/3, 1958, rééd. *Su e giù per la storia di Genova*, Gênes, 1975, p. 22-25.

التجارة بوسيلة نقل سريعة وبسعر معقول وأكثر فأكثر متأقلما مع الحاجيات[300]. كان التمويل المالي في الغالب مقاسمة بين عدة مستثمرين[301]، ورغم مخاطر الملاحة، كانت الأرباح هامة وسريعة. في القرن الثاني عشر بجنوة، تنوعت أسعار المراكب بين 36 ليفر بالنسبة للشيني (une saète) ، و95 ليفر لبكيوس *(bucius)*، وعدة مئات ليفر للناف(nave) [302]. ازدادت الأسعار بسرعة حسب قدرة استيعاب المراكب، وفي منتصف القرن الثالث عشر، تجاوزت 2000 ليفر مع تجهيزاتها[303]. إنّ دراسة أنواع المراكب التي ترددت على ميناء بجاية معقدة بالنظر إلى الريب الذي ظلّت عليه مفردات اللغة، حيث تطورت وتنوعت من ميناء إلى آخر[304]. لكن إجمالا، نلاحظ أن المراكب التي استعملت في التجارة البجائية كانت بأحجام متوسطة، وشراعية في الغالب.

---

(300) أنظر على سبيل المثال بالنسبة لجنوة:

Lopez, *Storia delle colonie*, *op. cit*., p. 40-41 ; Balard, *La Romanie*, *op. cit*., p. 539-543.

(301) R. Di Tucci, *Studi sull'economia genovese del secolo XII. La nave e i contratti marittimi*, Turin, 1933, p. 43 ; Lopez, *Storia delle colonie*, *op. cit*., p. 42-43 ; Byrne, *Genoese Shipping*, *op. cit.*, p. 13.

(302) E. Bach, « Études génoises ; le minutier de Lanfranco », *Studi in onore di Armando Sapori*, I, Milan, 1957, p. 388 ; H. C. Krueger, « Navi e proprietà navale a Genova (seconda metà del sec. XII) », *ASLSP*, n.s., 25, fasc. 1, 1985, p. 159-160.

(303) Byrne, *Genoese Shipping*, *op. cit.*, p. 22.

(304) Heers, « Types de navires », art. cité, p. 108.

جدول 23: أنواع مراكب التجارة (1150-1500) [305]

1200-1150

	جنوة	أخرى
Nave	18	بيزا (1)، البندقية (2)، برشلونة (1)، سافون (2)
Bucius	1	

1250-1201

	جنوة	مرسيليا	برشلونة	ميورقة	أخرى
Nave	26	19	2		بيزا (2)، سافون (4)
Bucius	5	2			
Linh	1		1	3	سافون (1)، بيزا (1)
Taride	1				

(305) عندما يكون أصل المركب أو صاحبه غير مشار إليه، افترضنا أنه من الميناء الذي حررت فيه الوثيقة. لم تؤخذ هنا بعين الاعتبار مراكب الخطوط البندقية والفلورنسية.

1300-1251

	جنوة	مرسيليا	برشلونة	ميورقة	أخرى
Nave	26	1	3	5	بيزا (2)، صقلية (2)، سافون (1)، البندقية (1)،غير معلومة (1)
Bucius	8	3			بيزا (1)، صقلية (1)، سالرن (1)، مجهولة (4)
Linh	4		2	2	بلنسية (1)
Taride	3	1	1		بيزا (1)
Vassello					3[306]
Barca	1				
Galère					سافون (1)

1350-1301

	جنوة	مرسيليا	برشلونة	ميورقة	بلنسية	أخرى
Linh		4	3	28	2	1
Nave	6		4	16	1	1
Coca	4		2	12		بيزا (1)
Galère	5	5		1		
Barca				4	1	
Taride	1			2		
Caraque		1				

(306) مراكب ذات أصل مجهول، جاءت لنقل الحبوب من صقلية أو من كامبانيا (Campanie).

1400-1351

أخرى	برشلونة	ميورقة	جنوة	
بلنسية (2)، قشتالة (1)	1	48		*Coca*
منورقة (1)، كليوري (1)	2	38		Linh
أجد (1)، منورقة (1)، إبيزا (1)	1	27		*Barca*
قشتالة (4)، كليوري (2)	2	16	1	Nave
منورقة (2)		8		Panfile
		1		Galiote
	1			Galère

1450-1401

أخرى	بلنسية	برشلونة	ميورقة	جنوة	
كليوري (1)، قشتالة (9)، مرسيليا (1)، جيرون (1)، البرتغال (1)	4	1	67	7	Nave
طرطوشة (1)، إبيزا (1)	2	2	13		Linh
كليوري (2)			11	1	*Coca*
			9		*Barca*
	2		4		Galère
			5		*Balaner*
	2		2		Galiote
			1		Caravelle
			1		Brigantin

1500-1451

	جنوة	ميورقة	برشلونة	بلنسية	أخرى
Nave		20	1	3	ابيزا (1)، سرقسطة (1)، البندقية (1)، مرسيليا (1)، بسكاي (3)
Balaner	1	16	2	1	سان فيليو دو جكسول (San Feliu de Guixol) (1)
Caravelle		5		5	
Galère		3			جالي دو فرونس Galée de France (1)
Barca		2	1		
Fuste		1			
Laut		1			

الأجفان أو الشواني أو المراكب الكبيرة[307] (naves) هي السفن التي ترددت أكثر على ميناء بجاية. تشير نفس الكلمة إلى عدة أنواع مختلفة حسب الفترات.

في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، كانت سفينة دائرية طولها من 23 إلى 37م، بصارية أو بصاريتين في الغالب وشراع لاتينية[308]، حيث كانت فائدتها

---

(307) لم يكن هذا خاصا ببجاية. كانت الناف هي السفن الأكثر عددا التي غادرت ميناء جنوة في القرن الثاني عشر وسيادتها بقيت دائما دالة في القرن الموالي.

Krueger, *Navi*, *op. cit.*, p. 24-26, 155-156 ; Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 553 ; pour Venise voir J.-Cl. Hocquet, *Voiliers et commerce en Méditerranée, 1200-1650*, Lille, 1979, p. 100-102.

(308) H. C. Krueger, « The Routine of Commerce between Genoa and Northwest Africa during the Late Twelfth Century », *The Mariner's Mirror*, 19/4, 1933, p. 431 ; Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 553-554.

الرئيسية في قدرتها الاستيعابية الكبيرة. في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، يعطي كرودجر (Krueger) حمولة تصل حتى 1500 قنطارًا بالنسبة للناف الجنوية، بمعنى حوالي 100 طن متري[309]. ازدادت قدرتها بعد ذلك لتصل إلى 1000 طن[310]، وهذا ما تطلّب وجود طاقم هام أحيانا بأكثر من 100 رجل[311]. لكن الوحدات المستعملة في التجارة البجائية كانت في الغالب ذات حجم متواضع. ففي 1180، أجّر بالدو دو أفريكا (Baldo de Africa) وكلاريو (Clario) وشركاؤهما نافًا لأربعة تجار جنويين إلى بجاية. خدم المركب اثنا عشر بحارا، إضافة إلى اثنين من مالكيها، وكان مجموع شحن العودة المنصوص عليه في العقد 481 قنطار[312]. لا نعرف ما اذا كان هؤلاء التجار هم فقط من استأجروا السفينة، لكن حجم الطاقم يبيّن أنّ المركب كان متوسطا. يمكن إجراء معاينة مماثلة بالنسبة لناف جياكومو كابرا (Giacomo Capra) وأنسلمو بربارية (Anselmo Barbaria) ، الذي أجّر في 1201 إلى بجاية. تشكّل طاقمه من ثمانية وعشرين بحارا، وقدرة الاستيعاب المخصصة للتجار كانت ألف قنطار[313]. في القرن الثالث عشر، كانت الحمولة أكثر ارتفاعا "غلاء". ففي 1253، أجّر ججليولمو دانييلي دو نولي (Guglielmo Danielle de Noli) نافه سان بيترو (San Pietro) -التي خرجت من دار الصناعة البحرية بسامبيردارينا (Sampierdarena) - في رحلة إلى بجاية. وصف عقد الكراء المركب بدقة: له عدة ظهور ومقصورة وصواريان ، وثمانية قطع جديدة للاستشعار[314]، وثمانية عشر مرساة، وخمسة وعشرون حبلاً

(309) Krueger, *Navi*, *op. cit.*, p. 168.

(310) Hocquet, *Voiliers*, *op. cit.*, p. 100.

(311) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 553-554.

(312) ASG, not. ign., *busta* 1, doc. 1, n° 10 (14/3/1180).

(313) Giovanni di Guiberto, n° 348 (3/8/1201).

(314) يتعلق الأمر بالعمود الذي يحمل الشراع اللاتيني.
Nouveau glossaire nautique d'Augustin Jal, I, Paris-La Haye, 1970, p. 30.

(*augmentais*) التي منها اثني عشر حبلا جديدا، واثني عشر حبلا لربط السفن (*grouillis*)، وأربعة *mollis gropialum novorum* ، وخمسة أشرعة قطنية جديدة، وأشياء أخرى للاستعمال. جهّزت أيضا بقاربين واحد بارسكالمو (*pariscalmo*) [315]، وآخر بمجاديف. كان للمركب خمسون بحارا لخدمته، منهم ثمانية قوّاسين (*balustrai*)، ومرشدين (*nauclerii*) وقبطان. وصل مجموع الحمولة إلى 3000 قنطار، موّزعة بين التجار[316]. في نفس السنة، ذهب ناف آخر، وهو الستيلا (Stella) ، بـ 5000 قنطارا مع خمسين بحارا منهم ستة قوّاسين، باتجاه مالقة وسبته وبجاية[317]. وفي 1274، أجّر ناف بونافنتيرا (Buonaventura) – بطاقة استيعاب 2500 قنطار- في بيزا من أجل رحلة إلى بجاية ووصف العقد بدقة السفينة التي وعد بها التجار. يجب أن تكون في حالة جيدة (*bene conciam*)، ومغلقة الحزوز جيدا، وبها صواريان سليمان وصلبان، وعريشان، وثمانية كشافات، وسبعة عشر حبلا منها اثنان جديدان، وخمسة عشر مرساة، وقارب بريسكالمو (*pariscalmo*) وقارب قندولا (*gondola*). خدم السفينة ستة وثلاثون رجلا مسلحين بكفاية، منهم الربان، والكاتب وأيضا ستة خدام "عمال" (*familias sive fanti bus*)[318]. وأخيرا في نهاية القرن، تبيّن وثيقة مرسيلية ناف سانتا ماريا

---

(315) Du Cange (*Glossarium mediae et infimae latinitatis*, Niort, 1883-1887, rééd. anast. Graz, 1954, V, p. 29)

يشير ديك انج فقط إلى كونه نوعا من المراكب. يتعلق الأمر هنا بوضوح بقارب موجه للتنقل بين السفينة والساحل. توضّح الوثيقة أنّ لهذا القارب (*barca*) طاقمه والمجاديف. يقول بجولوتي أنها واحدة من الأسماء التي استعملت للدلالة على البكول. « piccole barche e piccole vaselle che conducono le mercatantie da uno paese a un altro ». Pegolotti, p. 17 لكن يتحدث نفسه بالنسبة لنابولي على استعمالهما لنقل السلع إلى المراكب. *Ibid.*, p. 187.

(316) ASG, min. 29, f. 149v (8/7/1253), éd. Byrne, *Genoese Shipping*, *op. cit.*, p. 112-113.

(317) ASG, min. 29, f. 164r (20/7/1253), éd. *Ibid.*, p. 120-124, et analyse détaillée du document p. 45-46.

(318) درس هذه الوثيقة كل من:=

(Santa Maria) الميورقية بظهرين مع ستة وعشرين بحارا وستة عمال (*serviciales*)، والتي أجّرت باتجاه بجاية ب 1500 قنطار[319]. تبيّن هذه الأمثلة أنّ الناف كانت لها طبعا طاقة كبيرة، لكن لم تكن لها قياسات هامة مثل التي نجدها على سبيل المثال في تجارة جنوه الشرقية[320].

حدث تغيير أساسي بين نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر مع اتخاذ الشراع المربعة مكان الشراع اللاتينية لهذه العمارات الكبيرة، ثم دمج لهذين النوعين من الشراع[321]. في بداية القرن الرابع عشر، تطور في البحر المتوسط عنصر آخر من هذه "الثورة الملاحية"، دفّة قيادة السفينة المثبّتة في وضعية محورية عوضا عن حجر الدفةّ الجانبي[322]. في جنوه، يرمز ظهور هيكل السفينة (*coca*[323]) بشكله المربع، عوضا عن محور الدولاب اللاتيني لهذا التغيير بداية من سنوات 1290[324]. وشكّلت أفضلية للمناورة بطاقم منخفض أكثر، وحفاظا على قدرات استيعاب هامة. وسمحت إذن بأرباح محسوسة من الإنتاجية، وانخفاض في تكاليف النقل، وهذا ما يفسّر تفضيلها في الحمولات المزاحمة والثقيلة.

=L. de Mas-Latrie, « Charte de nolisement de l'an 1264 pour un voyage de Pise à Bougie », *BEC*, 2e série, 4, 1847-1848, p. 244-256, repris dans Id., *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge*, Paris, 1866, p. 38-43. Il a été réédité, avec la date de 1274, par G. Caetani, *Varia. Raccolta delle carte più antiche dell'Archivio Caetani e Regesto delle pergamene del fondo pisano*, Cité du Vatican, 1936, p. 12-14.

(319) AM, 2II 62, 6/10/1297.

(320) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 562-563.

تصل قدرات استيعاب النافات الجنوية حتى 8000 قنطار. Byrne, *Genoese Shipping*, *op. cit.*, p. 5.

(321) Tangheroni, *Commercio e navigazione*, *op. cit.*, p. 189.

(322) *Ibid.*, p. 190-191 ; Pryor, *Geography*, *op. cit.*, p. 39.

(323) تسمى أيضا *navis-coca* ، كانت الكلمتان مترادفتين في النصف الثاني من القرن الرابع عشر. Balard, « Assurances », art. cité, p. 277.

(324) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 555-557.

ففي 1339، حمل مركب *(coca bayonesca)* لرئيس جنوي 130 موید من ملح إبيزا (Ibiza) إلى بجاية[325]. وفي 1348، أجّر كوم دو أنفوسيس (Côme de Anfusiis) مركبه القديسة ماريا دو سبلكرو (Santa Maria de Sépulcraux) لنقل ملح إيراس (Hyères) إلى بجاية، وتوضّح الوثيقة أنّ له غطاءان وحجرة محورية، ويخدمه خمسة وأربعون بحارا بما في ذلك الربان وصاحب المركب[326]. كما بالنسبة للناف في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، لم تصل المراكب إلا استثناءً الأحجام الكبيرة. كان البعض منها أيضا متوسطا جدا، على غرار سفينة ميورقية أجّرت في 1358، مع طاقم من خمسة رجال، لحمل الملح من إبيزا إلى بجاية[327]، أو في نفس السنة، سفينة جيلام سابي (Guillerm Sadet) ، التي خدمها ثمانية بحّارة، لربط إبيزا بالقل وبجاية أو دلس[328]. لكن في الغالب، استمّر في استعمال مصطلح ناف (nef) للدلالة على هذه المراكب ذات الشراع المربعة أو المختلطة[329]. كانت الناف الكتالانية والميورقية – كثيرة العدد دائما من هذا النوع إلى غاية نهاية القرن الخامس عشر، حيث أدمجت تحولات بداية القرن الرابع عشر[330]. نجدها غالبا على طريق بجاية. ففي 1405، أجّر أرنو فونت (Arnaud Font) نافه القديسة ماريا (Santa Maria) بطاقم من ستة عشر

---

(325) ARM, AH 1, f. 279v (1339), cité par J.-Cl. Hocquet, « Ibiza, carrefour du commerce maritime et témoin d'une conjoncture méditerranéenne (1250-1650) », *Studi in memoria di Federigo Melis*, I, Naples, 1978, p. 498.
يساوي الموید (*mondin*) إذن 1670 كلغ. *Ibid.*, p. 497.

(326) ASG, min. 233, f. 219v-220r (13/6/1348).

(327) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos* 14584, f. 127v (6/7/1358), cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 477.

(328) Id., f. 62r (9/4/1358), cité *ibid.*, p. 451.

(329) هي أيضا حالة جنوة في القرن الخامس عشر. Heers, « Types de navires », art. cité, p. 111

(330) حول النافات الكتالانية والميورقية، أنظر خصوصا:

Del Treppo, *I Mercanti catalani*, *op. cit.*, p. 447-450 ; Carrère, *Barcelone*, *op. cit.*, p. 280-282 ; López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 269-298.

شخصا للمناورة وعشرة بحّارة وستة خدام"عمال"[331]. وفي 1450، أجّر ناف بطاقم من أربعين رجلا باتجاه بجاية[332]. وأخيرا في 1460، غادر ناف برينجر إسارن السرقسطي (Bérenger Iseran de Saragosse) ميورقة إلى برشلونة وإبيزا بأربعين بحارا وخادما، حيث حمل الملح إلى ميورقة وبجاية والجزائر[333].

إلى جانب هذه الناف والكوك، ضمنت عدة سفن بحجم أقل الروابط مع بجاية. لمركب البكيوس (*bucius*) -الذي نلاقيه في عدة عقود في القرنين الثاني عشر والثالث عشر[334]- معنيين مختلفين: معنى "نوع من المراكب غير معروف جيدا من عائلة السفن الشراعية" أو مقترن بكلمة *navis*، بمعنى "نوع من سفن الشحن"[335]. في وثائقنا، يستعمل أحيانا وحيدا أو تحت صيغة *bucius navis* ou *bucius de ascherio* (ou *ascharis*). ربما كان البعض منها، غير معروف، مراكب بمجاديف من نوع السفن الشراعية، لكن من المحتمل أنها كانت مراكب قريبة من الناف. في وثيقتين لعام 1264، هي مسألة مركب القديس جيوفاني (San Giovanni) الذي غادر إلى بجاية، حيث اعتبر تناوبا *bucius navis* و[336]*ligno vel nave*. كانت أحجامها دائما متواضعة[337]، مثل ما في

(331) ARM, A. Costanti, 1403-5, f. 144r (4/9/1405), cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 458.

(332) ARM, P. 2507, f. 21 (29/1/1450), cité par Vaquer, « Navegació i comerç », art. cité, p. 96.

(333) ARM, P. 2521, f. 187-188v ; P. 2516, f. 13v (21/1/1462), cité *ibid.*, p. 104.

(334) آخر إشارة بتاريخ 1276، مع عدة مراكب حاملة لحبوب صقلية إلى بجاية.
Archivio di Stato di Napoli, *Registri Angioini*, vol. XXII, f. 172r-173v (10/6/1276), éd. N. Nicolini, *Codice diplomatico sui rapporti veneto-napoletani durante il regno di Carlo I d'Angiò*, Rome, 1965, n° 153 ; pour Gênes on en rencontre jusqu'en 1268. ASG, min. 55/I, f. 179v (15/2/1268).

(335) *Nouveau glossaire nautique*, *op. cit*., p. 164.

(336) ASG, min. 61, f. 18r (5/3/1264).

العقد الأول نشره أ. فيريتو:=

1257 مع بكيوس نافيس *bucius navis* بصاريتين، وحجرتين واثني وثلاثين بحارا[338]، وهذا ما يجعل منه مركبا غير مختلف كثيرا عن الناف التي رأيناها سابقا. أيضا في 1262، خدم مركب *bucius de ascharis*[339] القديس جيوفاني (San Giovanni) ثلاثة عشر بحارا، وثلاثة خدام "عمال"وربان واحد (*nauclerius*)، حيث نصّ على حمولة من 500 إلى 1000 بوندي بالبندي البجائي [340]. وفي 1253، أعطى مركب القديس فرانشيسكو *bucius de ascharis* San Francesco في طلبية بقيمة إجمالية قدرت بـ 648 ليفر و11 سو[341]. دوّن كرودجر (Krueger)، بالنسبة للنصف الأول من القرن الثاني عشر، عدم العثور على هذا المركب إلا في الرحلات المحدودة (صقلية، إسبانيا، بجاية)، وعدم العثور عليه أبدا بالنسبة للمشرق[342]. لكن نجده أحيانا في القرن الثالث عشر على طرق رومانيا[343].

=A. Ferretto, *Documenti intorno alle relazioni fra Alba e Genova (1141-1270), Biblioteca della Società storica subalpina* (Pignerol), 22, 1906, n° 304.

(337) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 561-562.

(338) ASG, not. ign., *busta* 3, fr. 35, f. 28v (9/2/1257).

(339) لا توجد هذه الكلمة في قاموس مصطلحات جال (*Glossaire* de Jal)، ولم أجد بما تعلق الأمر.

(340) ASG, min. 71, f. 129r (25/11/1262).

(341) ASG, min. 29, f. 54r, 61r (25/4/1253).

(342) Krueger, *Navi*, *op. cit.*, p. 27.

(343) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 561. اختفى بعد 1275

نجد اللوح (Le Linh, *lignum*) في بجاية بداية من القرن الثالث عشر قادما من سافون[344]، وبرشلونة[345]، وجنوة[346]، وبيزا[347]، وميورقة[348]، بلنسية[349] كان واحدا من المراكب التي ترددت بكثرة انطلاقا من ميورقة خصوصا في القرن الرابع عشر وإلى غاية حوالي 1410. يدل هذا الاسم دون شك على سفن مختلفة الأحجام، أقل من الناف والكوك. كان البعض منها متواضعا جدا، مثل سفينة بربينيوس فورستر (Perpinianus Forster)، التي عدد خدمها طاقم من خمسة بحارة منهم الربان توماس كتالا (Thomas Catala)[350]. كان

---

(344) D. Puncuh, éd., *Il Cartulario del notaio Martino, Savona, 1203-1206*, Gênes, 1974, n° 362 (18/11/1203).

نقل لوح سافون الذي خدمه تسعة رجال، الملح إلى بجاية.

(345) Archivo de la Catedral de Barcelona, Diversorum C(d), *capsa* 8, n° 132 (11/9/1213), éd. A. Garcia i Sanz, M. T. Ferrer i Mallol, *Assegurances i canvis maritims medieval a Barcelona*, Barcelone, 1983, n° 5, p. 308-309 ; Archivo de la Catedral de Barcelona, Diversorum, *caja* 24, n° 3338 (15/4/1254), éd. Sayous, *El mètods comercials*, *op. cit.*, n° 16, p. 155-156.

(346) AG, III, p. 151 (1244) ; ASG, min. 61, f. 245v (28/1/1261) ; ASG, min. 70, f. 6r (18/7/1271).

(347) AG, III, p. 162 (1245).

(348) ARM, P., *Contratos civitatis et Partis foranae*, 343, f. 160 (12/4/1247), éd. Santamaría Arández, *Ejecutoria*, *op. cit.*, n° 35, p. 619-620. Plusieurs départs de linhs de Majorque en 1284 : par exemple ARM, RP 1105, f. 2r-v (25/1/1284), éd. Riera Melis, « La llicencia per a barques », art. cité, p. 121-140.

(349) P. Gulotta, éd., *Le Imbreviature del notaio Adamo de Citella a Palermo (2° registro, 1298-99), Fonti e Studi del corpus membranarum italicarum, ser. 3, Imbreviature matricole statuti e formulari notarili medievali*, 2, Rome, 1982, n° 283 (16/3/1299).

أجّر عدة تجار كتالانيين وبلنسيين اللوح ذا الظهر الذي هو للبلنسي برناردو برفات (Bernardo Perfette) إلى بلرم لنقل القطن إلى بجاية.

(350) ARM, P., A. Costanti, 1409, f. 99v (2/7/1409), cité par Macaire, *Majorque et le Maghrib*, *op. cit.*, p. 95.

بالإمكان تشغيلها بالشراع والمجاديف، مثل اللوح المجهّز بثمانية عشر مجدافا وعلى متنه 21 شخصا، الذي أجّره بارنات مارت (Bernat Marti) إلى بجاية في 1359[351]. نرى ظهور ألواح أورلو (*orlo*) أو بونديس (*bandis*) في المادة الوثائقية. الأول منصوص عليه بين 1336 و1402 بالنسبة للمراكب الميورقية الذاهبة إلى بجاية، حيث اشتغلت بالشراع[352]، بينما كان النوع الثاني أقل ترددا[353]، وهو مزود بمجاذيف منها مجذاف في كل منصة[354]. لكن في جنوة، دلّ أيضا على مركب صغير شراعي، مختلف تقريبا عن لوح أرلو. كان باستطاعته نقل حمولات متواضعة تتراوح ما بين 30 إلى 100 طن متري[355]. هو مركب من هذا النوع الذي يظهره عقد كراء بحري بتاريخ 1359، لوح بنديس ميورقي بستة رجال فقط لخدمته[356].

ينص على الطريدة في بجاية بين 1242 و1336[357]، التي لها أيضا أحجام متوسطة[358]. حسب الحالات، يتعلق الأمر بمركب بمجاذيف أو بشراع. ففي

---

(351) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos* 14585, f. 121v (24/7/1359), cité par, López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 453.

(352) *Nouveau glossaire nautique*, *op. cit*., p. 1119.

(353) على سبيل المثال: ARM, RP 3826, f. 147v (16/8/1403)

(354) *Nouveau glossaire nautique*, *op. cit*., p. 1119.

(355) Balard, *La Romanie*, *op. cit*., p. 558 ; Id., « Navigations génoises en Orient d'après des livres de bord du XIVe siècle », *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. Comptes rendus des séances de l'année 1988*, Paris, 1988, p. 783.

(356) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos* 14585, f. 284r-v (11/1/1359), cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 452

(357) بصفة عامة، اختفت من التجارة المتوسطية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر.

Hocquet, *Voiliers*, *op. cit.*, p. 103. Sur ce navire, voir M. Balard, J.-Cl. Hocquet, J. Hadziiossif, H. Bresc, « Le transport des denrées alimentaires en Méditerranée à la fin du Moyen Âge », *Maritime Food Transport*, dir. Kl. Friedland, Cologne, 1994, p. 117-120.

جنوة، كانت سفينة بمجاذيف، حيث باستطاعتها نقل حمولات تصل حتى 150 طن متري في نهاية القرن الثالث عشر[359]. وفي البندقية على العكس من ذلك هو مركب دائري قريب من الناف، موجه لنقل السلع الضخمة والوضيعة"الخفيفة"[360]. فعلى سبيل المثال في 1300، أجّر بون إستاف المرسيلي (Pons Esteve de Marseille) طريدته سان سوفور (القديس المنقذ (Saint-Sauveur) إلى القل وبجاية وجيجل. خدمها تسعة عشر بحارا وأربعة أطفال، وهذا ما يشير إلى أنه مركب متوسط[361].

إنّ تفحص الحمولات إذا ما كان ممكنا، يبيّن بالأساس منتجات للوزن مثل الملح[362] والحبوب[363] والشب[364].

ظهر القارب (*barca*) في نهاية القرن الثالث عشر في جنوة[365]، ولكنه استعمل خصوصا في ميورقة في القرن الرابع عشر. كان البعض منها مزوّد على

---

(358) إذا ما اعتبرنا رخص تصدير الحبوب التي أعطيت لنابولي في 1276 لمختلف المراكب، نلاحظ أن الطرائد حملت بمعدل 266 سالمي مقابل 307 ل *buccii* les ، و366 ل *vasselli* les ، وخصوصا 906 سالمي للنافات. أنظر:

Nicolini, éd., *Codice diplomatico*, *op. cit.*, n° 153 (24/7/1276), 160 (4/12/1276).

(359) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 560.

(360) Hocquet, *Voiliers*, *op. cit.*, p. 103.

(361) ADBR, 381E 4, f. 32v-33r (30/10/1300) ; AM, 1II 6, f. 51r-52r (id.). تعطي الوثيقة الثانية طاقمًا من خمسة عشر بحار فقط.

(362) ARM, Guiatges 1, f. 88v-89r (12/5/1336).

(363) Archivio di Stato di Palermo, not. Bartolomeo de Citella, f. 434v (13/8/1309), éd R. Zeno, *Documenti per la storia del diritto marittimo nei secoli XIII e XIV*, Turin, 1936, p. 164-165 ;=

أيضا ثلاث رخص منحت في نابولي في 1276 لنقل الحبوب إلى بجاية على متن الطرائد.=

= éd. Nicolini, *Codice diplomatico*, *op. cit.*, n° 153 (24/7/1276).

(364) ASG, min. 109, f. 4v (8/11/1272), 46r (17/6/1273).

(365) ASG, min. 96, f. 54r (10/6/1270).

غادر أكاردو سردينا (Aicardo Sardina) على قاربه الذي خدمه ثلاثة عشر رجلا (بما في ذلك هو) إلى بجاية ثم ميورقة.

الأقل بمجاذيف، مثل الذي أجّرته جوليا أولزينا (Julia Olzina) في ميورقة في 1369، وهو قارب مدعّم بثمانية عشر مجذافا وتسعة عشر رجلا على متنه، حيث وجب عليه الذهاب إلى دلس وبجاية[366]. إذن هي أيضا سفينة بأحجام متواضعة وبطواقم غير هامة كثيرا.

كانت الأنواع الأخرى من المراكب نادرة. ظهر البنفيل (Le panfile) في النصف الثاني من القرن الرابع شعر، للأسطول الميورقي بالأساس. في جنوة في نفس الفترة، كان مركبا للحمولة بأحجام مذهلة، تقارن بالكوكات (coques)[367]. إنّ البلنار (Le *balaner*) الذي نجده خصوصا في النصف الثاني من القرن الخامس عشر، كان قريبا من الناف[368]. ففي 1459، كان كل من بيري أملار (Perré Ameller) وبيري بجول (Perré Pujols) صاحبا مركبين بلارنين، واحد بخمسين رجلا، والآخر بخمسة وأربعين، اللذين ساقهما إلى الجزائر، وبجاية، وبونة، وتونس[369]. في السنة الموالية، ذهب البرشلوني جيلام لومبارت (Guillem Lombart) بمركبه بلنار القديسة ماريا (Santa Maria) مع طاقم من ثلاثين رجلا[370]. ظهر الكارفال (caravelle) في فترة متأخرة في 1440[371]، حيث كانت طاقة استيعابه مماثلة لطاقة السفن التي ظهرت حتى تلك الفترة. ففي 1491 في بلنسية على سبيل المثال، أجّر بيري ريبالتس (Pere Ribesaltes)

(366) Arxiu Capitular de Mallorca, *Protocolos* 14585, f. 84r-v (9/4/1359), cité par López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 453.
أنظر أيضا: (12/8/1359) f. 143v. *id.*, البارکة مجهّزة بإثني عشر مجداف وستة رجال.

(367) Balard, *La Romanie*, *op. cit.*, p. 559.

(368) Dufourcq, *La Vie quotidienne*, *op. cit.*, p. 59 ; Heers, « Types de navires », art. cité, p. 117.

(369) ARM, P. 2520, f. 73-74v (17/3/1459), cité par O. Vaquer, « Comerç i capital mercantil a Mallorca (1448-1480) », *La Mediterrània. Antropologia i història*, Palma, 1990, p. 166.

(370) ARM, P. 2521, f. 54v-56 (24/3/1460), cité par Vaquer, « Navigacio i comerç », art. cité, p. 101.

(371) ARM, guiatges 8, f. 16v (2/6/1440).

كارفال لانجال (caravelle l'Angel) مع طاقم من عشرين رجلا بحمولة بـ 1500 قنطار، بعثت في رحلتين إلى بجاية[372]. في نفس السنة، أجّر مركب القديسة ماريا دو غراثيا (Santa Maria de Gracia) الذي يخدمه خمسة عشر رجلا إضافة إلى ربانه، في رحلة نحو الوجهة ذاتها[373]. وأخيرا، في 1492، كان لمركب كرفال أنتوني جوهان (Antoni Johan) طاقم من أربعين شخصا[374].

ضمنت أغلب المراكب الروابط مع بجاية، وكانت إذن ذات أحجام متوسطة، مع بعض الاستثناءات[375]. اشتغلت أساسا بالشراع، حتى وإن كان للبعض منها نظام المجاذيف.

كانت في المقابل السفن الشراعية التجارية نادرة[376]. إنّ هذه "السفن الضخمة" للاستعمال التجاري، كانت مراكب هامة، خصوصا في أسطولي البندقية وفلورنسا في القرن الخامس عشر[377]. ففي 1313، حملت سفينة القديسة ماريا (Santa Maria)من جنوة إلى بجاية 3000 إلى 4000 مين جنوي من شعير سردينيا[378]. وفي 1350، غادرت سفينة سيموني لومليني (Simone

---

(372) ARV, P., Rg. 2007, f. 161v-163v (14/3/1491).

(373) Id., f. 454v-456r (29/7/1491).

(374) ARV, P., Rg. 2009, f. 315r-316v (22/6/1492).

سميت هذه السفينة fuste في نفس الوثيقة.

(375) وضع فديريجو ميلس (Federigo Melis) معاينة مماثلة بداية من أرشيفات شركة داتيني دو براتو لرحلات باتجاه المغرب.

F. Melis, « Werner Sombart e i problemi della navigazione nel Medio Evo », *Biblioteca della rivista Economia e storia*, 8, 1964, rééd. *I Trasporti e le comunicazioni nel Medioevo*, Prato, 1984, p. 21.

(376) ظهرت في جنوة والبندقية في نهاية القرن الثالث عشر. Pryor, *Geography*, *op. cit.*, p. 43

(377) Heers, « Types de navires », art. cité, p. 109.

(378) ASG, min. 77, f. 212v-214r-v (13/6/1313).

في 1311 كان مين (La mine) جنوة يساوي 105،7 ليتر.

P. Rocca, *Pesi e misure antiche di Genova e del Genovesato*, Gênes, 1871, p. 109.

(Lomellini جنوة إلى بجاية بطاقم من ستة وعشرين رجلا[379]. نجدها أيضا انطلاقا من مرسيليا وميورقة وبرشلونة وبلنسية. ففي 1443، غادر لويس بلونش (Lluis Blanche) بشانيته التجارية الكبيرة ذات المائة والخمسين مجذافا إلى ميورقة والجزائر وبجاية وتونس،حيث التحق بسفينة بندقية أخرى كبيرة، حيث تابع معها نحو طرابلس ورودس والأسكندرية[380]. لكن النظام الذي وصل إلى الأفضل هو نظام الشواني البندقية. فبداية من 1436، نظّم مجلس شيوخ البندقية رحلات سنوية نحو المغرب. الخط البحري باتجاه بلاد البربر (*muda*)، التي استمرت إلى غاية نهاية القرن الخامس عشر، سمحت بتطوير تجارة البندقية على طول سواحل المغرب[381]. أنشأ نظام مماثل في فلورنسا بداية من 1445، لكن بأقل نجاح[382]. كانت لهذه السفن التجارية الكبيرة – التي سافرت في مواكب ومسلّحة جيدا- طاقات حمولة هامة، مع احتفاظها بأفضلية سرعة ومناورة الشانية[383].

---

(379) ASG, min. 331/I, f. 228r-v (19/5/1350).

(380) ARV, P., Rg. 796, f. 26v-30v (8/1/1443) ; cf. E. Cruselles, « La organización del transporte marítimo en la Valencia de la primera mitad del siglo XV », *AEM*, 24, 1994, p. 155-177.

(381) A. Tenenti, C. Vivanti, « Le film d'un grand système de navigation. Les galères marchandes vénitiennes aux XIVe-XVIe siècles », *Annales ESC*, 16/1, 1961, p. 83-86 ; Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*, p. 81-101 ; D. Stöckly, « Les premiers convois de galées commerciales vénitiennes en direction de la Barbarie au milieu du XVe siècle », *CT*, 155-156, 1993, p. 479-511 ; Ead., *Le Système de l'incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe-milieu XVe siècle)*, Leyde, 1995, p. 169-173, 188-191.

(382) Mallett, *The Florentine Galleys*, *op. cit.*, p. 73-74.

(383) Fr. C. Lane, « La marine marchande et le trafic maritime de Venise à travers les siècles », *Les sources de l'histoire maritime en Europe du Moyen-Âge au XVIIIe siècle, actes du IVe colloque international d'histoire maritime, Paris, 20-23 mai 1959*, Paris, 1962, p. 7-32 ; Id., *Venetian Ships and Shipbuilders of the Renaissance*, Baltimore, 1934, trad. *Navires et constructeurs à Venise pendant la Renaissance*, Paris, 1965 ; A. Sacerdoti,=

إنّ المراكب التي تنقلت إلى بجاية كانت إذن في الغالب ذات حجم متوسط، لكنها قادرة على نقل حمولات ثقيلة. لم يلمسها إذن فعليا التطور نحو الضخامة التي ميّزت الإنشاءات البحرية في نهاية العصر الوسيط[384]. يفسّر هذا خصوصا بقصر المسافات، التي جعلت تعدد الرحلات أمرا ممكنا خلال نفس السنة. من الصعب تحديد أوقات العبور، لأنها ترتبط بعدة عوامل سواء أكانت طبيعية أم بشرية[385]، لكنها كانت في الغالب قصيرة جدا. بالنسبة للقرن الثاني عشر، احتسب هيلمار كرودجر (Hilmar C. Kreuger) العبور من أربعة عشر إلى ستة عشر يوم من جنوة إلى بجاية في الظروف العادية[386]. ولاحظ شارل إيمانوال ديفور تنوع وقت الملاحة في القرنين الثالث عشر والرابع عشر، بين تسعة وعشرة أيام للرحلة بين ميورقة وبونة، وأحيانا ثلاثة أسابيع للذهاب من ميورقة إلى تونس[387]. وأخيرا، تبيّن وثائق أرشيف داتيني (Datini) مسيرات من يومين إلى ستة أيام لربط ميورقة بتونس أو الجزائر، وسبعة أيام للذهاب من تونس إلى بيزا أو جنوة[388].

=« Note sulle galere da mercato veneziane nel XV secolo », *Bollettino dell'Istituto di storia della società e dello stato veneziano*, 4, Venise, 1962, p. 83-86.

(384) M. Tangheroni, « Trasporti navali e commercio marittimo nell'Italia del Quattrocento », *La Penisola italiana e il mare. Costruzioni navali, trasporti e commerci tra XV e XX sec.*, dir. T. Fanfani, Naples, 1993, p. 35.

(385) لعبت ظروف الملاحة (الرياح والتيارات) دورا هاما وأدخلت تنوعات هامة حسب الفصول والاتجاهات المختارة. ساهمت التوقفات أيضا في تمديد وقت المسافة المقطوعة.

(386) Krueger, « The Routine of Commerce », art. cité, p. 429.

(387) Dufourcq, *L'Espagne catalane*, *op. cit.*, p. 47.

حسب مسافة الرحلة بمعدل يتراوح ما بين 40 إلى 80 ميل في اليوم.

(388) F. Melis, « La situazione della marina mercantile all'inizio dell'epoca enrichina : fattori tecnici ed economici di sviluppo », *Actas do Congresso internacional de história dos descobrimentos*, V, Lisbonne, 1961, rééd. *I trasporti e le comunicazioni nel Medioevo*, Florence, 1984, p. 115.

كانت تكاليف النقل منخفضة نسبيا، بسبب الحجم المنخفض للطواقم والمسافات وثمار الإنتاجية المتحصّل عليها نتيجة تقدّم التقنيات البحرية، والتي سمحت بمنافسة فعّالة للبحرية الإسلامية الموجودة، وخصوصا تطوير العلاقات التجارية المنتظمة والمفتوحة لكل التجار الكبار، وأيضا الفاعلين من الطراز المتواضع(389).

2) الأوساط التجارية المسيحية: تعبئة فئات المجتمع العريضة

كانت أوساط الأعمال التجارية التي على علاقة ببجاية في الواقع متنوعة جدا. نجد فيها على حد سواء المستثمرين والتجار المتنقلين، وفي الحالتين بمستويات متنوعة. لا يمكن إجراء دراسة شاملة لهؤلاء التجار الأوروبيين، بما أنّ المادة الخبرية غير متكافئة من ميناء إلى آخر ومن حقبة إلى أخرى. إنّ الرصيد الأكثر غنى هو رصيد جنوة إلى غاية نهاية القرن الثالث عشر، والذي سيستعمل كقاعدة أساسية في هذه الدراسة. سنتعلق في البداية بالفاعلين في التجارة الجنوية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر، ثمّ في سنوات 1250. إنّ المعطيات المتوفرة بالنسبة للموانئ الأخرى – قليلة العدد- ستكمل هذه الصورة، خصوصا بالنسبة للفترات المتأخرة.

أ) جنوه، النصف الثاني من القرن الثاني عشر

"جنوي، إذن هو تاجر" كما يقول مثل قديم. في هذا الميناء الكبير، كان في الواقع قسم كبير من السكان معنيا بصورة مباشرة أو غير مباشرة بالنشاط التجاري(390).

---

(389) Picard, *L'Océan atlantique*, *op. cit.*, p. 420.

حول تحسن الإنتاجية، أنظر خصوصا:

Fr. C. Lane, « Progrès technologiques et productivité dans les transports maritimes de la fin du Moyen Âge au début des Temps modernes », *Revue historique*, 510, 1974, p. 277-302, et notamment p. 287-292.

(390) R. S. Lopez, « Le marchand génois », art. cité, p. 17, 22.

ترك لنا خمسة موثقين جنويين وثائق في النصف الثاني من القرن الثاني عشر. يتعلق الأمر بجيوفاني سكريبا [391]-Giovanni Scriban 1156) (1180، وأبرتو سكريبا دو مركاتو [392] Oberto Scriban de Mercator) (1179-1190، وجيجليمو كاسيناسي [393] Guglielmo Cassinesse) (1191-1192، وأوبرتو دو بلاسنتيا [394]-Oberto de Palecentia 1197) (1198، وبونفلانو (Bonvollano 1198)[395]. 128 عقدا يتعلق ببجاية، حيث تظهر حوالي 200 اسم متعامل، وتتوزع في خمسين طلبية، وحوالي خمسين شركة، وعشر عمليات صرف، وسبعة قروض بحرية وعقد كراء بحري. خلال سنوات 1156-1164 (عقود جيوفاني سكريبا)، كانت الشركات أكثر من الطلبيات[396]، في حين أنّ العلاقة انقلبت في نهاية القرن[397].

---

(391) Éd. M. Chiaudano, M. Moresco, *Il Cartolare di Giovanni Scriba*, Turin, 1935.

(392) Éd. M. Chiaudano, *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, IV, *Oberto Scriba de Mercato 1186*, Gênes, 1940 ; M. Chiaudano, R. Morozzo della Rocca, *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, I, *Oberto Scriba de Mercato 1190*, Gênes, 1938.

تجب أيضا إضافة بعض الوثائق المعزولة غير المنشورة إلى حد الآن لنفس الموثق.

ASG, *Manoscritti* 102 (1179) ; ASG, not. ign., *busta* 1, doc. 1 (1180) ; ASG, min. 2 (1182-1184).

(393) Éd. M. W. Hall-Coll, H. C. Krueger, R. L. Reynolds, *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, II, *Guglielmo Cassinese, 1190-1192*, Turin, 1938.

(394) ASG, min. 56 ; ASG, *Manoscritti* 102.

(395) Éd. J. E. Eierman, H. C. Krueger, R. L. Reynolds, *Notai liguri del sec. XII*, III, *Bonvillano (1198)*, Turin, 1939.

(396) ثمانية عشر عقد شركات، وتسع طلبيات، وتضاف إليهم العقود التي تظهر تاجر يحمل سلع مستثمر دون فائدة معلنة، والقروض البحرية وعمليتي صرف.

(397) سبعة وعشرون شركة لثلاث وأربعين طلبية، وأيضا سبعة قيود تدمج النوعين من العقود. نفس المعاينة أقامها بلار بالنسبة لتونس.

M. Balard, « Notes sur le commerce génois en Tunisie au XIIIe siècle », *CT*, 155-156, 1991, p. 373.

أول ملاحظة هي غياب تخصص التجار[398]. من جهة أخرى، نادرا ما يعود اسم لسنتين متتاليتين، واستثنائيا أكثر من سنتين. طبعا، لم يحتفظ بكل الوثائق، لكن الانطباع الذي يستخرج هو المتعلق بالمستثمرين المتوسطين والتجار المناسباتيين. يؤكد هذه المبالغ الضعيفة الملتزم بها.

جدول 24: الاستثمارات الجنوية المتوسطة (بالليفر) باتجاه المغرب والمشرق (1161-1158) [399]

	بجاية	سوريا	الأسكندرية	تونس	سبتة
1158	49،90	189،54	105،53	49،90	0
1160	104،12	284،33	102،21	60	88،75
1161	62،66	254،62	117،28	0	77،98

إنّ المبالغ المستثمرة في بجاية هي إذن مشابهة لتلك التي نجدها في سبتة وتونس في نفس الفترة، لكنها تقل عن الأعمال التجارية في سوريا أو في مصر. يسمح توزيع العقود حسب المبالغ الملتزم بها بهذه المعاينة:

(398) ليس هناك ميزة خاصة ببجاية. أنظر:

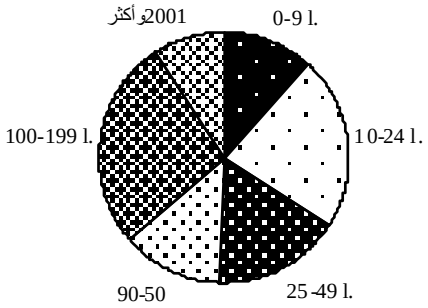
A. Sapori, « Il commercio internazionale nel Medioevo », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 523.

(399) Calculs de D. Abulafia, *The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes*, Cambridge, 1977, p. 111-119.

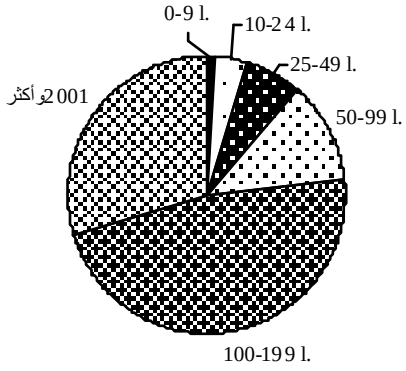
جدول 25

الاستثمارات في بجاية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر[400]

رأس المال المستثمر	عدد العقود		المبالغ الإجمالية	
9-0	9	11,7%	47 l. 16 s. 6 d.	%0,7
24-10	17	22,1%	250 l. 4 s. 1 d.	%4
49-25	13	16,8%	430 l. 16 s.	%6,8
99-50	10	13%	737 l. 10 s. 6 d.	%11,7
199-100	21	27,3%	2969 l. 18 s. 6 d.	%47
200 وأكثر	7	9,1%	1880 l. 15 s.	%29,8
المجموع	77		6317 l. 7 d.	



التوزيع حسب عدد العقود



التوزيع حسب القيمة

من حيث القيمة، تمثل العقود الكبيرة – أكثر من 100 ليفر- أكثر من ثلاثة أرباع الاستثمارات. لكن العمليات المتوسطة (بين 10 و100 ليفر) هي السائدة من حيث عدد العقود. لكن يجب تحليل هذه النتائج العامة جدا بالنظر بدقة إلى الأوساط التجارية المهتمة بسوق بجاية، وذلك لفهم تركيبة هذه التجارة.

كانت العائلات التجارية الكبرى غائبة تقريبا عن التجارة البجائية، لكن عندما نلاقيها، فهي من أجل الاستثمارات الهامة. فقد استثمر إنجو دلا فولتا (Ingo d'Ella Volta) وأبيزوني دي أميكو كليريكو (Opizone di Amico Clerico)، اللذان شكلا شركة- 128 ليفر ونصف إلى بجاية في 1160، وهو المبلغ الوارد من أرباح رحلة إلى ما وراء البحر[401]. أربع سنوات بعد ذلك، أعطى أبناء المرحوم جيجليومو دلا فولتا (Guglielmo d'Ella Volta) طلبية إلى

(400) لم تؤخذ بعين الحسبان إلا العمليات في ميناء بجاية لوحده. إنّ العلميات التي تتضمن رحلة معقدة أكثر بعدة وجهات لم تؤخذ بعين الاعتبار. من بين سبعة عقود تنص على رحلة إلى المشرق وبجاية، ستة كانت ذات استثمارات تفوق 100 ليفر.

(401) Giovanni Scriba, n° 741 (26/8/1160).

إيجو سكوتو (Ugo Scotto) بـ 100 ليفر لحملها إلى الأسكندرية ومن هنا إلى بجاية وسبتة والغرب أو إسبانيا (الأندلس). في عودته، وجب على إيجو سكوتو تسليم رأس المال والفوائد إلى إنجو دلا فولتا[402]. كان هذا الأخير نشطا خصوصا في أسواق المشرق: بين 1156 و1164 استثمر ما مجموعه 9031 ليفر إلى الأسكندرية، و2077 إلى القسطنطينية[403]. لم تكن بجاية إذن بالنسبة له إلا تكملة صغيرة، من المحتمل مرحلة على طريق العودة من مصر. ففي 1156، عقد أخوه جيجليومو بيروني[404] (Guglielmo Burone)، شراكة مع إدوني ريكا (Idone Rica)، لنقل 200 ليفر إلى بجاية[405]. سنتان بعد ذلك، استثمر أيضا 364 ليفر وإدون ملوني (Idone Malone) 128 ليفر (زائد 8 ليفر التي سيحتفظ فيها بمجموع الفوائد). حول هذه الشركة، سيحمل 58 ليفر ونصف إلى بجاية، والباقي إلى ما وراء البحر[406]. وفي 1160، أعطى الرجلان – شريكان دائما- طلبية إلى جيجليومو سريولو (Guglielmo Ciriolo) وأجوني إيلي (Ugone Elie) بـ 200 ليفر إلى الأسكندرية، ومن هنا كان للتاجرين حرية الذهاب حيثما وجدا الأفضل خصوصا إلى بجاية[407]. شكّل في نفس السنة جيجليومو بيروني شركة مع حفيد أتون دو كستلو (Otton de Castillo)، واستثمرا 100 ليفر في رحلة إلى المشرق والمغرب. من بين المراحل الممكنة، تذكر الوثيقة القسطنطينية وكريت والأسكندرية وبجاية وإسبانيا وبروفانس وجنوه والإسكندرية من جديد[408]. على غرار حالة إنجو دلا فولتا، اندمجت بجاية بالنسبة

(402) Giovanni Scriba, n° 1276 (11/8/1164).

(403) E. H. Byrne, « Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century », *American Historical Review*, 25/2, 1920, p. 202-204.

(404) E. Bach, *La Cité de Gênes au XIIe siècle*, Copenhague, 1955, p. 109.

(405) Giovanni Scriba, n° 59 (16/4/1156).

(406) *Ibid.*, n° 401 (27/6/1158).

(407) *Ibid.*, n° 705 (28/7/1160).

(408) *Ibid.*, n° 752 (27/8/1160).

إليه في الفلك المشرقي أساسا. من جهة أخرى، كان جيجليومو مشاركا كثيرا في الأعمال التجارية في ساحل بلاد الشام. كان صليبيا ونائبا في سوريا لصالح جمهورية جنوة، وكان قنصلا عدة مرات. توسعت استثماراته إلى الدول اللاتينية والقسطنطينية وفرنسا وإسبانيا وسبته[409]. منتميا لنفس الوسط، حمل جيجليومو فونتو (Guglielmo Vento) بواسطة بونجيوفاني سكريبا (Buongiovanni Scriban) ستة سنتناريا من الفلفل و85 ليفر إلى بجاية[410]. كانت له أعمال تجارية هامة خصوصا في سوريا والأسكندرية، وموزعين في سردينيا وصقلية وإسبانيا. كان أيضا قنصلا وسفيرا عدة مرات[411]. انتمى كل هؤلاء الرجال إلى نخب المدينة السياسية والاقتصادية. وشاركوا في المؤسسات البلدية ومارسوا شبه احتكار للتجارة الشرقية، على الأقل في سوريا اللاتينية[412].

في النهاية، ظهر شخص أخير، هويته هي محل جدال. يتعلق الأمر بـ بلانكاردو (Blancardo). ففي 1160، استثمر 104 ليفر في شركة إلى بجاية مع بيونجوفاني لركاريو (Buongiovanni Lercario)[413]. وعهد في السنة الموالية إلى نفس الشخص بـ 80 ليفر، في حين وضع بيونجوفاني 40 ليفر[414]. سنتان بعد ذلك، أعطى طلبية بـ 40 ليفر إلى إبيزا وبجاية[415]، وفي 1164، شكّل شركة مع بيونجوفاني سكريبا (Buongiovanni Scriba)، حيث ورد قسم من أرصدته المالية من بيع 107 قنطار من الشب البجائي[416]. رأى أوجان بايرن (Eugene

(409) Byrne, « Genoese Trade with Syria », art. cité, p. 206 ; Bach, *La Cité de Gênes*, *op. cit.*, p. 109.

(410) Giovanni Scriba, n° 1222 (23/6/1164).

(411) Byrne, « Genoese Trade with Syria », art. cité, p. 207.

(412) *Ibid.*, p. 198 ; Bach, *La Cité de Gênes*, *op. cit.*, p. 57-58, 68-70.

(413) Giovanni Scriba, n° 639 (8/5/1160).

(414) *Ibid.*, n° 805 (1161).

(415) *Ibid.*, n° 1084 (28/8/1163).

(416) *Ibid.*, n° 1227 (28/6/1164).

(Byrne في بلانكاردو هذا يهوديا مشرقيا[417]. وشكك بنيامين نلسون[418] (Benjamin Nelson) في هذه الفرضية، لكن ما هو أكيد هو مشاركته الكبيرة في تجارة بلاد الشام. فهو تدخل في عدة عقود كرأسمالي، بائع للقماش وله أعمال تجارية في سان جيل (Saint-Gilles)، ومنبلييه (Montpellier)، وبيزا، وسالرن، وإشبيلية وسردينيا والأسكندرية[419].

تصرّف كل هؤلاء التجار كشركاء وكانت بجاية بالنسبة إليهم مرحلة في رحلاتهم المرتكزة أساسا على بلاد الشام. فقد ضمنوا روابط بين الجهات المسلمة في المشرق والمغرب وإعادة توزيع للمواد الشرقية مثل الفلفل، انطلاقا من جنوة. إنّ المبالغ التي دفعها كبار التجار هؤلاء كانت طبعا هامة، مماثلة للاستثمارات المتوسطة للجنويين ببجاية، لكنها لم تمثل دائما إلا قسما ضعيفا من أعمالهم التجارية[420].

---

(417) E. H. Byrne, « Easterners in Genoa », *Journal of the American Oriental Society*, 38/1, 1918, p. 181.

(418) B. N. Nelson, « Blancardo (the Jew ?) of Genoa and the Restitution of Usury in Medieval Italy », *Studi in onore di Gino Luzzatto*, I, Milan, 1949, p. 96-116.

(419) Byrne, « Easterners in Genoa », art. cité, p. 181.

درس أيضا أوجان هـ. بيرن (Eugene H. Byrne) دور سليمان السالرني (Soliman de Salerne) الذي اعتبره يهوديا أيضا، وكان قويا بالأسكندرية لمدة طويلة (حيث استقر كل ستين تقريبا)، وكان مالكا شريكا لمركب قاده بنفسه إلى الأسكندرية في 1160. 180-179 .p ,.*Ibid* .. في 1163، استثمر 120 ليفر في شركة باتجاه بجاية. Giovanni Scriba, n° 1111 (22/9/1163)

(420) H. C. Krueger, « Genoese Trade with North-west Africa in the XIIth Century », *Speculum*, 8, 1933, p. 387.

فقد استثمر جيجليومو برونيي (Guglielmo Burone) حوالي 2500 ليفر في التجارة المتوسطية وكانت أعماله التجارية في بجاية ثانوية بالنسبة له. اعتبر هيلمار س. كرودجر (Hilmar C. Krueger) أن المخاطر السياسية كانت أكبر في المغرب من المشرق، والذي لم يكن تقريبا الحالة بالنسبة للفترة المعتبرة، التي هيمنت عليها قوة واستقرار الإمبراطورية الموحدية. يمنع غياب الوثائق من قياس أثر مغامرة بني غانية المرابطين على التجارة البحرية. في المقابل، هيلمار س. كرودجر على حق عندما أشار إلى تقلص السوق بالنسبة للعائلات الكبيرة. 388 .p ,.*Ibid* .. أنظر:

Valérian, « Gênes, l'Afrique et l'Orient », art. cité, p. 830.

لكن كان وجود هؤلاء التجار بنسبة قليلة في التجارة المغاربية، لأن أغلب المتعاملين كانوا متواضعين. لا يجب في الواقع الأخذ بتجارة الشام كعرض وحيد، حيث راهنت خصوصا على رؤوس الأموال الهامة. إنّ المبالغ التي استثمرت في بجاية كانت طبعا قليلة أكثر، لكن بقيت رغم ذلك مرتفعة مقارنة بالمستوى العام للمعيشة[421]. من الصعب دراسة هؤلاء المقاولين الصغار، لأنهم لم يبرزوا في المادة الخبرية إلا نادرا، ولم يتخللوا في بعض الحالات إلا في وثيقة (إذا ما أقصينا حضورهم كشهود). كانت الجماعة الأكثر أهمية والوحيدة التي يمكن الإحاطة بها بقليل من الدقة. هي إذن جماعة المتعاملين المتوسطين، حيث ستسمح بعض الأمثلة الإحاطة بها بالأفضل.

كان رولاندو دو كنيتو (Rolando de Caneton) صانع وتاجر الأجواخ والأنسجة القطنية وأنسجة الفرو بجنوه. اشترى منها كثيرا من تجار لمبارديا وفرنسا والفلوندر[422]. أعاد تصدير هذه الأنسجة عبر البحر وعهد بها في طلبية وأحيانا بشراكة مع أردينو دو كنيتو (Ardu no de Caneton)، في عمليات خصّص فيها مبالغ متوسطة بصفة عامة، نادرا ما فاقت عشرين ليفر، وأحيانا أقل. كانت الوجهات متنوعة ونجد فيها على السواء كتالونيا ومسينا ونابولي وسردينيا وكرسيكا وتونس وسبتة والقسطنطينية. نراه مستثمرا في مرتين في تجارة بجاية. ففي 1200، واجهته قضية مع فيلانو أساسينو (Villa no Assassinons)، الذي كان قد حمل له ثلاث سنوات قبل ذلك أجواخا إلى بجاية

---

(421) يكفي من سبعة إلى عشر ليفر إذن لتغذية عائلة فقيرة جدا خلال سنة، وتكفي 18 ليفر لسد حاجيات عائلة ذات مستوى متوسط.

Bach, *La Cité de Gênes, op. cit.*, p. 99.

(422) حول أعمال هذا التاجر، أنظر:=

=M. Chiaudano, « Mercanti genovesi del secolo XII », *Ricerche storiche ed economiche in memoria di Corrado Barbagallo*, dir. L. di Rosa, II, Naples, 1970, p. 127-132.

بقيمة 50 ليفر[423]. وفي 1201، عهد إلى أتون جنتاردو (Otton Gontardo) بطلبية من 50 ليفر، استثمرت في قطعتين من النسيج القرمزي *(scarlat)* وواحدة من النسيج الأخضر (*viridis*) ، وثمانية خيوط نسيجية[424]. كانت بجاية إذن بالنسبة إليه سوقا من بين أسواق البحر المتوسط الأخرى، حيث يمكن القيام بعمليات هامة.

آل كفرونكو (Les Cavarunco) هم مثال آخر لهذه العائلات المتوسطة التي تخصصت في التجارة المتوسطية التي ضمّت بجاية[425]. تصرّف جيوناتا كفرونكو (Gionata Cavarunco) كمستثمر شريكا في الغالب مع جنويين آخرين مثل إمبرتو فيزاستلو[426] (Imberto Vezastello)، وأجيريو سكوتو (Ogerio Scoto) وخصوصا أدوني دو ميلازو (Oddone de Milazzo). ففي أفريل 1191، أخذ أونريكو جروندیا (Enrico Gerundia) طلبية بـ 55 ليفر من جيوناتا (Gionata) وأوجريو (Ogerio) إلى بجاية، ومن المحتمل من هنا إلى الأسكندرية[427]. استثمر أيضا جيوناتا (Gionata) في رحلات نحو سبتة والمغرب الأقصى وإسبانيا وتونس[428]، بمسيرات ضمّت خصوصا صقلية أو ما وراء البحر. في أوت، أنشأ شركة مع سيمون بولجارو (Simone Bulgaro) وأودوني ملازو (Oddone Melazo) لصقلية وتونس وما وراء البحر. قام سيموني بالرحلة في حين أنّ جيوناتا ذهب إلى بجاية، خصوصا بطلبية راينالدو

(423) Giovanni di Guiberto, n° 98 (1200).

(424) *Ibid.*, n° 511 (30/8/1201).

(425) حول هذه العائلة، أنظر: Krueger, « Genoese Trade », art. cité, p. 392

(426) Guglielmo Cassinese, n° 19 (12/1190) : société pour Naples, Sicile, outre-mer.

(427) *Ibid.*, n° 438 (7/4/1191).

(428) *Ibid.*, n° 460 (13/4/1191), 488 (22/4/1191), 491 (22/4/1191), 493 (23/4/1191).

ستروجنونو (Rainaldo Strugnono) بـ 15 ليفر[429]. تخبرنا وثيقة مؤرخة في سبتمبر من نفس السنة بوفاة جيوناتا، لكننا لا نعرف إن استطاع الذهاب إلى بجاية أم لا[430]. استعاد ونظّم ورثته أعماله التجارية أو أعضاء آخرين من العائلة، الذين حافظوا على التركيبة العامة لاستثماراته[431]. في أكتوبر من نفس السنة، أعطى أوجريو كفارونكو (Ogerio Cavarunco) طلبية إلى بجانو دو فولتا (Pagano de Volta) بـ 50 ليفر إلى سبتة والغرب ثم تونس وبجاية[432]، وإلى أونريكو لوكافيلو (Enrico Lecavello) بـ 50 ليفر و15 سو إلى بجاية[433]. في السنة الموالية، عهد بطلبية بـ 25 ليفر إلى رايموندو كفارونكو (Raimondo Cavarunco) حيث وجب عليه اصطحابها إلى بجاية[434]، وحمل أيضا باسم جياكومو فسيانو (Giacomo Ficiano) لفافتين من نسيج القطن بقيمة تقدّر بـ 38 ليفر[435]. تدخّل أيضا روبالدو كفارونكو1(ubaldo Cavarunco R)كتاجر أو مستثمر[436]. كان لهذه العائلة إذن مصالح في مجمل البحر المتوسط. نرى أعضاءها في المغرب الأقصى، وفي الأندلس، وفي إفريقية، وفي صقلية، وأبعد من ذلك في المشرق. كانوا شركاء لآل سكوتو (Scotto) وآل ميلاتزو

---

(429) *Ibid.*, n° 905 (24/8/1191), 913 (27/8/1191).

(430) *Ibid.*, n° 1109 (24/9/1191).

(431) *Ibid.*, n° 1112 (24/9/1191), 1136 (26/9/1191), etc.

(432) *Ibid.*, n° 1208 (10/10/1191).

(433) *Ibid.*, n° 1212 (10/10/1191).

(434) *Ibid.*, n° 1898 (26/4/1192).

أخذ رايموندو (Raimondo) أيضا 50 ليفر من أدوني دو ميلاتزو (Oddone de Milazzo)، شريك جيوناتا (Gioanata) السابق.

(435) *Ibid.*, n° 1774 (21/3/1192).

(436) في 1191، حمل طلبية بـ 31 ليفر جنوي و12 ليفر من جوزة الطيب إلى سبتة. *Ibid.*, n° 492 (23/4/1191). وفي 1192، تدخل بثلث في طلبية ب 118 ليفر حملها بالدوينو (Balduino) ابن أجيريو سكوتو (Ogerio Scotto) إلى بجاية. أعطى أجيريو سكوتو وأدوني ميلادزو – شركاء جيوناتا السابقين- الثلثين المتبقيين. *Ibid.*, n° 1894 (26/4/1192).

(Milazzo)، النشطين أيضا في التجارة البجائية. لم تكن أبدا المبالغ المستثمرة – على غرار ما هو لرولاندو دو كانيتو– ضخمة، بـ 50 ليفر في الغالب.

وأخيرا، تندر العمليات بمبالغ ضعيفة، أقل من 10 ليفر. ففي 1158، تلقى لمبارتو عاصر العنب (Lamberto *Calcator)* من أتوني بونو (Ottone Bono) قرضا بحريا بـ 8 ليفر، حيث وجب عليه إرجاع 10 ليفر عند عودته من بجاية[437]. وفي 1180، كان الجزّار أوبرتو لونجو (Oberto Longo) في شراكة مع جيوفاني دو روتشو (Giovanni de Recco) واستثمر 5 ليفر[438]. في نفس السنة، أخذ مريزيو دي أونريكو ترونشيرو (Maurizio di Enrico Trancherions) طلبية من جيجليمو فيراري (Guglielmo Ferrari) وبرناردو دي أتوني بوزولو (Bernardo di Ottone Pezollo) بمجموع 4 ليفر[439].

كان هؤلاء المتعاملون الصغار قليلين. خصّصت مبالغ تقع بين 10 و100 ليفر لأغلب المعاملات، حتى وإن لم تكن الاستثمارات الكبيرة (التي تفوق 100 ليفر) نادرة[440].

ب) سنوات 1250

في منتصف القرن الثالث عشر، كانت التجارة الجنوية مزدهرة خصوصا مع بجاية. احتفظ بـ 600 عقد لسنوات 1250، وهذا ما يسمح بدراسة دقيقة للأوساط المرتبطة بالسوق البجائي. من الآن فصاعدا، هيمنت الطلبية في العقود، في حين

(437) Giovanni Scriba, n° 508 (9/10/1158).

(438) Giovanni Scriba (fragments du cartulaire du notaire Lanfranco, 1180), n° 11, p. 282 (3/4/1180).

(439) *Ibid.*, n° 9, p. 281 (3/4/1180).

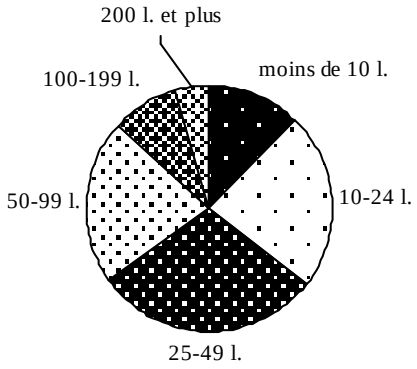
(440) لكن يجب تنويع حصة التجار الكبار هذه بما أنّ الموثقين على غرار جيوفاني سكريبا عملوا كـثيرا لهذه الفئة من المتعاملين، تاركين في الظل أناسا متواضـعين. Bach, *La Cité de Gênes, op. cit.*, p. 61

اختفت الشركة[441]. سمح هذا النوع من العقود بتوسيع جماعة الأشخاص الذين اهتمّوا بهذه التجارة. ليس بالضرورة امتلاك أموال للاستثمار في أعمال تجارة، وبإمكان أي واحد الذهاب لتنمية رأس المال المعطى في الطلبية. أيضا، يمكن لأي تاجر أخذ طلبيات متعددة، واردة من المستثمرين المناسباتيين الصغار.

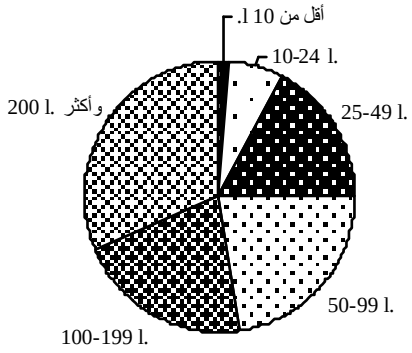
جدول 26: المبالغ المستثمرة في التجارة الجنوية ببجاية (1250-1259)

المبالغ المستثمرة بالليفر الجنوي	عدد العقود		مجموع الاستثمارات (بالليفر الجنوي)	
أقل من 10	47	12,3%	235	1,1%
24-10	89	23,3%	1443	6,8%
49-25	113	29,7%	3619	17,1%
99-50	81	21,3%	4807	22,7%
149-100	34	8,9%	4406	20,8%
199-150	17	4,5%	6687	31,5%
200 فما فوق	381	12,3%	21197	1,1%
المجموع	47		235	

(441) كانت هنا ظاهرة عامة في جنوة في القرن الثالث عشر، لكنها كانت في باكورتها في المغرب. أنظر: Balard, « Notes sur le commerce génois en Tunisie », art. cité, p. 373.



التوزيع حسب عدد العقود



التوزيع حسب القيمة

أصبحت العقود الكبيرة (ذات مائة ليفر وأكثر) نادرة بعدما كانت كثيرة في القرن السابق. من حيث القيمة، تمثّل أيضا أكثر من نصف المبالغ المخصصة للتجارة البجائية. بقيت الاستثمارات الصغيرة قليلة في [في ماذا؟؟] وقيمتها غير معبّرة. في المقابل، أصبحت الأعمال التجارية المتوسطة (بين عشرة ومائة ليفر)

مهيمنة، حيث مثّلت ثلاثة أرباع العقود (مقابل النصف في الفترة السابقة)، ونصف المبالغ المخصّصة تقريبا (مقابل 22،5 في المائة).

إنّ المجموعة التي اختنقت أكثر هي إذن مجموعة المستثمرين المتوسطين. ليس سهلا دائما رسم صورتهم، وستسمح بعض الأمثلة بالإحاطة بهم بصفة أفضل.

لعائلة ألبانو (Albano) تمثيل كبير في هذا الصنف من التجار، ففي 1250، أعطى تاجر التوابل جيجليامو (Guglielmo) طلبية سكر بـ 14 ليفر إلى فينو دو لفانيا (Vinoy de Alagna) إلى بجاية[442]. يتعلق الأمر بشركة في 1251[443] و1253[444]. فيما يخص جيوفاني، فقد كان رأسماليا وتاجرا على حد سواء. ففي 1251 أعطى طلبية إلى نكولوسو ألبانو (Niolos Al pano) بـ 19 ليفر و5 سو، وأخذ من فليبو دو فنيراندو دو نولي (Filippo de Venerando de Noli) 200 ليفر باتجاه بجاية[445]. مارس تجارة الصوف، لأنّ ألبينو دو توري (Albinos de Torre) تلقى في 1252 تسعة عشر كيسا من الصوف أرسلها جيوفاني (Giovanni) من بجاية بواسطة ابن أخيه إديتو ألبانو (Ideto Al pano)[446]. في السنة الموالية، أعطى له إديتو ذاته سلعا واردة من بجاية[447]، وفي 1257، نجده من جديد يعطي طلبية بـ 50 ليفر باتجاه تونس[448]. تدخل أعضاء آخرون من العائلة سواء كتجار أم كمستثمرين. خصّصت النساء والأرامل تحديدا رؤوس أموال على غرار جياكمينا (Giacomina) في 1253، زوجة

(442) ASG, min. 27, f. 13v (29/10/1250).

(443) ASG, min. 27, f. 162v (31/5/1251).
عهد بطلبية من 10 ليفر إلى جيجليمو دو سكسيرو (Guglielmo de Suxero).

(444) ASG, min. 29, f. 109r (16/5/1253).
اسثمر 18 ليفر و10 سو في ثلاثة براميل من العسل وقنطار ونصف من خشب الألواس.

(445) ASG, min. 27, f. 169r (7/6/1251) ; min. 27, f. 167v (7/6/1251).

(446) ASG, min. 34, f. 45r (3/9/1252).

(447) ASG, min. 29, f. 88v (4/5/1253).

(448) ASG, not. ign., *busta* 3, fr. 35, f. 18v (29/1/1257).

جياكومو (Giacomo)، وستيفانيا (Stefania) ، أم جيوفاني (Giovanni) ، وأدولينا (Adelina)، أرملة سموني (Simone) [449]. لم تكن طبعا عائلة كبار التجار، لكن بحملهم أو استثمارهم لمبالغ هامة أحيانا (192، 200، 350 ليفر) باتجاه بجاية، وبما أنهم استنجدوا أحيانا بمتعاملين من خارج المجموعة العائلية، فقد حقّقوا أغلب أعمالهم التجارية فيما بينهم.

من بين هؤلاء التجار الذين كانوا على علاقة بآل ألبانو، نجد آل فنيراندو دو نولي (Venerando de Noli) الذين استثمروا مبالغ هامة في بجاية خلال 1251 و1253. فضلا عن 200 ليفر التي عهد بها إلى فليبو فنيراندو دو نولي (Filippo Venerando de Noli). في 1251، أخذ جيوفاني ألبانو في نفس الرحلة 60 ليفر من بلموكسيو دو برنزانو دو نولي[450] (Palmuxio de Bernizano de Noli)، وأخذ نكولوسو ألبانو (Nicoloso Alpano) 25 ليفر من فليبو (Filippo)[451]. في جويلية 1253، سافر فليبو فنيراندو (Filipino Venerando) ابن بلموكسيو (Palmuxio) إلى بجاية وأخذ طلبيتين هامتين بـ 231 ليفر و 233 ليفر و10 سو، والتي استثمرت كلها بالبوزون الميلاريس. عهد له بالأولى أبوه والثانية فليبو فنيراندو دو نولي[452]. فضلا عن ذلك، أعطى هذا الأخير في سبتمبر طلبية بـ 50 ليفر إلى جيوفاني ألبانو[453] (Giovanni Alpano). تبيّن هذه العقود الروابط بين المستثمرين والتجار من نفس الأصل (هنا نولي (Noli)، قرب جنوة)، غالبا تنحدر البقية من نفس الأسرة.

---

(449) ASG, min. 29, f. 217v-218r (15/9/1253) :
عهد إلى جيوفاني بطلبيتين على التوالي بـ 56 ليفر و5 سو و350 ليفر.

(450) ASG, min. 27, f. 167v (7/6/1251).

(451) ASG, min. 27, f. 169v (id.)

(452) ASG, min. 29, f. 163r (22/7/1253).

(453) ASG, min. 29, f. 217v (15/9/1253).

اختصّ البعض في تجارة صوف وشب بجاية. هي حالة جندلفينو دو كوارتو (Gandulfino de Quarto) في 1259، الذي باع في جانفي وفيفري ما مقداره 917 ليفر من الصوف استوردها من بجاية إلى السوق الجنوي[454]. في سبتمبر[455] ونوفمبر من نفس السنة، شارك مع مانويلي زتشاريا[456] (Manuele Zaccaria)، حيث باع معه 1365 ليفر من الصوف[457]. تبيّن المبالغ المتحصّل عليها في وقت قليل أعمالا هامة كبيرة، لكننا لا نعرف هل تعلق الأمر بالنسبة إليه بسنة استثنائية أم أنه تخصص في تجارة الصوف، وذهب إلى المغرب بانتظام.

يقدّم سيموني دو كوارتو (Simone de Quarto) مثالا عن هؤلاء التجار الذين اغتنوا بحملهم لطلبيات الآخرين قبل استثمارها بدورهم. ففي 1251، حمل إلى بجاية 46 ليفر منها 37 ليفر و10 سو بأوزان ذهب مسجّلة لأوبرتو كفارينو (Roberto Caffaraino). وفي جويلية 1253، رحل ثانية إلى بجاية بالفانتان وأنسجة قطنية بقيمة 187 ليفر حيث عهد له بها جيوفاني أشيريو (Giovanni Asche rio)[458]. وفي نوفمبر من السنة الموالية، عاد إلى جنوة بالصوف الذي باعه مقابل مجموع بأكثر من 72 ليفر[459]. وفي جانفي 1255، روّج من جديد الصوف الوارد من بجاية[460]. سنتان بعد ذلك، كان دائما على علاقة أعمال تجارية مع

---

(454) ASG, min. 105, f. 64r-65r, 66v-67r, 68r-v, 75v, 76v-77r, 79v-80r, 92r (20/1 - 28/2/1259).

(455) ASG, min. 34, f. 211r (9/9/1259). في بداية كل شهر، باع لوحده الصوف ب 50 ليفر

(456) ASG, min. 105, f. 61r (15/1/1259), 63v (20/1/1259)

باع مانويلي زتشاريا (Manuele Zaccaria) أيضا الصوف والشب لحسابه الخاص.

(457) ASG, min. 34, f. 202r ; min. 35, f. 15v, 22r-v, 26v-27r, 33r, 46r, 126r-v, 128v, 134r (4/9 - 15/11/1259).

(458) ASG, not. ign., *busta* 21, fr. 200, f. 6v (4/10/1251) ; min. 29, f. 165v (24/7/1253).

(459) ASG, not. ign. *busta* 10, fr. 104 (11/9/1254).

ثلاثة بيوع في نفس اليوم. لا تسمح حالة الوثيقة بقراءة كل المبالغ.

(460) ASG, min. 20/II, f. 3v (2/1/1255).=

المغرب، لكن من الآن فصاعدا كمستثمر. فقد أعطى طلبيتين بـ 30 ليفر باتجاه بجاية في أفريل وأخرى بـ 75 ليفر أرسلت في ماي إلى تونس[461].

يمثّل أيضا أوبرتو دو لوفنتو (Oberto de Levanto)، وهو تاجر توابل، هؤلاء المستثمرين المتوسطين الذين كانوا على علاقة بالأسواق المغاربية. ففي جوان 1251، استثمر مع إخوانه 51 ليفر و10 سو في بجاية[462]. وفي أفريل من السنة الموالية، اعترف له الأستاذ جيراردو دو لونجيس (Gherardo de Longis)، طبيب الجنويين ببجاية، بدين بـ 2 ليفر، استدانها الأستاذ جيجليومو المونبيليي (Guglielmo de Montpellier) [463]، واستثمر في ماي 56 و20 ليفر في رحلة باتجاه بجاية. وفي سبتمبر 1253، نقل له ألبارتينو ألباريو (Obertino Albario) طلبية بـ 32 ليفر و13 سو، مشكلة من 160 قصبة من القماش العريض من سفوسة (Safusa)[464]؟ وفي مارس 1254، أخذ جيوفاني بونافنتيرا طلبية بـ 36 ليفر و10 سو من أوبرتو دو لوفونتو (Oberto de Levanto)، وتضاف إليها 135 ليفر و7 سو و5 دونيي عهد له بها أوبرتو (Oberto) باسم توليميو دو تولومي (Tolome[465] de Tolomeo). وفي ماي من نفس السنة، استثمر 36 ليفر و18 سو دائما إلى بجاية[466]. نجده أخيرا في المرة الأخيرة في 1261، حيث عهد بطلبية بـ 16 ليفر[467]. استثمر أيضا خلال هذه السنوات في الرحلات إلى تونس، دائما بمبالغ متوسطة: 8 ليفر في

=باع في نفس اليوم الصوف التي لم يوضح أصلها، لكن ربما كانت إفريقية. ASG, min. 20/II, f. 19v (18/1/1255).

(461) ASG, min. 54, f. 86v (16/4/1257), 127v (16/5/1257).

(462) ASG, min. 27, f. 166v (6/6/1251).

(463) ASG, min. 34, f. 57v (15/4/1252).

(464) ASG, min. 18/I, f. 82r (16/9/1253).

(465) ASG, min. 30/I, f. 44v (26/3/1254).

(466) ASG, min. 30/I, f. 77r (13/5/1254).

(467) ASG, min. 35, f. 82v-83r (20/9/1261).

1251[468]، و12 ليفر في 1252[469]، 49، و231 و67 ليفر ونصف في 1253[470]، وأخيرا 54 ليفر و2 سو و4 دونيي، و12 ليفر و13 سو و6 دونيي، و25 ليفر، و7 ليفر في الخمر[471]. وأخيرا، في 1254، 54 ليفر و2 سو و4 دونيي، و12 ليفر و13 سو و6 دونيي، و25 ليفر و7 ليفر في الخمر. وفي مارس 1253، كانت له أيضا أعمال تجارية في صقلية[472].

إنّ الجواخين – الذين رأيناهم يشترون الصوف من بجاية- عهدوا في الغالب بطلبيات مستثمرة في الأنسجة. ففي 1251 أعطى الجوخي جيجليومو دو كاموجلي (Guglielmo de Camogli) طلبية بـ 20 ليفر إلى جيوفاني دو بونفيلانو (Giovannino de Bonvillano)، وفي السنة الموالية عهد إلى جيانينو دو سانت أمبروجيو (Giannino de Sant'Ambrogio) 14 ليفر و6 سو من أجواخ ميزالاني (*mezzalane*)[473]. وفي ماي 1252، استثمر أيضا 29 ليفر ونصف باتجاه تونس[474].

تميّز هؤلاء الفاعلون المتوسطي النطاق – المجهولون غالبا – باستثمارات كثيراً ما تكون أقل من 50 ليفر، لكن مع عمليات هامة أحيانا. مارس أصحاب الطلبيات مهنة أخرى، خصوصا المتعلقة بصناعة الصوف والنسيج. نمىّ التجار

---

(468) ASG, min. 27, f. 184r (4/11/1251).

(469) ASG, min. 34, f. 74v (11/5/1252).

في مارس 1253 أجّر بنكو في حانوته الذي يديره جياكومو دالبارو.

« in Ripa di Genova ». R. S. Lopez, « L'Attività economica di Genova nel marzo 1253, secondo gli atti notarili del tempo », *ASLSP*, 64, Gênes, 1935, n° 90, p. 219.

(470) ASG, min. 18/I, f. 52v (18/8/1253), 55v (20/8/1253), 56r (20/8/1253).

(471) ASG, min. 30/I, f. 38r-39v (23/3/1254).

(472) طلبية بـ 10 ليفر إلى صقلية يوم 29/ 3/ 1253. Lopez, « L'attività », art. cité, n° 129, p. 225

(473) ASG, min. 27, f. 167v (7/6/1251) ; min. 18/II, f. 49r (6/3/1252).

(474) ASG, min. 34, f. 74v (11/5/1252).

المتنقلون رأس مالهم، لكن أيضا زوّدوهم بالصوف والشب، وروّجوا سلعهم في سوق بجاية.

لم تكن أوساط الأعمال الجنوية الكبيرة غائبة بهذا القدر عن التجارة البجائية. تظهر أسماء هذه العائلات بصفة عامة كمستثمرين، وعلى غرار القرن الثاني عشر، تدخلوا بمبالغ متواضعة مقارنة بأعمالهم التجارية الأخرى.

من بين كبار المستثمرين هؤلاء، نجد خصوصا عدة بنكيين. تطورت المهنة مبكرا في جنوة[475]. وكانت مزدهرة في بداية سنوات 1250، لكنها مرّت بأزمة حادة بين 1256 و1259[476]. وفي 1253 أعطى نكولو كالفو (Nicolò Calvo)، وهو واحد من أنشط بنكيي المدينة إلى غاية إفلاسه في 1256[477]، طلبيتين باتجاه بجاية، مستثمرا 12 ليفر في ماي و25 ليفر في جويلية[478]. اهتمّ أيضا لوفرانكو دي سان جيورجيو (Lanfranco di San Giorgio) ونكولوسو دو فيدريتو (Nicoloso de Vedereto) -بنكيان شريكان أحيانا- بالسوق البجائي. هما صاحبي طلبيات في عدة عقود[479]، وفي 1252، تحصّل لوفرانكو في المزاد العلني على كتابة بجاية *(scribania)* مع مانويلي ستريجيابوركو (Manuele Streggiaporco)، معطيا سهمين في طلبية إلى أجليريو دو فونتانا (Oglerio de Fontana)[480]. أيضا استثمر البنكي جياكومو رفالدو (Giacomo Ravaldo) أموال بنكه أو أمواله الخاصة في عدة

---

(475) حول بدايات البنك في جنوة، أنظر:

R. S. Lopez, *La prima crisi della banca di Genova (1250-1259)*, Milan, 1956, p. 19-38.

(476) *Ibid.*, p. 87-92.

(477) *Ibid.*, p. 40.

(478) ASG, min. 29, f. 111v (17/5/1253), f. 164v (24/7/1253).

(479) ASG, min. 28, f. 93v (24/5/1251) ; min. 27, f. 245r (23/5/1252) ; min. 29, f. 56v (19/4/1253), éd. Doehaerd, *Les Relations commerciales*, *op. cit.*, II, n° 837 ; ASG, min. 29, f. 60r (22/4/1253).

(480) ASG, min. 34, f. 79v-80r (15/5/1252).

رحلات نحو بجاية بين 1252 و1254، بمجموع 345 ليفر[481]. كانت المبالغ التي استثمرها -بين 12 و116 ليفر- متوسطة، لكن كانت عملياته منتظمة. أصله غير معروف، لكنه كان على علاقة مستمرة مع أهل المدينة البليزنسيين[482]. ففي 1254 عهد إلى جيجليومو لوتشاكورفو (Guglielmo Leccacorvo) -بنكي بليزونس (Plaisance)- بطلبيتين ب 55 ليفر 7 سو 4 دونيبى، و116 ليفر 10 سو إلى نكولو (Nicolò) وتيديسيو فييشي (Tedisio Fieschi)، وهي الأموال التي وردت إليه من شركة أبيزوني (Opizone) [483].

في الواقع كان حضور بنكيي ورجال أعمال بليزونس قوي جدا في جنوة، واستثمروا في التجارة الدولية[484]. لكن احتلت بجاية دائما مكانة ضئيلة في أعمالهم

---

(481) ASG, min. 34, f. 56r (12/4/1252), 81v (15/5/1252) ; min. 18/I, f. 82r (16/9/1253) ; min. 30/I, f. 45r (26/3/1254), 78r (14/5/1254), 85v (16/5/1254).
في آخر عقد، صاحب الطلبية – جيوفاني سانت أنجريزي- حمل أيضا 90 أوقية من ذهب بايولا.

(482) استثمر أيضا في رحلاته إلى كورسيكا وسردينيا: 80 ليفر و7 سو و6 دونيي، و25 ليفر و3 سو و4 دونيي يوم 8/ 3/ 1253.

Lopez, « L'Attività », art. cité, n° 37-38, p. 212.

(483) ASG, min. 30/I, f. 45r (26/3/1254), 78r (14/5/1254).
أجريت عملية مماثلة مع نفس الأشخاص أياما قبل ذلك إلى تونس.
ASG, min. 30/I, f. 37r (22/3/1254), éd. Lopez, *La Prima crisi*, *op. cit*., n° 99, p. 153-154 (la date est à corriger).

(484) R.-H. Bautier, « Les Marchands et banquiers de Plaisance dans l'économie internationale du XIIe au XVe siècle », *Il « Registrum magnum » del Comune di Piacenza : Atti del Convegno Internazionale di studio, Piacenza, 1985*, Plaisance, 1987, p. 182-237 ; Lopez, *La Prima crisi*, *op. cit*., p. 41-46 ; G. Jehel, « Les Placentins en Afrique du Nord au Moyen Âge », *Precursori di Cristoforo Colombo. Mercanti e banchieri piacentini nel mondo durante il medioevo. Atti del Convegno Internazionale di Studi, Piacenza, 10-12 settembre 1992*, Bologne, 1994, p. 169-179.
كانوا أيضا نشطين في مرسيليا في نفس الفترة. أنظر:
P. Racine, « À Marseille en 1248 : l'activité des hommes d'affaires de Plaisance », *Annales du Midi*, 78, 1966, p. 221-233.

التجارية. هي على سبيل المثال حالة عائلة آل لوتشاكورفو القوية (Leccacorvo)[485]. فضلا عن عقدي طلبية مع جياكومو رفالدو (Giacomo Ravaldo)، تدخل جيجليمو لوتشاركورفو (Guglielmo Leccacorvo) في عملية صرف مع بجاية في أكتوبر 1250. تلقى من جيجليمو (Guglielmo) ابن المرحوم جياكومو كورتيجيانو (Giacomo Corteggiano) مبلغا بالعملة الجنوية والذي وجب عليه إعادته ببجاية بـ 660 بوزون ميلاريس[486]. وفي مارس 1253، استثمر أيضا في رحلات إلى آسفي[487] وما وراء البحر[488] وأسواق البر[489] وإسبانيا[490] وتونس[491].

كان سيميوني دو جوالتيريو (Simone de Gaulerions) - وهو بنكي أيضا في بليزونس حسب روبارتو س. لوبيز (Roberto S. Lopez)[492]– في المقابل هو مرتبط جدا بالسوق البجائي وأيضا بالسوق التونسي. ففي 1252، أرسل طلبيتين من الأجواخ (*canonnai*) بقيمة إجمالية تقدر بـ 169 ليفر

---

(485) حول هذا البنك، أنظر:

Lopez, *La Prima crisi*, *op. cit*., p. 60-68 ; G. Airaldi, G. Marcenaro, dir., *Credito e banca dall'Italia all'Europa, secoli XII-XVIII*, Gênes, 1992, p. 24.

(486) ASG, min. 27, f. 8v (26/10/1250).

(487) عهد ب 200 ليفر مع جياكومو رفالدو (Giacomo Ravaldo) إلى كرستيانو جريمالدي (Cristiano Grimaldi) يوم 14/ 3/ 1253.

Lopez, « L'attività », art. cité, n° 63, p. 215.

(488) 400 ليفر في طلبيتين يوم 14/ 3/ 53. *Ibid.*, n° 64-65, p. 215-216

(489) حمولة ب 400 ليفر بروفانسي يوم 17/ 3/ 1253. *Ibid.*, n° 73, p. 217

(490) 100 ليفر في طلبية (17/ 3/ 1253). *Ibid.*, n° 74, p. 217

(491) ثلاث طلبيات بـ 400 ليفر يوم 22/ 3/ 1253. *Ibid.*, n° 99-100, p. 220 ; n° 102, p. 221

(492) R. D. Face, « Symon de Gualterio: a Brief Portrait of a Thirteenth-century Man of Affairs », *Economy, Society, Government in Medieval Italy=. =Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-70, p. 76.

يعتبر فاس –على النقيض من روبرتو س. لوبيز– بعدم وجود حق لإعطائها أصل بليزونسي.

و11سو و6 دونيي[493]. كانت نشاطات رجل الأعمال هذا مزدهرة في مارس 1253: باع الصوف بـ 1321 ليفر، واشترى الأجواخ من فرنسا بـ 556 ليفر، وأعطى طلبية من الزعفران والحرير باتجاه مرسيليا بمبلغ إجمالي يقدر بـ 770 ليفر، وتدخل في عمليات الصرف في أسواق الشامباني (Champagne)، واشترى ثلاثة أرباع يخت مقابل 390 ليفر[494]. كانت له أيضا أعمال تجارية في ميورقه وصقلية وسردينيا وعكا وآسفي وتونس وبجاية طبعا[495]ا. يتعلق الأمر إذن بتاجر كبير جدا، حيث كانت تركته عند وفاته بمجموع 6000 ليفر. سوريا وبجاية هما اللتان جذبتا أكثر استثماراته: في أفريل خصّص 1250 ليفر في ثلاثة عقود موجهة إلى بجاية[496]. وأرسل خصوصا إلى بجاية اليخت الذي ترجع إليه ملكية ثلاثة أرباعه، وهو القديس فرانشيسكو[497] (San Francesco). وتدخل يوم 19 في عملية صرف أو قرض بـ 1180 ليفر (ترجع إلى جنوة عند العودة)[498]. من جهة أخرى، أعطى طلبيتين بمبالغ هامة: أخذ منه جياكومو دو ماري (Giacomo de Mari) 498 ليفر و11 سو، وجياكومو فريتشانو (Giacomo Frexano) 1000 ليفر[499]. وفي ماي كان حجم الاستثمارات أقل ارتفاعا (1054 ليفر) وركّزت بجاية وحدها ثلاثة أعماله التجارية[500]. عهد بثلاث طلبيات بمجموع

---

(493) ASG, min. 27, f. 244v (23/5/1252).

(494) Lopez, « L'Attività », art. cité, p. 189-190.

(495) Face, art. cité, p. 80-81.

(496) *Ibid.*, p. 81.

(497) ASG, min. 29, f. 54r (25/4/1253)=

=يعود الربع المتبقى إلى نكولوسو دو ماري (Nicoloso de Mari) أب جكوبو (Jacobo) الذي سافر إلى بجاية.

ASG, min. 29, f. 61r (25/4/1253).

(498) ASG, min. 29, f. 54r (19/4/1253).

ليس بأكيد أن الصرف كان هنا، رغم شكل القيد، لعدم الإشارة إلى المبلغ بالبوزون. يتعلق بقرض متنكر. يرى فاس Face (art. cité, p. 81) أنه ربما مثال مثمر لائتمان بحري.

(499) ASG, min. 29, f. 54r (25/5/1253), 65v (28/4/1253).

(500) Face, art. cité, p. 82.

325 ليفر، منها 100 حملها سميوني دوريا (Simone Doria) ابن المرحوم مارتينو (Martino)[501]. وبين 9 و15 سبتمبر، أبرم عدة عقود لرحلة إلى بجاية: صرف 210 بوزون ميلاريس مع أندريا دو نيجرو (Andrea de Nigéro)، وطلبيتين، الواحدة بـ 109 ليفر و9 سو و6 دونيي في الميلاريس (عهد بها إلى أندريولو أمبياكو (Andriolo Embriaco) ، والأخرى بـ 40 ليفر في القطن (عهد بها إلى باستورينو ستراجيابوركو (Pasturino Streggiaporco) [502]. توفي بعد ذلك بقليل، وفي مارس 1254، أعطى نكولو دو نيجرو (Nicolò de Nigro)- وصي ابنه- توكيلا إلى بالديزوني ستراجيابوركو Baldizone Streggiaporco) لاسترجاع 180 بوزون ميلاريس من بجاية[503]. أنشأ إذن سيميوني دو جوالتيريو أعمالا واسعة مع مختلف الأماكن التجارية، خصوصا بجاية، التي أخذت قسما هاما من استثماراته. كان على علاقة بعدة عائلات تجارية جنوية كبيرة، والتي نجدها في عقود التجارة مع بجاية: آل دوريا (Doria)، وآل ستراجيابوركو (Streggiaporco)، وآل دو ماري (de Mari)، وآل أمبرياكو (Embriaco)، وآل نيجرو (Nigéro).

جذبت بجاية إذن عدة أصناف من التجار الجنويين. نجد خصوصا التجار والمستثمرين الصغار والضعاف الحجم، حيث لم تكن التجارة نشاطهم الأساسي، لكنهم وجدوا الفرصة لرحلة أو رحلتين وإمكانية الحصول على أرباح دون إحضار رأس مال هام. بهذا القدر، لم يكن هذا السوق متروكا من المتعاملين الكبار في التجارة الأوروبية، لكن لم تكن بجاية بالنسبة لهم إلا عنصرا ثانويا لشبكة أعمال

(501) ASG, min. 29, f. 75r (2/5/1253), 97v (10/5/1253), 115v (20/5/1253).

(502) ASG, min. 18/I, f. 73v-74r (9/9/1253), 218r (15/9/1253), 80r (15/9/1253).

(503) ASG, min. 30/I, f. 44v (26/3/1254).

تجارية واسعة أكثر، والتي ضمّت في الغالب أسواق المشرق الغنية، وهذا ما سمح بالتنويع في استثماراتهم وإيجاد مواد خاصة بالمغرب[504].

ج) المدن التجارية الأخرى

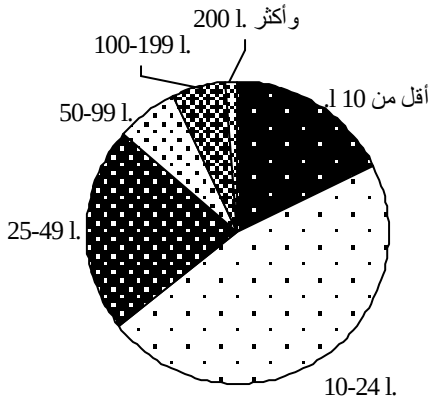
كانت خصائص الأوساط التجارية هذه نفسها بالنسبة للموانئ النشطة الأخرى في القرنين الثاني عشر والثالث عشر، حتى وإن كانت المادة الخبرية أقل وفرة. في مرسيليا، تدخل العديد من المتعاملين الصغار والمتوسطين في التجارة البجائية سواء لاستثمار الأموال فيها أم لحمل طلبيات إليها.

جدول 27: الاستثمارات البجائية في بجاية (القرن الثالث عشر)

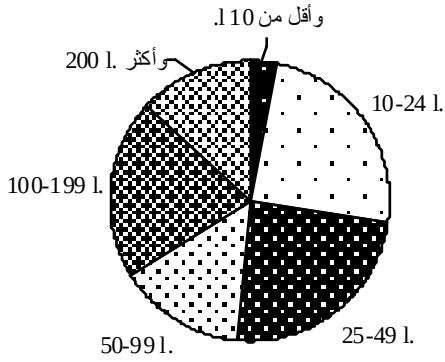
المبالغ المستثمرة (بالليفر)	عدد العقود		مجمل الاستثمارات (بالليفر)	
أقل من 10	13	17,8%	68,1	3%
24-10	34	46,6%	565,6	24,5%
49-25	16	21,9%	552,4	24%
99-50	5	6,8%	334,5	14,5%
199-100	4	5,5%	484,2	21%
200 وأكثر	1	1,4%	300	13%
المجموع	73		2304,85	

(504) تؤكد هذه النتائج دراسة الأوساط التجارية التي أنجزتها لورا باليتو (Laura Balletto) انطلاقا من الوثائق الجنوية لسنوات 1222 إلى 1226.

L. Balletto, « Tra Genovesi e Musulmani nel XIII secolo », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 158-162.



توزيع الاستثمارات حسب عدد العقود



توزيع الاستثمارات حسب القيمة

كانت مكانة المستثمرين الصغار والمتوسطين (حتى 50 ليفر) هامة جدا من جنوة (أكثر من 85 في المائة من العقود)، في حين تقل العقود التي لها أكثر من 100 ليفر[505].

أنشأت عائلة منديال (Manduel) خصوصا شبكة ممتدة في أوروبا والبحر المتوسط، حيث لعبت فيها بجاية دورا هاما[506]. استقر إتيان (Etienne) (الأب) في مرسيليا في نهاية القرن الثاني عشر أو بداية القرن الثالث عشر، وطوّر فيها أعماله التجارية إلى غاية وفاته في 1230. خلفه ابناه برنار (Bernard) وجون (Jean)، إلى غاية سجن ثم الحكم بالإعدام على جون. تصرّفا كصاحبي طلبيات، مع ميل إلى الأسواق المغاربية، وخصوصا البجائية[507]. كانت استثماراتهما أيضا هامة في المشرق اللاتيني وفي مصر، وأيضا في الأسواق الأوروبية الكبيرة وفي بقية الموانئ النشطة مثل برشلونة أو مسينا[508]. إنّ أعمالهما التجارية في بجاية بين

---

(505) يمكن مقارنة هذه الأرقام مع توزيع الاستثمارات التي حملت على مركب سان إسبري (Saint-Esprit) باتجاه سوريا في 1248: 4،25 في المائة من العقود هي أقل من 10 ليفر، و50 في المائة بين 10 و50 ليفر، و20،3 في المائة بين 50 و100 ليفر و25،45 في المائة بأكثر من 100 ليفر. Sayous, « Le commerce de Marseille avec la Syrie », art. cité, p. 396-397. على غرار جنوة، جذبت التجارة المشرقية رؤوس أموال كبيرة جدا.

(506) نشر بلونكار وثائق عائلة موندیال (Manduel):

L. Blancard, *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Âge*, Marseille, 1884-1885.

جاءت هذه الوثائق من مصادرة ممتلكات وأوراق جون منديال، الذي أوقف في 1262 لأسباب سياسية.

(507) من بين حوالي 79 وثيقة، 51 تتعلق بالمغرب، من بينها 24 ببجاية و15 بسبتة، في حين أن 14 هي عقود إلى المشرق (عكا والأسكندرية ودمياط وسوريا) و14 لأماكن أوروبية أخرى.

(508) حول هؤلاء التجار الثلاثة، أنظر:

A.-E. Sayous, *Les Opérations du capitaliste et commerçant marseillais Étienne de Manduel entre 1200 et 1230*, Bordeaux, 1930, et Id., *L'Activité de deux capitalistes-commerçants marseillais vers le milieu du XIIIe siècle : Bernard de Manduel (1227-1237) et Jean de Manduel (1233-1263)*, Paris, 1929.

1210 و1255تعتبر معروفة، ومن بين عشرين عقداً، يدور معدّل الاستثمارات حول 20 ليفر، وهذا ما يبقى رغم ذلك متوسطا.

إنّ الوثائق البيزية نادرة ولا تمثّل حجم تجارة هذا الميناء مع المغرب. إنّ الأسماء التي هيمنت هي أسماء العائلات الكبيرة مثل آل لافرونشي (Lanfranchi)، وآل لانفروندتشي (Lanfreducci)، وآل أيوتاميكريستو (Aiutamicristo)، وآل دال باجنو (Dal Bagno)، وآل بوكا (Boca)، مع بروز عائلات جديدة من الشعب (*popolo*) في حوالي منتصف القرن الثالث عشر[509]. ففي 1269، أخذ بوتشو روسو (Duccio Rosso) – من دار آل لافرونشي[510]– في عقد شراكة 15 ليفر من سولاتشيو (Sollaccio) ابن المرحوم لمبارتو فيناريو (Lamberto Vinario) إلى بجاية[511]. وفي 1277، سافر من جديد إلى بجاية بأموال جيدوني بننكاسا (Guidone Benencasa)[512]. وفي 1278، عمل لوبو دو جيراردو روسو (Lupo de Gherardo Rosso)، وهو من نفس العائلة– وصيته ببجايةحيث استقر دون شك[513]. تبيّن هذه الوثيقة أنه طوّر فيها عدة أعمال تجارية عديدة وهامة[514]. كانت عائلة لافرانشي روسي هذه

---

(509) O. Banti, « I Rapporti tra Pisa e gli stati dell'Africa settentrionale tra l'XI e il XIV secolo », *Le Ceramiche medievali delle chiese di Pisa*, Pise, 1983, p. 23.

(510) حول آل لافرونشي وشبكة أعمالهم التجارية، أنظر:

E. Cristiani, *Nobiltà e popolo nel comune di Pisa*, Naples, 1962, p. 408-409.

(511) Éd. A. Guidi, *Atti di ser Leopardo del Fornaio dai registri n° 3 e n° 4 della serie contratti dell'Archivio della Mensa arcivescovile di Pisa (1259-1270)*, tesi di laurea, sous la direction de M. Luzzati, Université de Pise, 1975-6, n° 117.

Mas-Latrie, *Traités de paix, op. cit.*, 1261 نشر ماس لاتري نفس الوثيقة مؤرخة ب p. 37

(512) ASP, *Diplomatico Trovatelli*, 12/3/1277.

(513) ASP, *Diplomatico Roncioni*, 17/10/1278.

(514) M. Bensaci, « Familles et individualités pisanes en relation avec le Maghrib », *CT*, 113-114, 1980, p. 60-63.

واحدة من العائلات الأكثر نشاطا في تجارة بيزا البحرية[515]، ونفس الشيء بالنسبة لآل لانفروندتشي (Lanfreducci)، حيث لهم مصالح في التجارة البجائية[516]. في القرن الرابع عشر، شاركت عائلات الشعب الكبيرة مثل آل أجلياتا (les Agliata) أيضا في هذه التجارة[517]. لكن بالنسبة لكبار التجار هؤلاء، لم تكن بجاية أبدا وجهة كلية، فقد حملت أعمالهم أيضا على أسواق كبرى أخرى في البحر المتوسط. يمكن فعل تحقق مماثل بالنسبة للبندقية، حتى وإن تنقصنا الوثائق التجارية. في نهاية القرن الثاني عشر، أجرى التاجر رومانو مايرانو (Romano Mariano) عدة عمليات صرف في بجاية وباع فيها يختا[518]. لكنه نشيط خصوصا في الأسواق المشرقية ولم ينطو على بجاية إلا تبعا للمشاكل التي تلقاها البنادقة في القسطنطينية[519].

---

(515) حول عائلة لنفراشي روسي (Lanfrachi Rossi)، أنظر: Cristiani, *op. cit.*, p. 413-415

(516) ASP, *Diplomatico S. Silvestro di Pisa*, 29/1/1315.

حول هذه العائلة، أنظر: Cristiani, *op. cit.*, p. 416

(517) في أفريل 1326، أجّر سيتشو أجلياتا (Cecco Agliata) مركب إلى كاجلياري وجيجل وبجاية والقل. ASP, *Diplomatico Alliata*, 27/4/1326. وفي جوان، ذهب مركبه الخاص به إلى بجاية. (16/6/1326) ASP, *Ospedali riuniti di S. Chiara*, n. 1969, f. 96r. أنظر: M. Berti, « Commende e redditività di commende nella Pisa della prima metà del Trecento (da documenti inediti) », *Studi in onore di Federigo Melis*, II, Naples, 1978, p. 124-125.

حول هذه العائلة الهامة، أنظر: M. Tangheroni, *Gli Alliata, una famiglia pisana nel medioevo*, Padoue, 1969

(518) Éd. R. Morozzo della Rocca, *Documenti del commercio veneziano nei sec. XI-XIII*, I, Turin, 1940, p. 279-293 (documents allant du 9/6/1177 à février 1179).

(519) G. Luzzatto (sous le pseud. de G. Padovan), « Capitale e lavoro nel commercio veneziano dei secoli XI e XII », *Rivista di storia economica*, 6, 1941, rééd. *Studi di storia economica veneziana*, Padoue, 1954, p. 93 ; voir également S. Borsari, « Il commercio veneziano nell'imperio bizantino nel XII sec. », *RSI*, 1964, p. 991.

في برشلونة وفي بلاد لاكورونيا أراجونة بصفة عامة، تبيّن الوثائق التجارية النادرة للقرن الثالث عشر على السواء عددا كبيرا من المقاولين، من بينهم الملوك أنفسهم[520] والتجار المتواضعين جدا، حيث اقتصر نشاطهم في الحوض الغربي للبحر المتوسط، وذلك بمبالغ استثمارية متوسطة[521].

بالنسبة للقرنين الرابع عشر والخامس عشر، من الصعب مباشرة دراسة للأوساط التجارية النشطة في بجاية. ستساعد دون شك دراسة آلية لموثقي ميورقة من النظر إليها بشكل أوضح. تبيّن الوثائق التي اكتشفها بيار مكار (Pierre Macaire) وأنوفر فاكر (Onofre Vaquer) وسطا نشطا طبعا، لكن باستثمارات متوسطة بصفة عامة، حتى وإن برزت بعض الأوجه في المادة الخبرية. وتسمح سجلات وثائق النصف الثاني من القرن الخامس عشر التي نشرها أنوفر فاكر من الحصول على فكرة عن الوسط التجاري الميورقي[522].

في سنوات 1450-1460، كانت عائلة آل باردو (Pardo) المعتنقة حاضرة جدا في تجارة بجاية. ففي 1451، أمّن جابريال (Gabriel) حمولة من

---

(520) Dufourcq, *L'Espagne catalane*, *op. cit.*, p. 65-66.

(521) تمّت جيدا دراسة هذا الوسط التجاري البرشلوني في القرن الثالث عشر في عدة مقالات لكرمان باتل (Carmen Batlle).

C. Batlle i Gallart, « La presencia de mercaders catalans al nord d'Africa durant el segle XIII », *Homenatge a la memoria del prof. Emilio Saez*, Barcelone, 1989, p. 99-109 ; Ead., « Uns mercaders de Barcelona al Nord d'Africa a mitijan segle XIII », *Acta Mediaevalia*, 10, 1989, p. 145-157 ; Ead., en collaboration avec C. Cuadrada, « Berenguer de Bonastre, un negociante barcelonés en el Norte de Africa (segunda mitad del siglo XIII) », *Sardegna, Mediterraneo e Atlantico tra medioevo ed età moderna. Studi storici in memoria di Alberto Boscolo*, dir. L. Arienzo, II, *Il Mediterraneo*, Rome, 1993, p. 129-150 ; Ead., en collaboration avec E. Varela, « Las relaciones comerciales de Barcelona con el norte de África (siglo XIII) », *Anales de la Universidad de Alicante*, 7, 1988-1989, p. 23-52.

(522) Vaquer, « Navegació i comerç », art. cité, p. 95-142.

أجريت الدراسة انطلاقا من وثائق سنوات 1450-1460.

الشمع والجلود ذاهبة من بجاية. وفي 1454، أعطى توماس باردو (Tomas Pardon) طلبية بـ 125 ليفر من القماش لحملها إلى الجزائر وبجاية. امتلك الأب باردو -الذي أجرى عدة أسفار إلى بجاية بين 1450 و1452 بصفة تاجر- في 1456 مركب كبير ذهب إلى بجاية وتونس، وفي 1461 مركب بلانار، الذي أجّره إلى بجاية. وفي 1460، أجّر لويس باردو (Lluis Pardo) مركب جيلام لومبارت من برشلونة، لرحلة تنطلق من برشلونة للذهاب إلى إبيزا وميورقة والقل واستورة وبجاية وفي العودة ميورقة. لم يحد هؤلاء التجار نشاطهم بميناء بجاية فقط، واستثمروا أو شاركوا في رحلات غطّت مجمل طرق البحر المتوسط التجارية في تلك الفترة، مع ميل إلى الحوض الغربي. بين 1448 و1451، عقد توماس عقد ائتمان إلى بلنسية، وأعطى طلبيات إلى المشرق، وسافون وصقلية. أجّر بيري مراكبه بين 1448 و1460 لرحلات إلى بلرم، ومسينا ورودس وتونس والجزائر وبلاد البربر، وتدخل في عدة عقود ائتمان إلى بلنسية وتاراجونة (Tarragone) وشرشال ونابولي وجيات (Gaète). أبرم جابريال – الذي تخصص في الائتمان- عقودا تتعلق بالكدية (Alcudia) والجزائر وتنس وشرشال وكاجلياري (Cagliari) وإبيزا ونيس وسافون وتاراجونة وكاليوري ونابولي وجيات وبيرا (Péra) ورودس أو القسطنطينة. وأخيرا، كان لويس تارة مستثمرا (حيث له موزع في الجزائر، ومؤتمن لرحلات باتجاه نابولي والقل والجزائر وكاجلياري والكدية بميورقة، وصاحب طلبيات إلى رومانيا ورودس والأسكندرية وصقلية) وتارة تاجرا متنقلا (كراء إلى برشلونة وبلنسية ومورفاندر وكيوتاديللا وإبيزا ونابولي وجيات ورودس والقسطنطينة). يقومون بعد ذلك بإعادة توزيع المواد المغاربية على الأسواق الأوروبية الأخرى. في ديسمبر 1467، أمّن بو باردو (Pau Pardo) حمولة من جلود البقر -منها 120 وردت من بلاد البربر- باتجاه نيس (Nice) [523].

(523) M. Barcelo i Crespi, « Niçards a la Mallorca baixmedieval », *AEM*, 24, 1994, p. 75.=

كانت هذه العائلة دون شك استثنائية، مثل عائلة بالفيوري (Bellviure)، التي مدّت نشاطاتها التجارية على مجمل الحوض المتوسطي[524]. بقي البعض – الذي مارس التجارة أيضا في المشرق وفي البحر المتوسط الغربي- تجارا متوسطي الحجم. هي حالة جبريال بلجمانس (Gabriel Plegamans)، الذي أخذ طلبية بـ 125 ليفر من القماش، حملت إلى بجاية على متن ناف فراتشيسك فيدال (Francesc Vidal). نلاقي نفس الرجل في 1458، حاملا عدة طلبيات مستثمرة في القماش باتجاه رودس وموانئ أخرى بالمشرق، بمجموع 490 ليفر. كان لتجار آخرين قسم من النشاط المحدود، مثل برتومو ميرو (Bartomeu Miro)، الذي ذهب إلى بجاية في 1455 و1460. وفي 1461 و1454، كان قد سافر مع بيري ديسبي (Père De spi) إلى القل،حيث جلب على الخصوص الذهب والجلود والشمع. اقتصرت إذن نشاطاته على المغرب، بالخصوص القسم الغربي من السلطنة الحفصية. نفس الشيء بالنسبة لخوان رفال (Joan Ravell)، الذي أخذ في أكتوبر 1454 طلبية بـ 116 ليفر و17 سو و5 دونيي من القطن والزيت، حيث وجب حملهم إلى بجاية أو الجزائر. في مارس من نفس السنة، حمل أيضا طلبية من القماش بمبلغ 41 ليفر إلى بلاد البربر، وفي 1457، أخذ طلبية بـ 150 ليفر من القماش باتجاه الجزائر. أيضا، أجّر أنتوني سالوم (Antoni Salom) في 1462 ناف إسارن السرقسطي (Isern de Saragosse) للذهاب إلى برشلونة وإبيزا وميورقة وبجاية والجزائر. كان معتادا على هذه الموانئ لأنه كان قد نقل في 1451 القماش والقطن والزيت إلى "أرض المور"، وفي 1455، وأخذ طلبية بـ 54 ليفر من القطن إلى الجزائر. نلاقي إذن على الخصوص عدة متعاملين

=أنظر أيضا: Vaquer Bennasar, *El Comerç Marítim, op. cit.*, p. 145-148, 183-184, 330-331، الذي بيّن العلاقات الزوجية بين أحسن عائلات ميورقة ومملكة أراجونة.

(524) كانت هي أيضا عائلة من المعتنقين، التي استطاعت الحفاظ على علاقة متينة مع الجاليات اليهودية في الجهة.

من الحجم المتوسط، سواء من خلال المبالغ المستثمرة أو المحمولة أو من خلال إشعاع نشاطهم.

كانت على الخصوص ثلاثة أنواع من الفاعلين الأوروبيين في التجارة البجائية. وجد تجار كبار جدا في بجاية سوقا مكملا للمشرق. اشتروا بها بعض المواد في شروط حسنة أو وجدوا فيها أرضية انزواء في حالة الصعوبات في المشرق. لكن بقيت حصة بجاية ضعيفة في نشاطهم. نجد جماعة هامة من التجار خصوصا المتوسطين منهم، أحيانا متخصصين في المغرب. كانت المبالغ المستثمرة في الغالب متواضعة، لكن سمحت لهم الانطلاقة بتنمية رأس مالهم بسرعة. نجدهم في كل الموانئ الكبرى في جنوب أوروبا مشكّلين دعامة تجارة بجاية. وأخيرا، في جنوه ومرسيليا، (ربما توجد الظاهرة في وجهة أخرى)، جذبت الأرباح المحتملة صغار المتعاملين. إذن كان التجار المناسباتيين هم من حمل الطلبية ثم اختفوا من المادة الخبرية ربما لأنهم غير مهنيين في التجارة حيث استثمروا مبالغ ضئيلة جدا في الغالب مقارنة مع المبالغ التي خصصت للتجارة البحرية بصفة عامة.

قد جذبت بجاية عددا كبيرا من المتعاملين الاقتصاديين في المدن التجارية في جنوب أوروبا. لكنها لم تستطع –طبعا- مجاراة أسواق المشرق، التي كانت تجارتها شأن كبار التجار. بيد أنها سمحت بتنمية رأس مال، حتى وإن كان متواضعا، في العمليات قصيرة المدى. إنّ تطور عقود الطلبيات جعل في الإمكان المشاركة في الأعمال التجارية وفي الفوائد. إنّ العدد الكبير من السفن التي غالبا ما كانت ذات حجم متواضع، ضاعف إمكانيات الذهاب إلى بجاية والعودة منها بسرعة.

أدّت هذه التعبئة المالية والبشرية – الشاملة والمتنوعة- إلى نجاح التجار المسيحيين في بجاية. بالعكس، لم يطور البجائيون قطاعا تجاريا بقوة موازية ومنذ ذلك الحين – أي بداية من القرن الثالث عشر- استبعدوا بصورة جلية من التجارة البحرية الكبيرة.

الفصل الثاني
تطور مرتبط بتحولات في المغرب والبحر المتوسط

بأخذها مكانة في التجارة المتوسطية، اندمجت بجاية في فضاء اقتصادي واسع. لم تكن مرتبطة فقط بالأسواق المسلمة وامتداداتها الآسيوية والإفريقية كما في نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر، و بأسواق أوروبا الجنوبية أيضا. فعن طريق تجار الموانئ المسيحية الكبرى في إيطاليا وبروفانسيا أو إسبانيا كانت بجاية على اتصال بمجمل البحر المتوسط الغربي منه والشرقي ومع بقية أوروبا وآسيا البعيدة. لكن بتضييع قسم كبير من التحكم في التجارة البحرية، أصبح البجائيون مرتبطين بالمتعاملين الاقتصاديين الأوروبيين وبالتالي بتطور ظرفية مدن أوروبا الجنوبية. لكن بقي الميناء أيضا مرتبطا إلى حد بعيد ببلاده الخلفية وكان من الخطورة استقدام الكل إلى التجارة البحرية الكبيرة. بالرغم من افتقادنا إلى معلومات دقيقة حول بقية الاقتصاد الحضري، فإن المبادلات الدولية مؤشر جيد لازدهار المدينة أو على الأقل بعض قطاعات النشاط. وتسمح الوثائق التجارية الأوروبية بتتبع تطور ازدهار الميناء ومحاولة وضع تحقيب زمني لذلك، والذي لا يتماشى بالضرورة مع تحقيب الأحداث السياسية.

إن هذا التحقيب هو بالضرورة واسع، إذ ليس من الممكن تتبع الهزات العديدة -والمرئية أحيانا- لنشاط الميناء طوال الفترة المختارة للدراسة. إن الأزمات القصيرة هي في الواقع كثيرة -وكلها لم ترو لنا. تنتشر الأنباء الجديدة بسرعة[1]

(1) كانت عودة المراكب إلى أوروبا فرصة للاستعلام حول تطور الوضعية في الموانئ المغاربية ولخّصت المراسلات المكتوبة بين التجار على ظروف الأسواق والمخاطر والمناسبات. وهذه المراسلات معروفة خصوصا من خلال وثائق جنيزة القاهرة، وأرشيفات شركة داتيني دو براتو في القرن الرابع عشر، أو رسائل التجار البنادقة في القرن الخامس عشر.=

وتعرف أقل الصعوبات التي تواجهها بجاية بسرعة في أسواق الجهة الكبرى، وهذا ما يؤدي إلى تقلص نشاط الميناء[2]. لكن من الممكن التمييز هنا بين الأزمات الدقيقة من جهة، والحقب الكبرى للازدهار والأزمة من جهة أخرى.

إن أسباب هذه التطورات هي طبعا متعددة. والصعوبات هي قياس آثار العوامل الداخلية المغاربية وعوامل حركات الاقتصاد المتوسطي والأوروبي.

طوّرت بجاية بسرعة نشاطا بحريا مهما. بعد أقل من قرن من تأسيسها، أصبحت واحدة من أكبر الموانئ المغاربية. وامتدت فترة الازدهار هذه إلى غاية العشرية الأولى من القرن الرابع عشر. وتبدأ حينئذ أزمة طويلة موسومة بفتور نسبي للتجارة الدولية تزامن مع نمو القرصنة. انطلاقا من منتصف القرن الخامس عشر، استأنف التجار الأوروبيون المجيئ لتنفيذ أعمال في المدينة، لكنها لم تسترجع المكانة التي كانت قد احتلتها من قبل في القرن الثالث عشر.

=Sh. D. Goitein, *Letters of Medieval Jewish Traders*, Princeton, 1973 ; F. Melis, « Intensità e regolarità nella diffusione dell'informazione economica generale nel Mediterraneo e in Occidente alla fine del Medioevo », *Histoire économique du monde méditerranéen, 1450-1650. Mélanges en l'honneur de Fernand Braudel*, Toulouse, 1973, p. 389-424, rééd. *I Trasporti e le comunicazioni nel Medioevo*, Florence, 1984, p. 179-223 ; B. Doumerc, « Par Dieu écrivez plus souvent ! La lettre d'affaires à Venise à la fin du Moyen Âge », *La circulation des nouvelles au Moyen Âge. XXIVe Congrès de la SHMES, Avignon, juin 1993*, Rome-Paris, 1994, p. 99-109.

(2) إن عقود الكراء البحري خصوصا توضيح اختيار الوجهة المتبعة بحسب سماع الأخبار الجديدة. ويستعلم التجار حول الظروف السياسية (وبالتالي أمن الميناء) وأيضا حول احتمالات السوق. على سبيل المثال:

ASG, min. 29, f. 164r (20/7/1253), éd. E. H. Byrne, *Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries*, Cambridge (Mass.), 1930, p. 120-124.

I ـ العصر الذهبي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر

إنّ السنوات الأولى لتطور بجاية مجهولة كثيرا. إنّ أول شهادة – بعد شهادة البكري (سابق لتأسيس المدينة الحمادية) هي شهادة الإدريسي[3]، الذي وصف نشاطا تجاريا كبيرا وشبكات برية وبحرية ممتدة جدا، وهذا ما تؤكده أولى الوثائق التجارية الجنوية المعاصرة. فهو بذلك يظهر نتيجة تطور أكثر قدما والتي يجب أن نتنازل عن الإحاطة بإيقاعاتها.

لكن يبدو أن البدايات كانت بطيئة. طبعا وجدت علاقات تجارية مع العالم الإسلامي ودون شك أيضا مع الجهات المسيحية القريبة[4]. ففي حوالي 1135 كتب تاجر يهودي إلى أخيه الأكبر بالقاهرة يخبره بسفره على متن مركب مسيحي من مصر إلى بجاية حيث قام بأعمال هامة[5]. إنّ هذه الحالة لم تكن دون شك معزولة، لكن لا تسمح المادة الوثائقية بمعرفة كثافة تجارة بجاية حتى منتصف القرن الثاني عشر. وتظهر شواهد العلاقات بين المدن الإيطالية الشمالية والمغرب في نهاية القرن الحادي عشر وبداية القرن الثاني عشر مناخ عداوة تسيطر عليه

---

(3) لكن تظهر شهادة البيدق –حول الثراء الفاحش للبجائيين في نظره عند مرور المهدي بن تومرت بالمدينة– ازدهاراً كبيراً في نهاية القرن الحادي عشر. البيدق، الترجمة، ص 79.

(4) يتعقد روبارتو سباتينو لوبيز بحصول الجنويين والبيزيين على اتفاقيات تجارية مع الحماديين والزيريين في سنوات 1060–1080. R. S. Lopez, *Storia delle colonie genovesi nel Mediterraneo*, Bologne, 1938, rééd Gênes, 1997, p. 28. تلمح النصوص المحفوظة في الغالب إلى اتفاقيات قديمة أكثر (ربما شفوية). أيضا، يميل الهادي روجي إدريس إلى وجود معاهدة بين الحماديين والنورمانيين بصقلية. H.-R. Idris, *La Berbérie orientale sous les Zirides, Xe-XIIe siècle*, Paris, 1962, p. 308. وهو أيضا رأي أنليز ناف: A. Nef, *L'élément islamique dans la Sicile normande : identités culturelles et construction d'une nouvelle royauté (XIe-XIIe siècle)*, thèse de l'université Paris X, sous la direction de H. Bresc, 2001, p. 301.

(5) Goitein, *Letters*, *op. cit.*, p. 323.

القرصنة[6]. ففي 1136 شنّ اثنا عشر يختا جنويا غارة ضد بجاية واستولوا فيها على مركب وعدة مسلمين[7].

يجب أخذ عدة عوامل في الحسبان لتفسير هذه المشاكل. في بادئ الأمر إن التجارة المغاربية مرّت بصعوبات تشهد عليها وثائق الجنيزة[8]. في بداية القرن الحادي عشر، كتب يهود إفريقية مراسلاتهم إلى نظرائهم في مصر لطلب مساعدتهم على الهجرة، وفي رسالة أخرى لنفس الفترة هنأ يهودي مراسله على استقراره بمصر لأن "الغرب (الإسلامي) لا يساوي شيئا من الآن فصاعدا"[9]. لقد نمّى التجار الأوروبيون أيضا مبادلاتهم مع الشرق المتوسطي مفاضلة عن المغرب، كما هو حال الألمفاتيين والبنادقة في وقت مبكر جدا، ثم بعد ذلك بقليل البيزيين والجنويين[10]. نحن إذن نشاهد تنقّلا نحو الشرق حيث أن مصر هي المستفيد الأول. ويفسّر هذا التغيير بسياسة الفاطميين الذين بحثوا عن جذب التجارة دون

---

(6) G. Jehel, *L'Italie et le Maghreb au Moyen Âge. Conflits et échanges du VIIe au XVe siècle*, Paris, 2001, p. 38-43.

(7) *AG*, I, p. 28, trad. p. 86. Cf. également M. Tangheroni, « Sui rapporti commerciali tra Pisa e la Tunisia nel Medioevo », *L'Italia ed i paesi mediterranei. Vie di comunicazione, scambi commerciali e culturali al tempo delle Repubbliche marittime*, Pise, 1988, p. 83.

(8) Sh. D. Goitein, *A Mediterranean Society. The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, I, *Economic Foundations*, Berkeley-Londres, 1967, p. 32.

(9) *Ibid.*, p. 56.

في القرن العاشر وأيضا في السنوات الأولى من القرن الحادي عشر، كانت إفريقية هي دائما محور التجارة المتوسطية. *Ibid.*, p. 212.

(10) Cl. Cahen, « Quelques problèmes concernant l'expansion économique musulmane au haut Moyen-Âge », *L'Occidente e l'Islam nell'alto Medio Evo*, Spolète, 1965 (*Settimane di studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medio Evo*, XII), I, p. 428 ; Id., *Orient et Occident au temps des Croisades*, Paris, 1983, p. 36-41 ; A. L. Udovitch, « Fatimid Cairo : Crossroads of Word Trade – From Spain to India », *L'Egypte fatimide, son art et son histoire*, dir. M. Barrucand, Paris, 1999, p. 681-691.

المرور بالوسيط الإفريقي[11]. أشار جون دوفيس أيضا لتحويل طرقات الذهب نحو الغرب في نهاية القرن العاشر[12]. وأخيرا، تضاف الاضطرابات الخاصة بإفريقية إلى هذه الصعوبات، خصوصا في النزاع الزيري والحمادي وأيضا تنقلات القبائل الهلالية.

إذن بداية من منتصف القرن الثاني عشر يمكن أن نبدأ فعليا دراسة نشاط الميناء، بمعنى لحظة إرساء السيطرة الموحدية. لم يتوقف نمو هذا النشاط حتى بداية القرن الرابع عشر. أرسلت إليه أغلب المدن التجارية في أوروبا الجنوبية تجارا، حتى وإن سيطر البيزيون والجنويون على التجارة أثناء مرحلة طويلة. لكن تحليل الشبكات التجارية يصطدم باختلال غنى الرصيد الوثائقي من عدمه والصورة المتحصّل عليها توجد مشوّهة لصالح جنوة أساسا، حيث أن نشاطها معروف جدا بفضل رصيدها الاستثنائي للموثقين في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. لا يوجد مثيل له في بيزا وبرشلونة والبندقية أو في نابولي، وهذا لا يعني بالضرورة أن هذه الموانئ لم تعقد علاقات متتابعة مع بجاية. أخيرا، من الصعب تقدير التجارة المباشرة مع المشرق، كما في بقية الغرب الإسلامي، سواء تعلق الأمر بالتجارة البرية أم البحرية. إن هذه التحفظات المنجزة، تبين أن بجاية لم تعقد علاقات مكثّفة مع المدن الرئيسية في البحر المتوسط.

استفادت بجاية من ظرفية مزدوجة ومناسبة، تتمثل في الازدهار الموحدي والقرن الأول الحفصي، وفي أوروبا من الثورة التجارية ونمو المبادلات البحرية.

---

(11) Cahen, « Quelques problèmes », art. cité, p. 428.

(12) J. Devisse, « Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale », *Histoire générale de l'Afrique*, III, *L'Afrique du VIIe au XIe siècle*, dir. M. El-Fasi, Paris, 1990, p. 428-429.

1) النصف الثاني من القرن الثاني عشر: تطور العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية

"وهي مرسى عظيمة تحط فيها سفن الروم من الشام وغيرها من أقصى بلاد الروم، وسفن المسلمين من الإسكندرية بطرف بلاد مصر وبلاد اليمن والهند والصين وغيرها[13]." بهذه الكلمات انبهر صاحب كتاب الاستبصار، ربما بشيء من المبالغة[14]، أمام النشاط البحري لبجاية في الفترة الموحدية. في نهاية القرن الثاني عشر، أصبحت المدينة في الواقع واحدة من كبرى موانئ الضفة الجنوبية للبحر المتوسط.

إن استيلاء عبد المؤمن على المدينة وضع حدا لاستقلال العاصمة الحمادية، لكنه لم يضر بازدهارها. بالعكس، فقد أدمجها في فضاء واسع موحّد من الأندلس إلى إفريقية. بقيت إذن بجاية -مع قسنطينة- قطبا مسيطرا على الجهة، كما يشهد بذلك تنصيب عمال من طراز كبير فيها. بدأت الآثار العنيفة جدا للهجرات الهلالية تترك بصماتها في نفس الوقت مع العودة إلى نظام سياسي صلب والاستقرار النسبي للجماعات القبلية. إن الأزمة الهامة الأولى هي أزمة بني غانية في 1184، لكنها لم تؤثر على بجاية إلا لفترات قليلة من الوقت، وانتقل المشكل بسرعة نحو الجنوب وخصوصا نحو الشرق.

عرفت أوروبا في ذات الفترة نموا اقتصاديا ملحوظا، والذي ساندته ديمغرافية حيوية، مسّت جميع قطاعات الانتاج في المدن كما في الأرياف. أتبعت

---

(13) الاستبصار، ص 35.

(14) لكن لا يجب أن نطرح على هذه الشهادة نظرة أكثر نقدية: في القرن الرابع عشر التقى ابن بطوطة في الصين بتاجر من سبتة كان قد سافر إلى الهند. ابن بطوطة، ص 985. إن قدوم السفن من الجهات البعيدة هو غير محتمل ويتعلق الأمر بالأحرى بأسطورة.

اللحظة حيث نمت "الثورة التجارية"[15] إيقاعات مختلفة حسب الجهات، وهي التي ما زال يتناقش حولها المؤرخون[16]. هذا النمو كان مبكرا في إيطاليا ومتأخرا عنه في كتالونيا أو بروفانسيا. في جميع الحالات، يلمس آثارها على التجارة المغاربية بداية من النصف الثاني من القرن الثاني عشر. موازاة مع هذا التمدد الاقتصادي، ربحت المسيحية بداية من القرن الحادي عشر مجالات أخرى على حساب الإسلام. وإذا لم تكن هنالك آثار دائمة للهجمات ضد السواحل المغاربية فإن الجزر الكبرى في البحر المتوسط الغربي مرّت كلها تدريجيا تحت المراقبة الإيطالية أو الكتالانية وأصبحت قواعد أساسية للتجارة والملاحة، كما هو حال صقلية وسردينيا خصوصا وبعد ذلك ميورقة.

إنّ البيزيين والجنويين هم أوائل الذين نموّا تجارة نشطة في بجاية.إنّ وثائق الأرشيف التي تسمح بدراسة هذه المعاملات التجارية ليست متوفرة إلا بداية من منتصف القرن الثاني عشر[17]، لكنها تبيّن مبادلات ملحوظة قبل ذلك، حيث أن البدايات يجب أن توضع قبل ذلك بقليل. أشار الإدريسي إلى الازدهار التجاري لهاتين المدينتين حتى وإن لم يتحدث بصراحة عن علاقاتها مع المغرب[18]. يصف معاصره الزهري البيزيين "كتجار على البر والبحر حيث يذهبون إلى الشام

---

(15) R. S. Lopez, *La Révolution commerciale dans l'Europe médiévale*, Paris, 1974, et plus récemment M. Tangheroni, *Commercio e navigazione nel Medioevo*, Bari, 1996, p. 127-186.

(16) *Ibid.*, p. 129-130.

(17) وردت بجاية في وثيقة من بين الموانئ التي يتردد عليها الجنويون. يتعلق الأمر بتسعيرة ديوانية محفوظة في سجل نسخ الوثائق التي على صلة بأسقفية جنوة، جمعت سنة 1143. *Registrum Curiae*. Éd. L. T. Belgrano, « Registro della Curia arcivescovile di Genova ». *ASLSP*, 2, 1862, p. 9. الأول العمل الأول هو عقد شركة في 1156. Giovanni Scriba, n° 59 (16/4/1156).

(18) الإدريسي، الترجمة، ص 371-372.

والإسكندرية ومدن مصر وأيضا أقاصي المغرب والأندلس"[19]. أبرمت الجمهوريتان بسرعة اتفاقيات مع الموحدين، أسياد المغرب الجدد. ففي 1161، وقّعت جنوة معاهدة لمدة خمس عشرة سنة، تضمن أمن الجنويين في البر والبحر. تمّ تحديد الرسوم المدفوعة بثمانية في المائة ما عدا في بجاية حيث تكون عشرة في المائة، وربع المداخيل تعود إلى مجلس مدينة جنوة[20]. وفي 1166، أمضت بيزا بدورها معاهدة مع الموحدين صالحة مدة حكم الخليفة يوسف بن يعقوب[21]. كانت موانئ إيطاليا الجنوبية أيضا على علاقة بالمغرب، متبعة في هذا تقليدا قديما أبقاه النورمان.

---

(19) الزهري، كتاب الجغرافية، نشر محمد صادق:

Mappemonde du calife al-Ma'mūn reproduite par al-Fazārī (IIIe/IXe siècle), rééditée et commentée par al-Zuhrī (VIe/XIIe siècle), éd. M. Hadj Sadok, *Bulletin d'Etudes Orientales*, 21, 1968, p. 229.

ترجم الفقرة كر. بيكار:

Chr. Picard, *L'Océan atlantique musulman. De la conquête arabe à l'époque almohade. Navigation et mise en valeur des côtes d'al-Andalus et du Maghreb occidental (Portugal-Espagne-Maroc)*, Paris, 1997, p. 415.

(20) *AG*, I, p. 62, trad. p. 124.

إن سبب هذا البند الجمركي ليس واضحا، لكن ربما يعني تعويضا عن ضرر أعمال القرصنة. يشير مخطوط آخر استعمله لويس دو ماس لاتري إلى أن 1/ 5 من الرسوم المستلمة في بجاية يدفع من جديد إلى مجلس المدينة (القومون). هذا الرقم أشار إليه أيضا كتاب الأخبار لأجوستينو جيوستنياني. Agostino Giustiniani, *Annali della Repubblica di Genova*, éd. G. B. Spotorno, Gênes, 1854, I, p. 204. Hilmar C. Krueger pense que ce traité a été renouvelé en 1176. H. C. Krueger, « Genoese Trade with North-west Africa in the XIIth Century », *Speculum*, 8, 1933, p. 379. تمّ إرسال سفارة إلى الخليفة الموحدي سنة 1191 والتي توصلت إلى معاهدة سلم جديدة. *AG*, II, p. 41

(21) Bernardo Marangone, *Annales Pisani*, éd. M. Lupo Gentile, Bologne, 1936-1940 (*Rerum italicarum, scriptores*2, VI, 2), p. 40.

بعد وفاة الخليفة في 1186، أرسلت بيزا سفارة التي جدّدت الهدنة لمدة خمسة وعشرين سنة. وبهذا فإن البيزيين لهم حق التجارة في سبتة ووهران وبجاية وتونس. النص العربي مع الترجمة الإيطالية:

M. Amari, *Diplomi arabi del R. Archivio fiorentino*, Florence, 1863, partie arabe, n° 5, p. 17-22.

في 1181 أمضى ملك صقلية غليوم هدنة مع الموحدين لمدة عشر سنوات[22]. لكن تنقص الوثائق لتقدير حقيقة هذه التجارة في بجاية في القرن الثاني عشر. إنّ أمالفي التي كانت واحدة من أوائل المدن التي نمّت أعمالها مع العالم الإسلامي[23] هي على الخصوص غائبة تماما في المادة الخبرية[24]. الأمر ذاته بالنسبة لجيات (Gaète) التي نعرف أنها تاجرت مع تونس[25]. أخيرا، كانت البندقية على علاقة ببجاية كما تبينه أعمال التاجر رومانو ميرانو (Romano Mairano)، لكن لا ندري إذا ما كانت هناك علاقات رسمية أو اتفاقيات سلم مع الموحدين[26].

---

(22) *Breve Chronicon [Chronique anonyme du Mont Cassin]*, Milan, 1724 (*Rerum italicarum scriptores*, 5), col. 70 ; L. de Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge*, Paris, 1866, p. 152.

(23) أنظر شهادة غليوم دو بويي (Guillaume de Pouille) في نهاية القرن الحادي عشر. *La Geste de Robert Guiscard*, éd. et trad. M. Mathieu, Palerme, 1961, p. 190-191.: "يعبر سكانها البحر كثيرا ويعرفون العرب والليبيين والصقليين والأفارقة وهم معروفون تقريبا في العالم بأسره ويجبون حمل الأشياء التي اشتروها".

(24) كان تراجع أمالفي عام جدا، أنظر:

G. Galasso, « Il commercio amalfitano nel periodo normanno », *Studi in onore di Riccardo Filangieri*, I, Naples, 1959, p. 81-103 ; Cl. Cahen, « Amalfi en Orient à la veille, au moment et au lendemain de la première croisade », *Amalfi nel Medioevo : convegno internazionale, 14-16 giugno 1973*, Salerne, 1977, p. 269-283.

إن تطور جنوة وبجاية كان كارثيا لتجارة أمالفي الكبيرة، إضافة إلى مرورها تحت السيطرة النورمانية. أنظر:

A. O. Citarella, « Il declino del commercio marittimo di Amalfi », *Archivio storico per le province napoletane*, s. III, 13, 1975, p. 9-54.

(25) M. Merores, *Gaeta im frühen Mittelalter (8. bis 12. Jahrhundert)*, Gotha, 1911, p. 103.

(26) إن حالة الوثائق الجنوية لا تسمح بمعرفة حجم هذه التجارة بين البندقية وبجاية.

إن الأرشيفات البيزية هي للأسف فقيرة جدا لدراسة العلاقات التجارية مع بجاية بدقة. أُحتفظ بوثيقة واحدة لهذه الفترة، وهي شكوى مرسلة إلى الخليفة في 1181 بخصوص صعوبات واجهت تجار المدينة التسكانية تسبب فيها مسؤول بديوان بجاية[27]. تبيّن أيضا بعض الشواهد مجيئ أناس من سافون إلى بجاية في الربع الأخير من القرن الثاني عشر[28].

إذن المبادلات معروفة خصوصا من خلال عقود الموثقين الجنويين. لا تسمح الأرقام المطلقة للاستثمارات الجنوية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر من رسم صورة تطور واضح بسبب ضعف عدد العقود المحتفظ بها بالنسبة لهذه الفترة. في المقابل، تظهر جيدا المكانة النسبية لبجاية في التجارة الجنوية بالبحر المتوسط وخصوصا بالمغرب.

بالنسبة لسنوات 1158-1161، تبيّن حسابات دافيد أبو العافية المكانة المتواضعة للمغرب في الاستثمارات الجنوية[29]:

---

(27) Amari, *Diplomi*, *op. cit.*, texte latin, partie latine, n° 14, p. 270, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 3, p. 10-13 (1/7/1181).

(28) في سنة 1178، قتل رجل مسلم السافوني أنسالدو فلاندول (Ansaldo Flandole) ببجاية. *Il Cartulario di Arnaldo Cumane e Giovanni de Donato, Savona, 1178-88*, éd. L. Balletto, Rome, 1978, n° 119.

حول سافون، أنظر:

F. Noberasco, « Savona allo spirale del secolo XII », *Atti della Società savonese di Storia Patria*, 14, 1932, p. 233-234 ; S. Origone, « Commercio marittimo nella Savona del XII secolo », *Società savonese di storia patria. Atti e memorie*, 30, 1994, p. 51-61. لكن جنوة عرقلت تجارة سافون حيث أجبرت في 1153 قبطان المراكب بالمرور عن طريق جنوة إذا ما تمنوا الذهاب إلى ما بعد سردينيا. ووجب عليهم إذن حمل الأغلبية من تجار جنوة.

A. Bruno, « Antico commercio e navigazione dei Savonesi nel Mediterraneo e nel Levante », *Bollettino della società Storica savonese*, I, 1898, p. 112.

(29) D. Abulafia, *The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes*, Cambridge, 1977, p. 111, 113, 119.

تم حساب النسب المئوية انطلاقا من مجموع الاستثمارات الجنوية للوجهة المعروفة.

جدول 28: توزيع الاستثمارات الجنوية (1158-1161)

السنوات	صقلية	سوريا-مصر	المغرب	بجاية
1158	34%	37%	7,4 %	3,6%
1160	%16,4	25,3%	19,5%	11,8%
1161	13,5%	48,8%	9,7%	2,8%

تركزت إذن أساسا هذه الاستثمارات[30] في صقلية والمشرق (سوريا ومصر)، بمعنى أن المغرب بقي هامشيا. لكن يجب تنويع هذه النتائج. في الواقع، عمل الموثق جيوفاني سكريبا - الذي يعد المصدر الوحيد المتاح لهذه السنوات- في قسم كبير لزبون ينتمي للنخب الحاكمة في المدينة[31]، وأقل بالنسبة للتجار المتوسطين الذين هم نشطين جدا في المغرب. من الممكن القول إذن أن التجارة الإفريقية لم يعط لها اعتبار كثير. مع التأكيد أن المدن التي كان التردد عليها هي تونس وقابس وطرابلس وسلا وأيضا سبتة وبجاية.

جدول 29: الاستثمارات الجنوية في بجاية وتونس وسبتة (1155-1164)[32]

	بجاية		تونس		سبتة		مجموع المغرب[33]
1155	0	%0	5	%100	0	%0	5
1156	200	%100	0	%0	0	%0	200
1157	148	%32,6	234	%51,5	0	%0	454
1158	106	%99,1	1	%0,9	0	%0	107
1159	109	%100	0	%0	0	%0	109

(30) تجب إضافة رومانيا التي جذبت في 1160 19،25 % من الاستثمارات. حول التجارة الجنوية في سوريا في القرن الثاني عشر وتطوره السريع بداية من 1150، أنظر:

E. H. Byrne, « Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century », *American Historical Review*, 25/2, 1920, p. 192-194.

(31) Erik Bach, *La Cité de Gênes au XIIe siècle*, Copenhague, 1955, p. 61.

(32) من خلال: Krueger, « Genoese Trade with North-west Africa », art. cité, p. 380

(33) منها طرابلس وقابس والغرب وسلا وبلاد البربر.

1254	%28,3	355	%4,8	60	%61,6	773	1160
1061	%70,1	744	%0	0	%21,2	225	1161
440	%48,6	214	%15	66	%9,3	41	1162
1422	%10,5	150	%16	227	%28,8	409	1163
842	%26,1	220	%0	0	%61,5	518	1164
6015	%28	1683	%13,3	802	%42	2529	المجموع

في مجمل العشرية، كانت بجاية هي أول وجهة في المغرب، لكن بداية من 1160، وجب عليها الإعتداد بمنافسة سبتة لها. لكن في المقابل، بقيت تونس بعيدا في المؤخرة ما عدا في 1157 (سنة 1155 ليست ذات دلالة).

تبيّن وثائق سنوات 1182-1191 (الموثقان أوبرتو سكريبا دو ماركاتو (Oberto Scriba de Mercato) وجيجليمو كاسنيزي (Guglielmo Cassinese)) مكانة هامة بالنسبة للمغرب في الاستثمارات الجنوية، وهذا ما يفسّر في قسم منه تطور وضعية الجنويين في المشرق[34].

(34) D. Valérian, « Gênes, l'Afrique et l'Orient : la place du Maghreb dans la politique génoise en Méditerranée (seconde moitié du XIIe siècle) », *Chemins d'outre-mer. Etudes d'histoire sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, éd. D. Coulon, C. Otten, P. Pagès, D. Valérian, Paris, 2004, p. 835-837.

جدول 30: الاستثمارات الجنوية (1182–1191) [35](بالليفر الجنوي)

	1182	183	1184	1186	1190	1191	المجموع
سبتة	2113,1		973	1983,15	0	4672,3	9741,55
حصة سبتة/ المغرب	*78,4%*		*83,2%*	*76,3%*	*0*	*44,6%*	*57,2%*
بجاية	430,25		47,4	0	0	2081,4	2559,05
حصة بجاية/ المغرب	*16%*		*4,1%*	*0*	*0*	*19,9%*	*15%*
تونس	150		149,05	600,4	0	1460,44	2359,89
حصة تونس/ المغرب	*5,6%*		*12,7%*	*23,1%*	*0*	*13,9%*	*13,9%*
وهران	0		0	5,5	0	400	405,5
الغرب	0		0	10	86	1047	1143
طرابلس	0		0	0	0	389,65	389,65
إفريقية (المهدية)	0		0	0	0	225	225
بلاد البربر	0		0	0	0	205,7	205,7
مجموع المغرب	2693,35		1169,45	2599,05	86	10481,49	17029,34
حصة المغرب/ الكل	*39,6%*		*28,2%*	*21,9%*	*1,2%*	*25,5%*	*23,9%*
الأسكندرية	540,6		174,7	246,6	0		961,9
سوريا	127		1196,05	3549,4	1721,25	8921,25	15514,95
القسنطينة	0	0	0	1917,95	0	5096,45	7014,4

(35) تمّ وضع هذا الجدول انطلاقا من جرد باش. Bach, *La Cité de Gênes, op. cit.*, annexes.

مجموع المشرق	667,6	0	1370,75	5713,95	1721,25	14017,7	23491,25
حصة المشرق/ الكل	*9,8%*	*0*	*33,1%*	*48,2%*	*24,1%*	*34,1%*	*32,9%*
صقلية	1005,5	310	689,3	2159,85	3159,05	7697,7	15021,4
سردينيا	829,25	0	193	188,2	1226,55	2935,35	5372,35
كورسيكا	15	0	62,5	0	16	31,5	125
سالرن	221	0	8,4	0	0	0	229,4
نابولي	0	0	6	672,05	10	3402,9	4090,95
الإمارة	0	0	6	0	0	0	6
روما	68,75	0	6,1	140,6	230	229	674,45
كونيتو	0	0	0	0	92	0	92
بيزا	0	0	0	0	51,25	471,75	523
مارام	350,2	21	506,85	165,9	305,75	191,4	1541,1
مونبليي	115	0	0	0	0	0	115
ميدي فرنسا	0	0	0	207,9	146,2	671,7	1025,8
ميورقة	830,55	0	100	0	110	43,75	1084,3
كتالونيا	0	0	20	0	0	907,3	927,3
إسبانيا	0	0	3	0	0	0	3
المجموع	6796,2	331	4141,35	11847,5	7154,05	41081,54	71351,64

جذب المغرب إذن خلال هذه الفترة ربع الاستثمارات الجنوية مقابل ثلث للمشرق، لكن معدل المبالغ المستثمرة باتجاه الأسواق المشرقية هو أكبر بمرتين منه بالمغرب[36]. إلى غاية 1190، ثلاثة موانئ فقط في الجهة كانت معنية بالتجارة الجنوية: تونس وبجاية وسبتة. إنّ المعاهدات المبرمة مع الموحدين منعت في الواقع

(36) *Ibid.*, p. 51.

الوصول إلى ميناء آخر ما عدا في حالة الضرورة[37]. لكن مراتب هذه المدن تعدّلت مقارنة بسنوات 1150-1160: من الآن فصاعدا سبتة هي المدينة الأكثر أهمية وركّزت أكثر من ثلاثة أرباع الاستثمارات الجنوية حتى 1186، وتقاسمت تونس وبجاية المرتبة الثانية. في بعض السنوات، الأولى تتجاوز الثانية بفارق شاسع، وهو ما يسجّل بواكير تغيير دائم كما هو الحال سنة 1186 حيث لم يبرم أي عقد باتجاه بجاية. لا بد هنا من رؤية الآثار العابرة لأزمة بني غانية الذين نزلوا في نهاية 1184 ونشروا الاضطراب بالجهة خلال بعض الوقت. ركدت التجارة سنة 1190 بالنسبة لمجمل المغرب، ربما لتجدد التوتر بسبب الحروب الصليبية والمجهودات التي وفّرتها جنوة في المشرق[38]. لكن ابتداء من السنة الموالية، استأنفت المبادلات بمستوى جيد حينما تمّ التوقيع على سلم جديد.

2) القرن الثالث عشر الجميل

استمر ازدهار النصف الثاني من القرن الثاني عشر إلى نهاية الفترة الموحدية وخلال القرن الحفصي الأول. إن سيطرة الحفصيين بتونس على المدينة تمّت دون عنف ظاهر. حينئذ شاركت بجاية في ازدهار إفريقية وعرفت إشعاعها الأكبر في المغرب وفي البحر المتوسط.

في نهاية القرن الثالث عشر أو في بداية القرن الرابع عشر كتب القاضي الغبريني عنوان الدراية، وهو مجموع تراجم لعلماء بجاية في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر، والذي يفتخر فيه بمدينته، موضحا إشعاعها الفكري. إن الشخصيات التي يقدمها ليست في غالبيتها بجائية الأصل[39]، لكن قدمت إليها

---

(37) تتحدث معاهدة 1236 بين جنوة والحفصيين – هي أقدم معاهدة معروفة- ببساطة عن المدن الاعتيادية التي يسمح فيها بالاتجار (المادة 1). وتوضح المعاهدة البيزية مع الموحدين في 1186 أن الموانئ التي ينفذ إليها المسيحيون هي سبتة وبجاية وتونس.

(38) Valérian, « Gênes, l'Afrique », art. cité, p. 835-837.

(39) أكثر من ثلثي الشخصيات المذكورة هي أجنبية عن المدينة.=

أحيانا للاستقرار النهائي، جذبتها بازدهارها وبحيويتها الفكرية والدينية وبقوة أمرائها[40]. كثير منهم قدم من المغرب الأوسط، وتظهر المدينة في هذا المجموع كقطب كبير لجهة تمتد من بونة إلى الجزائر[41]. إلى ما بعد مقاطعتها، جذبت بجاية أيضا من بعيد، من الأندلسيين بالأساس. إذ دفعت حركة الاسترداد (Reconquista) وتراجع الحدود في إسبانيا كثيرا من المسلمين واليهود إلى المنفى. فالكثير منهم اختار بجاية التي دائما ما عقدت روابط مع شبه الجزيرة الأيبيرية[42]. وساهموا في تنشيط الاقتصاد وخصوصا التجارة البحرية[43]. وفي الأرياف بعد الهجرات الكبرى الأخيرة للقبائل خلال أزمة بني غانية، استقر السكان، ونشأ توازن مما ساهم في الازدهار. ولم تكن الطرق مضمونة طبعا، لكن لا شيء يشير إلى توقف المبادلات الداخلية. في الجنوب، أمسكت عائلة بني مزني المستقرة ببسكرة بالمنفذ المؤدي إلى محاور القوافل الصحراوية، والتي رغم وفائها الهش للحفصيين والنزاعات المتكررة وجب عليها ضمان أمن تجارة كانت نافعة لها.

إن النزاعات لم تكن طبعا غائبة في هذه الفترة. لكن وإلى غاية نهاية حكم المستنصر، كانت قوة سلطان تونس كافية لضمان الاستقرار السياسي. ومازال العبد الواديون – على غرار المرينيين- ضعيفين جدا للتشويش على الأراضي الحفصية. رغم أنه نحو نهاية القرن الثالث عشر بدأت النزاعات في الاستئناف من جديد. بين سنتي 1283 و1318 كانت بجاية مقرا لدولة مستقلة بطريقة متواصلة تقريبا. لكن لم ينتج عنها حروب مضرة للبلاد وفترة الانفصال الطويلة هذه هي

=D. Urvoy, « La structuration du monde des ulémas à Bougie au VIIe/XIIIe siècle », *Studia Islamica*, 43, 1976, p. 97.

(40) لكن البعض لم يقم إلا بالمرور بها، لأن بجاية كانت واقعة على الطريق الذي يصل إلى المشرق.

(41) Urvoy, « La structuration », art. cité, p. 98.

(42) D. Valérian, « Les Andalous à Bougie, XIe-XVe siècle », *Migrations et diasporas méditerranéennes, XIe-XVIe siècles*, dir. M. Balard et A. Ducellier, Paris, 2002, p. 313-330.

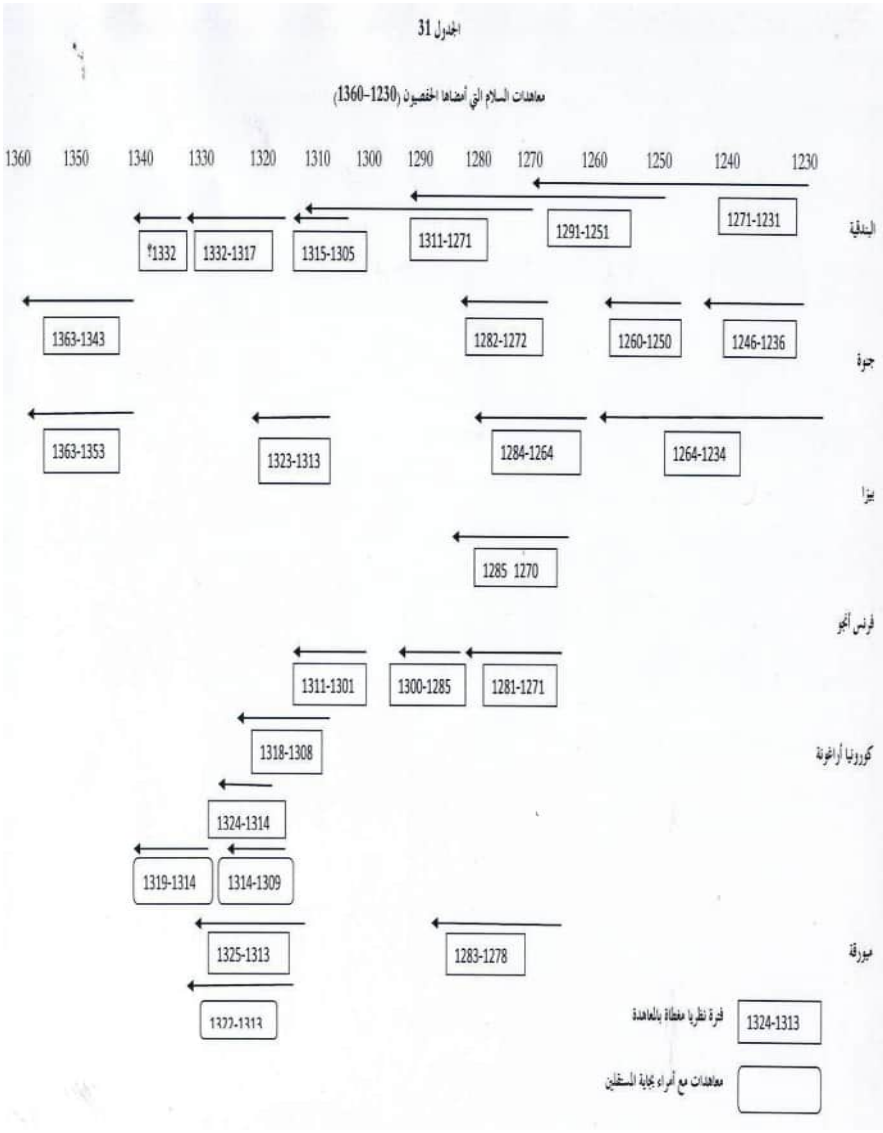
(43) *Ibid.*, p. 323-327.

خصوصا إشارة لازدهار مدينة قادرة على مساندة طموحات أميرها. فيما يخص الهجمات القادمة من الغرب، لم تكن تهديدا جديا حتى سنوات 1310.

إن أي سياق كهذا لم يستطع إلا مساندة الازدهار وجذب التجار إلى الميناء. في أوروبا، امتد التطور الاقتصادي والتجاري في القرن الثالث عشر إلى جهات كثيرة. وتطورت صناعة النسيج وصناعة الجلود في المدن الكبرى الجنوبية، متطلبة مواد أولية ومنافذ لمنتجاتها. لقد ساعد غنى المدن الاستثمارات في التجارة البعيدة، التي تعني فئات عريضة من السكان. ومن الآن فصاعدا، لم يكن الإيطاليون لوحدهم من تردد على بجاية، فهناك أيضا البروفانسيون وخصوصا الكتالانيون.

منذ بدايات السلالة الحفصية تضاعفت المعاهدات مع القوى الأوروبية الرئيسية: في 1231 مع البندقية (لمدة 40 سنة)، وفي 1234 مع بيزا (لمدة 30 سنة)، وفي 1236 مع جنوة (لمدة 10 سنوات). وتنص هذه الاتفاقيات على مجيء التجار إلى الموانئ الكبرى في السلطنة من بينها بجاية طبعا. تبعا لذلك، جددت هذه الاتفاقيات دوريا. إن البندقية التي أمضت هدنات لمدة أطول (30 أو 40 سنة) كانت على سلم بكيفية مستمرة تقريبا في القرن الثالث عشر. ظاهريا لم يكن الحال كذلك بالنسبة لجنوة حيث أن الهدنات كانت قصيرة جدا، لكن ليس مستبعدا ضياع نصوص بعض المعاهدات. ففي 1264، مدّدت بيزا لمدة عشرين سنة اتفاق 1234 الذي وصل إلى نهايته. لكن على إثر انتهاء هذه الفترة الجديدة، لم تجدّد المعاهدة. يفسّر هذا بالهزيمة القاسية التي تعرضت لها بيزا في جنوة في 1284 في معركة ملوريا (Meloria) ، والتي أضعفت بصفة دائمة قوتها على الأقل على الصعيد السياسي[44].

(44) حول أثر النزاع بين جنوة وبيزا في نهاية القرن الثالث، أنظر على الخصوص أعمال ملتقى:
Genova, Pisa e il Mediterraneo, per il VII centenario della battaglia della Meloria, Genova, 24-27 ottobre 1984, ASLSP, n. s., 24/2, 1984, notamment G. Pistarino, « Politica ed economia del Mediterraneo nell'età della Meloria », p. 23-50 ; M. Balard, « Génois et Pisans en Orient (fin du XIIIe - début du XIVe siècle) », p. 179-209.



أثارت حملة لويس التاسع (Louis IX) وشارل دانجو (Charles d'Anjou) الصليبية في 1270 أزمة مسّت جماعات التجار الأوروبيين في الموانئ الحفصية. حتى وإن لم تمس المعارك بجاية مباشرة، يبدو أن المسيحيين المستقرين في المدينة فضلوا الفرار، وهذا ما يشهد عليه تعيين القس جافيرو (Jaffero

في 1271، عميد كنيسة البيزيين في بجاية والذي كان قد اضطرّ لترك المدينة في السنة السابقة[45]. لقد طالب به التجار المتواجدون في الميناء، وهذا ما يبيّن عودة هؤلاء أو عدم مغادرة بعضهم المغرب. في نفس السنة ذهب القس الجنوي نكولو (Nicolò) إلى بجاية رفقة الإكليريكي جياكومينو (Giacomino) [46]، ودون شك أن كنيسة فندق الجنويين وجدت نفسها مؤقتا بلا كاهن يرعاها. إنّ العودة إلى الحياة العادية كانت إذن سريعة جدا كما تشهد على ذلك أربع معاهدات موقعة من الحفصيين بين سنتي 1270 و1272 والتي أعادت العلاقات الودية. وفي 1271 خصوصا، أبرم ملك أراجونة اتفاقا مع تونس، معطيا إطارا قانونيا للنشاطات المتزايدة للكتالانيين في السلطنة. من الآن فصاعدا أصبحت العلاقات السياسية مع المدن الإيطالية عرضية أكثر[47]، وطرح ملوك أراجونة وميورقة أنفسهم كمحادثين ذوي حظوة مع الحفصيين. أقرّت المعاهدات المتجددة سلما مستمرا تقريبا إلى غاية بدايات سنوات 1320. وفي 1309، 1312 و1314، أبرم الملوك الكتالانيين اتفاقيات مباشرة مع بجاية التي أصبحت مستقلة.

إن التجار المحميين بمعاهدات لهم فوائد: أمنهم مضمون، والرسوم الجمركية مثبّتة وترافق هذه الضمانات بصفة عامة بنى الجماعات الخاصة بها لتلبية حاجياتها في بجاية. في القرن الثالث عشر، كانت بجاية إذن على علاقة بأغلب القوى التجارية الكبيرة في البحر المتوسط. لكن ديناميكية التجار الأوروبيين وضعتها خصوصا على اتصال مع الإيطاليين والبروفانسيين والكتالانيين[48].

---

(45) Éd. Mas-Latrie, *Traités*, *op. cit.*, p. 47 (29/4/1271).

(46) ASG, min. 95, f. 149v (12/2/1271).

(47) إن غياب معاهدة محفوظة لا يعني بالضرورة تدهورا في العلاقات السياسية والتجارية. واصل الجنويون على غرار البيزيين المجيء إلى بجاية لأعمالهم.

(48) لكن كان بإمكان الأمم الأخرى أن تضع نفسها تحت حماية قوة يعترف بها الحفصيون.

واصل الأوائل -الـذين كـانوا بالأسـاس البيـزيين والجنـويين - علاقـاتهم المتطورة في القرن السابق.

إنّ ندرة الوثائق البيزية لا يجب أن تخدعنا. يبيّن حـادث في 1285 وضـعية ريادية للبيزيين في بجاية. اسـتأجر البنـدقي مـارينو سـاندو (Marino Sanudo) مركبا للذهاب لحمل الصوف والفراء من بجاية وجيجل. أقسم – على غرار بقيـة كل القبطانات- بعدم الذهاب إلى بيزا ومعلنا عدم العودة إلى جنوة أو البندقية بعد إقامته بإفريقيـة. لكـن في عودتـه، ألقـى عليـه الأمـيرال الجنـوي بنـديتو زتشـاريا (Benedetto Zaccaria) القبض في البحر قرب بيومبينو (Piombino)، متهما إيـاه بالـذهاب إلى الميناء البيـزي (Porto Pisano)، ومعتـبرا أن البيـزيين هـم المسيحيون الوحيدون الذين لهم علاقة بهذه الجهات[49]. هنـاك دون شـك مبالغـة من الجنويين الذين كانوا قد باعوا في بعض السـنوات السـابقة في جنـوة الصـوف والشب الوارد من بجاية. لكن يوحي هذا الحادث العرضي بأهميـة بيـزا في سـوق بجاية[50]. أيضا، عندما أراد الملك الأراجوني جاك الثاني تحضير اتفاق مع سـلطان بجاية أبي زكريا في 1298، فـإن تـاجرا جنويـا – رايـنيرو مارتشـيلي (Rainier Marcellin) - هو الذي أرسله له، وهذا ما يبيّن مكانة وقيمة هذه الأمة[51]. من

---

(49) *In quo loco pauci utuntu christiani nisi solummodo Pisani*. ASG, *Materie politiche, Mazzo* V, n° 2724, éd. R. S. Lopez, *Genova marinara nel Duecento, Benedetto Zaccaria, ammiraglio e mercante*, Milan, 1933, p. 261.

(50) تقول فكرة مستمرة لدى مؤرخي بيزا أن دخول التجار المسيحيين إلى بجاية كـان خاضـعا لرخصـة البيزيين. وتستند هذه الفكرة إلى قراءة خاطئة لمادة من معاهدة 1264 التي ترجمهـا هـرليري (Herlihy) كمـا يلـي: "لا يمكـن لأي مركـب مسـيحي الـدخول إلى مـوانئ تـونس وبجايـة إلا برخصـة البيـزيين". D. Herlihy, *Pisa in the Early Renaissance*, New Haven, 1958, p. 165, trad. it. *Pisa nel Duecento*, Pise, 1973, p. 197.
في الحقيقة يتعلق الأمر هنا بشرط عادي جـدا لا يعـني الفنـدق حيـث أن الوصـول إليـه يمكـن أن يمنـع. معاهدة بيزا-تونس، 1264، المادة 16.

(51) ACA, C., Rg. 252, f. 194 (12/5/1298), éd. Ch.-E. Dufourcq, *Recueil de documents concernant les relations des pays de la Couronne d'Aragon*

جهة أخرى، تظهر عدة وصايا مكتوبة ببجاية جماعة هامة نشطة مجتمعة في فندقها[52]. إنّ بيزا في القرن الثالث عشر هي في واقع الأمر واحدة من المدن الكبرى الإيطالية، حيث كانت الصناعة الجلدية فيها متطورة جدا على الأقل إلى غاية سنوات 1250. ينتشر الفراءون في محيط ساحة سان نكولا (Piazza San Nicolae) حيث تصل سلع ما وراء البحر[53]. بعد 1250، تطوّر القطاع الصوفي بمساعدة اللومبارديين خصوصا[54]، ودفعت احتياجات هذه الأنشطة إلى تطوير العلاقات مع المغرب. إنّ توسع بيزا في البحر المتوسط – حتى وإن لم يصل إلى مستوى التوسع الجنوي دون شك - كان رغم كل ذلك هاما جدا في هذه الفترة. في نهاية القرن الثاني عشر، تمّ إنشاء النظام البحري (Ordo Maris) الذي جمع العائلات الكبرى المرتبطة بالتجارة البحرية[55]، وتبيّن القوانين البحرية المحرّرة في نهاية القرن الثالث عشر نشاطا هاما، خصوصا في المغرب[56]. وبخضوعهم لمنافسة قوية في المشرق، طوّر البيزيون تجارتهم في المغرب وفي سردينيا –الأكثر قربا

---

avec= le Maghreb de 1212 à 1323, thèse complémentaire, Université de Paris, 1965, n° 463.

(52) ASP, *Diplomatico Monastero degli Olivetani di Pisa*, 21/8/1276 ; id, 1290 ; ASP, *Diplomatico Roncioni*, 17/10/1278.

(53) Herlihy, *Pisa nel Duecento, op. cit.*, p. 170-182.

(54) *Ibid*, p. 186 أخذ الصوافون بسرعة مكانة هامة في الحياة السياسية. ففي 1268، أصبح الصوف "نظاما"، بمعنى فنا كبيرا *Ibid.*, p. 93. P. Castagneto, *L'Arte della Lana a Pisa nel Duecento e nei primi decenni del Trecento. Commercio, industria e istituzioni*, Pise, 1996.

(55) إن تاريخ تأسيسها غير مؤكد، لكنها تقع بين 1161 (حسب جون-ماري باردوسي Jean-Marie Pardessus) و1201 (حسب أدولف شوب Adolf Schaube).

M. Chiaudano, « Breve Curiae Maris pisanae civitatis », *Novissimo digesto italiano*, II, Turin, 1974, p. 575.

يضعها دافيد هرليري في 1201. Herlihy, *Pisa nel Duecento, op. cit.*, p. 92.

(56) A. Schaube, *Das Konsulat des Meeres in Pisa*, Leipzig, 1888, p. 194-207. Ces statuts ont été édités par Fr. Bonaini, *Statuti inediti della città di Pisa dal XII al XIV secolo*, Florence, 1845-1870.

منهم- لكن دون إهمال السوق المصري حيث حافظوا هناك على وضعيات قوية تقليديا[57]. نحو نهاية القرن الثالث عشر، تقلصت القوة البيزية، لكن دون المبالغة في تصوير هذا التراجع. إن نكبة ميلوريا أمام الجنويين – التي تمّ تحميلها مسؤولية اختفاء البيزيين منذ مدة طويلة عن الأسواق المتوسطية- لم تترك أثرا حاسما على التجارة. طبعا، الأسطول الحربي قضي عليه، لكن هذا لم يؤثر على البحرية التجارية[58]. فقد منعت معاهدة 1288 ثم معاهدة 1299 بين الجمهوريتين المتخاصمتين الجنويين من التجهز إلى الوجهات الواقعة إلى ما بعد سردينيا[59]، لكن التجار واصلوا نشاطاتهم باستعارة مراكب قوى بحرية أخرى. إلى غاية سنوات 1320، كانوا على كل حال دائما متواجدين في بجاية ولهم فيها قنصل سنة 1313[60] وقس في 1317 و1323[61].

مع البيزيين كان أيضا التجار التسكانيين من ليك وسيينا وفلورنسا على علاقة بالمدن المغاربية[62]. مرّ الفلورنسيون أحيانا بواسطة الجنويين لأسباب

---

(57) Herlihy, *Pisa nel Duecento*, *op. cit.*, p. 195-196 ; Balard, « Génois et Pisans en Orient », art. cité, p. 184-188.

(58) Balard, « Génois et Pisans en Orient », art. cité, p. 208.

(59) O. Banti, « I trattati fra Genova e Pisa dopo la Meloria fino alla metà del secolo XIV », *Genova, Pisa e il Mediterraneo tra Due e Trecento*, *op. cit.*, p. 358.

(60) يشهد كولو مارجر (Colo Margar) قنصل البيزيين في بجاية على عملية تبادل الأسرى الميورقيين.

E. de K. Aguiló, « Incident surgit ab motiu del canvi d'esclaus cristians y moros, pactat despres de la pau », *BSAL*, 15, 1915, p. 231.

(61) Archivio della Mensa Arcivescovile di Pisa, *Protocoli notarili*, Rg. 7, f. 35 (14/9/1317), 176v (1323), éd. M. Bensaci, *Pise et le Maghrib au Moyen Âge*, doctorat de troisième cycle, sous la direction de Ch.-E. Dufourcq, Université Paris X, 1979, p. 232.

(62) Tangheroni, « Sui rapporti commerciali », art. cité, p. 86.

سياسية[63]، ربما أمضوا هم أنفسهم اتفاقيات مباشرة مع الحفصيين رغم أنه لم يحتفظ بأي معاهدة من هذه الفترة[64].

إنّ الخصوم الكبار للبيزيين هم الجنويون دون منازع[65]. جذب المشرق أغلب الاستثمارات ورجال الأعمال الأكثر قوة. لكن بقي المغرب كما في القرن السابق وجهة يتردد عليها. لكن بخلاف بيزا، طوّرت جنوة شبكة تجارية متنوعة حيث كان تجارها حاضرين بقوة في المشرق[66]، وهذا ما أعطى لهم منفذا لأسواق الشام ومخارج طرق التوابل. علاقاتها هي أيضا وطيدة مع المراكز العمرانية الكبرى في لومبارديا وإلى أبعد منها في الألب وبروفانسيا وخصوصا مع أسواق الشمباني والفلوندر[67]. كان الجنويون إذن قابلين للعب دور الوسيط في بجاية مع

---

(63) R. Davidsohn, *Storia di Firenze*, Florence, VI, p. 745.

(64) يتحدث جيوفاني فيلاني (Giovanni Villani) عن إعفاءات ممنوحة للفلورنسيين في حوالي 1252. Giovanni Villani, *Nuova Cronica*, livre 7, chap. 53, éd. G. Porta, I, Parme, 1990, p. 347

حسب هذا الكتاب الاخباري، تحصل الفلورنسيون على حماية وفندق مع كنيستهم الخاصة بهم في تونس. أنظر:

L. de Mas-Latrie, « Relations commerciales de Florence et de la Sicile avec l'Afrique au Moyen Âge », *BEC*, 4e série, 5, 1859, p. 210-211.

(65) حول هذه المنافسة ببجاية، أنظر:

D. Valérian, « Gênes et Pise : une concurrence pour le marché bougiote », Colloque « Bougie et sa région à travers les Âges », Bougie, 9-12 novembre 1997.

(66) إن تواجدهم كان مبكرا جدا في الدول اللاتينية بسوريا–فلسطين. وقاموا بتقوية وضعيتهم بقوة في رومانيا بعد 1261. بالمقابل، كانت التجارة المصرية موضوع متغيرات حسّاسة بسبب الظرف السياسي. إنّ البيبليوغرافيا حول التوسع الجنوي في المشرق هي غزيرة جدا. أنظر:

Lopez, *Storia delle colonie genovesi*, *op. cit.*, avec la mise à jour bibliographique de M. Balard, Gênes, 1997 ; Byrne, « Genoese Trade with Syria », art. cité, p. 191-219 ; M. Balard, *La Romanie génoise (XIIe-début du XVe siècle)*, Rome-Gênes, 1978.

(67) R. Doehaerd, *Les Relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outre-Mont, d'après les archives notariales génoises aux XIIIe et XIVe siècles*, Bruxelles-Rome, 1941 ; É. Baratier, « Les relations=

أسواق أخرى لتموينها بمنتجات الشرق والأنسجة الأوروبية وفي العودة يأتون للبحث عن المواد الضرورية للصناعات الأوروبية. إنّ المعاهدات الموقعة مع تونس تشهد باهتمام جنوة بإفريقية. حيث تمّ تجديد هذه المعاهدات بانتظام في 1223 و1236 و1250 وفي 1272[68]. وتؤكد اتفاقية مبرمة بين جنوة والسلطان في 1287 على سلم أبرمه سابقا جياكومو دوريا (Giacomo Doria). [69] تسمح هذه الاتفاقيات ببسط نشاطات الجنويين في بجاية، وتشهد عدة عقود تجارية مبرمة في جنوة على ذلك.

بتطورها السريع، أطمست جنوة الموانئ الأخرى المجاورة، لكن سافون (Savone) احتفظت ببعض الروابط المباشرة مع المغرب، رغم الشروط التي فرضتها عليها جارتها المنافسة مبكرا[70]. ففي 1250، أدرجت قضية بحّار سافر إلى

=commerciales entre la Provence et la Ligurie au bas Moyen Âge », *Atti del I Congresso storico Ligura-Provenza*, Bordighera-Aix-en-Provence-Marseille, 1966, p. 147-168.

(68) تمّ توقيع الاتفاق الأول مع حاكم تونس الموحدي (مومني). لكن ليس هناك استمرارية إلا لبيزا ومدة المعاهدات هي قصيرة (عشر سنوات مقابل عشرين سنة لبيزا). لم يحتفظ بأي معاهدة في الفترة الواقعة بين نهاية هذه الأخيرة ومعاهدة 1272، لكن في وثيقة 1261 وردت سلطنة تونس من بين البلدان التي على سلم مع الجمهورية.
Éd. S. Dellacasa, *I* Libri Iurium *della Repubblica di Genova*, I/4, Gênes, 1998, n° 749, p. 281.

(69) Éd. Mas-Latrie, *Traités*, *op. cit.*, p. 125-127.

كانت بجاية في هذا التاريخ مستقلة عن تونس. هذا لم يمنع ممثل جنوة لوشيتو بجنولي (Lucheto Pignoli) من المطالبة بتعويض الأفعال التي تحدث ببجاية. إن هذا النص الذي ليس هو معاهدة سلم بالمعنى الصحيح لا يوضح مدة هذا التمديد. فيما يخص الاتفاق المذكور والموقّع من طرف جياكومو دوريا (Giacomo Doria)، لا يبدو أنه يتعلق باتفاق 1272 الذي فاوضه عليه أوبيزوني أدالرادو (Opizone Adalardo). يجب إذن الافتراض بوجود معاهدة تمّت بين التاريخين ولم يحتفظ بها.

(70) في 1202، أثقلت اتفاقية جديدة الشروط السابقة وفي 1227 دمّر الجنويون ميناء سافون.
N. Cerisola, *Storia del porto di Savona*, Savone, 1968, p. 25. En 1251 à nouveau, Gênes impose de fortes limitations au commerce direct des Savonais. G. Airaldi, « I "Registri della catena" del Comune di Savona », *Miscellanea di storia savonese*, Gênes, 1978, p. 41.
لكن في 1270 لم تعد تطلب تراخيص الملاحة في جنوة، لكن في سافون وهذا ما سهّل التجارة.
Cerisola, *op. cit.*, p. 27-28.

بجاية على متن مركب سافوني[71]. وفي 1278، سافر ثلاثة تجار سافونيين من جنوة على متن مركبهم الذي ذهب إلى ميورقة وإبيزا وميورقة والغرب وسبتة وبجاية[72]. لكن بالنسبة لبجاية، بقيت سافون هامشية تحت ظل جنوة.

بالنسبة للجمهوريتين التيرانيتين، كانت سردينيا محطة مفيدة على طريق إفريقيا دون المبالغة في أهميتها[73]. من جهة أخرى، كانت الجزيرة موضوع شجار بين المتنافسين قبل أن تمر تحت السيطرة الأراجونية في 1324[74]. استعملت كاجلياري (Cagliari) بالنسبة لبيزا وتوريس (Torres) وألجيرو (Alghero) بالنسبة لجنوة، كنقطة ارتكاز للتجارة المغاربية[75]. ففي 1191، غادر روجيريو دا بجلي (Rongerions da Puglie) جنوة إلى سردينيا وبجاية[76]. سبع سنوات بعد ذلك، أدى مركب إرسا (Ursa) نفس السفرية وعلى متنه برتليمو بوتريو (Bartolomeo Botero) [77]. وفي 1231 بكاجلياري، أبلغ البيزي إلدبراندو ميلي (Ildebrando Melle) بحمل 15 ليفر من العملة الجنوية في إطار شركة

---

(71) Éd. V. Pongiglione, « Il libro del podestà di Savona dell'anno 1250 », *Atti della Società savonese di storia patria*, 28, 1956, p. 128.

(72) F. Bruno, « Le convenzioni commerciali e la marina savonese dai tempi più antichi sino alla fine del sec. XIV », *Atti della Società savonese di storia patria*, 7, 1924, p. 22.

(73) Fr. Artizzu, *La Sardegna pisana e genovese*, Sassari, 1985, p. 234-235 ; Ph. Gourdin, « Les relations entre la Sardaigne et le Maghreb au Moyen Âge », *Mélanges de l'École française de Rome, Moyen Âge*, 113/1, 2001, p. 129-147.

(74) D. Abulafia, *The Western Mediterranean Kingdoms, 1200-1500*, Londres, 1997, p. 123-127.

(75) A. Boscolo, « Aspetti dell'economia della Sardegna dal periodo della supremazia pisana-genovese al primo periodo della dominazione aragonese », *Sardegna, Pisa e Genova nel Medioevo*, Gênes, 1978, p. 141. Cagliari reste un relais important à l'époque aragonaise. M. Tangheroni, « Il *Regnum Sardinie* nell'economia della Corona d'Aragona », *Medioevo Tirrenico*, Pise, 1992, p. 74.

(76) Guglielmo Cassinese, n° 112 (23/1/1191).

(77) Bonvillano, n° 193 (20/11/1198).

بحرية من ميناء نيبوليس (Porto Neapolis) إلى بجاية حيث وجب عليه استثمار المبلغ في الحبوب والعودة إلى كاجلياري[78]. وفي 1290، يشهد أرساتشو دو أولياسترو (Arsacco de Oliastro) السردانيي في وصية معمولة ببجاية[79]. أخيرا، في 1313، تمّ كراء يخت القديسة ماريا (Santa Maria) بجنوة لحمل الشعير من سردينيا ونقله إلى بجاية[80]. في الفترة الأراجونية، تنعدم الوثائق التجارية لتتبع هذه المتاجرة، لكن تسعيرة جمركية لعام 1329 تنص على رسوم وجب تسديدها في الجزيرة على كل "يهودي من بلاد البربر أو مسلم"[81].

كانت البندقية ثالث أكبر موانئ إيطاليا الشمالية. كانت السرينيسما على سلم مستمر مع الحفصيين من 1230 إلى بداية القرن الرابع عشر[82]، حتى وإن كانت تهتم أكثر بالمشرق على غرار جنوة. فقد سيطرت البندقية في رومانيا بين الحملة الصليبية الرابعة و1261 وتجارها كانوا أكثر تواجدا في أسواق سوريا ومصر. من جهة أخرى، حتى في أفريقية، جذبت تونس أكثر البنادقة حيث شكّلوا

---

(78) ASP, *Diplomatico Coletti*, 24/9/1231, éd. Fr. Artizzu, *Documenti inediti relativi ai rapporti economici tra la Sardegna e Pisa nel Medioevo*, I, Padoue, 1961, n° 4, p. 8-9, avec la date de 1202 (style pisan), corrigée par J.-M. Poisson, dans AA. VV. [UMR 5648 Histoire et archéologie des mondes chrétiens et musulmans médiévaux], *Pays d'Islam et monde latin, XE-XIIIE siècle. Textes et documents*, Lyon, 2000, p. 240-241 (avec trad. du document).

(79) ASP, *Diplomatico Monastero degli Olivetani di Pisa*, 1290.

(80) ASG, min. 77, f. 212v-214r (13/6/1313).

(81) *Quilibet Iudaeus Barbariae et quilibet Saracenus.* Éd. R. Di Tucci, « La condizione dei mercanti stranieri in Sardegna durante la dominazione aragonese », *Archivio Storico Sardo*, 7, 1911, p. 25.

(82) معاهدات في 1231، و1251 و1271 و1317 و1332 (ضاع نص هذه المعاهدة الأخيرة). أنظر:

A. Sacerdoti, « Venezia e il regno hafsida di Tunisi : trattati e relazioni diplomatiche (1231-1534) », *Studi veneziani*, 8, 1966, p. 304-316.

جماعة مهمة بقنصلها وفندقها[83]. على الرغم من ندرة الشواهد، عقد البنادقة أيضا علاقات مع بجاية. ففي 1207 عندما كتب أحمد بن ابراهيم البجائي إلى الأنزياني (Anziani) وإلى قناصل بيزا ليطلب منهم أن يكونوا مترجميه، أحال إلى العادة التي يتبعها البنادقة بعدم قبول ترجمان إلا أن يكون معتمدا لديهم[84]. تواجدت إذن في بجاية جماعة هامة بكفاية لتبرير استعمال ترجمان خاص. أيضا، قبض بنديتو زاتشاريا (Benedetto Zaccaria) على المركب الذي اكتراه البندقي مارينو سانيدو (Marino Sanudo) في 1285 مما يبيّن وجود علاقات تجارية مع بجاية. ففي 1273 أعطى القنصل الكبير للسفن التي تذهب إلى الفلوندر إمكانية المرور عند عودتها عن طريق تونس[85] ويمكن إذن لبجاية أن تكون محطة قبل الوصول إلى العاصمة الحفصية. بالرغم من تقلص حجم هذه التجارة مع المغرب كما يظهره التحمس القليل للقناصل المعيّنين لتونس[86]. من دون شك أيضا، كانت موانئ البحر الأدرياتيكي على علاقة بإفريقية، لكن هذه التجارة لم تترك آثارا في المادة الوثائقية[87].

(83) A. Sacerdoti, « Il consolato veneziano del regno hafsida di Tunisi (1274-1518) », *Studi Veneziani*, 11, 1969, p. 531-535 ; B. Doumerc, *Venise et l'émirat hafside de Tunis (1231-1535)*, Paris, 1999, p. 21-26, 33-38 ; R. Cessi, *Venezia nel Duecento : tra Oriente e Occidente*, Venise, 1985, p. 78, 102, 168, 262.

(84) Éd. et trad. it. Amari, *Diplomi*, *op. cit.*, partie arabe, n° 25, p. 76.

(85) R. Cessi, « Le relazioni commerciali tra Venezia e le Fiandre nel sec. XIV », *Politica ed economia di Venezia nel Trecento*, Rome, 1952, p. 76.

(86) وجب على المنتخب قبول منصبه في ثلاثة أيام تحت طائلة حرمانه من الانتخاب لوظائف أخرى: Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*, p. 25.

(87) A. Ducellier, « Raguse, l'Italie et la Berbérie au Moyen Âge : à propos de quelques documents inédits ou peu connus », *CT*, 61-64, 1968, p. 27-44 ; Id., « L'Adriatique et la Berbérie au Moyen Âge : trafic d'appoint ou trafic caché ? », *CT*, 117-118, 1981, p. 561-572.

كان توجه جنوب إيطاليا وصقلية أكثر نحو تونس وموانئ إفريقية الشرقية أكثر منه نحو بجاية. لكن هذه العلاقات لم تكن غائبة تماما مع غرب السلطنة حتى وإن تنقصنا هنا المصادر لانجاز واعطاء وصف دقيق عنها.

لا نتوفر على أرشيف وثائقي لموانئ إيطاليا الجنوبية في هذه الفترة، لكن في 1248 تبيّن وثيقة مرسيلية تاجرا من نابولي يتدخل في عملية صرف في بجاية، شاهدا على تواجد تجار كامبانيا[88]. إنّ الإشارات الأكيدة إذن هي كتب التجار. يعطي كتاب الذاكرة (Memoria) الذي هو عمل مؤلف بيزي مجهول مؤرخ في 1278 عدة معادلات مكاييل بين بجاية وموانئ متزوجيورنو (Mezzogiorno). يذكر المؤلف جوز وبندق وقسطل نابولي أو زيت البوبيه (Pouilles). ويعطي معادلات قنطار الكتان في بجاية وفي صقلية[89]. في بداية القرن الرابع عشر، أخذ الفلورنسي بجولوتي بهذه المعلومات وأضاف لها معادلات حبوب صقلية والبوبيه، وأيضا بالنسبة لزيت نابولي[90]. لكن من الصعب تقدير هذه التجارة، التي تشهد على تجارة الحبوب فيها بعض وثائق أنجو (Anjou) الإنشائية[91]. بعد معاهدة 1270 بين شارل دانجو والحفصيين، منحت في واقع الأمر عدة رخص تصدير قمح وشعير البوبيه (Pouilles) إلى بجاية[92]. لكن تمّت عمليات نقل الحبوب خصوصا انطلاقا من صقلية، لأنّ الجزيرة كانت نقطة ارتكاز للتجار القادمين من

(88) Blancard, II, n° 926 (26/6/1248).

(89) Éd. R. S. Lopez, G. Airaldi, « Il più antico manuale italiano della mercatura », *Miscellanea di studi storici*, II, *Collana storica di fonti e studi* 38, Gênes, 1983, p. 123. G. de Gennaro, « Commercio e navigazione nella Puglia medioevale », *Economia e Storia* (Milan), 1971, p. 75.

(90) Pegolotti, p. 113, 167, 169, 188.

(91) G. Yver, *Le Commerce et les marchands dans l'Italie méridionale aux XIIIe et XIVe siècles*, Paris, 1903, p. 104-126.

(92) Éd. N. Nicolini, *Codice diplomatico sui rapporti veneto-napoletani durante il regno di Carlo I d'Angiò*, Rome, 1965, n° 142 (25/12/1275), 162 (16/1/1277), 176 (5/5/1277).

موانئ القارة[93]. وهذه كانت في واقع الأمر محطة نحو الأسواق المغاربية وتجارتها كانت في قسم كبير منها مضمونة من الجنويين والبيزيين أو الكتالانيين[94]. ففي 1276، حملت عدة مراكب الحبوب إلى بجاية انطلاقا من تراباني (Trapani) وأجرجانتي (Agrigente) وسياتشا (Sciascia) وبلرم ومازر وليكاتي (Licité). من أصل عشرة معلومة المصدر، ثلاثة منها ترجع إلى صقليين (من مسينا) في حين أن أربعة بيزية، وواحد طرطوشي وواحد كتالاني وواحد من سالرن (Salerne). أيضا عندما يكون أصل التجار الذين يتحصلون على رخصة التصدير مذكورا، هم في الغالب بيزيون (ست حالات)، وآخرون من كامبانيا (سلارن وأمالفي Amalfi) [95]. بيد أننا نلاقي -خصوصا عند موثقي بلرم- تجارا صقليين يذهبون إلى بجاية، لكن في الغالب على علاقة بالجنويين. ففي أفريل 1287، التزم جوالتيرو دو بنيتو (Gualterio de Bonito) (مواطن من مسينا لدى برتلوميو إمبراطوري (Bartolomeo Imperator) - وهو مواطن بلرمي- بالذهاب إلى بجاية لاسترجاع 2250 دينار ذهبي مزدوج كان مدينا بها الجنوي فرانشيسكو سكوارسفيكو (Francesco Squarciafico)، حيث أن العقد بين الرجال الثلاثة الذي أنجزه الموثقون الجنويون ببلرم. استثمر نصف هذا المبلغ في طلبية من

(93) Abulafia, *The Two Italies*, *op. cit.*, p. 44 ; Id., « Gli Italiani fuori d'Italia », *Storia dell'economia italiana*, dir. R. Romano, I, Turin, 1990, p. 276, rééd. *Commerce and Conquest in the Mediterranean, 1100-1500*, Londres, 1993.

(94) D. Abulafia, « A Tyrrhenian Triangle: Tuscany, Sicily, Tunis, 1276-1300 », *Studi di storia economica toscana nel Medioevo e nel Rinascimento in memoria di Federigo Melis*, Pise, 1987, p. 53-75.

(95) Éd. Nicolini, *Codice diplomatico*, *op. cit.*, n° 153 (24/7/1276) ; *I Registri della Cancelleria angioina ricostruiti da Riccardo Filangieri con la collaborazione degli archivisti napoletani*, XXIII, Naples, 1971, n° 237 (8/8/1280). Cf. D. Abulafia, « Sul commercio del grano siciliano nel tardo medioevo », *La Società mediterranea all'epoca del Vespro : XI congresso della Corona d'Aragona, Palermo-Trapani-Erice, 25-30 aprile 1982*, II, Palerme, 1983, p. 5-22.

منتجات لبيعها في جنوة أي اشترى سلعا وحملها إلى بلرم[96]. في أوت من نفس السنة، أجّر الجنوي أندريولو دلا فولتا (Andreolo della Volta) مركبه لتاجر من مسينا لحمل 250 سالمي من القمح إلى بجاية أو إلى جنوة[97]. على غرار سردينيا، كانت صقلية في الغالب مرحلة على طريق إفريقيا لتجار شمال شبه الجزيرة[98]. ففي 1292، تلقى تومازو ستانكونو (Tommaso Stancono) بجنوة طلبيتين لحملهما من صقلية إلى بجاية على متن مركبه[99]، وفي نفس السنة أجّر ثلاثة سافونيين مركبهم لحمل 1500 سالمي حبوب من صقلية إلى بجاية أو إلى جنوة[100]. أيضا في 1309، انطلقت طريدة الجنويين جياكومو بنيتو (Giacomo Bonito) وجيجليمو كستاسارفي (Guglielmo Costa servi) من صقلية لحمل القمح من سياتشا باتجاه بجاية[101]. لم يكن الجنويون والبيزيون وحدهم من استعمل صقلية كنقطة استناد. بعد الأعياد الدينية الصقلية، أدمجت الجزيرة في مجالات لاكورونيا أراجونة واستخدمت كمناوبة لتجارها. ففي 1286، باع برينجر دو كونك (Bérenger de Conques) -الذي كان قد تلقى في السنة السابقة رخصة لحمل الحبوب من صقلية إلى برشلونة- لكن في الواقع حمولته توجه بها إلى

---

(96) Éd. P. Burgarella, *Le imbreviature del notaio Adamo de Citella a Palermo*, Rome, 1981, n° 266, p. 162-163 (24/4/1287).

(97) Éd. Burgarella, *Le imbreviature*, *op. cit.*, n° 394, p. 235-236 (25/8/1287).

(98) نادرا ما تعطي العقود توقفات الرحلة، لكن أحيانا يأخذ التاجر عدة طلبيات لنفس الرحلة بعدة اتجاهات موضّحة. على سبيل المثال، برتلومو دو نارفي (Bartholomeo de Nervi) حمل الأجواخ والزعفران إلى بجاية وكذلك الفيتان إلى صقلية.

ASG, min. 2, f. 157r (8/7/1214).

(99) ASG, min. 71, f. 242r (1/4/1292).

(100) ASG, min. 63/I, f. 189v (14/6/1292).

(101) *Archivio di Stato di Palermo*, not. Bartolomeo de Citella, f. 434v (13/8/1309), éd. R. Zeno, *Documenti per la storia del diritto marittimo nei secoli XIII e XIV*, Turin, 1936, p. 164-165.

بجاية ووجب محاسبته بعد عودته[102]. وفي 1294 وبطريقة أكثر قانونية، تمّ تـأجير سفينة تاراجونية لتاجر برشلوني للذهاب بها لجلب القمح مـن صـقلية وحملـه إلى بجاية أو إلى موانئ أخرى[103]. أيضـا، خمـس سـنوات بعـد ذلـك، أجّـر البلنسـي برناردو برفاتي (Bernardo Perfette) لوحه إلى كاتالاني من تراباني وتـاجرين ميورقي وبرشلوني لحمل القطن من بلرم إلى بجاية[104].

في النصف الثاني من القرن الثالث عشر، كثّف الكتالونيون والميورقيون من تواجدهم في بجاية وفي موانئ مغاربية أخرى. لقد كـان البرشـلونيون قـد وضـعوا أوتادهم في النصف الأول من القرن، وأول وثيقة تشهد برحلة برشلوني إلى بجايـة مؤرخة في 1213[105]. بعد 1212-1213، اتجهت بلدان لاكورونيا أراجونة نحو الجنوب والبحر المتوسط وبدأت في تطوير نشاطاتها هناك. وأعطـت لهـا السـيطرة على ميورقة في 1229-1230 نقطة استناد حاسمة في اختراقها التجاري للأسواق المغاربية[106]. رغم ندرتها بالنسبة لهذه الفترة، تبـيّن الوثـائق التجاريـة أن إفريقيـا كانت وجهة مفضّلة.

---

(102) ACA, C., Rg. 65, f. 125v ; id., Rg. 58, f. 44r (avril 1286).

(103) ACA, *Clero, Monacales, Pergaminos de la cartuja de Montalegra*, année 1294 (5/7/1294), éd. Dufourcq, *Recueil, op. cit.*, n° 411.

(104) Archivio Comunale di Palermo, Adamo de Citella, f. 92v (16/3/1299), éd. Zeno, *Documenti, op. cit.*, n° 72, p. 53 ; P. Gulotta, *Le Imbreviature del notaio Adamo de Citella a Palermo (2° registro, 1298-99)*, Rome, 1982, n° 283, p. 222-223.

(105) Archivo de la Catedral de Barcelona, *Diversorum* C(d), *capsa* 8, n° 132 (11/9/1213), éd. A. Garcia i Sanz, M. T. Ferrer i Mallol, *Assegurances i canvis maritims medieval a Barcelona*, Barcelone, 1983, n° 5.

(106) Ch.-E. Dufourcq, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles* : *de la bataille de Las Navas de Tolosa (1212) à l'avènement du sultan mérinide Abou-l-Hasan (1331)*, Paris, 1966, p. 12. En 1230 « l'Empire catalano-aragonais, qui avait été naguère occitanien, devenait définitivement méditerranéen ». *Ibid.*, p. 87.

جدول 32: عقود بارشلونية (1200-1290): توزيع حسب الجهات[107]
(عدد العقود والمبالغ المستثمرة بالسو البرشلوني)

	المغرب	ما وراء البحر	رومانيا	إسبانيا المسيحية	صقلية	جنوب فرنسا
قبل 1250	3 (187 s.)	2 (962 s.)	0	3 (287 s.)	2 (208 s.)	2 (365 s.)
1250-69	8 (723 s.)	5 (784 s.)	2 (451 s.)	3 (420 s.)	2 (823 s.)	1 (80 s.)
1270-90	14 (303 s.)	3 (290 s.)	9 (509 s.)	10 (354 s.)	5 (193 s.)	1 (150 s.)
المجموع	25 (431 s.)	10 (663 s.)	11 (606 s.)	16 (279 s.)	9 (270 s.)	4 (240 s.)

في منتصف القرن الثالث عشر، مثّلت التجارة المغاربية ثلثي تجارة برشلونة، إذا ما صدّقنا أكرية رسوم الموانئ[108]. بداية من 1250، قنّن جاك الأراجوني القرصنة ومنع مهاجمة رعاياه لملوك على سلم مع لاكورونيا، وهذا ما ساعد على تطوير العلاقات الهادئة مع البلدان المغاربية[109]. نشأ إذن توافق (modus vivendi) رغم غياب سلم صريح إلى غاية 1271[110]. والمؤشر على نمو حجم

---

(107) من خلال:
St. P. Bensch, *Barcelona and its Rulers, 1096-1291*, Cambridge, 1995, p. 288.

(108) *Ibid.*, p. 294. C. Cuadrada, A. Orlandi, « Ports, tràfics, vaixells, productes : Italians i Catalans a la Mediterrània baixmedieval », *AEM*, 24, 1994, p. 33.

(109) Dufourcq, *Espagne catalane, op. cit.*, p. 90-91.

(110) في 1260، رفض جاك الأراجوني مساعدة ملك قشتالة ضد ملك تونس.

العمليات التجارية مع بجاية هو ارتفاع سعر كراء فندق الكتالانيين في بجاية بداية من 1250[111]. إنّ إدماج صقلية في 1282 ساعد أيضا على هذا التطور التجاري.

أصبحت ميورقة بسرعة الميناء الرئيسي للمملكة على علاقة مع المغرب. حتى قبل سيطرة الكتالانيين في 1230، كانت مرسى هاما للتجارة الأوروبية باتجاه افريقيا. توافد عليها البيزيون والجنويون بانتظام في القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر[112]. وهي آخر جزيرة كبيرة في البحر المتوسط الغربي تسقط تحت السيطرة المسيحية، حيث أضحت سريعا واحدة من أقطاب التجارة المغاربية. تقع بامتياز على واحد من الطرق المؤدية إلى إفريقيا الشمالية، استفادت أيضا من روابط مفضّلة مع العالم الإسلامي. لقد كانت واحدة من الأراضي المسيحية التي نادرا ما استقبلت المسلمين، خصوصا من بجاية، وتجارها اليهود كانوا أيضا نشطين في التجارة المغاربية. رخّص البابا جريجوار التاسع (Grégoire IX) في 1241 لأسقف ميورقة للمطارنة بممارسة التجارة مع بلدان الإسلام في زمن السلم، حتى لبيع القوت ولكنه ذكّرهم بعدم وجوب تصدير ما يمكن استعماله لمحاربة المسيحيين مهما تكن الحالة[113]. جعلت هذه الظروف من الجزيرة عنصرا جوهريا للشبكة التجارية التي وحّدت أوروبا مع إفريقيا.

في نفس سنة مرسوم جريجوار التاسع توجد شهادة لرحلة تجارية باتجاه بجاية[114] ، ففي 1247 قدمت إليها ثلاثة مراكب على الأقل[115]. وفي 1276،

ACA, C., Rg. 11, f. 254 (29/4/1260), éd. A. Huici Miranda, M. D. Cabanes Pecourt, *Documentos de Jaime I de Aragón*, 4, Saragosse, 1982, n° 1183, p. 264-265.

(111) Dufourcq, *Espagne catalane*, *op. cit.*, p. 177-178.

(112) D. Abulafia, *A Mediterranean Emporium. The Catalan Kingdom of Majorca*, Cambridge, 1994, p. 108-112.

(113) *Les Registres de Grégoire IX*, éd. L. Auvray, III, Paris, 1908-1910, n° 5960 (9/4/1241).

(114) ARM, P. 342, f. 41v, cité par Fr. Sevillano Colom, J. Pou Montaner, *Historia del puerto de Palma de Mallorca*, Palma de Majorque, 1974, p. 154.

أصبحت مملكة ميورقة مستقلة وسنتان بعد ذلك أمضى ملكها جاك الثاني معاهدة سلم مع الحفصيين. كانت إذن الجماعة التجارية هامة بكفاية في بجاية لتبرير تعيين قنصل في 1302 ومنح فندق خاص بها. تسمح وثيقة لعام 1284 بتقدير مكانة بجاية في تجارة الجزيرة في نهاية القرن الثالث عشر. يتعلق الأمر بسجل جمركي سجّل بين 23 فيفري و18 مارس كل انطلاقات المراكب الميورقية أو على متنها سكان الجزيرة أو السلع التي ترجع إليهم[116]. قرابة الثلاثة أرباع من هذه المراكب تمّ تسييرها نحو المغرب. كانت الوجهة الأولى بجاية بست رحلات ثم تأتي القل (أربع رحلات) والكدية، ووهران والجزائر ومتسما (مستغانم ؟) وبونة وهنين (ثلاثة) وجيجل ومزجران ودلس وبرشك (اثنتان) وتنس وتونس[117] في الأخير (واحدة). بداية من 1311، كثرت الانطلاقات على غرار إحدى عشر مركبا ذهبت إلى بجاية في 1314[118].

وجد الجنويون -وبحجم أقل- البيزيون في ميورقة نقطة ارتكاز أساسية لأعمالهم الإفريقية[119]. ففي 1270 ذهب قارب الجنوي أكاردو ساردينا (Aicardo Sardina) إلى بجاية ثم إلى ميورقة[120]. وفي 25 فيفري 1284 سافر رجل الأعمال الجنوي نكولوسو بنتكسيلو (Nicoloso Pontixello) من

---

(115) Éd. A. Santamaría Arández, *Ejecutoria del reino de Mallorca*, Palma de Majorque, 1990, n° 35 (12/4/1247), 45 (6/11/1247), 51 (29/12/1247).

(116) نشر هذه الوثيقة أ. ريرا مليس:

A. Riera Melis, « La llicencia per a barques de 1284. Una font important per a l'estudi del comerç exterior mallorqui del darrer quart del segle XIII », *Fontes rerum Balearium*, 3, 1979-1980, p. 121-140.

(117) المركب الذي ذهب إلى تونس توقف من جهة أخرى في بجاية.

(118) ARM, RP 3764, f. 25-47 (1314).

(119) D. Abulafia, « El comercio y el reino de Mallorca, 1150-1450 », *En las costas del Mediterráneo occidental. Las ciudades de la Península Ibérica y del reino de Mallorca y el comercio mediterráneo en la Edad Media*, dir. D. Abulafia, B. Garí, Barcelone, 1996, p. 125.

تحصلوا على امتيازات في الجزيرة ويبدو أن النزاع بين جنوة ولاكورونيا أراجونة لم يضايق أعمالهم.

(120) ASG, min. 96, f. 54r (10/6/1270).

الجزيرة إلى بجاية ووعد بالعودة في أفريل[121]. وأخيرا، تمّ كراء مركب ليوناردو سبينولا (Leonardo Spinola) لتاجر من بليزونس للذهاب إلى مرسيليا ثم ميورقة وبجاية[122].

بين إيطاليا وشبه الجزيرة الإيبيرية، وجدت مدن الساحل المتوسطي الفرنسي صعوبات لإيجاد مكانتها في التجارة المغاربية. توصلت مرسيليا لوحدها إلى تطوير علاقات هامة في حين بقيت الموانئ الأخرى منكمشة. كان للمنبوليين أعمال تجارية في المشرق (قبرص وأرمينيا)، لكن بدرجة أقل في المغرب أو بواسطة مرسيليا وجنوة وموانئ مملكة أراجونة[123]. ففي أفريل 1248، نرى أرمو لوماتر الأجادي (Armand Lemaître d'Agde) ينقل النيلة القبرصية من مرسيليا إلى بجاية[124]. وفي ماي – دائما في مرسيليا- تلقى برنار كادبيو المونبيليي (Bernard Cadebiou de Montpellier) وبيار كابي مايي الألبي (Pierre Capus Maillet d'Albi) طلبية من 36 بوزون ميلاريس لحملها إلى بجاية[125]. كان الأربونيون (Narbonnais) أيضا على علاقة بالمغرب[126]، كما يظهره مثال الرحلة التي قام بها في 1337 لوح برنار سيجان النربوني (Bernard Seguin

---

(121) Éd. Riera Melis, « La llicencia per a barques », art. cité, p. 16.

(122) ASG, min. 78, f. 252v (24/3/1292).

(123) J. Combes, A.-É. Sayous, « Les commerçants de Montpellier aux XIIIe-XIVe siècles », *RH*, 188-189, 1940, p. 374.
لم يستطع أسطولهم أن يصل إلى حجم له دلالة. إن أقدم سجلات الموثقين المونبليين مؤرخة بـ 1293 و1301، وهذا لم يمنع من قياس نشاط الميناء في القرن الثالث عشر. J. Combes, *Montpellier et le Languedoc au Moyen Âge*, Montpellier, 1990, p. 52. لكن لا تبيّن وثائق القرن الرابع عشر تقريبا تجارة مع المغرب (معلومات شفوية لـ كاترين رايرسن (Kathryn L. Reyerson) في مارس 1998).

(124) Blancard, II, n° 605 (27/4/1248).

(125) *Ibid.*, n° 672 (8/5/1248).

(126) C. Port, *Essai sur le commerce maritime de Narbonne*, Paris, 1854, p. 135.

(de Narbonne بين مرسيليا وبجاية[127]. وأخيرا، تسعيرة جمركية باربنيونية لعامي 1284 و1295 تشير إليها ب« cordoa de Bugia »[128].

إنّ المرسيليين هم الذين طوّروا التجارة مع إفريقيا الشمالية[129]. كانت اتصالاتهم الأولى بواسطة الجنويين دون شك نحو سبتة[130]. وكانت لديهم أيضا وضعيات صلبة في ميورقه حيث تحصّلوا على امتيازات بعد الفتح الكتالاني[131]. توجد واحدة من الإشارات الأولى لهذه التجارة في قوانين ميناء مرسيليا. في الرواية الأكثر قدما التي تعود إلى بداية القرن الثالث عشر، كانت بجاية وسبتة هما الميناءان الوحيدان المؤهلان لاستقبال قنصل مرسيلي[132]. لكن يمكن أن نعتبر هذه القوانين – التي هي مبلورة ومنجزة من قبل- بمثابة انعكاس لوضعية تعود إلى نهاية القرن السابق. في القرن الثالث عشر، تبيّن العقود التجارية على كل حال المكانة المهمة التي احتلتها بجاية في تجارة المدينة البروفانسية.

---

(127) ADBR, 391E 11, f. 5v (11/4/1337).

(128) Éd. J. B. Alart, « Documents sur la langue catalane des anciens comtés de Roussillon et de Cerdagne », *Revue des Langues romanes*, 4, 1873, p. 373 ; 5, 1874, p. 86. Ces cuirs peuvent cependant venir par l'intermédiaire de Majorque.

(129) D. Valérian, « Les archives de Marseille, sources de l'histoire du Maghreb médiéval : le cas du port de Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *Annales du Midi*, 113, 2001, p. 5-26.

(130) É. Baratier, « Le commerce de Marseille avec l'Afrique du Nord avant 1599 », *Marseille, Revue municipale*, 11, 1951, p. 35.

أنظر معاهدة السلم بين مرسيليا وجنوة في 1138 التي تعطي المرسيليين إمكانية الانتفاع من الوضعيات الجنوية في المغرب.

Éd. Mas-Latrie, *Traités*, *op. cit.*, p. 88-89.

(131) Cl. Carrère, « Marseille, Aigues-Mortes, Barcelone, et la compétition en Méditerranée occidentale au XIIIe siècle », *AEM*, 10, 1980, p. 165.

(132) *Statuts municipaux de Marseille*, livre I, chap. 18, éd. Mas-Latrie, *Traités*, *op. cit.*, p. 90.

جدول 33: توزيع الطلبيات المرسيلية حسب الاتجاهات (القرن الثالث عشر)[133]

(حسب عدد العقود)

	Manduel[134]	Amalric[135]	آخرون	المجموع
جنوب فرنسا	2	9	5	16
شمال فرنسا وانجلترا	5	10	1	16
ايطاليا	2	43	20	65
مملكة صقلية	4	116	1	121
شبه الجزيرة الإبيرية	5	28	4	37
الشرق المتوسطي	13	184	28	225
المغرب	43	73	1	117
من بينها:				
الجزائر		1		1
بلاد البربر	1	3		4
بجايه	21	50	1	72
سبته	12	18		30
وهران	3			3
تلمسان	2			2
تونس	4	1		5
المجموع	74	463	60	597

(133) من خلال حسابات:

J. H. Pryor, *The Commenda in the Mediterranean Maritime Commerce during the XIIIth Century : a Study Based on Marseilles*, thèse dact., Université de Toronto, 1974, p. 256-257.

(134) Documents relatifs aux affaires de la famille Manduel (1200-1253). Blancard, I.

(135) Notules du notaire Amalric, 13 mars - 29 juillet 1248. Blancard, II.

يمثّل المغرب أكثر بقليل من ثلث العقود لكن بقيمة معدلات أقل مقارنة بتجارة الشرق المتوسطي[136]. كانت بجايه الوجهة الأكثر أهمية في الجهة بـ 61،5 % من الطلبيات، تتبعها عن بعد سبتة (25،6 %)، وبقية الموانئ -خصوصا تونس- التي تمّ تجاهلها. شكّل المرسيليون جماعة حول قنصلهم وفندقهم، حتى وإن لم يكن هناك أثر لمعاهدة سلم قبل معاهدة 1270، فقد وجدت بكل تأكيد اتفاقيات على غرار ما كان للمدن الإيطالية[137]. رغم الصعوبات العابرة، واصل المرسيليون التردد على الميناء إلى غاية سنتي 1314-1315. أجبرتهم أزمة أسبابها غامضة على ترك هذا السوق، ورغم المجهودات المدعومة من المجلس البلدي وملك نابولي، فإنهم لم يستطيعوا استئناف العلاقات العادية مع المدينة قبل فترة طويلة[138].

ربطت بجاية إذن علاقات مع موانئ جنوب أوروبا الرئيسية، لكن تواجدت أيضا تجارة غير معروفة جيدا مع الغرب الإسلامي والمشرق. لقد كان للتجار البجائيين في واقع الأمر علاقات تجارية مع بقية العالم الإسلامي. لكن هذه المبادلات تبدو خصوصا من خلال نشاط الأوروبيين الذين ربطوا موانئ إفريقيا الشمالية والأندلس والشرق المتوسطي. شكّلت بجاية إذن مرحلة في السفريات المعقدة على مستوى البحر المتوسط. في الغالب، لا توضح العقود التجارية – باستثناء الكراء البحري- المراسي. إذ يكتفي الموثق بالكتابة أنه انطلاقا من بجاية يمكن أن يذهب المستفيد من الطلبية إلى أسواق أخرى تناسبه. تفسّر هذه المرونة بالفعل أخذ التجار لمعلوماتهم في الموانئ التي يصلون إليها ويكيفون مسلكهم حسب الفرص التي تتاح لهم.

---

(136) Pryor, *The Commenda*, *op. cit.*, p. 269.

(137) أدرجت معاهدة 1270 -بين سلطان تونس من جهة وشارل دانجو وملك فرنسا من جهة أخرى- مرسيليا. في 1325، قرر مجلس المدينة محاولة تجديد الاتفاقيات السابقة مع "ملك تونس وبجاية"، وهذا ما يبيّن وجود معاهدات ما.AM, BB 14, f. 6v (1325)

(138) Valérian, « Les archives de Marseille », art. cité, p. 8-9.

أقامت المراكب في البداية صلات بين الموانئ المسلمة والغرب. ففي 1201، انطلق مركب لنفرانكو دو تيركا (Lanfranco de Turca) من سافون في رحلة طويلة قادته على التوالي إلى جنوة ومرسيليا وسبته ووهران وبجاية وتونس ومسينا والإسكندرية ثم من جديد سبتة والإسكندرية حيث رجعت به إلى العاصمة الليجيرية[139]. في 1253، تمّ عقد كراء بحري بجنوة ينص على الانطلاق يوم 8 سبتمبر من ميناء مالقة الإسباني حيث سيذهب المركب إلى سبته أو إلى الإسكندرية إذا سمحت الظروف الأمنية (وإلا سيذهب مباشرة إلى بجاية أو تونس). بذلك ستتم العودة إما مباشرة نحو جنوة وإما عن طريق بجاية أو تونس[140]. أيضا من بين المراكب التي غادرت ميناء ميورقة إلى بجايه في بداية 1284، أعلن واحد منهم محطة إرساء في جيجل وآخر في القل والثالث يذهب أيضا إلى تونس[141]. وأخيرا في 1292، ذهب يخت سافوني من جنوة إلى بيزا ثم إلى القل وجيجل[142].

كانت بجاية أيضا على علاقة بالمشرق الإسلامي. لكن من الممكن استخدام تونس كوسيط في هذه التجارة، خصوصا مع مصر حيث المسيرات المباشرة كانت نادرة جدا. لكن المذكرة الجنوية لعام 1278 أعطت معادلات المكاييل بين

---

(139) Éd. D. Puncuh, *Il Cartulario del notaio Martino, Savona, 1203-1206*, Gênes, 1974, n° 445, 446.

(140) ASG, min. 29, f. 164r (20/7/1253), éd. Byrne, *Genoese Shipping*, *op. cit.*, p. 120-124.

حول دور مالقة في التجارة الأندلسية، أنظر:

Cr. Torres Delgado, « El reino nazari de Granada (1232-1492). Aspectos socioeconómicos y fiscales », *Actas del II coloquio de historia medieval andaluza, Sevilla 8/10 abril 1981*, Séville, 1982, p. 316-317 ; M. I. Calero Secall, « Málaga : un puerto en una ciudad », *Al-Andalus y el Mediterráneo*, Barcelone-Madrid, 1995, p. 115-122.

(141) Éd. Riera Melis, « La llicencia per a barques », art. cité, p. 130-131, 134-135 (25/1-15/2/1284).

(142) ASG, min. 71, f. 65r (18/1/1292).

الإسكندرية وبجاية، وهذا ما يوحي بعلاقات تجارية بين المدينتين[143]. أيضا، يتحدث بيجولوتي في بداية القرن الرابع عشر عن البيع في الميناء المصري لقشر بجاية[144]. وأخيرا، وجدت علاقات مع الشرق المسيحي[145]. يخبر الدليل البيزي التجار بأن قنطار الكتان الموزون في عكا يساوي ثلاثة قناطير وتسع روتولي (roto li) ببجاية[146]. وفي 1290، تمّ عقد كراء بحري في كافا (Caffa) لنقل الحبوب إلى سوريا وتونس وبجاية وجنوة وبروفانسيا أو إلى إسبانيا بحسب اختيار التجار[147]. وأخيرا في 1301، ترك يخت القديس جيوفاني (San Giovanni) ميناء فماجوست (Famagouste) محمّلة بالقطن إلى تونس حيث بقي هناك ثلاثة أيام ثم ذهب إلى بجاية[148]. رغم أن هذه الأمثلة كثيرة[149]، فإنّ منتجات الشرق عبرت غالبا عن طريق الموانئ الأوروبية قبل الوصول إلى بجايه.

---

(143) Lopez, Airaldi, « Il più antico manuale », art. cité, p. 122. Cf. L. Balletto, « Bougie nei manuali toscani di mercatura del due-trecento », *Italia e Algeria, aspetti storici di un'amicizia mediterranea*, dir. R. H. Rainero, Milan, 1982, p. 84.

(144) Pegolotti, p. 70.

(145) في القرن السابق، نوى ابن جبير في لحظة ما الركوب من صور على متن مركب جنوي ذاهبا إلى بجاية. ابن جبير، الرحلة، ترجمة بول-شارل دمنيك.

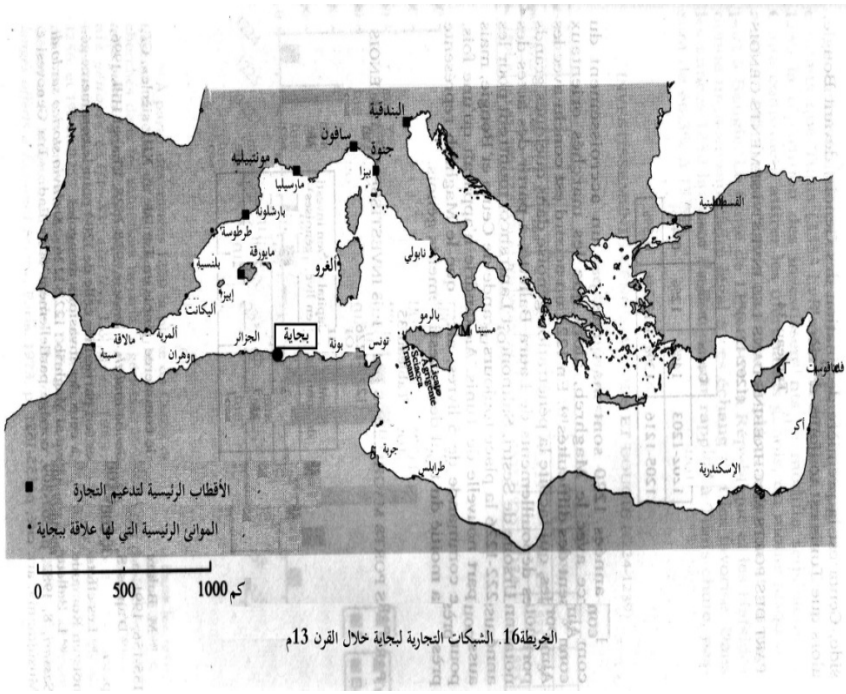
Ibn Ğubayr, *Rihla*, trad. Paule Charles-Dominique, « Relation des péripéties qui surviennent pendant les voyages (*Rihla*) », *Voyageurs arabes*, Paris, 1995, p. 327.

(146) Lopez, Airaldi, « Il più antico manuale », art. cité, p. 122.

(147) Éd. M. Balard, *Gênes et l'Outre-Mer, I, Les actes de Caffa du notaire Lamberto di Sambuceto, 1289-1290*, Paris-La Haye, 1973, n° 886 (9/8/1290).

(148) Éd. V. Polonio, *Notai genovesi in Oltremare. Atti rogati a Cipro da Lamberto di Sambuceto (3 luglio 1300-3 agosto 1301)*, Gênes, 1982, n° 186 (11/1/1301).

(149) تجب الإشارة إلى أن طبيعة المادة التوثيقية المشكّلة أساسا من عقود الموثقين في الموانئ الأوروبية الكبرى تساهم في التقليل من هذه العلاقات المباشرة مع المشرق والمغرب.



الخريطة16. الشبكات التجارية لبجاية خلال القرن 13م

عقدت إذن بجاية بين منتصف القرن الثاني عشر والسنوات الأولى للقرن الرابع عشر علاقات مباشرة وغير مباشرة مع كل الموانئ الكبيرة في البحر المتوسط وبذلك فهي مندمجة في شبكة تجارية كبيرة جدا. من الصعب تقدير آثار هذه التجارة على نشاطها، لكن المدينة كانت مزدهرة من دون نقاش. جذبت إليها طبعا أقل من الوجهات نحو الشرق المتوسطي، لكنها كانت واحدة من أكبر موانئ المغرب. ويسمح تحليل الوثائق بتوضيح مكانتها المتعلقة بالتجارة المغاربية[150].

كانت موانئ إفريقيا الشمالية الكبرى هي إذن سبته وبجايه وتونس، فيما لا تظهر الأخرى (وهران والجزائر وجيجل والقل) إلا بكيفية عرضية.

(150) بالنسبة لهذه الفترة، لم تكن أرشيفات جنوة وحدها من أعطى سلسلة من المعطيات ذات الدلالة. إن تطور الاستثمارات الجنوية في المغرب لم يكن طبعا نفسه في بقية الموانئ الأوروبية حيث كانت الوضعية مختلفة. وتبيّن الحصة المأخوذة في المبادلات من طرف الوجهات المغاربية الثلاثة.

في بداية القرن، كان سير المغرب كسوق استبدال مقارنة مع سوق الإسكندرية، وتزايدت الاستثمارات تدريجيا[151]. إلى غاية تأسيس السلالة الحفصية، كانت سبتة هي أول وجهة للجنويين قبل بجاية في حين كانت تونس الأخيرة[152].

جدول 34: حصة الموانئ المغاربية من الاستثمارات الجنويه (1216-1202)[153]

	سبتة	بجاية	تونس
1203-1202	%14	%12	%0,4
1216-1205	%13	%13,7	%0,5

تتميز سنوات 1220 بنمو التجارة مع المغرب في حين أن الأسواق المشرقية عرفت صعوبات[154]. ففي 1223 عقد اتفاق مع الموحدين وهذا ما سهّل النفاذ الجنوي إلى عدد من الموانئ. يبيّن جرد لورا باليتو (Laura Balletto) انطلاقا من عقود توثيق إرسوني دو سيستري (Ursone de Sestri) وسالموني (Salmone) ولنفرانكو (Lanfranco) لسنوات 1222-1226 دائما المكانة الكبيرة لسبتة

(151) E. Bach, « Études génoises ; le minutier de Lanfranco », *Studi in onore di Armando Sapori*, I, Milan, 1957, p. 379.

في 1210، تم ابرام 24 عقد لسوريا، 17 للإسكندرية و35 بالنسبة للمغرب. وفي 1216 و1225 اختفت مصر من المادة الوثائقية. سجّل الموثق إذن 71 عقد بالنسبة لسوريا في 1216 و15 في 1225. بالنسبة لنفس السنوات، هناك 19 و78 عقد يعني المغرب. أنظر:

L. Balletto, « Tra Genovesi e Musulmani nel XIII secolo », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 155.

(152) M. Balard, « Note sur le commerce génois en Tunisie au XIIIe siècle », *CT*, 155-156, 1991, p. 370-371.

(153) D'après St. Epstein, *Genoa and the Genoese, 958-1528*, Chapel Hill, 1996, p. 97.

(154) تضاف آثار الحروب الصليبية (خصوصا حملة 1204 بالنسبة للتجارة الجنوية في رومانيا) إلى آثار الغزوات المغولية.

وبجاية، وأيضا الحصة الجديدة لتونس. لا تظهر الإسكندرية إلا مرة واحدة في طلبية ب 5 ليفر في حين أن المغرب سيمثل تقريبا نصف مجموع الاستثمارات الجنوية.

جدول 35: حصة الموانئ المغاربية في الاستثمارات الجنوية (1222–1226) [155]

	عدد العقود	معدل رأس المال المستثمر (بالليفر الجنوي)
سبتة	93	52
بجاية	30	26
تونس	41	31

لكن بالنسبة لمجمل العشرية، جذبت بجاية أكثر رؤوس أموال من تونس (3353 ليفر مقابل 1703). بداية من سنوات 1230، تعدّل بشكل حساس توزيع الاستثمارات. استمرت سبته في جذب التجار الجنويين على الأقل إلى غاية سنوات 1240[156]، لكن تونس أكدت مكانتها، خصوصا مقارنة مع بجاية. تعطي

(155) L. Balletto, « Da Genova al Maghrib : 1222-1226 », *Archivio storico sardo di Sassari*, 8, 1982, p. 307-309, corrigé partiellement dans Ead., « Tra Genovesi e Musulmani », art. cité, p. 155-157.

(156) انطلاقا من سنوات 1250، أصبحت مكانة سبتة ضعيفة في الاستثمارات الجنوية. أنظر:

M. Balard, « Les Génois en Romanie entre 1204 et 1261. Recherches dans les minutiers notariaux génois », *Mélanges d'Archéologie et d'histoire publiés par l'École française de Rome* 78, 1966, rééd. *La mer Noire et la Romanie génoise (XIIIe-XVe siècle)*, Londres, 1989, tableau h. t. : 11% des investissements en 1251, 5% en 1252, 4% en 1253, 12% en 1254, 5% en 1255, 2% en 1256, et 1% en 1257.

بدأ تقلص مكانة سبتة بعد 1212، لكنها كانت بطيئة جدا في البداية.

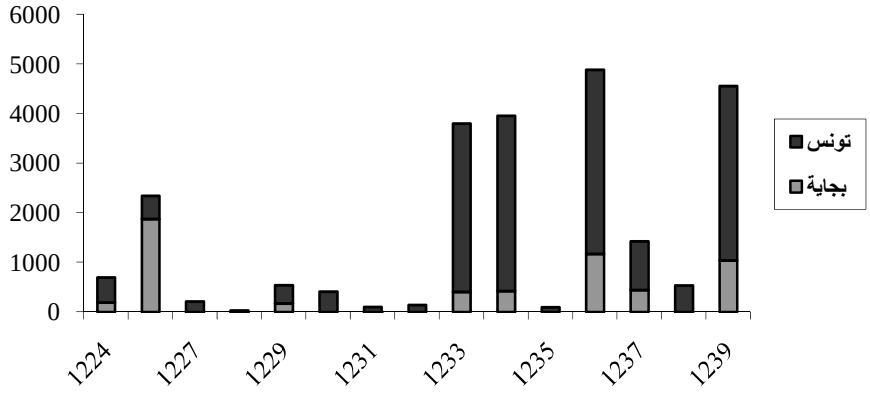
Ch.-E. Dufourcq, « Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIIIe siècle », *Économies et sociétés au Moyen Âge. Mélanges offerts à Édouard Perroy*, Paris, 1973, p. 726.

معاهدة 1236 بين الجمهورية والحفصيين إطارا قانونيا جديدا لهذه المبادلات وساعدتها. لكن في سنوات 1230، سقطت مكانة بجاية مقارنة مع تونس بتراجعها من 66،3 % إلى 17،5 %.

جدول 36: الاستثمارات الجنوية في تونس وبجاية (1224-1239)

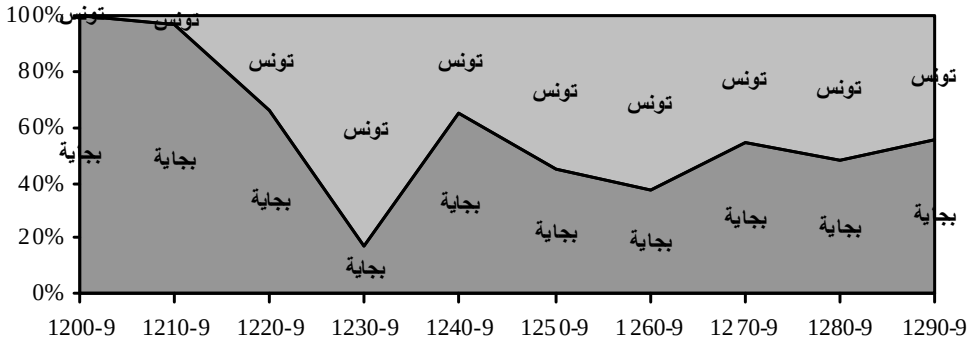
(بالليفر الجنوي)

السنة	1224	1225	1227	1228	1229	1230	1231	1232	1233	1234	1235	1236	1237	1238	1239
بجاية	187,2	1872,8	6,3	4	168	-	5	-	401,5	423,25	-	1168,25	440,25	5	1037,35
تونس	506,8	463,85	200	22,5	371,6	410	90,85	140	3396,15	3532,2	92,5	3719,4	981,1	523	3520,55



جدول 37: الاستثمارات الجنوية في بجاية وتونس في القرن الثالث عشر
حسب فترات عشرية

	رأس المال المستثمر (بالليفر الجنوي)		حصة بجاية/ تونس
	بجاية	تونس	
9-1200	9 751 l. 8 s.	0	%100
9-1210	1 822 l. 11 s.	52 l. 14 s.	%97,20
9-1220	3 353 l. 6 s.	1703 l.	%66,30
9-1230	3 480 l. 12 s.	16 405 l. 15 s.	%17,50
9-1240	2 480 l. 1 s.	1 307 l. 6 s.	%65,50
9-1250	25 290 l. 16 s.	31 597 l. 17 s.	%44,50
9-1260	7 868 l. 11 s.	13 340 l. 15 s.	%37,10
9-1270	2 443 l. 14 s.	2 039 l. 5 s.	%54,50
9-1280	4 033 l. 15 s.	4 357 l. 8 s.	%48,10
9-1290	4 678 l. 10 s.	3 737 l. 11 s.	%55,60



إن الحالة غير العادية في المنحنى لا يمكن أن تفسّر إلا بثغرة في المادة الوثائقية. يجب إذن استنتاج أن الفتح الحفصي لبجاية أدى إلى تراجع المدينة بشكل محسوس مقارنة مع تونس. هل جذبت الجنويين القوة الجديدة بتونس؟ أم يجب الاعتقاد بأن السلطان قام بإجراءات هدفت إلى تحديد وزن بجاية ومساعدة التجار في العاصمة؟ لا تسمح أي وثيقة بالإجابة، لكن ليس مستبعدا بحث تونس عن عرقلة تجارة منافستها.

لكن عاد التوازن بسرعة بين المدينتين اللتين اقتسمتا من الآن فصاعدا تقريبا مجموع الأعمال الجنوية في المغرب.

إلى غاية نهاية القرن، وبتبديلات خفيفة، توازن إذن توزيع الاستثمارات بين المدينتين. إن الوثائق المتوفرة هي وثائق منتصف القرن مع انحدار ملحوظ في سنوات 1250. ربما يوضع هذا على علاقة بالصعوبات التي واجهتها في سوريا-فلسطين بسبب الغزوة المغولية[157]. بعد ذلك، تحولت مصالح جنوة في قسم منها إلى الشرق، خصوصا بعد 1261 في رومانيا[158]. لكن إذا كانت عقود الطلبيات نادرة أكثر فأكثر بالنسبة للمغرب، نجد بالمقابل عدة بيوع مألوفة للصوف البجائي في السوق الجنوي، وهو دليل على استمرار التجارة.

خلال كل هذه السنوات، لم تتأثر الأعمال التجارية بصفة دائمة بالأزمات التي عرفتها الجهة. طبعا، في 1270، لم يعقد أي عقد في جنوة، لكن بداية من 1271 استأنفت الحركة. فيما يخص نزاعات الأسرة الحفصية خلال سنوات 1280، فإنها لم تمنع التجار الجنويين من المجيئ بانتظام إلى الميناء. بالعكس،

(157) M. Balard, « Les républiques maritimes italiennes et le commerce en Syrie-Palestine (XIe-XIIIe siècle) », *AEM*, 24, 1994, p. 341.

(158) Balard, « Note sur le commerce génois en Tunisie », art. cité, p. 373 ; Id., *La Romanie génoise*, *op. cit.*, p. 45 s. ; R.-H. Bautier, « Les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du Nord et équilibre économique méditerranéen du XIIe au XIVe siècle », *Bulletin philologique et historique (jusqu'à 1715)*, 1955, p. 400.

أصبحت بجاية مستقلة في وقت ازدهار تجاري كبير. وحتى خلال سنوات الانفصال تكاثر عدد الجماعات الأوروبية في الميناء. سمحت هذه الحركية بإيجاد مصادر ضريبية هامة لم تكن سببا في نجاح الأميرين أبي زكرياء وأبي البقاء.

عرفت التجارة البجائية إذن خلال القرن الثالث عشر الطويل ازدهارا كبيرا. وقد سهّل الاستقرار الموحدي ثم الحفصي هذا الازدهار، وأيضا عوامل خارجية عن المغرب. سّهلت حركية الأوساط التجارية الإيطالية -وبعد ذلك بقليل- البروفانسية والكتالانية تطوير المبادلات. من جهة أخرى، أدت الصعوبات التي لاقتها في الشرق بتحويل الاستثمارات نحو المغرب بحجة تعويض الخسارة. على امتداد هذه الفترة كانت بجاية واحدة من الوجهات المفضلة لدى التجار الجنويين وتأكيد تونس كعاصمة لم يسحب منها هذا الدور، ما عدا ربما في السنوات التي جاءت مباشرة بعد الفتح الحفصي[159].

طبعا ظهرت أولى الاحتكاكات بداية من 1280 مع الكتالانيين[160]. لكنها بقيت محدودة ولم تمنع من مواصلة الأعمال. امتدت فترة الازدهار هذه حتى العشرية الأولى من القرن الرابع عشر وتبعتها أزمة طويلة الأمد أثرت بعمق على الأنشطة التجارية للميناء.

II- أزمة القرن الرابع عشر

بدأت الوضعية في التدهور في سنوات 1310-1320، وبذلك ضعفت حركة الميناء التجارية بشكل ملموس. توقف المرسيليون عن المجيء بعد 1315 في حين تندر الوثائق الجنوية أو البيزية. إن الكتالانيين وخصوصا الميورقيين هم الوحيدون من واصلوا التردد على الميناء. في الوقت ذاته، شهدت العلاقات الدبلوماسية فتورا بسبب النزاعات ومعاهدات السلم الاستثنائية. وبالمقابل عرفت

(159) استدارت البندقية وإيطالية الجنوبية وصقلية أكثر نحو إفريقية الشرقية لأسباب جغرافية خصوصا.

(160) أنظر الرواية المفصّلة لهذه الصعوبات في:

Dufourcq, *L'Espagne catalane, op. cit.*, p. 279 s.

القرصنة تطورا، كان في البداية بطيئا انطلاقا من 1310 ثم أصبح ملحوظا بداية من سنوات 1360-1370. الكل يشير إذن إلى أزمة تجارة بجاية البحرية.

1) تراجع التجار الإيطاليين والبروفانسيين وتطور ميورقة

خلال الفترة السابقة استقبل التجار القادمون من كل موانئ البحر المتوسط الغربي الكبرى، نرى شيئا فشيئا الإيطاليين والبروفانسيين يهجرون المدينة، وفي الوقت ذاته أصبح الميورقيون –الذين كانوا أقوياء منذ القرن الثالث عشر- وسطاء مفضّلين في المبادلات بين أوروبا والمغرب.

إن انسحاب المرسيليين كان فجائيا وسريعا[161]. ففي 1314، تبعا لنزاع في الميناء لأسباب تبقى مجهولة، توقفت العلاقات رغم مجهودات المدينة البروفانسية لإعادة تنشيط المبادلات. ففي جويلية من هذه السنة، عندما كانت سفينة مرسيلية تتجهز للذهاب، نزع ممثل سلطان بجاية سلاح المركب وسجن رجالها وباع سلعهم. نادى عدة أسرى بتدخل السلطات المرسيلية والحادث اعتبر خطيرا ليهتم به مجلس المدينة والملك: طلب المجلس في 1314 من ضابط العدالة الملكية البروفانسية بتهيئة مصاريف سفارة إلى السلطان[162]، لكن القضية تباطأت عدة سنوات. وأرسل الملك روبار (Robert) من نابولي رسالتين في أفريل 1315[163]، مشتكيا من القضية لدى ضابط العدالة الملكية البروفانسية. كتب هذا الأخير في 1317 إلى الكلافار الملكي (Clavaire royal) يطلب منه التمويل المالي لمهمة جديدة إلى بجاية[164]. يمكننا أن نعتقد أن هذا الحادث في عمقه هو سبب للقطيعة الدائمة وحوادث أخرى من نفس الطبيعة لم تكن لها آثار طويلة الأمد. إذ بعد 1314

---

(161) Valérian, « Les archives de Marseille », art. cité, p. 8-9.

(162) AM, HH 311 (3 actes, du 2 au 21/9/1314).

(163) Éd. Ch. Perrat, « Actes du roi Robert d'Anjou relatifs à la Provence, extraits des registres détruits des archives de Naples, 1314-1363 », *Bulletin philologique et historique (jusqu'en 1715)*, 1950, n° 74, p. 152 (10/4/1315).

(164) AM, AA 141, 17/12/1317.

تناقصت بقوة الأنشطة المرسيلية في بجاية. أصبحت العقود استثنائية، لكن لم يستطع المجلس البلدي كراء الفندق، وهذا لا يورد شيئا وهو من جهة أخرى مشار إليه على أنه متهدم في حسابات العشريات اللاحقة[165]. تبيّن الأهمية التي أولاها الملك نفسه لقضية 1314 والإلحاح على استئناف العلاقات مع بجاية[166] إرادة مرسيليا في المحافظة على هذا السوق المهم لها[167].

مسّ هذا التراجع أيضا المدن الإيطالية. إنّ الوثائق البيزية لهذه الفترة تعد استثنائية حتى وإن كانت تبيّن بقاء العلاقات التجارية بين الميناء التوسكاني وبجاية. في سبتمبر 1321 طلب البابا جون الثاني والعشرين (Jean XXII) بناء كنائس معمودية في الأماكن التي يوجد فيها البيزيون بالكيفية نفسها التي لهم عليها في مملكتي تونس وبجاية[168]. أيضا، في أفريل 1326 أجّر برشلونيون مركبهما لبيزيين من بينهم ستشو أجلياتا (Secco Agliata) لحمل ملح كاجلياري إلى بجاية

---

(165) على سبيل المثال: ADBR, B 1517, f. 3v (1316) ; B 1940, f. 171v (1331) ; B 1942, f. 3r (1358)

بالرغم من أنه في 1347 أنجز الموثق الجنوي ببجاية عقدا في فندق المرسيليين لكن للتجار الميورقيين.

ASG, min. 275/II, f. 48r (29/11/1347)

(166) في خلال السنوات التي تبعت عدة استئنافات حاول المرسيليون اعادة الروابط مع بجاية، لكن في كل مرة دون نجاح.

AM, BB 14, f. 6v (1325) ; BB 17, f. 73r (13/6/1332) ; BB 18, f. 14r-15r (3/2/1337), 30r-v, 33r (5/5/1337).

(167) إن التراجع المرسيلي لم يكن خاصا ببجاية فقط. عرفت المدينة أزمة بسبب السياسة المتوسطية لبيت دانجو وأيضا للمنافسة الإيطالية والكتلانية على الخصوص.

É. Baratier, « Influence de la politique angevine sur le déclin commercial de Marseille, aux XIIIe et XIVe siècles », *VI Congreso de historia de la Corona de Aragón, 1957*, Madrid, 1959, p. 686 ; voir également G. Lesage, *Marseille angevine. Recherches sur son évolution administrative, économique et urbaine, de la victoire de Charles d'Anjou à l'arrivée de Jeanne 1re (1264-1348)*, Paris, 1950, p. 145 s.,

يتحدث هذا الأخير عن انحطاط اقتصادي بداية من 1309.

(168) G. Mollat, éd., *Jean XXII. Lettres communes*, n° 14 476, IV, Paris, 1910, p. 7.

وموانئ أخرى[169]. في نفس السنة، مركب ساتشو نفسه ذهب من جيات (Gaète) إلى بجاية[170]. لكن هذه هي آخر الوثائق التجارية البيزية. إنّ قوانين (Statuts) نظام البحر الذي تؤرخ روايته اللغة العامية بـ 1343 تذكر حتى الآن قنصلي الميناءين الكبيرين لإفريقية وطريقة انتخابهما[171]. لكن هذه الرواية تأخذ من الرواية اللاتينية لـ 1303[172]، وذكر بجاية في هذا النص الذي هو قانوني قبل كل شيء لا يوحي بأن هناك قنصلا متواجدا بها في هذا التاريخ. في الحقيقة، عرفت التجارة البيزية بعض التجدد بداية من 1350 (تمّ إمضاء معاهدة مع تونس في 1353) [173]، لكن لا يبدو أن بجاية كانت ميناءً يتردد عليه كثيرا. لكن في 1366 أرسل فليبو أجلياتا (Filippo Agliata) لطلب معاهدة سلم من جديد مع سلطان بجاية أبي العباس وهذا الأخير أجابه بالكتابة إلى جميع رعاياه في بونة والقل وجيجل لاستقبال البيزيين بطريقة لائقة[174]. يبيّن هذا التبادل الدبلوماسي وجود إرادة للتجارة لدى الطرفين ولكن في واقع الأمر لم يكن تواجد البيزيين كبيرا في موانئ المقاطعة.

---

(169) ASP, *Diplomatico Alliata*, 27/4/1326.

(170) ASP, *Ospedali riuniti di S. Chiara*, n. 1969, f. 96r (16/6/1326). Le même repart en août pour les foires de Salerne et Tunis. *Id.*, f. 100r (30/8/1326).

(171) *Breve dell'ordine del mare* (1343), éd. Bonaini, *Statuti*, *op. cit.*, III, art. 136, p. 575-576.

(172) *Breve Curiae Maris pisanae civitatis* (1305), art. 39 (*De electione consulum in marinis partibus*), éd. Bonaini, *Statuti*, *op. cit.*, III, p. 372.

(173) جعلت العلاقات الجيدة مع الجنويين استثنافا ممكنا للروابط المباشرة مع إفريقيا.

G. Petti Balbi, *Simone Boccanegra e la Genova del '300*, Gênes, 1991, p. 331.

(174) Éd. Amari, *Diplomi*, *op. cit.*, partie arabe, n° 32, p. 115-118 (30 *ramadân* 767 / 10 juin 1366).

Ibid., n° 33, p. 119-122. يوجد في هذه الرسالة تفسير فضولي إيطالي مكتوب بالأحرف العربية.

إن البنادقة الذين لم يفضلوا إلى غاية الآن المغرب تحوّلوا عنه كثيرا. فتدهور مناخ العلاقات السياسية من 1290 إلى حوالي 1330[175] أدى إلى توقيف التجار البنادقة من قبل الحفصيين في 1332 وإلى مقاطعة تمّ تجميدها بسرعة[176]، لكن دون أن تستأنف العلاقات النشطة. وجب انتظار 1391 أو 1292 لإمضاء معاهدة جديدة[177].

ينطبق التحول عن السوق البجائي أيضا على صقلية وإيطاليا الجنوبية[178]. طبعا يتحدث بجولوتي عن العلاقات بين البوبيه أو نابولي وبجاية، لكنه يظهر خصوصا أهمية تونس[179].

فيما يخص الجنويين، واصلوا ترددهم على الميناء، لكن أعمالهم تقلصت كثيرا. إن سجلات الموثقين هي للأسف فقيرة بالنسبة لسنوات 1320-1340 ولا تسمح برؤية حدوث التغيير[180]. بعض الوثائق لوحدها فقط تطفو وتسمح بالتحقق من استمرار العلاقات، لكن دون امكانية تقدير أهميتها. ففي 1323

---

(175) Sacerdoti, « Venezia e il regno hafsida », art. cité, p. 309-311.

تمّ توقيع معاهدات في 1305 و1317 (لمدة 15 سنة) و1332. *Ibid.*, p. 312-314 .

(176) Éd. M. Brunetti, R. Cessi, *Le Deliberazioni del Consiglio dei rogati (senato) ; serie « mixtorum »*, II, *Libri XV-XVI*, Venise, 1961, p. 49 (11/7/1332), 163 (3/5/1333).

(177) Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*, p. 32-41.

استقبلت تونس دائما في هذه الفترة جماعة بنادقة. Sacerdoti, « Venezia e il regno hafsida », art. cité, p. 319-320.

(178) H. Bresc, *Un monde méditerranéen ; économie et société en Sicile, 1300-1450*, Rome, 1986, p. 334-335.

في حين أن تونس وطرابلس استمر التردد عليهما، لا نجد وثيقة عن بجاية بعد 1350.

(179) Pegolotti, p. 130-137.

(180) L. Liagre de Sturler, *Les relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outremont d'après les archives notariales génoises (1320-1400)*, Bruxelles-Rome, 1969, I, p. XXXV. G. Airaldi, « Da Genova al Maghreb nel Basso Medioevo », *Italia e Algeria, aspetti storici di un'amicizia mediterranea*, dir. R. H. Rainero, Milan, 1982, p. 73, parle d'un « iato informativo tra Duecento e Quattrocento per l'area nordafricana ».

ذهب مركب جنوي إلى بجاية[181] وفي 1328 بيع الصوف الأبيض البجائي لصوّاف من جنوة[182]. وفي 1336 انفصل يخت السبينوليين -الذي كان جزءا من مركب ذاهبا إلى اليونان وسوريا- ليلتف عن طريق المغرب حيث استولى عليه قراصنة موناكو حينما كان يتهيأ للدخول إلى ميناء بجاية بغرض الاتجار فيها[183]. من جهة أخرى أدت الصعوبات المتكررة التي واجهها الجنويون إلى مقاطعة الإرساء المغاربي في 1340 وتوسيع الإرساء بالإسكندرية في 1316[184]. بعد منتصف القرن الرابع عشر وربما تبعا لمعاهدة 1343 بين الجمهورية والسلطنة، يبدو أن الأعمال التجارية استؤنفت بحيوية. في 1347، كان هناك موثق حاضرا في الميناء لإنجاز عدة عقود في فندق الجنويين[185]. يظهر عدد من المواطنين في هذه العقود من بينهم القنصل رافاييلي سبينولا (Rafael Spinola). وهو مؤشر على وجود جماعة وافرة في هذه الفترة وحضور واحد من سبينولا (Spinola) على رأسها يبيّن من جهة أخرى استمرار السوق في جلب اهتمام العائلات النبيلة الكبيرة للأرض الأم[186]. يوجد سيموني لوكافيلو (Simone Lecavello) -

---

(181) ASG, not. ign., *busta* 5, fr. 63, f. 105r (22/9/1324).

(182) ASG, min. 193, f. 16r (10/1/1328).

ليس بالإمكان معرفة ما إذا كان هذا الصوف قد حمل مباشرة من بجاية إلى جنوة.

(183) Giorgio Stella, trad. G. Monleone, « Gli Annali di Giorgio Stella, 2° volume (1333-1382) », *La Berio*, X, 1, 1970, p. 35.

(184) G. Forcheri, *Navi e navigazione a Genova nel Trecento (il liber Gazarie)*, Gênes, 1974, p. 50. Petti Balbi, *Simone Boccanegra*, *op. cit*., p. 354-355.

(185) ASG, min. 275/II, f. 48r-50v (notaire Ianoto Berignano).

(186) Sur cette famille au XIVe siècle, Petti Balbi, *Simone Boccanegra*, *op. cit*., p. 161-162. En 1342 Antonio Spinola a notamment des affaires à Tunis. *Ibid.*, p. 162, 224. M. L. Chiappa Mauri, « Il commercio occidentale di Genova nel XIV secolo », *Nuova Rivista storica*, 57, 1973, p. 574

كان أيضا حاضرا في تونس في هذه السنة بيترو لوكساردو (Pietro Luxardo) وسيموني (Simone) وفرانشيسكو لوكافيلو(Francesco Lecavello) وبرتلومو دو فيدرتو (Bartolomeo de Vedereto).

الذي كان حاضرا من بين التجار المتدخلين في عقود 1347 هذه- ثم في وثيقة في جوان 1348، وهذا ما يبيّن استمرارية ما في العلاقات مع بجاية على الأقل بالنسبة لبعض التجار. في جنوة، أجّر مركب كوسما دو أنفوسيس (Cosima de Infusais) لحمل الملح من هيراس (Hyères) إلى بجاية[187]. وفي 1350، نجد أيضا عقد كراء بحري[188]، لكن تبعا لذلك – رغم تجديد المعاهدات مع الحفصيين في 1384 و1391- اختفت شواهد العلاقات مع الميناء القبائلي، حيث أن تونس هي الميناء المغاربي الوارد في قائمة سنة 1380 لقناصل جنوة فيما وراء البحر[189]. للسجل الذي أنجزه الموثق أندريلو كايتو (Andreolo Cuito) بين 1374 و1379 -حيث تمّ حفظ عقود لعدة موانئ متوسطية وأطلسية[190]- دلالة، لأننا لا نجد شيئا بالنسبة للمغرب[191]. تبيّن عقود الضمان البحري –التي تخبر عن حركة ميناء جنوة بداية من منتصف القرن الرابع عشر[192]- طبعا بعض

---

(187) ASG, min. 233, f. 219v-220r (13/6/1348).

في نفس اليوم أخذ من أنتونيو أدورنو (Antonio Adorno) ابن المرحوم جيجليمو (Guglielmo) 550 ليفر لإرجاعها ببجاية لوكيل أنتونيو بالدينار الذهبي المزدوج (31 سو للدينار الذهبي الواحد). Id., f. 220r.

(188) ASG, min. 331/I, f. 228r-v (19/5/1350).

(189) ASG, AS, *Diversorum cancellariae Communis Janue*, Rg. 1 [*AS*, Rg. 496], f. 11v-15r (5/1/1380), éd. M. Buongiorno, *L'Amministrazione genovese nella « Romania »*, Gênes, s. d., p. 277-286.

(190) نابولي، أمالفي، إيج-مورت (Aigues-Mortes)، آرل (Arles)، هيراس (Hyères)، سردينيا، صقلية، برشلونة، اشبيلية، قرطاجنة، ميورقة، طرطوشة، قبرص، كفا (Caffa)، بيرا (Péra)، رومانيا، بيروت، الأسكندرية، انجلترا والفلوندر.

(191) ASG, min. 310.

(192) M. Balard, « Assurances et commerce maritime à Gênes dans la seconde moitié du XIVe siècle », *Les transports au Moyen Âge. Actes du VIIe congrès des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest*, 85/2, 1978, p. 278.

الرحلات إلى تونس[193]، لكن دون أي رحلة إلى بجاية. أيضا، تظهر سجلات ديوان جنوة لسنوات 1376-1377 بعض الرحلات إلى العاصمة الحفصية، لكن من دون الموانئ المغاربية الأخرى[194]. بصفة عامة، استفادت تونس من آثار السلم لعام 1391[195]، في حين أن بجاية بقيت بعيدة عن الأعمال التجارية الجنوية. ليس من المستبعد أن تكون المراكب التي ضمنت الروابط الأفقية، خصوصا بين مصر وإسبانيا، قد رست في الميناء، لكن ليس هناك أثر لذلك.

إذا كان الإيطاليون قد خفّضوا من استثماراتهم ببجاية، فإنه لم يكن كذلك بالنسبة للكتالانيين ولا للميورقيين الذين أصبحوا التجار الرئيسيين الحاضرين في الموانئ المغاربية، حيث مدّدوا بذلك تطورا كان بدأ في منتصف القرن الثالث عشر. بقيت برشلونة بمعزل عن هذه الحركة واستثماراتها جرت في المشرق أو في الموانئ السردينية والصقلية[196]. عقدت بلنسية علاقات مع المغرب، لكن بالأحرى مع الموانئ الغربية خصوصا وهران[197]. في القرن الرابع عشر، انطلقت المراكب

---

(193) على سبيل المثال: ASG, min. 309/II, f. 105v (8/8/1370). أحيانا لا توضح الوجهة والموثق يكتب ببساطة بلاد البربر (*partes Barbarie*) أو تونس أو جهات أخرى. ASG, min. 312, f. 23r (10/1/1393), f. 26v (13/1/1393). يمكن ان نفترض إذن أن بجاية كانت جزءا من هذه الموانئ لكن دون تأكيد.

(194) J. Day, *Les Douanes de Gênes 1376-1377*, Paris, 1963.

(195) عدة عقود بالنسبة لتونس في سجلات أندريولو كايتو (Andreolo Caito) لسنوات 1390. ASG, min. 312 (1393), 313 (1393-1396)

(196) M. D. López Pérez, *La Corona de Aragón y el Magreb en el siglo XIV (1331-1410)*, Barcelone, 1995, p. 173-178, 205.

استخدمت الموانئ المغاربية غالبا للرسو نحو الشام وآسيا الصغرى، لكن كان ميناء تونس هو المفضّل.

(197) D. Pérez Pérez, E. Pascual-Leone Pascual, « Algunos aspectos del comercio valenciano a fines del siglo XIV », *VII Congreso de Historia de la Corona de Aragón*, 2, Barcelone, 1962, p. 529-546.=

لا يعتمد هذا العمل إلا على سجلات « coses vedades »، بمعنى تراخيص تصدير المواد الممنوعة (غالبا المعدن). إن مكانة المغرب هي إذن منتقصة. أنظر أيضا: =

خصوصا من ميورقة باتجاه المغرب. من مستودع بسيط، أصبحت الجزيرة بسرعة مركزا للإنتاج الحرفي حيث جاءت بعض العائلات البرشلونية الكبيرة للاستثمار[198]. من 1298 إلى 1343 كانت الجزيرة مستقلة عن بقية الفدرالية الأراجونية وأبرمت معاهدات السلم مباشرة مع الحفصيين في تونس أو في بجاية[199]. توفر الميورقيون بداية من 1302 على فندقهم وقنصلهم الخاص[200]. كانت العلاقات متوترة أحيانا بين القوتين بسبب أعمال القرصنة[201]، لكن الأعمال التجارية لم تتوقف بصفة دائمة[202].

=R. Arroyo, « El comercio valenciano de exportación con Italia y Berbería a finales del siglo XIV », *VIII Congreso de historia de la corona de Aragón, Valencia, 1967*, II, Valence, 1973, p. 255-289, qui montre la place dominante d'Oran, Alger et Hunayn. Beaucoup de voyages se font cependant pour une destination maghrébine imprécise (« Berbérie »). R. Ferrer Navarro, *La exportación valenciana en el siglo XIV*, Saragosse, 1977, p. 94-96.

(198) Abulafia, *A Mediterranean Emporium*, *op. cit.*, p. 106-107.

(199) أنظر معاهدة 1312 المبرمة مع بجاية والتي ضاع نصها والتي كانت سارية المفعول في 1305 وأيضا في 1307. ARM, *Reales cedulas*, vol. 2, f. 103v-104r (28/6/1305), éd. Dufourcq *Recueil*, *op. cit.*, n° 671 ; ARM, *Reales cedulas*, vol. 2, f. 178 (9/5/1307), éd. A. Pons, « Als mercaders mallorquin qui mercadetgen a Bugia », *BSAL*, 24, 1932-3, p. 262. رافقت هذه الهجمة الدبلوماسية اجراءات حماية التجارة الميورقية. في 1301، منع الملك الرعايا المباشرين للاكورونيا أراجونة على غرار الرعايا الأجانب الآخرين بيع منتجات المغرب في الجزيرة التي لم ترد على متن مراكب ميورقية. Dufourcq, *L'Espagne catalane*, *op. cit.*, p. 419-421.

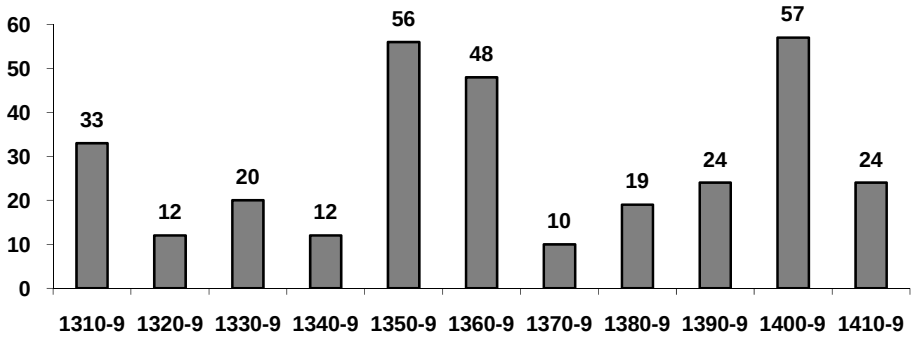
(200) في بداية القرن الرابع عشر، كان للميورقيين أيضا قنصليات خاصة بهم في بونة والقل وجيجل وقسنطينة وتلمسان والمنصورة (قرب تلمسان والجزائر. D. Abulafia, « El comercio y el reino de Mallorca », art. cité, p. 137.

(201) Sur la chronologie des relations entre le royaume de Majorque et les Hafsides, voir principalement Dufourcq, *L'Espagne catalane*, *op. cit.*, p. 446-447, 496-497.

(202) في الحاجة، استخدمت بلنسية كبديل للتجارة الميورقية في حالة المقاطعة *Ibid.*, p. 447 .

بين 1310 و1419 تبيّن الوثائق الميورقية 315 مركبا انطلق من الجزيرة إلى بجاية[203]، وهذا ما يسمح بتتبع هذه التجارة.

رسم بياني 5: عدد السفن التي غادرت ميورقة إلى بجاية (1310-1410)



يبيّن التوزيع العشري لهذه الانطلاقات أنه رغم الفتور بين 1320 و1350 ثم 1370 ونهاية القرن الرابع عشر فإن الحركة غير منقطعة تقريبا. بخلاف ما لوحظ بالنسبة للقرن الثالث عشر، حيث الوجهات المغاربية تعتبر متنوعة جدا. فإذا كانت بجاية تقاسمت أساس التجارة الأوروبية مع سبتة وتونس، فقد وجب عليها من الآن فصاعدا الأخذ في الحسبان منافسة الموانئ العبد الوادية والمرينية، الأكثر قربا من اسبانيا، وأيضا القل وبونة. يلاحظ هذا التوجه بداية من العشريات الأولى للقرن الرابع عشر ويتأكد بعد ذلك. بين 1311 و1330، من بين 349 رحلة من ميورقه إلى المغرب، 125 منها كان هدفها المغرب الأقصى (وهذا ما يبقى مهما، ذكرت سبتة 40، وأنفا 37 والكدية 24[204])، و111 المغرب

---

(203) يتعلق الأمر أساسا بتراخيص ذهاب المسلمين والتي تشير إلى اسم المركب والوجهة.

(204) الكدية هي مليلة أو موضع قريب منها. Fr. Sevillano Collom, « Mallorca y Valencia : relaciones marítimo-mercantiles en el siglo XIV », *Primer Congreso de Historia del País valenciano*, II, Valence, 1980, p. 540. أنفا هي الدار البيضاء الحالية.

الأوسط – الذي بدأ يفقد الأهمية- (26 إلى مستغانم-مزجران، 24 إلى الجزائر، 16 إلى تنس و15 إلى تلمسان)، و113 إفريقية (من بينها 41 إلى بجاية و23 إلى تونس و12 إلى القل) [205]. يتأكد هذا التوجه بعد ذلك والحسابات التي أنجزتها ماريا دولوراس لوبيز بيراز بالنسبة للقرن الرابع عشر تبيّن بوضوح منافسة المغرب الأوسط في حين أن المغرب الأقصى أصبح هامشيا في المبادلات الميورقية. بين 1330 و1336 منحت عدة تراخيص لحمل الملح من إيبيزا إلى المغرب. ستة عشر منها تخص رحلات إلى المغرب الأوسط (شرشال سبعة، دلس أربعة، برشك[206] ثلاثة، تونس والجزائر واحدة)، وأربعة عشر إلى إفريقية الشرقية. لكن بجاية لم تستقبل إلا أربعة من هذه المراكب في حين أن بونة والقل هما وجهتان لأربع حمولات لكليهما فيما تم منح رخصتين لجيجل[207]. انطلاقا من الرخص (gunitages) الممنوحة في 1341 و1342 نرسم صورة مشابهة: رحلة واحدة للمغرب الأقصى، ثلاثة وثلاثون للمغرب الأوسط[208] وثمانية لإفريقية (من بينها ثلاثة لبجاية وثلاثة للقل وواحدة لتونس) [209]. أخيرا، تعطي رخص سنوات 1359 إلى 1361 النتائج التالية: خمس انطلاقات للمغرب (الكدية)

---

(205) J. Sastre Moll, « El puerto de la ciutat de Mallorca durante el reinado de Sancho y la regencia de Felipe de Mallorca (1311-1330). Rentas reales portuales y su reinversion », *Miscel.lania de Textos medievals*, 7, 1994, p. 168 ; Id., *Economía y sociedad del reino de Mallorca. Primer tercio del siglo XIV*, Palma de Majorque, 1986, p. 48, 51.

بالنسبة لسنوات 1325–1330 لاحظ ساستر مول تقلص مكانة بجاية مقارنة مع تونس وتطور المغرب الأقصى.

(206) برشك هي مدينة قوراية الحالية بين تنس وشرشال. أنظر الإدريسي، الترجمة، ص 163–164.

(207) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 311-313.

(208) الوجهات الأكثر سريانا هي الجزائر (ثمان رخص)، وتنس وشرشال (سبعة)، ومستغانم ودلس (ثلاثة) وبرشك (اثنين) وأخيرا مزجران ووهران وهنين (واحد).

(209) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 217.

وثمانية وخمسون للمغرب الأوسط[210] وثلاثون لإفريقية (من بينها سبعة عشر لبجاية وخمسة للقل وتونس وثلاثة لبونة) [211].

تدعو هذه النتائج إلى عدة ملاحظات. في بادئ الأمر، المغرب الأوسط هو من الآن فصاعدا أكثر أهمية من إفريقية. يفسّر هذا التحول بحاجة ميورقة للتموين بحبوب سهول هذه الجهة لقربها من هذه الوجهات أو ربما لتوفرها أكثر على الذهب السوداني. إن المدن الهامة كثيرة ومراتبها تتنوع حسب السنوات أو المصادر. لكن تجب ملاحظة النشاط الخاص لهنين-وهو ميناء تلمسان - وشرشال ودلس وخصوصا الجزائر. هذان الميناءان الأخيران كانا جزءا من مقاطعة بجاية في القرن الثالث عشر، لكن سحبا منها بفعل الفتوحات العبد الوادية والمرينية. ليس من المستبعد أن ضياع السيطرة على هذه المدن قد أدى إلى منافسة شديدة بالنسبة لبجاية. في الجانب الإفريقي، من النادر ظهور تونس في الوثائق الميورقية. كانت العلاقات إذن بالأساس مع القسم الغربي للسلطنة. لكن إذا ما بقيت بجاية المدينة الأولى التي تتردد عليها المراكب الميورقية، وجب عليها الاعتماد على الموانئ الشرقية الأقل أهمية. لم تستطع جيجل أبدا الوصول إلى وضعية ملحوظة، لقربها كثيرا (أقل من 100 كلم) وتبعيتها لجارتها. في المقابل، أصبح القل -الذي كان هو ميناء قسنطينة- وبونة وجهتين مقصودتين، استفادت الأولى دون شك – على غرار دلس- من انحسار حيز السيطرة السياسية البجائية.

إن صورة التجارة المغاربية إذن مغايرة جدا لصورة القرن السابق. احتفظت بجاية بمكانة ريادية، لكن وجب عليها أن تأخذ في الحسبان منافسة موانئ جديدة. تأكد هذا التوجه بعد ذلك. بين 1385 و1419، تمّ تسجيل 580 رحلة للمغرب

---

(210) مع غلبة مستغانم والجزائر (على التوالي ستة عشر وأربعة عشر رخصة) متبوعتان بدلس (عشرة) وشرشال (ثمانية) وتنس (خمسة) وهنين (أربعة) ووهران (واحد).

(211) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 238.

انطلاقا من ميورقة في سجلات التراخيص (guiatges) (بعضها لوجهات متعددة). قرابة الثلثين كانت وجهتها موانئ السلطنة العبد الوادية والبقية نحو إفريقية أساسا[212].

جدول 38: توزيع انطلاق السفن الميورقية نحو المغرب حسب الوجهة

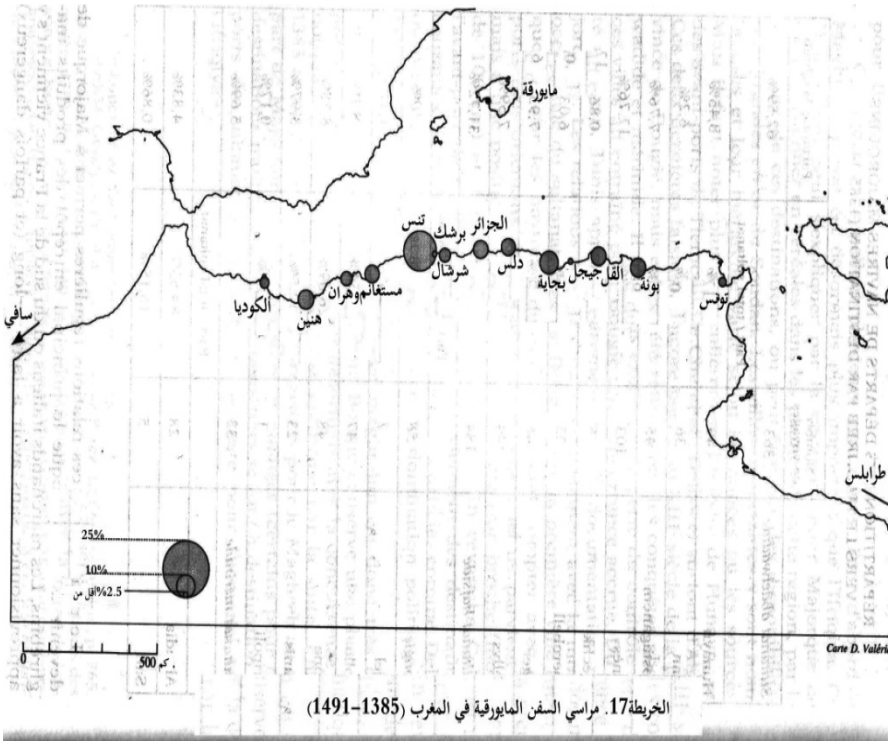
(1419-1385)

	عدد الرحلات		الحصة الاجمالية للمغرب
السلطنة عبد الوادية	363		%62,59
		الحصة الاجمالية للسلطنة	
هنين	49	%13,5	%8,45
وهران	36	%9,92	%6,2
مستغانم	45	%12,4	%7,76
تنس	103	%28,37	%17,76
برشك	5	%1,38	%0,86
الجزائر	35	%9,64	%6,03
دلس	46	%12,67	%7,93
السلطنة الحفصية	44	%12,12	%7,59
	184		%31,72
بجايه		الحصة الاجمالية للسلطنة	
جيجل	*58*	*%31,52*	*%10*

(212) ARM, Guiatges, Rg. 4 à 7 من خلال López Pérez, *La Corona, op. cit.*, p. 265. ينتج عن جرد عقود الموثقين لسنوات 1350 نتائج مشابهة. أنظر أيضا:

Ead., « La Corona de Aragón y el Norte de Africa : las diferentes áreas de intervención mercantil catalano-aragonesa en el Magreb a finales del siglo XIV y principios del XV », *Acta historica et archaeologica mediaevalia*, 11-12, 1990-1991, p. 315.

القل	7	%3,8	%1,21
بونه	47	%25,54	%8,1
تونس	48	%26,09	%8,28
طرابلس	23	%12,5	%3,97
	1	%0,54	%0,17
السلطنة المرينية	33		%5,69
		الحصة الاجمالية للسلطنة	
الكدية	28	%84,85	%4,83
آسفي	5	%15,15	%0,86



الخريطة17. مراسي السفن المايورقية في المغرب (1385-1491)

سمح بقاء العلاقات المنتظمة لميورقة من أن تصبح المستودع الرئيسي للمنتجات المغاربية. أتى إليها التجار الإيطاليون أو تجار جنوب فرنسا للتموين دون القيام برحلة طويلة (وأحيانا خطيرة) نحو شواطئ إفريقيا الشمالية[213]. ففي 1330 وصل تاجران جنويان – لودفيكو إمبراسيو (Lodovico Embracio) وجياكومو سيرالو (Giacomo Serrallo)- إلى منورقة قادمين من بجاية على متن مركب ميورقي[214]. رغم النزاعات الكثيرة خصوصا بين لاكورونيا أراجونة وجنوة، تردد التجار الإيطاليون وواظبوا على ميناء بالما (Palma)، حيث تحصلوا هناك على أفضلية في وقت السيطرة واحتفظوا بمكانة هامة، رغم تطور المتعاملين الكتالانيين والميورقيين[215]. وصلت وضعية القوة إلى أوجها عندما منع الملك بيار لوسيريمونيو هؤلاء الإيطاليين (ما عدا البيزيين) في 1353، مشيرا خصوصا لتبرير قراره أن لهم إمكانيات رأس المال التي تدفعهم إلى وضعيات احتكار على حساب الكتالانيين[216]. تمّ تطبيق هذا الإجراء خلال بعض السنوات، لكن الإيطاليين عادوا بسرعة. ففي 1371 حينما كان هناك منع لسكان الجزيرة من الذهاب إلى المغرب، رخّص الملك للخرجات المتجهة إلى الموانئ المغاربية الواقعة بين هنين وتونس لحمل السلع الموجهّة إلى بيزا[217]. من جهة أخرى، تظهر الوثائق الجنوية

---

(213) استمر تردد الإيطاليين على موانئ إفريقية الشرقية وحدها، خصوصا تونس، بصفة منتظمة. لكن ميورقة كانت علاقاتها أقل مع هذا القسم من المغرب.

(214) ARM, *Supplicationes*, vol. XIII, f. 65 (17/9/1331), cité par Ch.-E. Dufourcq, « Aspects internationaux de Majorque durant les derniers siècles du Moyen Âge », *Mayurqa*, 11, 1974, p. 10.

(215) *Ibid.*, p. 6.

(216) M. T. Ferrer i Mallol, « Els Italians a terres catalanes (s. XII-XIV) », *AEM*, 10, 1980, p. 401.

(217) ACA, C., Rg. 1430, f. 7v (4/7/1371), éd. Dufourcq, « Aspects internationaux », art. cité, appendice, doc. n° 1.

لهذه الفترة عمليات استيراد منتجات إفريقية خالصة من ميورقة[218]. أيضا تبيّن مراسلة شركة داتيني دو براتو أهمية هذا السوق من الشمع والجلود بأقل درجة[219]. عندما أراد موزع هذه الشركة أمبروجيو دي لوانزو دي روتشي (Ambrogio di Lorenzo di Rocchi) الذهاب إلى الكدية[220] في 1395، وجب عليه المرور بميورقة، لأنه كان من السهولة الركوب إلى المغرب. أخيرا، قدم أيضا البروفانسيون واللونجدوسيون للتزود في الجزيرة بالمنتجات الإفريقية، خصوصا بعد انقطاع العلاقات المباشرة بين مرسيليا وإفريقيا[221].

إن القرن الرابع عشر هو إذن مطبوع بتقلص الشبكة التجارية البجائية التي رأت انخفاض علاقاتها مع إيطاليا وبروفانسيا ووجب عليها أيضا الأخذ في الحسبان المنافسة المتنامية لموانئ أخرى في الساحل المغاربي.

2) أسباب الأزمة

تفسّر عدة عوامل هذا التطور. في بادئ الأمر لقد تغيرت الوضعية السياسية لبجاية ومرّت المدينة خصوصا بفترة صعبة من تاريخها. لكن هذا لا يفسّر بالظرفية المغاربية ويجب تحليل هذه الأزمة في سياق أكثر اتساعا.

سجّل حصار العبد الواديين لبجاية في 1313 بداية أزمة سياسية وعسكرية طويلة. وجب على المدينة في بادئ الأمر مجابهة حملات تلمسان التي قدمت سنويا تقريبا لمهاجمة الجهة. إذا كانت لم تتوصّل إلى السيطرة على بجاية، فإن جيوشها

---

(218) على سبيل المثال: ASG, min. 312, f. 7r-v (2/1/1393). في حمولة ذهبت من ميورقة إلى جنوة نجد (دون الإشارة إلى المصدر) الصوف والجلود والأنسجة والشمع والتمور، إلخ.

(219) Abulafia, « El comercio y el reino de Mallorca », art. cité, p. 150.

(220) وجب عليه فيها بيع الأجواخ الفلورنسية وشراء الصوف والشب. كانت أيضا مهمته استعلام الأسعار وحالة الأسواق بنية رحلات قادمة.

B. Dini, *Una pratica di mercatura in formazione (1394-5)*, Florence, 1980, p. 12.

(221) Dufourcq, « Aspects internationaux », art. cité, p. 31, 34.

خرّبت البلاد وأوقفت علاقات الميناء ببلاده الخلفية، خصوصا في الفصل الجميل في وقت مجيئ المراكب للاتجار. إن تراجع بجاية النسبي الذي يلاحظ من خلال حركات السفن الميورقية في سنوات 1325-1330 له دلالة من هذه الزاوية[222].
سمح انطماس العبد الواديين بداية من 1332 براحة قصيرة لها لكنه ترك بسرعة المكان للمرينيين الذين بحثوا عن الاستيلاء على إفريقية الحفصية بين 1347 و1358. كانت بجاية في عدة مرات في أيدي سلاطين فاس وكانت الجهة من جديد مسرحا لتنقلات الجيوش. عانت المدينة نفسها من هذه الحروب مباشرة، خصوصا خلال الحصارات العبد الوادية التي لم تخرج منتصرة منها إلا بفضل التموين الذي سمح به البحر والذي قطعها عن مجالها الحيوي. إن الفضاء الذي تحكمت فيه سواء في الشرق أم في الغرب وجد نفسه مقلّصا بشدة في حين استفادت قبائل الرحل الرئيسية في البلاد الخلفية من هذه النزاعات الجهوية لفرض سيطرتها. فيما مضى في نهاية القرن الثالث عشر أدت الصراعات بين بجاية وتونس إلى ضعف ترجمته منح أكبر عدد من الاقطاعات للقبائل البدوية. استمرت هذه الحركة إلى حين استعادة أبي العباس (772/ 1370-796-1394) السيطرة عليها. في هذه الظروف ازداد اللاأمن في الأرياف وتأثرت بها بكل تأكيد التجارة الداخلية. من جهة أخرى، اضطربت الطرقات نتيجة هذه الوضعية وتأثرت الحركة في منفذ المحور الصحراوي خصوصا نتيجة عصيان بسكرة المتكرر.

من الصعب تقدير الخسائر البشرية في هذه الحروب، لكن لا يمكن تجاهلها. وتبقى الكارثة الكبرى هي الطاعون الذي مسّ الجهة في وقت فتح أبي الحسن المريني في 1347 واستمر في ضرباته على فترات.

(222) استفادت تونس من جهة وموانئ أخرى بالمغرب الأوسط من هذا التراجع.

إلى هذه العوامل المغاربية، يجب إضافة تطور الاقتصاد المتوسطي، خصوصا تطور المدن التي كانت على علاقة ببجاية في القرن الثالث عشر. من الممل الدخول هنا في تفاصيل التطور السياسي والاقتصادي الخاص بكل ميناء من هذه الموانئ[223]. لكنها تشترك في بعض السمات التي تفسّر تقلص المبادلات مع المغرب وبجاية خصوصا.

عرفت أوروبا في مجملها في هذه الفترة تراجعا، بعد النمو الاستثنائي في القرنين الحادي عشر – الثالث عشر، وعادت الوضعية وفق تسلسل زمني متنوع حسب الجهات، وحدث التغيير بين نهاية القرن الثالث عشر وطاعون 1348[224]. يترجم هذا بأزمة زراعية وصناعية، وتقلص دراماتيكي للسكان وانقباض المبادلات[225].

كونها مرتبطة بالتجار الأوروبيين الذين ضمنوا قسما كبيرا من تجارتها البحرية، تأثرت بجاية بتراجع هذه الوضعية. إن طبيعة هذه المواد التي تباع أو تشترى هي في الواقع حساسة جدا خصوصا لتطور صناعة النسيج في أوروبا. بيد أن ظاهرة ثانية ساهمت أيضا في تحويل التجار اللاتين عن هذا السوق. لم يعد

---

(223) أنظر مداخلات الملتقى الثامن لتاريخ لاكورونيا أراجونة، خصوصا:

V. Salavert i Roca, « La Corona de Aragón en el mundo mediterráneo del siglo XIV », *VIII Congreso de historia de la Corona de Aragón, Valencia,1967*, II, Valence, 1973, p. 31-64 ; A. Boscolo, « Problemi mediterranei dell'epoca di Pietro il Cerimonioso. 1353-1387 », *ibid.*, p. 65-99 ; A. Santamaría Arández, « Mallorca en el siglo XIV », *AEM*, 7, 1970-1971, p. 165-238 ; Petti Balbi, *Simone Boccanegra*, *op. cit.*, *passim*.

(224) A. Riera Melis, « El Mediterrani occidental al darrer quart del segle XIII : concurrència comercial i conflictualitat politica », *AEM*, 26/2, 1996, p. 731-733 ; G. Fourquin, « Une conjoncture dramatique ? », *Histoire économique et sociale du monde*, I, *L'ouverture du monde, XIVe-XVIe siècle*, dir. B. Bennassar et P. Chaunu, Paris, 1977, p. 307-325.

(225) إلى جانب هذه الأسباب الأوروبية الخالصة، تجب إضافة الصعوبات في المشرق.

B. Z. Kedar, *Merchants in Crisis. Genoese and Venetian Men of Affairs and the 14th c. Depression*, New Haven - Londres, 1976, trad. it. *Mercanti in crisi a Genova e Venezia nel '300*, Rome, 1981, p. 13.

اعتبار الصوف الإفريقي ذي جودة إلى درجة منعه من صناعة الأقمشة. يجب الأخذ في الحسبان منافسة الصوف الانجليزي الذي بيع بداية من نهاية القرن الثالث عشر في أوروبا المتوسطية، وأيضا مع تطور تربية الحيوانات في إسبانيا[226]. استمر بيع الإنتاج المغاربي طبعا[227]، لكنه أضاع سيادته وخصوصا أنه أصبح يتناسب مع نوعيات أقل جودة ويباع بسعر منخفض. إن تجارة بجاية التي تخصصت في قسم منها بتصدير الصوف في القرن الثالث عشر، وجدت نفسها محرومة من سوق جوهري، لا يمكن تعويضه بسهولة.

عانت بجاية أيضا من تطور التوزيع الجغرافي للاستثمارات الأوروبية. من الآن فصاعدا، تخلّت المدن الإيطالية عن نشاطاتها في المغرب للتركيز على الشرق المتوسطي[228]. واستمرت طبعا بجاية في استقبال الإيطاليين، لكن دون حجم مشترك مع وضعية القرن السابق. لوحدها تونس – الواقعة على طريق البحر المتوسط الشرقي- جذبت الاستثمارات الهامة من جنوة أو من البندقية[229]. من جهة أخرى، تحول تنظيم التجارة في أكبر ميناءين إيطاليين. وانمحت صورة التاجر

---

(226) F. Melis, « La lana della Spagna mediterranea e della Berberia occidentale nei secoli XIV-XV », *La Lana come materia prima. I fenomeni della sua produzione e circolazione nei secoli XIII-XVII. Atti della I settimane di studio, Istituto internazionale di storia economica F. Datini, aprile 1969,* dir. M. Spallanzani, Florence, 1974, p. 241-251.

(227) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 549-550.

(228) تطورت التجارة الشرقية في النصف الثاني من القرن الرابع عشر عندما رفعت البابوية قرارات المنع.

E. Ashtor, « Underdevelopment in the Pre-industrial Era. The Case of Declining Economies », *Journal of European Economic History*, 7, 1978, p. 298.

(229) A.-É. Sayous, *Le Commerce des Européens à Tunis depuis le XIIe siècle jusqu'à la fin du XVIe siècle*, Paris, 1929, p. 69-92 ; Ph. Gourdin, « Les marchands étrangers à Tunis à la fin du Moyen Âge », *Tunis cité de la mer. Actes du Colloque de Tunis (1997)*, Tunis, 1999, p. 157-184 ; Petti Balbi, *Simone Boccanegra*, *op. cit*., p. 358-359.

المتنقل أمام صورة الممثل الدائم المستقر في ما وراء البحر[230]، وأجبر تنظيم الفروع المصرية تركيز نقاط إسناد شبكة الأعمال التجارية[231]. هذا لم يقص الوجهات الثانوية، لكنه مدّد زيادة المدن ذات الموقع الأفضل كتونس. وفي غرب قناة صقلية، تركت الأرضية في قسم منها للميورقيين، الذين اكتسبوا وضعية مهيمنة على أغلب الأسواق المغاربية. كانت دون شك نتيجة تحول الإيطاليين عن الجهة، ولكن ليس من المستعبد بحث الميورقيين عن فرض احتكار هذه التجارة بين الجزيرة والشواطئ الإفريقية. فعندما بحث وكيل شركة داتيني في 1395 الركوب من ميورقة إلى الكدية، منعه الاحتكار الميورقي[232]. أيضا أعفت معاهدة سلم 1428 بين جنوة ولاكورونيا أراجونة الجنويين من منع التجار الأجانب من الاتجار مع المغرب انطلاقا من ميورقة[233]، وهذا ما يبيّن جيدا وجود إجراءات حماية. لكن إذا كان بإمكان الميورقيين تحديد ذهاب السفن، لم يكن بإمكانهم منع أمم أخرى من التردد على الموانئ المغاربيه.

بالنسبة لهؤلاء التجار الميورقيين، كان المغرب الأوسط (مدينة الجزائر على خط طول بالما) المنطقة الأكثر قربا. ليس مستبعدا من جهة أخرى أن يؤدي فقدان تحكم بجاية السياسي في دلس وخصوصا الجزائر بتطوير نشاط هذين الميناءين. على كل حال يتطابق الازدهار مع هذه الفترة. بين تونس ومدن المغرب الأوسط، تواجدت بجاية في زاوية ميتة للتجارة البحرية. طبعا، توفرت على ورقات رابحة كافية لجذب التجار، لكن لم تكن لها الوضعية المركزية التي شغلتها في القرن الثالث عشر.

---

(230) Kedar, *Mercanti*, *op. cit.*, p. 43-70.

(231) U. Tucci, « Le colonie mercantile italiane e il commercio internazionale nel Medioevo », *Ateneo Veneto*, 181, 1993, p. 22.

(232) Dini, *Una pratica di mercatura*, *op. cit.*, p. 14.

(233) M.-M. Costa, « La pau del 1428 i els mercaders genovesos de la Corona d'Aragó », *AEM* , 10, 1980, p. 562.

3) علاقات نزاع أكثر فأكثر مع القوى الأوروبية

واكب تقلص المبادلات التجارية تفاقم النزاعات بين بجاية وقوى الشمال. طبعا تعود الصعوبات مع الدول المسيحية إلى فترة قديمة. بداية من نهاية القرن الثالث عشر، أظهر الملوك الكتالانيين مطامع امبريالية في المغرب، خصوصا في السلطنة الحفصية. ذهب هذا الضغط إلى التشدد بمناسبة حروب النصف الأول من القرن الرابع عشر واحتلت بجاية مكانة ريادية في دبلوماسية برشلونة وميورقة. تمّ تأويل هذا كإشارات للهجمة المسيحية ضد المغرب[234]. صحيح في قسم منه، لكن يجب وضع المشكل في سياق القرن الرابع عشر فقط. واجه الحكم الحفصي في بجاية صعوبات سياسية ودبلوماسية، زاد من حدّتها انخفاض مصادر الدخل الضريبية. أدت هذه الوضعية الاقتصادية والسياسية بالملوك إلى الالتفات أكثر نحو البحر، حيث أضحى من عوامل بقائهم. ويترجم هذا في بادئ الأمر بموقف أكثر عدائية من لاكورونيا أراجونة التي انتهزت حالة الضعف والتبعية ثم تطور القرصنة.

تعددت دوافع هذه السياسة الهجومية للاكورونيا أراجونة. بالنسبة للملوك الكتالانيين، إن إفريقيا هي أولا امتداد لشبه الجزيرة الأيبيرية، ويجب مواصلة مجهودات حركة الاسترداد إلى ما بعد مضيق جبل طارق[235]. هناك بعد ديني بديهي في هذه المشاريع، لكن لا تجب المبالغة فيه. خلال القرن الثالث عشر، طبعا

---

(234) شارل إيمانويل ديفور الذي درس بالخصوص سياسة لاكورونيا أراجونة بمعاني الامبريالية حتى وإن اعترف دائما بأولية المصالح الاقتصادية. أنظر:

Ch.-E. Dufourcq, « Un impérialisme médiéval face au Maghreb : la naissance et l'essor de l'Empire catalan, d'après des travaux récents », *CT*, 79-80, 1972, p. 101-124.

(235) Ch.-E. Dufourcq, « Rapports entre l'Afrique et l'Espagne au XIIIe siècle », *Medievalia*, 1, 1980, p. 88-102. A. Giménez Soler, « Episodios de las relaciones entre la corona de Aragón y Túnez », *Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans*, 1, 1907-1908, p. 197.

أكّد هذا الأخير على أن سياسة جاك الثاني الأراجوني هدفت إلى تأكيد سيادته عن طريق ضريبة الخضوع أكثر من أن تسيطر على الأسواق.

بذلت مجهودات لتحويل المسلمين إلى المسيحية[236]، لكن فشلها السريع وضع حدا لهذا الحلم[237]. في بداية القرن الرابع عشر، حاول أيضا رامون لول (Ramon Llull) إقناع سكان بجاية حيث ألقى مواعظ باللغة العربية قبل أن يطرد بسرعة إلى أوروبا[238]. بعد عودته، حرّر كتابا اقترح فيه على البابا تكوين مبشرين لإلقاء المواعظ وأيضا استئناف السيطرة على مملكة غرناطة ومجمل إفريقيا إضافة إلى الأرض المقدسة[239]. وقد شجعت بعض الأوساط الدينية دون نقاش السيطرة المسيحية على المغرب. يبقى من الصعب تقدير تأثيراتها على الأمراء والأطماع السياسية الخالصة كانت محددة لدى هؤلاء الأخيرين. منذ نهاية القرن الثالث عشر، فكر الملوك الكتالانيون-الأراجونيون في الواقع على توسيع سيطرتهم بكيفية أو بأخرى على حساب الدول المغاربية. واستعملوا حالة النزاع المستمر التي تسيطر على الجهة ولعبوا دورا في هذه الصراعات. وضعت محاولة النزول عقيمة الجدوى بالقل في 1282 [240]-طبعا ليس أكيدا أنها كانت تهدف

---

(236) A. Unali, « Pénétration religieuse et territoriale des chrétiens au Maghreb au XIIIe siècle », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 143-152 ; A. Ajello, La *Croce e la Spada. I Francescani e l'Islam nel Duecento*, Naples, 1999, p. 16-28, 33-35.

(237) R. I. Burns, *Muslims, Christians and Jews in the Crusader Kingdom of Valencia*, Cambridge, 1984, trad. catalane, *Moros, cristians i jueus en el regne croat de Valencia*, Valence, 1987, p. 160.

(238) D. Urvoy, *Penser l'islam : les présupposés islamiques dans l'« Art » de Lull*, Paris, 1980, p. 218, 231 ; A. Llinares, « Raimond Lulle et l'Afrique », *RA*, 105, 1961, p. 106-107.

(239) *Ibid.*, p. 111 ; J. Tolan, *Les Sarrasins*, Paris, 2003, p. 354-362.

(240) L.-Ch. Féraud, « Expédition du roi Pierre III d'Aragon à Collo (au XIIIe siècle) d'après une chronique catalane », *RA*, 16, 1872, p. 241-258 ; A. Solal, « Au tournant de l'histoire méditerranéenne du Moyen Âge : l'expédition de Pierre III d'Aragon à Collo (1282) », *RA*, 101, 1957, p. 247-271 ; R. Brunschvig, *La Berbérie orientale sous les Hafsides*, I, Paris, 1940, p. 219-223.

للاستيلاء على المغرب[241]- حدا ولمدة طويلة لحلم السيطرة على المجال[242]. هـذا لم يمنع الملوك الكتـالانيين والميـورقيين مـن البحـث عـن التـدخل في الشـؤون الداخليـة للسلطنة. وأعطى لهم الصراع بين بجايـة وتـونس عـدة مـرات الفرصـة. ففـي خـلال الحرب الأهلية في 1279 بإفريقية، ساند بيار الثالـث (Pierre III) أبـا اسـحاق أمـير بجاية ضد الواثق بتونس: أثناء هجوم الأول من بجاية، شنّ ملـك أراجونـة حملـة ضـد قابس لفتح جبهة ثانية[243]. لكن كان الفشل واضحا، لأنه بمجرد الصعود إلى العرش بالمساعدة الكتالانية، لم يقبل السلطان الجديد أبدا أدنى خضوع لبرشلونة[244].

إن الإشارات البديهية لإرادة الملوك المسيحيين فرض سـيطرة سياسـية هـي المجهودات المتواصلة لتسديد الحفصيين ضريبة خضوع. لكن مسألة ضريبة الخضوع معقدة. يجب في بادئ الأمر تعريف هذه الكلمة والبحث عن أصل هـذه المطالبـة. مبدئيا يتعلق بمال مدفوع مقابل السلم ويسجّل وضعية دونية سياسيا. لا يمكن إذن استعماله للدلالة على مبالغ أحيانا هامة تدفعها بجايـة أو تـونس مقابـل المسـاعدة

---

(241) بسرعة ركب الجيش الكتالاني البحر للسيطرة على صقلية، تاركا بذلك المدينة.

(242) إن معاهدة منتجيديو (Monteagudo) لعام 1291 التي قسّمت المغرب بين حيزين للسـيطرة: لاكورونيا أراجونة (في شرق ملوية) وقشتالة- لم تتّبع في إفريقية.

Ph. Gourdin, « Le “partage” du Maghreb entre l’Aragon et la Castille au traité de Monteagudo (1291) », *Le Partage du monde. Échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale*, dir. M. Balard et A. Ducellier, Paris, 1998, p. 399-409 ; D. Valérian, « Le facteur économique dans la politique catalane à Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *L’Expansio catalana a la Mediterrània a la baixa edat mitjana*, dir. M. T. Ferrer i Mallol et D. Coulon, Barcelone, 1999, p. 156-157.

(243) Jerónimo Zurita, *Anales de la Corona de Aragón*, éd. A. Canellas Lopez, Saragosse, 1967-73, vol. 2, livre IV, chap. 13, p. 50-51 (a. 1281).

إن النص غير واضح فيما يخص سير الوقائع، لكن تأويلها من الإخباري هـو في المقابـل واضـح: "وضـع كونراد لونسيا (Conrad Lancia) ملك تونس (أبا اسحاق) في زمام مملكته".

(244) دفع هذا الفشل العاهل الكتالاني لاقتراح مساعدته لحاكم قسنطينة ابن الـوزير وهـو مـا انتهـى بإنزال في القل في 1282.

البحرية التي قدمت لها ضد تلمسان، أو تعويض عن أعمال القرصنة[245]. إن مطالبة لاكورونيا أراجونة الحفصيين بدفع ضريبة الخضوع تندرج في تقليد ضريبة السلم (parias) التي دفعتها الدول الإسلامية في الأندلس إلى القوى المسيحية. لكن مطالبة أخرى تضاف إلى الأولى بعد دخول صقلية تحت السيطرة الأراجونية. يعتبر الملوك أنفسهم ورثاء للسياسة الإفريقية للمملكة النورمانية بصقلية، وإذن ضريبة خضوع دفعتها فيما مضى تونس إلى بلاط بلرم[246].

أعطت الصعوبات التي لاقاها الحفصيون في القرن الرابع عشر فرصة لاستئناف الهجمات، وجعلت الهجمات العبد الوادية والمرينية اتفاقا سياسيا وعسكريا ضروريا مع الكتالانيين. كانت المباحثات دائما طويلة وعرفت عدة ارتدادات وفشلا متتاليا والذي ليس من الفائدة الرجوع إليه هنا[247]. أضرت

---

(245) Valérian, « Le facteur économique », art. cité, p. 157-158.

(246) D. Abulafia, « The Norman Kingdom of Africa and the Norman Expeditions to Majorca and the Muslim Mediterranean », *Anglo-Norman Studies*, 8, *Proceeding of the Batlle Conference, 1984*, dir. R. Allen Brown, Woodbridge, 1985, p. 35-36, rééd. *Italy, Sicily and the Mediterranean, 1100-1400*, Londres, 1987.

طالب شارل دانجو بنفس الصفة السلطات تسديد ضريبة خضوع ثقيلة بعد الحملة الصليبية لعام 1270. معاهدة ملك فرنسا، ملك دانجو صقلية، وملك نافار- تونس 1270، المادة 12. يجبر النص المستنصر بدفع مبالغ مدينا بها منذ خمس سنوات بموجب اتفاقات مبرمة مع الامبراطور، وهذا ما يبيّن هنا الرغبة في امتداد السياسة الصقلية.

(247) حول التسلسل الزمني للعلاقات السياسية بين لاكورونيا أراجونة والحفصيين في القرن الرابع عشر، أنظر على وجه الخصوص:

Dufourcq, *L'Espagne catalane, op. cit.*, p. 404-425 ; Id., « Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe siècle », *AEM*, 7, 1970-71, p. 39-65 ; López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 137-165 ; Ead., « La Corona de Aragón i el Magreb : politica i comerç (1331-1410) », *Butlleti de la Societat catalana d'Estudis historics*, 5, 1994, p. 121-134 ; F. Udina Martorell, « Las relaciones entre Túnez y la Corona de Aragón en el segundo tercio del siglo XIV hasta 1360 », *AEM*, 10, 1980, p. 337-342 ; Id., « Sur les rapports entre la Tunisie et l'Aragon entre 1360 et 1379 », *Actas del*=

أحيانا هذه النزاعات بالمبادلات التجارية سواء بالمقاطعة التي تلفظ بانتظام ضد بجاية أم ضد مجمل الموانئ الحفصية، أم لفترات طويلة دون هدنة. إذا ما وجب على الحفصيين التخلي في ثلاث استئنافات وقبول ضريبة خضوع[248]، فإنهم عرفوا في الغالب مقاومة الضغوطات الكتالانية ولم يدفعوا أبدا المبالغ التي وعدوهم بها كاملة[249]. إن السبب الرئيس لفشل الطموحات السياسية الكتالانية هي الحاجة التي ذكّر بها دائما التجار رعايا ملوك أراجونة وميورقة بإبقاء ظروف تجارة حيوية بالنسبة لهم[250]. وأخيرا بداية من 1370، بعد توطيد قوة السلاطين، توقف هؤلاء على تبعية المساعدة الخارجية ولم تعد مسألة ضريبة الخضوع تقريبا. تحول النزاع وقتئذ إلى مشاكل القرصنة.

رأينا أن القرصنة كانت ظاهرة قديمة، تطورت خصوصا في بجاية بداية من سنوات 1315 وعرفت أوجها بين 1375 و1429. يدعو هذا التسلسل الزمني إلى تحليل الظاهرة كأثر لأزمة عامة عرفتها بجاية في القرن الرابع عشر. ساهم تراجع الفوائد التي جلبتها التجارة منذ بداية القرن خصوصا في توجيه البعض نحو نشاط بديل. لكن تجب الملاحظة أيضا أن التطور الكبير للقرصنة كان بعد نهاية الحروب الطويلة ضد العبد الواديين والمرينيين، وخصوصا لوصول الطاعون الأسود. إن الانخفاض الديمغرافي الذي نتج عنه أدى دورا في البحث عن يد عاملة من

=*II coloquio hispano tunecino de estudios históricos, Madrid-Barcelona, 1972*, Madrid, 1973, p. 49-62.

(248) في 1312 (سلم بجاية- ميورقة) و1314 (بجاية- برشلونة) ثم في 1360 (الحفصيون-أراجونة). تؤخذ هذه الضريبة من منتوج الرسوم الديوانية التي يسددها التجار الكتالانيين في الموانئ الحفصية.

(249) López Pérez, *La Corona*, *op. cit.*, p. 137-138 ; M. Sanchez Martinez, « Las relaciones de la Corona de Aragón con los países musulmanes en la época de Pedro el Ceremonioso », *Pere el Ceremoniós e la seve epoca*, Barcelone, 1989, p. 85.

(250) Valérian, « Le facteur économique », art. cité, p. 159.

الأسرى[251]. إن القرصنة هي إذن أثر لأزمة النشاط التجاري وأيضا أثر لمشاكل عامة جدا عرفتها المدينة وجهتها. وجد الخواص على غرار الدولة مداخيل بديلة، لكن في الوقت ذاته ساهم هذا التطور في تدهور العلاقات السياسية مع الدول المسيحية. إن وفرة المراسلات الدبلوماسية بين الحفصيين والملوك الكتالانيين تبيّن أن مناخ الحذر كان في قسم منه بسبب هجمات القراصنة[252]. نفس الانطباع بالنسبة للعلاقات مع جنوة التي اضطربت بانتظام بسبب القرصنة[253]. وترجم هذا بقطيعة دبلوماسية طويلة وترخيص القرصنة المسيحية ضد السواحل الحفصية وحملات الثأر، على غرار حملات 1397 و1399 ضد بونة ودلس. شجّعها تقلص التجارة في منتصف القرن الرابع عشر، منعت القرصنة إذن استئنافا سريعا للمبادلات الهادئة حتى وإن لم توقف التجارة كلية.

إن القرن الرابع عشر هو إذن فترة أزمة وضعف بالنسبة لبجاية. شكّلت دون شك مشاكل نهاية القرن الثالث عشر وخصوصا النزاعات السياسية مع تونس التي تنذر بمجيئ اختلالات دائمة. لكن استقلالية بجاية أظهرت بشكل واضح ثراء المدينة الذي كان قادرا لأن يصبح نقطة انطلاق لتوحيد المجالات الحفصية. بداية من أولى الهجمات العبد الوادية، تغيرت الوضعية بكيفية ذات دلالة. أصبحت الحروب صعبة أكثر على المدينة وبلادها الخلفية واستمرارها

---

(251) في مذكرة بتاريخ 1349، اقترح حاكم ميورقة ترك سكان الجزيرة يقومون بالقرصنة بكيفية مراقبة، لأنه بعد الطاعون، تناقص عدد السكان (خصوصا العاملين). وأضاف بأن هذا يسمح بمحاربة المسلمين الذين لا سلم معهم. ARM, Governaciò, 4380, f. 24r-25r (10/4/1349), cité par López Pérez, La Corona, op. cit., p. 583-584. وجد هذا التفكير أيضا في الجانب المغاربي.

(252) حول التسلسل الزمني للعلاقات السياسية بين لاكورونيا أراجونة والحفصيين في نهاية القرن الرابع عشر، أنظر خصوصا:

López Pérez, *La Corona, op. cit.*, p. 155-165.

(253) E. Marengo, *Genova e Tunisi (1388-1515), ASLSP*, 32, Gênes, 1901, p. 24-36.

أطول. وتفاقمت الوضعية بوصول الطاعون في 1358 الذي عزّز من التقلص الديمغرافي القديم من قبل. يفسّر فتور النشاط التجاري أيضا بتطور المبادلات مع البلدان المسيحية نفسها التي مسّتها أزمة اقتصادية وديمغرافية. انخفضت إذن أهمية السوق البجائي لدى الإيطاليين الذين استداروا أكثر نحو الشرق المتوسطي وفضّلوا روابطهم مع تونس. من جهة أخرى، إذا كان الميورقيون عوّضوا في قسم الجنويين أو البيزيين، فإنهم طوّروا نشاطاتهم في حيز أكثر اتساعا، يمتد من وهران إلى بونة حيث فقدت فيه بجاية دورها الريادي. إن هذا الضعف كان فرصة للملكية الكتالالونية-الأراجونية للبحث عن سيطرة سياسية بفرض ضريبة خضوع. لكن فشل هذه المحاولات المتكررة يبيّن أن البلاد كانت لا تزال قادرة على مقاومة الضغوطات السياسية الخارجية. ومن جهة أخرى، السلالة الحفصية استعادت قوتها السياسية بعد 1360.

رغم ذلك خرجت بجاية ضعيفة جدا من هذه المحنة. إذا سمح لها تطور القرصنة بتعويض قسم من الخسائر التي تسبب فيها انخفاض المبادلات التجارية فإنه منع المدينة من أن تجد المكانة التي كانت عليها في المغرب قرن قبل ذلك. سياسيا، تقلص حيز نفوذها في الشرق والغرب، واقتصاديا وجب عليها من الآن فصاعدا الأخذ في الحسبان منافسة الموانئ القريبة والنشطة.

III- استئناف نسبي بداية من الثلث الثاني من القرن الخامس عشر

انتهى القرن الرابع عشر بعد فترة طويلة من الأزمة مع استعادة القوة الحفصية. لكن بجاية خرجت ضعيفة جدا من هذه السنوات سواء على المستوى السياسي أم على المستوى الاقتصادي. إن فشل محاولات اغتصاب السلطة في عهدي أبي فارس وعثمان يعتبر إشارة للقوة التي وجدتها تونس من جديد وأن ضعف بجاية لم يتمكن – كما كان في نهاية القرن الثالث عشر وبداية القرن الرابع

عشر- من مساندة طموحات الأمراء الحفصيين المنشقين. رافق فترة الضعف السياسي فتور ملحوظ للاقتصاد.

رغم ذلك في بداية سنوات 1430 بدأ نشاط الميناء في الاستئناف تحت تأثير وضعية جديدة. لم تعد بجاية ميدانا للميورقيين وحدهم، وهذا ما يدل على أن الإيطاليين والبروفانسيين اعتبروها من جديد سوقا فيه فائدة، واحتلت بذلك مكانة ملحوظة على خطوط الملاحة الكبرى.

1) وضعية ملائمة أكثر

بينما توحدت عدة عوامل إضعاف بالمغرب ووضعية أوروبية غير ملائمة في القرن الرابع عشر، سجّلت بداية القرن الخامس عشر عودة الاستقرار السياسي إلى إفريقية، وهذا ما سهّل استئناف علاقات دبلوماسية جيدة ونمو في أوروبا، والكل تنافس على تحريك القطاع الاقتصادي.

أ- عودة الاستقرار إلى إفريقية

سجّلت فترتا حكم أبي فارس (796/ 1394-837/ 1434) وعثمان (839/ 1435-893/ 1488) استقرارا حقيقيا سياسيا داخليا في إفريقية[254]. واختفت التهديدات العبد الوادية والمرينية فعليا وتوصل السلاطين إلى إبقاء خضوع عمال المقاطعات الغربية في حين فقدت القبائل استقلاليتها. حلّت إذن بصفة دائمة الأزمات بسرعة. في هذا الفضاء احتفظت بجاية بمكانتها كعاصمة للثغر الغربي، لكنها فقدت نهائيا التحكم في مقاطعة قسنطينة والزاب. في المقابل ترجم تراجع القوة العبد الوادية بإعادة ادماج مدينتي الجزائر ودلس في منطقة نفوذها. لا تصف نصوص هذه الفترة بكيفية كاملة شبكة الطرقات بين الداخل والساحل، لكن الشبكة تغيرت بشكل محسوس مقارنة مع الفترات السابقة.

(254) أنظر حول فترتي حكمها: Brunschvig, *La Berbérie*, *op. cit.*, I, p. 210-276

في الشرق، استدار قسم هام من القبائل الكبرى من الآن فصاعدا نحو قسنطينة ومنفذها البحري القل. ونفس الملاحظة تنسحب على طرق وارجلان وبسكرة الصحراوية، التي وصلت فيما مضى إلى بجاية أساسا، وأصبحت تمتد أكثر نحو قسنطينة وتونس. توفرت المجالات التي ربحتها في الغرب على منافذ بحرية خاصة. في حين أصبحت الجزائر وبأقل درجة دلس في القرن السابق ميناءان نشيطان مؤهلان لتمرير منتجات بلادهما الخلفية واصطياد تدفق الذهب الوارد عن طريق توات وغرداية. مجملا، إن المجال الحيوي لبجاية تقلص لكنه ربح الاستقرار.

ب) علاقات أقل نزاعا مع القوى المسيحية

نتابع في حوض البحر المتوسط الغربي عودة تدريجية -رغم أنها لم تكن كاملة- إلى استقرار أكبر. إن العلاقات بين الحفصيين والقوى الأوروبية معروفة جيدا بالنسبة لهذه الفترة بفضل وفرة وثائق الإنشاء المحفوظة. لكنها بقيت مفصولة بأزمات مرتبطة بالقرصنة سواء المسيحية أم المسلمة، أم بالحوادث الواقعة في الميناء. في هذا الصدد، إن غياب المراسلات بين جنوة والحفصيين بين بداية القرن الخامس عشر و1427 يجب تأويله كإشارة لانقطاع العلاقات الدبلوماسية. تمّ طبعا انتخاب قنصل لتونس في 1423[255]، لكن تلك حالة معزولة. بالعكس، منعت جنوة كل تجارة مع الأراضي الحفصية في 1423[256]. لم ترجع الوضعية إلى حالتها إلا بداية من سنوات 1430 فقط، حيث عقدت معاهدة في 1433 لمدة عشرين سنة، أكدّت اتفاقا قديما مبرما مع دوق ميلانو الذي كان سيدا لجنوة[257]. تبعا لذلك، كانت العلاقات ودية مع عثمان وفي 1445 جددت المعاهدة السابقة لمدة اثني عشر

---

(255) Marengo, *Genova e Tunisi*, *op. cit.*, p. 36. تغيب أيضا المراسلات مع القناصلة الجنويين الحاضرين في تونس.

(256) G. Petti Balbi, « Il consolato genovese di Tunisi nel Quattrocento », *Archivio storico italiano*, 576, 1998, p. 230.

(257) معاهدة جنوة – تونس، 1433، الديباجة.

سنة[258]. في 1465 تمّ تأكيد السلم وهذه المرة لمدة ثلاثين سنة[259]. لم تؤد مشاكل القرصنة التي تعني تونس أكثر إلى قطيعة في الروابط السياسية بين الدولتين[260]. ميّز تطور مشابه سياسة لاكورونيا أراجونة. بعد فشل محاولة ضد جربة في 1432، اختار ألفونسو الحليم (Alphonse le Magnanime) طريقا أكثر هدوءا[261]. ففي 1438 تمّ إبرام هدنة (نصها ضائع) [262]، وفي 1444 تمّ تحرير فصول من اتفاق سلم، لكن دون المصادقة عليه[263]. واجه اقرار علاقات مستقرة وودية – على غرار جنوة- مسألة الأسرى المقبوض عليهم في السلطنة وأيضا القرصنة الكتالانية. وجب انتظار 1447 لتوقيع اتفاق لمدة ثلاثين سنة بعد مباحثات طويلة[264]. رغم غياب معاهدة صريحة أثناء هذه السنوات، ساد توافق بين الدولتين[265]. طبعا تأتي بانتظام مشاكل الديوان أو القرصنة لإحداث اختلال حالة التعايش الهادئة المشتركة، لكن دون أن تؤثر فيها بكيفية دائمة. ففي أوت

---

(258) معاهدة جنوة – تونس، 1445، الديباجة.

(259) معاهدة جنوة – تونس، 1445، الديباجة. لم تجدد بعد ذلك إلا في 1507. Marengo, *Genova e Tunisi*, *op. cit.*, p. 120.

(260) أنظر: نفسه، ص 49-97. هذه الاعتداءات هي من فعل الرعايا الحفصيين على غرار الجنويين.
L. Balletto, « Battista Aicardo di Porto Maurizio, detto Scarincio, corsaro-pirata del secondo Quattrocento », *Corsari, « Turchi » e Barbareschi in Liguria. Atti del I convegno di Studi, Ceriale, 7-8 giugno 1986*, Albenga, 1987, p. 149-151.

(261) Fr. Cerone, « Alfonso il Magnanimo ed Abu 'Omar Othmân. Trattative e negoziati tra il Regno di Sicilia di qua e di là dal Faro ed il Regno di Tunisi (1432-1457) », *Archivio storico per la Sicilia Orientale*, 9, 1912, p. 46.

(262) *Ibid.*, p. 48-49.

(263) Cerone, « Alfonso il Magnanimo », art. cité, *Archivio storico per la Sicilia Orientale*, 10, 1913, p. 25-28.

(264) *Ibid.*, p. 75 ; معاهدة لاكورونيا أراجونة – تونس، 1445، الديباجة

(265) Ch.-E. Dufourcq, « La continuité des activités catalano-aragonaises dans les États musulmans méditerranéens d'Alphonse le Magnanime à Ferdinand le Catholique », *IX Congresso di storia della Corona d'Aragona*, Naples, 1982, p. 207.

1482 تبعا لتوقيف مشرف ديوان الجزائر لتاجر من كاستل أمبرياس (Castel d'Ampurias)، أعلن عن مقاطعة موانئ جهة بجاية وانتقم بمصادرة أملاك يهود الجزائر وبجاية الموجودة ببجاية[266]. لكن بسرعة، منذ شهر أكتوبر، أجبرت ضغوطات الأوساط التجارية الملك على تعليق هذا الإجراء[267].

خارج هذين المتعاملين التقليديين للحفصيين، استأنفت كل قوى أوروبا الجنوبية روابطها مع إفريقية. جددت البندقية اتفاقاتها السلمية في 1427 ثم في 1438 وبقيت علاقاتها ودية حتى نهاية حكم عثمان[268]. أيضا، جددت صقلية الهدنة مع تونس بعد 1438[269]. توصّل الفلورنسيون الذين عوّضوا البيزيين في البحر المتوسط إلى اتفاق في 1421، وتمّت المصادقة عليه في 1423 قليلا بعد امتلاك ليفورن (Livourne)[270] . وأخيرا، ملوك فرنسا – الذين أخذوا بسياسة الملك روني (René)[271] وأضافوا عليها- عقدوا علاقات مستمرة مع المغرب بعد ربط بروفانس بفرنسا في 1481[272]. في هذا السياق، نجد قرارات المنع

---

(266) ACA, C., Rg. 3827, f. 68r-v (7/8/1482).

(267) Id., f. 68v-69r (26/9/1482).

(268) Sacerdoti, « Venezia e il regno hafsida », art. cité, p. 334-342 ; B. Doumerc, « Venise et la dynastie hafside à la fin du XVe siècle », *CT*, 117-118, 1981, p. 574-576.

على غرار جنوة ولاكورونيا أراجونة، وجب على جنوة أخذ في الحسبان مشاكل القرصنة والأسرى، لكن فدية الأسرى الذي يتطلب محادثات طويلة لم يوقف العلاقات السياسية والاقتصادية.

(269) Mas-Latrie, « Relations commerciales de Florence et de la Sicile », art. cité, p. 220.

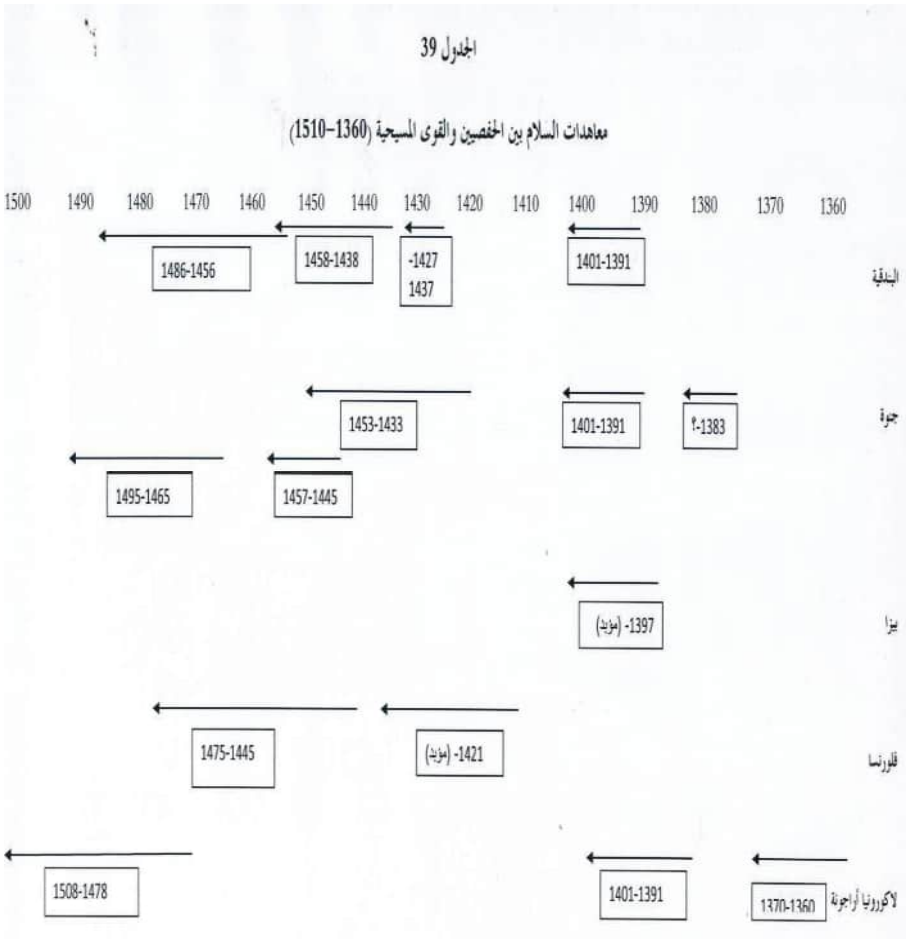
(270) *Ibid.*, p. 209, avec la date de 1424 corrigée dans Mas-Latrie, *Traités*, *op. cit.*, p. 344-354.

(271) أرسل الملك روني ممثلين إلى أمير بجاية.

Éd. G. Arnaud d'Agnel, *Comptes du roi René*, Paris, 1908-1910, II, p. 347-348, 375 (mai et juin 1479).

(272) في 1460 دخل شارل السابع (Charles VII) في اتصال مع السلطان الحفصي. حول السياسة المتوسطية لفرنسا، أنظر:=

البابوي للاتجار مع الكفار المتجددة بانتظام تمّت استدارتها بسهولة عن طريق الرخص الاستثنائية (رغم أنها أحيانا نفعية) التي منحتها البابوية[273].



=M. Mollat du Jourdain, « Les intérêts commerciaux français en Méditerranée au temps d'Alphonse le Magnanime », *XIV congresso di storia della Corona d'Aragona, Sassari-Alghero, 19-24 maggio 1990*, vol. II, t. 2, Sassari, 1996, p. 629-642. Voir également L. de Mas-Latrie, « Chartes inédites relatives aux États de Bougie et de Bône (1268-1293-1480) », *BEC*, 1re série, 2, 1840-1841, p. 396-397.

(273) L. Balletto « Commerciando con gli infedeli in Siria, in Egitto e in Tunisia (1418-1423) », *Genova, Mediterraneo, Mar Nero (secc. XIII-XV)*, Gênes, 1976, p. 35-43.

ج) الاستئناف الاقتصادي في أوروبا

كان الانخفاض الكبير في القرن الرابع عشر قد أضرّ بحركية التجارة الأوروبية في البحر المتوسط، وترك مكانه بداية من سنوات 1450 – وأحيانا قبل- لفترة جديدة من تطور أوروبا[274]، كما يمكن أن تشهد على هذا الازدهار بعض المدن الإيطالية على غرار فلورنسا والبندقية أو جنوة، لكن أيضا الموانئ الإيبيرية وخصوصا شمال أوروبا[275].

تحول مركز ثقل التجارة الدولية نحو الغرب. أدى سقوط القسطنطينية في 1453 وما بقي من الممتلكات المسيحية في آسيا الصغرى إلى تحول الاستثمارات نحو أسواق أخرى. أجبرت أيضا الصعوبات الاقتصادية في مصر وسوريا[276] على إعادة تنظيم الأنشطة التجارية مع العالم الإسلامي، على الأقل بالنسبة للجنويين[277]. أدى المغرب وأيضا الأندلس وظيفة أسواق احتياطية[278]، حتى وإن لم يصلا إلى المنافسة الكاملة لأسواق المشرق. استثمر الجنويون في سلطنة غرناطة في زراعات المضاربة على غرار السكر والعنب والكروم أو في تربية دودة

---

(274) R. Fossier, « Le second souffle de l'Europe », *Le Moyen Âge*, dir. R. Fossier, III, Paris, 1983, p. 389.

(275) *Ibid.*, p. 414-418.

(276) E. Ashtor, *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages*, Londres, 1976, p. 301-331.

(277) في واقع الأمر استمر تردد البرشلونيين والبنادقة على الأسواق السورية والمصرية. أنظر:
E. Ashtor, « The Volume of Trade in the Later Middle Ages (1370-1498) », *Journal of European Economic History*, 4, 1975, p. 573-612, rééd. *Studies in the Levantine Trade in the Middle Ages*, Londres, 1978 ; D. Coulon, *Barcelone et le grand commerce d'Orient au Moyen Âge. Un siècle de relations avec l'Égypte et la Syrie-Palestine (ca. 1330 - ca. 1430)*, Madrid-Barcelone, 2004.

(278) J. Heers, *Gênes au XVe siècle. Activité économique et problèmes sociaux*, Paris, 1961, p. 1.

القز[279]، في حين بقي المغرب سوقا تقليديا للأنسجة الأوروبية ومكانا للتموّن خصوصا بالجلود والشمع[280]. من جهة أخرى، ليس مستبعدا أن يكون فقدان مناجم الشب في فوسيا (Phocée) في 1455 سببا أدى إلى البحث عن مصادر جديدة للتزود في المغرب إلى غاية اكتشاف مناجم تولفا في سنوات 1460[281]. رافق هذا الانتقال تكثيف العلاقات مع أوروبا الأطلسية الذي بدأ في القرن السابق والذي استفاد المغرب في قسم منه[282]. كان الجنويون نشطين جدا على هذا الطريق، خصوصا جمهورية البندقية التي نظّمت منذ القرن الرابع عشر الخط البحري باتجاه الفلوندر، ليرتبط البحر المتوسط الغربي بموانئ الفلوندر وأنجلترا، باجتياز أحيانا الموانئ المغاربية[283].

2) استئناف النشاط التجاري البجائي

سمح إعادة تنشيط العلاقات التجارية بين أوروبا والمغرب لبجاية من أن تجد من جديد جزءا من المكانة التي فقدتها في القرن السابق. ومعه أصبح الميناء جذابا ولم يعد الميورقيون لوحدهم من يأتون لممارسة التجارة. وجد متعاملون إيطاليون وبروفانسيون قدماء من جديد أنفسهم في طريق بجاية عندما عرفت

---

(279) *Ibid.*, p. 21 ; J. Heers, « Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en Occident », *Le Moyen Âge*, 63, 1957, p. 87-121, rééd. *Société et économie à Gênes (XIVe-XVe siècle)*, Londres, 1979.

(280) أنظر حول المواد التي استوردتها ميورقة في النصف الثاني من القرن الخامس عشر:
O. Vaquer, « El comerç marítim de Mallorca a la segona meitat del segle XV », *Randa*, 29, 1991, p. 113-116 ; pour Gênes, voir R. Urbani, « Genova e il Maghrib tra il '400 e '500 (nuovi documenti archivistici) », *Genova, la Liguria e l'Oltremare tra medioevo ed età moderna. Studi e ricerche d'archivio*, Gênes, 1976, p. 190-192.

(281) J. Delumeau, *L'Alun de Rome XVe-XIXe siècle*, Paris, 1962, p. 19.

(282) J. Heers, *L'Occident aux XIVe et XVe siècles*, Paris, 1963, p. 175-194.

(283) D. Stöckly, *Le système de l'incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe - milieu XVe siècle)*, Leyde, 1995, p. 152-165.

الموانئ الإفريقية على طول السواحل الإفريقية من الشرق إلى الغرب تطـورا، ممـا وضع بجاية على علاقة مع أسواق المشرق والأطلسي.

أ) عودة المتعاملين التجاريين القدامى

ساعدت وضعية أوروبا الجديدة والبحر المتوسط تكثيف المبادلات التجارية مع المغرب، واستمرت بجايـة في كونهـا واحـدة مـن الوجهـات الهامـة للمراكـب المسيحية. لكن التطور الملحوظ في النصف الثاني من القرن الرابع عشر تأكّد بتطور موانئ منافسة، خصوصا الجزائر وتونس. بقيت ميورقة في هـذه التجـارة متعـاملا مفضّلا، لكن وزنها النسبي تناقص بسبب عودة الإيطاليين والبروفانسيين.

إلى غاية سنوات 1450، كان ذهاب المراكب الميورقية إلى بجاية منتظما. ما عدا ثغرة بين 1430 و1433 (التي تتوافـق مـع فـترة سياسـة أراجونيـة معاديـة)، سافرت السفن كل سـنة[284]. بعـد ذلـك في المقابـل، أصـبحت الشـواهد حـول السفريات إلى بجاية نادرة.

جدول 40: عدد السفن التي ضمنت صلات ميورقة ببجاية (1499-1420)

	1420-9	1420-9	1440-9	1450-9	1460-9	1470-9	1480-9	1490-9
التراث الملكي	4	4	17	9	4	7	9	3
التراخيص	2	2	18	7	3	2	8	4

(284) إن الرصيد الوثائقي الرئيسي لدراسة حركة المراكب باتجاه المغرب هو رصيد التراث الملكي (*Real Patrimonio*). يدوّن في سجلات المداخيل الرسوم التي سدّدها المسلمون (في الغالب قدماء أسرى جـرى افتداؤهم) عندما يتركون الجزيرة للعودة إلى أرض الإسـلام. يشـار دائمـا إلى الوجهـة حتـى وإن كـان دون تدقيق أحيانا. إن النتائج المتحصّل عليها لا تأخذ في الحسبان كل سفريات السـفن باتجـاه المغـرب. يمكـن أن نكمل بسجلات التراخيص التي يتحصل عليها الميورقيون لترك الميناء أو لتصدير بعـض المـواد. لكـن عقـود الموثقين الميورقيين تبيّن أن بعض المراكب الذاهبة إلى إفريقيا الشـمالية لا تظهـر في أي أنـواع الحسـابات. في غياب جرد كامل لموثقي القرن الخامس عشر، نكتفي هنا بمعطيات "التراث الملكي" و"الرخص".

نلاحظ تقلصا واضحا في التنقل الميورقي إلى بجاية بداية من منتصف القرن، الذي يمكن أن يفسّر بالمنافسة الجديدة للقوى البحرية الأخرى أو التي تخلت عن قسم من هذا السوق خلال القرن الرابع عشر. احتفظت طبعا دائما بدور وسيط مفضّل، لكن بدرجة أقل. تبيّن بعض عقود الضمان البرشلونية للسير نحو إفريقيا الشمالية عدم مرور تجار العاصمة الكتالانية بالضرورة عن طريق ميورقة للذهاب إلى المغرب(285). أيضا، أصبحت بلنسية في القرن الخامس عشر ميناءً هاما(286) ومحطة ارساء يتردد عليها غالبا على طريق إفريقيا الشمالية، حتى وإن لم تصل أبدا إلى مستوى ميورقة(287).

وجد البروفانسيون ثانية طريق بجاية حيث كانوا قد هاجروا الأسواق المغاربية في القرن الرابع عشر بشكل كامل تقريبا. إن الرحلات الأولى كانت غالبا مرتبطة بالحاجة للذهاب لشراء الأسرى الكثيرين في القرن الخامس عشر(288). لكن بداية من سنوات 1470 حينما تناقصت التجارة مع الشرق بصورة محسوسة، عرفت الحركة التجارية مع المغرب تطورا ملحوظا(289)، وتمّ تحقيق عدة رحلات تجارية هامة انطلاقا من مرسيليا. ففي 1475، استأجر مونو لورون (Mono Laurent) مركب القديس أنطوان (Saint-Antoine) للذهاب للتجارة في

(285) M. Del Treppo, *I Mercanti catalani e l'espansione della Corona d'Aragona nel secolo XV*, Naples, 1972, p. 708-711.

(286) J. Guiral Hadziiossif, *Valence, port méditerranéen au XVe siècle (1410-1525)*, Paris, 1986.

(287) J. Guiral Hadziiossif, « Les relations commerciales du royaume de Valence avec la Berbérie au XVe siècle », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 10, 1974, p. 101.

(288) Valérian, « Les archives de Marseille », art. cité, p. 9-10.

(289) ر. كوليي الذي درس العلاقات مع إفريقيا الشمالية من 1480 إلى 1515 لاحظ بالنسبة للقرن الخامس عشر وبداية القرن السادس عشر أن التجارة المرسيلية مع المغرب كانت أكثر من التجارة التي أقامتها مع بلاد الشام.

R. Collier, J. Billiou, *Histoire du commerce de Marseille*, III, *1480-1599*, Paris, 1951, p. 120.

موانئ المغرب (الجزائر وبجاية وبونة وتونس) [290]. في نفس السنة ذهب بيار بالبو (Pierre Balbo) إلى المغرب وتوغل حتى قسنطينة، وهذا ما يبيّن نشاطا هاما تخطىّ الإطار الساحلي الضيق. بعد نفاذ مخزونه من السلع، أرسلت إليه أجواخ من مرسيليا بـ 150 فلورين (florins) . ودخل في أوت وسافر من جديد في سبتمبر للذهاب بحثا عن الشمع في بجاية[291]. وفي جويلية 1475 سافر نيكولا جاتن (Nicolas Gaétan) صاحب مركب الثالوث المقدس (Sainte Trinité) إلى بجاية وإلى الموانئ المجاورة. وعاد إلى مرسيليا في مارس 1476 دون أن يتمكن من الإتيان بالسلع التي اشتراها وترك قسما لمونو لورون وقام برحلة ثانية للمجيئ بهذا الرصيد[292]. أيضا اجتازت أحيانا يخوت فرنسا المملوكة لجاك كور (Jacques Cœur) عن طريق المغرب حتى وإن لم تكن وجهتها الرئيسية[293].

وأخيرا، إن الإيطاليين الذين كانوا قد تخلوا جزئيا عن الموانئ المغاربية الواقعة غرب تونس للميورقيين، طوّروا فيها من جديد أعمالهم التجارية. وأصبحت جنوة[294] والبندقية[295] وفلورنسا[296] وأيضا سافون[297] شركاء نشطين للمغرب وترددوا على بجاية.

---

(290) ADBR, 351 E 448, f. 536v-536bis r-v (24/1/1475), 543v-546r (26/1/1475).

(291) ADBR, 351E 389, f. 39r-v (7/8/1475) ; 391E 123, f. 130v (2/9/1475), 180v (19/3/1476).

(292) ADBR, 351E 449, f. 178r-179v (15/7/1476).

(293) M. Mollat, *Jacques Cœur ou l'esprit d'entreprise*, Paris, 1988, p. 306-307.

من بين ستين رحلة التي تعرف وجهتها المتوسطية، خمسة فقط تعني المغرب.

(294) Ph. Gourdin, *Les relations politiques et économiques entre l'Italie tyrrhénienne et le Maghreb au XVe siècle*, thèse sur travaux, volume de synthèse, Paris, décembre 2001. Voir également les travaux de R. Urbani, « Fonti per il commercio mediterraneo ligure nell'ultimo medioevo : i rapporti con l'Africa settentrionale », *Atti del IV Convegno internazionale della ceramica, 1971*, Gênes, 1971, p. 431-437 ; Ead., « Genova e il Maghrib tra il '400 e '500 », art. cité, 1976, p. 185-206 ; Ead., « Note=

ب) اندماج بجاية في شبكة الملاحة شرق-غرب

يعود التغيير الهام مقارنة بالفترات السابقة -خصوصا- الى خلق لخطوط ملاحية باتجاه الشرق، مدمجة سواحل المغرب في مسالك مرتبطة بفضاء واسع يمتد حتى المشرق من جهة وأوروبا الأطلسية من جهة أخرى. عندما أراد عبد الباسط الذهاب من وهران إلى تونس في 871/ 1466، ركب يختا جنويا كبيرا قادما من الفلوندر عبر المحيط الأطلسي وتابع سيره نحو الشرق. وأوضح المسافر أن التجار المسيحيين يأتون لبيع أجواخهم في الأسواق المغاربية وأن تجارا مسلمين من وهران وتلمسان ركبوا معه. إن محطات الإرساء كانت قصيرة جدا: لم يبق المركب في بجاية

=d'archivio sui notai genovesi del '400 : l'attività di Bartolomeo Canessa », *La Berio*, 11/1, 1971, p. 10-21 ; Ead., « Ricerche d'archivio sui rapporti tra Genova e il Nord-Africa alla fine del Quattrocento », *Archivi e cultura*, 7, 1973, p. 137-146 ; G. Petti Balbi, « Gli insediamenti genovesi nel Nord-Africa durante il '400 », *Medioevo Mezzogiorno Mediterraneo. Studi in onore di Mario Del Treppo*, dir. G. Rossetti et G. Vitolo, Naples, 2000, p. 121-137.

(295) أنظر خصوصا: Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*

(296) إن تجارة فلورنسا مع المغرب غير معروفة جيدا، لكن نعرف تنظيم مواكب المراكب في القرن الخامس عشر، والتي مرّ بعضها على طول السواحل الإفريقية. من جهة أخرى، يبيّن دليل تجار يعود لمنتصف القرن الخامس عشر معادلات وحدات القياس بين فلورنسا وبجاية.=

=Fr. Borlandi, éd., *El Libro di mercatantie et usanze de' paesi*, Turin, 1936 (Documenti e studi per la storia del commercio e del diritto commerciale italiano, 7), p. 36.

(297) C. Varaldo, « Savona nel secondo Quattrocento. Aspetti di vita economica e sociale », *Savona nel Quattrocento e l'istituzione del Monte di Pietà*, Savone, 1980, p. 53 :

5،9 % من رؤوس الأموال المستثمرة بسافون في التجارة البحرية هي للمغرب في سنوات 1410-1450، لكن 16،7 % في سنوات 1451-1480. كان المغرب هو الوجهة الثالثة في عدد العقود (بعد سردينيا وشبه الجزيرة الإيبيرية)، لكن هو الثاني من حيث رؤوس الأموال المستثمرة وأكثر من 44 % من الجلود التي بيعت في سوق سافون مصدرها المغرب. *Ibid.*, p. 103

إلا يوما وفي تونس أربعة أيام قبل أن يلتحق بالمشرق[298]. تبيّن هذه الشهادة تنظيما جديدا نسبيا للتجارة الإيطالية في المغرب على الأقل بحجمها. من الآن فصاعد تمّ تفضيل الطرق التي تسير بجانب الضفة الجنوبية للبحر المتوسط والتي أدرجت بجاية في المسالك المنطلقة من المحيط الأطلسي وتذهب إلى غاية المشرق، دون المرور بالضرورة بواسطة الموانئ الإيطالية. وجد جل التجار المسلمين فائدة من خطوط الملاحة الجديدة ليشاركوا مباشرة في المبادلات البحرية والاستيلاء على أكبر عدد ممكن من المراكب المسيحية.

إن هذه الرحلات على طول السواحل الإفريقية ليست طبعا بالجديدة في حد ذاتها. سايرت السفن في القرون السابقة أحيانا سواحل المغرب، حيث رست في الموانئ الرئيسية، ومن المحتمل أنها مدّت طريقها نحو المشرق، خصوصا إلى مصر. لكن تطورت هذه الظاهرة في القرن الخامس عشر، خصوصا في جنوة وفلورنسا والبندقية. سمح هذا النظام بربح أكبر وانتهاز فرص كل رسو، دون القيام بالالتواء على الموانئ الأوروبية. ربما أيضا كانت وسيلة للإفلات من الرسوم المسددة في هذه الموانئ، التي غالبا ما كانت مرتفعة[299]، حيث سمحت شبكة من فروع الشركات المنتشرة في المراكز التجارية الكبرى بتفادي المرور عن طريق العاصمة.

بينما كانت المواد الشرقية التي وصلت إلى بجاية غالبا ما عبرت عبر جنوة أو بيزا إلى غاية القرن الثالث عشر، أصبحت من الآن فصاعدا تأتي مباشرة من مصر أو شيو (Chio). نفس الشيء بالنسبة لأنسجة أوروبا الشمالية التي مرّت من قبل

---

(298) عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث الغمر والتراجم، ترجمة ر. بروشنفيك:
trad. R. Brunschvig, *Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord au XVe siècle, ʻAbd al-Bāsit b. Halīl et Adorne*, Paris, 1936, rééd. 2001, p. 83.

(299) كما هو حالة جنوة.
J. Heers, « Gênes et l'Afrique du Nord vers 1450 : les voyages "per costeriam" », *AEM*, 21, 1991, p. 234.

بواسطة أسواق وموانئ البحر المتوسط الكبرى. منذ القرن الرابع عشر، ذهبت المراكب الإيطالية مباشرة نحو أسواق الشمال عابرة لمضيق جبل طارق. هذا التوجه الأطلسي للتجارة الإيطالية هو واضح لجنوة وللبندقية بدرجة أقل، التي احتفظت بوضعيات قوية في المشرق. استند هذا التوجه على شبه الجزيرة الإيبيرية وأنجلترا والفلوندر واستفاد من تطور شمال غرب أوروبا والصعوبات التي واجهتها بعض الأسواق في المشرق. استفاد هذا التنظيم الجديد للمحاور التجارية خصوصا من إنشاء فلورنسا والبندقية خصوصا لخطوط الملاحة البحرية.

طوّرت الشركات التجارية الكبرى فروعا سمحت لها بعدم مركزة أعمالها. كانت الظاهرة مرئية منذ القرن الرابع عشر وتطورت أكثر بعد ذلك. فشركة بروميو الميلاني (Boromo de Milan)، التي تعتبر واحدة من أقوى الشركات في المدينة اللومباردية[300]، كان لها ممثليها في برشلونة حيث سيّروا أعمالها المغاربية. يورد دفتر حسابات الفرع البرشلوني السابق لعام 1440 مبلغ 37 ليفر و10 سو أعطي في بجاية لبرتلوميو بندوتي (Bartolomeo Binotai) ، وهو لومباردي يعمل لحساب الشركة[301]. وفي 1441 كان برتلوميو نفسه – الذي اعتبر موزعا لفليبو بروميو (Filippo Boromo)- حاضرا في بجاية حيث قدّم 140 دينار مزدوج لشراء نجار هياكل[302]. وجدت الفروع الرئيسية في أنجلترا والفلوندر وفي موانئ شبه الجزيرة الإيبيرية وفي المشرق وبأقل درجة في تونس[303]. من جهة أخرى، كان بإمكان العمال تمثيل الشركة على غرار برتلوميو

---

(300) حول هذه الشركة، أنظر:

Y. Renouard, *Les Hommes d'affaires italiens au Moyen Âge*, Paris, 1968, p. 204.

(301) P. Mainoni, *Mercati lombardi tra Barcelona e Valencia nel Basso medioevo*, Bologne, 1982, p. 101-103.

(302) *Ibid.*, p. 106.

(303) على سبيل المثال تواجدت شركة بيروتزي (Peruzzi) الفلورنسية بتونس في القرن الرابع عشر.
Davidsohn, *Storia di Firenze*, *op. cit.*, VI, p. 358.

بندوتي في بجاية، لكن الأعمال تبنى انطلاقا من المدن الأكثر نشاطا. منذ ذلك الحين، زاد هذا الحضور من أهمية المدن مثل تونس التي تفوقت على بجاية في الأعمال الجنوية. فالتاجران جيوفاني دا بونترمولي (Giovanni da Pontremoli) أو باتيستا دو لوكو (Batista de Leuco)، الحاضران بقوة في تونس، لم يترددا بالمثل على بجاية[304]. أيضا، لا يبدو أن الشركات الكبرى الفلورنسية كانت لها روابط بهذا الميناء. إنّ هذا النوع من التجارة له ميزة ترك قليلا من الأثر في أرشيفات المدينة الأصل[305]، إنّ سجلات موثقي العاصمة ليس لديها نجدة كبيرة. في المقابل كان بإمكان موثقي ما وراء البحر كتابة عقود أي رحلات، مثل الذي لدمنيكو دو كاميلا (Domenico de Camilla) في 1450، الذي أجّر مركبه الراسي في شيو باتجاه الغرب[306]. كان الذهاب مرتقبا في فيفري 1451 على أقل تقدير بحمولة مكونة خصوصا من القطن، للذهاب إلى مودون (Modon) ثم مباشرة إلى المغرب حيث سيبقى أربعة أيام ليتابع رحلته نحو قادس (Cadix) وسوتامبتون (Southampton) وإيكليز (Écluse). كان الإرساء المغاربي المرتقب في تونس والجزائر وبجاية ووهران[307].

---

(304) D. Gioffrè, éd., *Lettere di Giovanni da Pontremoli, mercante genovese 1453-1459*, Gênes, 1982 ; L. Balletto, *Battista de Luco, mercante genovese del secolo XV e il suo cartulario*, Gênes, 1979.

(305) D. Gioffrè, « Il commercio d'importazione genovese alla luce dei registri del dazio (1495-1537) », *Studi in onore di Amintore Fanfani*, V, Milan, 1962, p. 233.

(306) ASG, *notai antichi*, *filza* 765, Bernardo de Ferrariis, doc. 198 (19/10/1450), éd. partielle Ph. P. Argenti, *The Occupation of Chio by the Genoese and their Administration of the Island, 1346-1566*, Cambridge, 1958, III, n° 150, p. 616-618. L. Balletto, « Gênes et le Maghreb au XVe siècle », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. M. Hammam, Rabat, 1996, p. 101.

(307) أشير إليها بهذا الترتيب الذي هو مدهش قليلا.

تـرك الـبعض مـن هـذه الـرحلات أثـرا، خصوصـا في بعـض سـجلات (Karakorum Vétéran) برصيد بنك سان جورجيو (San Giorgio)[308] . شمل سير هذه المراكب أحيانـا ذكـر مسـلك per costeriam ، الـذي يعـني أن المركب ساير جانب سـاحل إفريقيـا ورسـى في موانئهـا[309]. كانـت شـيو غالبـا الوجهة النهائية لهذه الـرحلات الجنويـة[310]، في حـين أعطـى مينـاءا سـاوتمبتون الأنجليزي وإيكليز الفلوندري في الغـرب منفـذا إلى أسـواق أوروبـا الصـناعية في الشمال الغربي[311]. ففي 1445، قامت تسع مراكب جنوية باتصـال بـين شـيو وإكليز أو ساوتمبتون منها ثمانية سايرت الضفاف الإفريقية[312]. لكن مـن النـادر توضيح إشارات هذه المراحل الوسيطة. مرّ الطريق المتبـع بصـفة عامـة بسرقسـطة (صقلية) وتونس وسطورة وبجاية والجزائر ووهران وهنين والمرية ومالقة، ثم عـبر جبل طارق للوصول إلى الفلوندر أو انجلترا[313]. ففي 1445 غادر مركب فليبـو دو نجرونو (Filippo de Nigrono) قادس إلى المشرق، مـارا بمالقـة والسـاحل

---

(308) يتعلق الأمر بسجلات الدواوين (الجمارك). كان البعض منها مخصصا للرسوم التي تفرض على المراكب أو التجار الجنويين الذي يقومون بتنقلات لا تمر بجنوة، على غرار حالة:

Rg. 1551 (a. 1423-1425), 1552 (a. 1445-1448), 1553 (a. 1457) et 1555 (a. 1495-1498).

(309) Heers, « Gênes et l'Afrique du Nord vers 1450 », art. cité.

(310) Heers, *Gênes au XVe siècle*, *op. cit.*, p. 399.

كانت الجزيرة جنوية منذ منتصف القرن الرابع عشر وأصبحت أحد المستودعات الكبرى لتجـارة البحـر المتوسط الشرقي.

Argenti, *The Occupation of Chio*, *op. cit.*, I, p. 482.

(311) أنظر الوثائق التي نشرها:

R. Doehaerd et Ch. Kerremans, *Les relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outremont d'après les archives notariales génoises, 1400-1440*, Rome-Bruxelles, 1952.

(312) Heers, *Gênes au XVe siècle*, *op. cit.*, p. 455.

(313) *Ibid.*

المغاربي. يبيّن السجل المحفوظ المبيعات المنجزة في كل مرحلة من المراحل[314]، ونرى بيع الأجواخ في بجاية، خصوصا إلى أمير المدينة[315]. أيضا في 1495 انطلقت سفينة جيرولامو دو جرانو (Girolamo de Granowo) من قادس إلى شيو وتوقفت ببجاية[316]. باع فيها كونرادو سبينولا (Conrado Spinola) الأجواخ الأنجليزية في الميناء الإسباني وأفرغ فيها أيضا جيورجو دو كاسانا (Giorgio de Cassagnac) الأجواخ[317].

إن خطوط الملاحة التي نظمتها الدولة، في البندقية وفلورنسا أساسا، معروفة أفضل بسبب المادة الوثائقية التي تركتها[318]. لقد نظم السرينيسم منذ القرن الرابع عشر مواكب الشواني (mude) باتجاه الفلوندر[319]، حسب قواعد مثبتة بدقة من مجلس الشيوخ. وضعت مراكب الدولة في المزاد العلني كل سنة وسافرت بعناية متبعة مسلكا مرتقبا بدقة في نص المزاد العلني[320]. كان المغرب هو آخر وجهة موضوع تنظيم ما. استأنف البنادقة حقيقة التردد على موانئ إفريقيا

(314) ASG, *Archivio di San Giorgio, sala* 38/54, *Caratorum Veterum*, Rg. 1552, f. 315r-318r (1445).

(315) *Idem*, f. 317v-318r.

(316) كان صاحب هذا المركب قد ذهب إلى المغرب في 1482 لكننا لا نعرف الموانئ التي مرّ بها .
M. L. Balletto, *Navi e navigazione a Genova nel quattrocento. La « Cabella marinariorum » (1482-1491)*, Gênes, 1973, p. 29-30.

(317) ASG, *Archivio di San Giorgio, sala* 38/54, *Caratorum Veterum*, Rg. 1555, f. 21r-22r (1495).

(318) تمّ أيضا تنظيم نظام من اليخوت إلى المغرب في نفس الفترة ببرشلونة.
Cl. Carrère, *Barcelone au temps des difficultés, 1380-1462*, Paris, 1967, p. 214, 632.

(319) Stöckly, *Le système de l'incanto*, *op. cit.*, p. 152-165.

(320) حول تنظيم موكب هذه المراكب، أنظر: *Ibid.*, *passim*

الشمالية بداية من سنوات 1420[321]، لكن لم تنشأ خطوط (munda) بلاد البربر إلا في 1437، ثم خط السير (Trafego)[322]. ربط الخط الأول بين موانئ سرقسطة والساحل الإيبيري والمغاربي إلى غاية تونس أو طرابلس. في المقابل، كان للثاني هدف مختلف وهو الوصول إلى أسواق الحوض الشرقي للبحر المتوسط (خصوصا الأسكندرية وأيضا بيروت وكاندي (Candie) ومودون، والمرور بتونس وطرابلس في ليبيا[323]. لم تمس إذن إلا القسم الشرقي من المغرب ولا تعني إذن مباشرة بجاية. رغم الصعوبات الدورية، تمّ ابقاؤها إلى غاية بداية القرن السادس عشر[324].

إن تنظيم فلورنسا لنظام مشابه لخطوط اليخوت لم يتطور جيدا واحتل فيه المغرب مكانة صغيرة. لم تبدأ المغامرة البحرية الفلورنسية فعليا إلا مع السيطرة على بيزا (1406)، وخصوصا احتلال لفورن في 1421[325]. أنشأ ديوان قناصل

---

(321) نجد الرحلات البندقية باتجاه المغرب بداية من 1402، لكن في سنوات 1420 تكثفت هذه الحركة. يرى إعادة التنشيط خصوصا من خلال محاضر العمليات التجارية (رصيد جيودتشيلي دي بتيزيون في أرشيف دولة البندقية *giudici di petizion* de l'*Archivio di Stato* de Venise).

D. Stöckly, « Les premiers convois de galées commerciales vénitiennes en direction de la Barbarie au milieu du XVe siècle », *CT*, 155-156, 1993, p. 480.

تأكدت عودة البنادقة إلى المغرب من خلال مصادر أخرى، خصوصا الجنوية. ففي 1426، أسر القرصان توماز جريمالدي (Tomaso Grimaldi) مركب البندقي ساندرو مورو (Sandro Moro) في عرض مياه بجاية.

ASG, AS, Rg. 510 (*Diversorum Cancelleriae Communis Janue*), f. 74r-v, n° 221 (8/6/1426), 236 (18/6/1426). E. Basso, « Pirati e pirateria a Genova nel Quattrocento », *La Storia dei Genovesi*, 11, Gênes, 1991, p. 327.

(322) Stöckly, *Le système de l'incanto*, *op. cit.*, p. 169, 175.

(323) *Ibid.*, p. 171-172, 175.

(324) في 1507، بالنسبة لخط حركة السير وفي السنة الموالية لخط بلاد البربر.

Doumerc, « Venise et la dynastie hafside », art. cité, p. 576-577.

(325) فيما سبق كانت للفلورنسيين علاقات مع ما وراء البحر، لكن بواسطة بيزا أو جنوة.

البحر في 1421 مهمته خصوصا بناء المراكب[326]. أرسل الموكب الأول إلى الأسكندرية في 1423 وسنتان بعد ذلك تمّ تدشين خط البنونت (Ponent) (بريج وأنجلترا) [327]. وفي 1442، تمّ الترخيص لقبطان شواني كتالونيا وصقلية بتمديد طريقهم حتى المغرب إذا أراد ذلك التجار، وفي 1447 أصبح الطريقان واضحين: الأول يتبع مسلكا يذهب من جنوب فرنسا (مرسيليا، ميناء دو بوك Port-de-Bouc)، وبرشلونة وميورقة وبونة والجزائر ووهران. أما الثاني فيمّر بنابولي، وصقلية وتونس وطرابلس والأسكندرية[328]. ففي 1459 كان توقع شانيتين للسير في البحر المتوسط الغربي وفي 1460 نعلم أنهما رستا في جنوة ومرسيليا وتونس وبونة وبجاية والجزائر ووهران والمرية ومالقة وقادس[329]. لكن لم تكن هذه المواكب منتظمة مثل مراكب البندقية وبين 1465 و1478 اختفت الإحالات إلى المراكب[330]. لم يعد الخط إلى الخدمة إلا في 1478 ثم في 1479 بحركة سير مرّ على سواحل كتالونيا والمغرب[331].

حملت هذه السفن التي سارت بجنب السواحل الإفريقية التجار المسيحيين لكنها أخذت أيضا على متنها مسلمين ويهودا. إن هذه الظاهرة ليست بالجديدة، لكنها ازدادت أهمية في القرن الخامس عشر. وسمح مرور مراكب البندقية ببلنسية للمغاربة بالمجيء بكثرة للتجارة في المملكة. ففي 1454 على سبيل المثال حمل موسى كاب (Moiser Cap) –وهو يهودي من مملكة بجاية– برميل نيلة على يخت

(326) M. E. Mallett, « The Sea Consuls of Florence in the Fifteenth Century », *Papers of the British School at Rome*, 27, 1959, p. 156-169.

(327) A. Sapori, « I primi viaggi di Levante e Ponente delle galere fiorentine », *Archivio storico italiano*, 114, 1956, rééd. *Studi di storia economica*, III, Florence, 1967, p. 9, 13-14.

(328) M. E. Mallett, *The Florentine Galleys in the Fifteenth Century*, Oxford, 1967, p. 73.

(329) *Ibid*., p. 74.

(330) *Ibid*., p. 75.

(331) *Ibid*., p. 176.

من بلنسية[332]، ونلاحظ بصفة عامة أن الرخص الممنوحة للمسلمين في بلنسيه للذهاب إلى أرض الإسلام كانت كثيرة خصوصا في وقت مرور موكب المراكب[333]. نقلت أيضا اليخوت الفلورنسية المسلمين[334] وأيضا المراكب الخاصة، لكن هذا غير معروف لنا جيدا. في الانطلاق من تونس، سمح الخط في الأخير لتجار إفريقية الوصول إلى مصر ويبيّن إلحاح السلطان الحفصي على بقاء هذا الركب الأهمية التي تكتسيها هذه التجارة الشرقية بالنسبة لتجار السلطنة[335].

ج) مكانة بجاية في التجارة المغاربية

من الآثار الرئيسية لإنشاء خطوط الملاحة هذه كان التقلص النسبي لمكانة بجاية مقارنة مع بقية موانئ الجهة. فيما مضى في النصف الثاني من القرن الرابع عشر، استفادت عدة موانئ من الصعوبات التي واجهتها بجاية لتطوير روابط مع ميورقة، وتأكد هذا التوجه في القرن الخامس عشر. لقد استعادت بجاية طبعا سيطرتها على الجزائر، لكن دون الوصول إلى تقليص المنافسة التي شكلتها في المغرب الأوسط، فضلا عن احتلال وهران وهنين في الغرب لمكانة أكثر أهمية دائما. في الوقت ذاته تثبتت تونس مطلقا كملتقى جوهري بين الحوضين الشرقي والغربي للبحر المتوسط. يمكن تتبع تطور مكانة بجاية في المسالك التجارية المغاربية انطلاقا من الوثائق الميورقية والبندقية التي توفر سلاسل متلاحقة[336].

---

(332) ARV, MR, Rg. 66, f. 212r-v (25/10/1454).

(333) Voir par exemple ARV, C., Rg. 705, f. 126v-133r (18-20/9/1455), 277r-296v (30/9-4/10/1458).

(334) Par exemple ARV, C., Rg. 705, f. 225v-226r (7/9/1457).

(335) Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*, p. 6, 68-70.

(336) توجهت تجارة بلنسية في المقابل نحو المغرب الغربي مع وهران وهنين والكدية.

R. Cariñena Balaguer, « Los llibres d'aramament : una fuente fundamental para el estudio del comercio valenciano en el Mediterráneo a lo largo del siglo XV (1406-1530) », *Congreso de Jóvenes historiadores y geógrafos, Madrid, 1980,* Madrid, 1990, p. 713-732 ; A. Díaz Borrás, « El comercio valenciano con Berbería en la "Era de los Descubrimientos" a través de los llibres d'armaments. Una aproximación », *ibid.*, p. 733-748.

تسمح مجموعتان من المعطيات برسم تطور الحصة المتعلقة بمختلف الموانئ المغاربية في الملاحة الميورقية. تتشكل المجموعة الأولى من الرخص الممنوحة للذهاب للتجارة في الأرض الإسلامية[337]. إن الوجهات مذكورة دائما، لكن دون توضيح محطات الرسو. يمكن إعادة تشكيل المجموعة الثانية انطلاقا من قوائم المسلمين الذين غادروا الجزيرة وسددوا رسما من أجل هذا[338]. يمكن أن يتعلق برحلات مؤقتة (لأسباب تجارية، عائلية أو للدراسة أو لتأدية الحج)، أو بهجرة نهائية (خصوصا بالنسبة للأسرى القدماء الذين يعودون إلى ديارهم). إن الذي يهمنا هنا في كل حالة هو المركب والوجهة الموضحة. لا تبيّن هذه الوثائق طبعا مجمل المراكب التي تركت الميناء إلى المغرب، لكن في غياب سجلات رسوم الموانئ، فإنها تعطي صورة وفية كافية للأهمية النسبية لكل ميناء في الملاحة الميورقية[339].

جدول 41: الرخص الممنوحة في ميورقة للوجهات المغربية

	هنين	وهران	مستغانم	تنس	برشك	شرشال	الجزائر	بجاية	القل	بونة	تونس	المجموع
1420-9	2	2	0	1	0	1	1	2	1	2	4	16
1430-9	0	0	0	0	0	0	4	6	2	1	6	19
1440-9	1	11	2	16	2	1	28	18	9	1	5	94
1450-9	0	0	0	8	0	2	15	7	2	2	6	42
1460-9	0	0	0	0	0	0	2	3	1	0	0	6
1470-9	0	1	0	0	0	0	3	2	0	1	2	9
1480-9	0	2	0	1	0	0	8	8	0	0	2	21
1490-9	0	0	2	0	0	0	2	4	0	0	0	8
المجموع	3	16	4	26	2	4	63	50	15	7	25	215

(337) توجد هذه الرخص في رصيد التراث الملكي (*Real Patrimonio*)، ولكن أيضا في السجلات الخاصة.

ARM, RP, Rg. 3831 (1419-1421) - 3834 (1427), 3853 (1436) - 3892 (1497) ; ARM, *Guiatges*, Rg. 8 (1440-1447) - 9 (1448-1458).

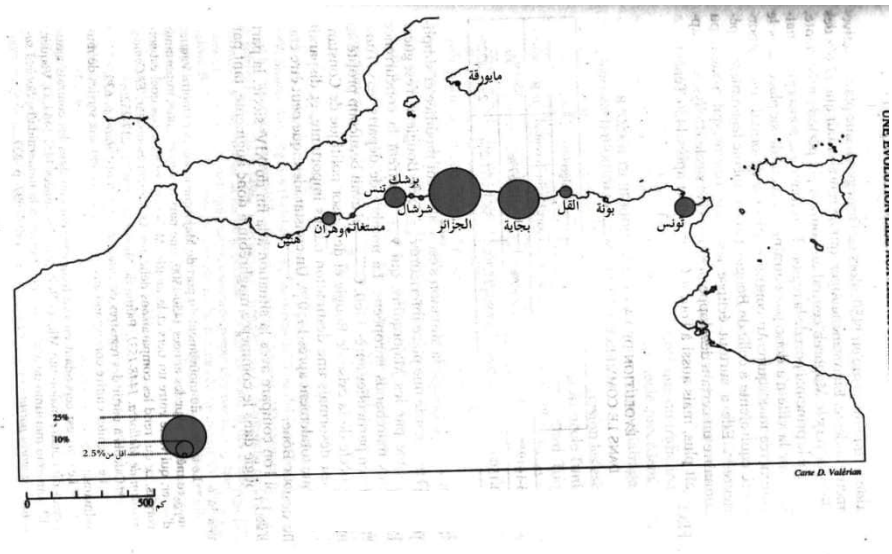
(338) ARM, RP, Rg. 3831 (1418-1421) - 3835 (1428), 3853 (1435-1436) - 3892 (1497).

(339) من خلال عمليات جرد:

P. Macaire, *Majorque et le Maghrib au XVe siècle*, Doctorat de troisième cycle, sous la direction de Ch.-E. Dufourcq, Université Paris X, 1977, p. 208-232, 646-665.

جدول 42: وجهات المسلمين الذين غادروا جزيرة ميورقة

	هنين	هران	تنس	ششرشال	الجزائر	بجاية	القل	بونة	تونس	لمجموع
1420-9	2	2	1	1	3	4	1	2	12	28
1430-9	0	0	0	0	7	11	2	1	11	32
1440-9	0	9	1	0	11	17	1	0	9	48
1450-9	0	1	2	1	13	9	1	3	8	38
1460-9	0	0	0	0	4	4	2	0	1	11
1470-9	0	1	0	0	6	7	0	3	4	21
1480-9	0	4	1	0	26	9	0	0	2	42
1490-9	0	4	0	0	4	3	0	0	0	11
	2	21	5	2	74	64	7	9	47	231



الخريطة 18 : مراسي السفن المايورقية بالمغرب(1420-1500)

تؤكد هذه النتائج الاتجاهات الملحوظة فيما سبق في نهاية القرن الرابع عشر، لكن تبيّن أيضا بعض التعديلات. حافظ المغرب الأوسط على المكانة الهامة التي اكتسبها خلال القرن الرابع عشر الناجمة عن طاقاته التجارية وقربه من ميورقة. لكن الحركة التجارية تنزع إلى التركز في بعض الموانئ. فقدت مستغانم أهميتها وأيضا هنين وشرشال. بقيت تنس وجهة يتردد عليها حتى 1450 في حين بقيت وهران على مكانتها المتواضعة نسبيا. في المقابل، أصبحت الجزائر، التي لم تمثّل إلا 12،6 % من مجموع السفريات إلى المغرب الأوسط خلال الفترة السابقة، الميناء الرئيسي في الجهة. إن عودة السيادة الحفصية على المدينة لم يؤدي إذن إلى تراجع مكانتها في التجارة الميورقية. بالعكس، من الآن فصاعدا أصبح للجزائر أهمية تساوي بجاية، وأحيانا أعلى منها بقليل[340]. وطمست الموانئ المجاورة التي عرفت بعض التطور في القرن الرابع عشر (دلس الذي لم يظهر أبدا، وأيضا في الغرب شرشال وتنس بعد 1450).

جدول 43: تطور حصة بجاية والجزائر في التجارة الميورقية بالمغرب (1500-1385)

	بجاية		**الجزائر**	
	حصة إفريقية	حصة المغرب	حصة المغرب الأوسط	حصة المغرب
1385- 1419[341]	31,50%	9,80%	12,67%	7,70 %
1420- 1500[342]	51,2% / 50%	18,9% / 27,7%	58,3% / 71,2%	23,7% / 32%

(340) يبيّن جدول حركة ميناء ميورقة الذي وضعه أنوفري فاكر (Onofre Vaquer) حتى بالنسبة لسنوات 1450-1500، حصة هامة جدا للجزائر التي تتبدل بين الثلث والنصف. لكن لا يوضح ما هو مجموعه الوثائقي، مما يصعب إجراء المقارنة.

O. Vaquer Bennasar, *El Comerç marítim de Mallorca. 1448-1531*, Palma de Majorque, 2001, p. 217-252.

(341) حسابات من خلال سجلات التراخيص.

تعدّلت الوضعية وانبسطت في شرق بجاية، حيث حافظت تونس على مكانة أقل من مكانة بجاية ولم يتردد عليها الميورقيون تقريبا، حيث اعترضتهم منافسة التجار الأوروبيين الآخرين. انخفض عدد السفريات إلى تونس خصوصا بعد 1460. إن القل الذي كان قد استفاد بكثرة من أزمة بجاية في القرن الرابع عشر والتطور السياسي القسنطيني أصبح وجهة أقل أهمية، واختفى تقريبا كلية بعد 1450[343]. يمكن وضع معاينة مشابهة بالنسبة لبونة.

إذا ما قارنا الوضعية في نهاية القرن الرابع عشر، ازدادت إذن حصة بجاية في التجارة المغاربية مقارنة بموانئ إفريقية أو بمجمل موانئ المغرب، وهذه إشارة لازدهار استرجعته. إن اختيار المدينة كوجهة للمسلمين الذين هاجروا من إسبانيا هو بهذا الصدد يوحي بالحركية الجديدة وضرورة بناء حارة خارج الأسوار لهؤلاء اللاجئين الأندلسيين، وهذا يبيّن أن بجاية كانت مأهولة في نهاية القرن الخامس عشر. لكن في الوقت ذاته عرفت الجزائر تطورا مشابها في المغرب الأوسط ومنع هذا النمو دون شك بجاية من استرداد مكانة متفوقة كانت عليها قبل أزمة القرن الرابع عشر.

لا تأخذ هذه النتائج بعين الاعتبار إلا التجارة الميورقية، وهذا ليس مهيمنا كالقرن السابق. وتسمح وثائق البندقية بتوضيح آخر من وجهة نظر قوة شرقية أكثر.

---

(342) يتطابق الرقم الأول مع الرخص والثاني مع خروج المسلمين.

(343) لكن الميناء مذكور باستمرار في عقود ضمان الموثق الميورقي ميجال بوا (Miguel Boix) بالنسبة لسنوات 1451-1464.

O. Vaquer, « El comercio marítimo de Mallorca en el transito a la modernidad », *Società savonese di storia patria. Atti e memorie*, 32-33, 1996-1997, p. 227.

بداية من 1443، حدد مجلس الشيوخ بدقة محطات رسو مراكب بلاد البربر ومدتها[344]. إلى غاية نهاية القرن كانت تونس العنصر الأساسي في عدّة البندقية داخل إفريقيا الشمالية. مرّت وبقيت بها كل المواكب حسب الفترات بين عشرة وعشرين يوما. في عودتها، يرتقب رسوها في الغالب مدة ستة أيام في العاصمة الحفصية قبل الوصول إلى سرقسطة (صقلية) والبحر الأدرياتيكي[345]. وفي 1451 ارتقب في المزاد العلني متابعة المراكب سيرها من المغرب نحو مصر للحاق بموكب الإسكندرية[346]. لقد تمّ تأسيس هذا النظام بصفة رسمية مع خلق خط السير التجاري (Trafego)[347] سنوات بعد ذلك، جاعلا تونس في وضعية مفصلية كرّست مكانتها الريادية في تجارة البندقية[348]. في الطرف الآخر من المغرب، استخدمت وهران وهنين – اللذان يتكاملان في الغالب[349]– كموانئ

---

(344) تمّ تدوين هذه الاجراءات في سجلات مداولات مجلس الشيوخ ASV, *Senato, Mar,* (1440-1469) Rg. 1-8. بداية من 1470، تمّ جمع المداولات المتعقلة بالمواكب في سجلات خاصة ASV, *Senato, Incanti di galere*, Rg. 1-2 (1470-1496). هناك ثغرة بين 1497 و1526 تمنع من متابعة عمليات المزاد في نهاية الفترة. يتعلق الأمر هنا طبعا بمدة التوقفات أو الرسو التي ترقبها= =مجلس الشيوخ، التي لم تكن محترمة إلا نادرا من قبطان المراكب. B. Doumerc, « La crise structurelle de la marine vénitienne au XVe siècle : le problème du retard des *mude* », *Annales ESC*, 40/3, 1985, p. 605-623. لكن المدة تعطي إشارة عن الأهمية التي يوليها مجلس الشيوخ لكل مرحلة من هذه المراحل.

(345) ASV, *Senato, Mar*, 1, f. 159r-v (18/3/1443).

(346) ASV, *Senato, Mar*, 4, f. 31r-v (20/2/1451).

(347) Doumerc, *Venise et l'émirat hafside*, *op. cit.*, p. 79. ASV, *Senato, Mar*, 6, f. 206r-207r (8/12/1460).

(348) B. Doumerc, « La ville et la mer : Tunis au XVe siècle », *Actes du IVe congrès international d'histoire et de civilisation du Maghreb (avril 1986), CT*, 137-138, 1986, p. 111-130.

(349) أعطى مجلس الشيوخ غالبا لأرباب المراكب حرية التوقف في هنين أو البقاء لمدة طويلة في وهران. على سبيل المثال: ASV, *Senato, Incanti di galere*, Rg. 2, f. 25v-26v

متقدمة لتلمسان وهما منفذان لجهة منتجة للحبوب وبعض الطرق الصحراوية. تختلف مدة التوقف الشاملة في هذين الميناءين على غرار تونس ما بين خمسة عشر وعشرين يوما. بين هذين القطبين ذكرت الجزائر وبجاية لوحدهما فقط في سجلات المزاد العلني[350]. كانت مدة الرسو المرتقبة في بجاية في البداية طويلة (ستة أيام مقابل ثلاثة بالنسبة للجزائر). لكن بداية من 1452، تمّ تخفيض وقت التوقف إلى النصف (من ثلاثة إلى أربعة أيام حسب السنوات)، في حين أنه بداية من 1460 مرّ رسو الجزائر إلى خمسة أيام (أربعة أحيانا). أصبح الميناءان إذن بصفة عامة متساويين بالنسبة للبنادقة، وهذا ما تثبته المعاينة الموضوعة انطلاقا من المعطيات الميورقية. لكن تمّ اعلان مقاطعة في بعض السنوات، خصوصا بعد 1472 بعد حوادث في ديوان البحر، وهذا لم يمنع المراكب من التوقف في بجاية والتجار من ممارسة التجارة بها[351].

بداية من سنوات 1420، عادت بجاية لتصبح مكانا يتردد عليه التجار من كل موانئ البحر المتوسط الغربي الكبرى. واندمجت في مسالك ليس فقط شمال-جنوب، لكن أكثر فأكثر شرق-غرب، اللذان ربطاها بأسواق الشرق المتوسطي وأوروبا الأطلسية. واصل الميورقيون شغل مكانة ريادية بها، لكنهم لاقوا منافسة الجنويين والبنادقة وأيضا المرسيليين. توصلت بجاية إلى استعادة التجارة التي تحولت نحو القل وبونة في القرن الرابع عشر، لكنها لم تسترد مكانتها المحورية التي كانت تشغلها في القرن الثالث عشر. وجدت نفسها بالأحرى في وضعية زاوية ميتة

(28/2/1492) . كان الرسو لمدة عشرين يوما، لكن إذا ما توقفت المراكب في هنين أيضا فهي لمدة عشرة أيام فقط لكليهما.

(350) لم تذكر القل إلا في 1443 بخصوص رسو لمدة يومين. ASV, *Senato, Mar*, 1, f. 159r-v (18/3/1443)

(351) L. Greco, éd., *Quaderno di bordo di Giovanni Manzini : prete-notaio e cancelliere (1471-1484)*, Venise, 1997, p. 50-51.

مقارنة مع خطوط الملاحة المتعددة. في الشرق، أكّدت تونس مكانتها المفصلية بين حوضي البحر المتوسط وأصبحت محطة رسو ذات أهمية كبيرة للبحرية الإيطالية. في الغرب، جذبت تنس وهنين ووهران التجار البنادقة وأيضا تجار شبه الجزيرة الأيبيرية المهتمّين بالمغرب. لكن مدينة الجزائر هي التي أصبحت بالخصوص المنافسة الكبيرة لبجاية. رغم عودتها تحت السلطة الحفصية، كانت تجارتها في الغالب مساوية لتجارة بجاية.

*****

اجتمعت إذن تحولات وضعية المغرب (العسكرية والسياسية والديمغرافية) وتحولات التجارة المتوسطية، والتي تسمح بتفسير تطور نشاط ميناء بجاية. إلى غاية بداية القرن الرابع عشر، وجد التجار الأوروبيون -الذين كانوا يبحثون على أسواق جديدة ومواد أولية للصناعة النسيجية في أوج تطورها- في بجاية ظروف تعامل تجاري مزدهر ونشط. بداية من سنوات 1320، كانت الوضعية صعبة جدا في أوروبا التي مرّت بأزمة حادة. في الوقت ذاته أدت هجمات العبد الوادیین والمرينيين وضعف الحفصيين إلى اضطراب دائم في بجاية وجهتها، والتي دفعت التجار إلى التحول نحو موانئ مغاربية أخرى. لم يعط تثبيت السلطة القوة الحفصية من جديد في سنوات 1360 لبجاية فوريا ازدهارها القديم. إن سقوط مداخيل التجارة البحرية والضرائب دفع إلى تطور القرصنة التي بقيت حركية إلى غاية سنوات 1420. استفادت بجاية من التحول النسبي للمصالح التجارية الأوروبية نحو الحوض الغربي للبحر المتوسط والمحيط الأطلسي، والتي في الوقت ذاته حدّدت من جديد وضعيتها السياسية في المغرب. وأصبحت من جديد ميناءً تتردد عليه كل بحريات أوروبا المسيحية، حتى وإن وجب عليها الأخذ في الحسبان مزاحمة تونس في الشرق والجزائر في الغرب.

******

لا يمكن إذن فهم تطور نشاط ميناء بجاية إلا إذا أخذنا بعين الاعتبار السياقات المختلفة جدا. كان لهزات التاريخ العمراني المحلي آثارا محدودة نسبيا على المبادلات التجارية: ترجمت الاضطرابات والغصب تراجعا دائما لنشاط الميناء. هذا الأخير في المقابل كان أكثر حساسية اتجاه وضعية البلاد الخلفية: ترجم ضعف التحكم في القبائل الداخلية في القرن الرابع عشر وأيضا فقدان المدن والجهات المحيطة في فتور المبادلات. اختلت حركة السلع وربما أدت الجباية التي قامت بها القبائل إلى تقلص الفائض التجاري وزيادة في التكلفة. في الوقت ذاته، أدى تحرر بعض الموانئ من الوصاية السياسية البجائية إلى منافسة حادة: استفادت القل والجزائر بصفة كلية من هذه الوضعية الجديدة. لكن خصوصا الحروب الجهوية التي تركت آثارا أكبر على نشاط الميناء. أدت الحصارات العبد الوادية والسيطرة المرينية إلى أزمة في نشاط الميناء لمدة نصف قرن، وذلك بالتهديم الذي أدت إليه واضطرابات المسالك التجارية الناجمة عنها. لكن هذه التفسيرات لا تكفي. لم يترجم عودة النظام إلى السلطة بداية من حكم أبي العباس (1370-1394) استئناف التجارة.

يجب إذن الأخذ بعين الاعتبار سياقا أوسع. كميناء، كانت بجاية مرتبطة بوضعية متوسطية بمجملها. لكن هذه التبعية تشدّدت بتنظيم المبادلات الذي سار مفعوله منذ القرن الثالث عشر. بتركهم التحكم في التجارة البحرية الكبيرة، أصبح البجائيون أكثر حساسية للطلب الأوروبي. في مقابل القوة الجديدة للأوساط التجارية الأوروبية، بقيت بنى التجارة البجائية في الواقع متواضعة جدا، لغياب استثمارات مكثفة وتعبئة واسعة للمتعاملين المحليين. إن غياب سياسة حقيقية للتوسع التجاري لدى الحكم لم يسمح بإعطاء الأطر المؤسساتية القابلة للمنافسة الفعلية للمدن الكبرى في أوروبا الجنوبية. منذ ذلك الوقت، ارتبط نشاط ميناء بجاية أيضا بازدهار الضفة الشمالية للبحر المتوسط وأيضا بتطور الشبكات الملاحية

والتجارية للإيطاليين والأسبان والبروفانسيين. تعززت هذه التبعية بطبيعة الصادرات البجائية المرتكزة على منتجات تربية الحيوانات التي موّنت صناعات النسيج والجلود الأوروبية. منذ ذلك الوقت، كان للتقلص الاقتصادي بأوروبا في القرن الرابع عشر انعكاسات هامة على ازدهار بجاية، ترجمت بفتور المبادلات ثم بتطور القرصنة. عكسيا، سمح فقدان الأسواق في المشرق وتحول المحاور التجارية نحو المحيط الأطلسي في القرن الخامس عشر باستئناف نسبي للتجارة البجائية.

يدعو إذن الأخذ بعين الاعتبار هذا السياق المزدوج إلى تبني تحقيب زمني مختلف عن التحقيب الذي توصلنا إليه في أول الأمر، وتمديد الأزمة إلى غاية الثلث الأول من القرن الخامس عشر.

الخاتمة

في 05 جانفي وعلى رأس 4000 رجل، استولى بيدرو نافارو (Pedro) Navarro على بجاية لحساب التاج الإسباني[352]، ليبدأ احتلال لم ينته إلا بالفتح التركي في 1555[353]. بعد ذلك، لم تسترجع المدينة أبدا وضعيتها كعاصمة جهوية بل أصبحت مجرد قاعدة شتوية بسيطة للأسطول التركي بإيالة الجزائر.

إنها نهاية فترة طويلة كانت فيها بجاية أحد أكبر موانئ المغرب والبحر المتوسط الغربي. لقد أدى الفتح الإسباني إلى قطيعة عنيفة غيّرت جذريا مكانة الميناء في شبكات المبادلات، محدثة بذلك تراجعا دائما له.

---

(352) L.-Ch. Féraud, « Histoire des villes de la province de Constantine. Bougie », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 13, 1869, p. 85-407, rééd., *Histoire de Bougie*, avec une présentation de N. Abdelfettah Lalmi, Paris, 2001, p. 93-97 ; J. M. Doussinague, *La política internacional de Fernando el Católico*, Madrid, 1944, p. 214.

(353) C. F. Duro, « Perdida de la ciudad de Bugia, en Africa, año 1555, referida por un clérigo vizcaino, testigo de vista », *Boletín de la Real Academia de la Historia*, 29, 1896, p. 465-537.

إلى هنا، لم تكن بجاية أبدا هدفا لمحاولة استيلاء من طرف القوى المسيحية. بالعكس، ارتكزت مشاركتها في التجارة المتوسطية في قسم كبير منها على علاقات جيدة بصفة عامة مع المدن التجارية الكبرى في الشمال. في هذا المعنى، كان الاختلاف ملحوظا مع المشرق الإسلامي الذي شهد الحروب الصليبية وأكثر من ذلك سياسة عسكرية هجومية للمسيحية. لم تقْص هذه العلاقات –المؤطرة والمقننة بالمعاهدات– فترات التوترات، لكن كانت هذه الأزمات دائما مخففة بالمصالح الاقتصادية المتبادلة. إن هذه القطيعة السياسية التي أحدثها الغزو الإسباني أبرزت بعمق مكانة بجاية في البحر المتوسط. فقد توقفت المدينة عن أداء دور الوسيط بين الشبكات المغاربية والمتوسطية التي شكلت ثروتها في العصر الوسيط.

على المستوى المغاربي، برزت بجاية من القرن الحادي عشر إلى القرن الخامس عشر كمركز بل كقطب مهيكل لمنطقة واسعة حيث سيطرت عليها سياسيا وأيضا ساهمت في تنظيمها اقتصاديا. ويرجع دورها هذا إلى موقعها في المغرب البعيد نسبيا عن المراكز السياسية التقليدية في إفريقيا والمغرب الأقصى، وإلى منفذ جهة جبلية تتحكم فيها بشدة أو بالعكس حسب الفترات. وأخيرا، موقعها البحري ومزايا مينائها جعلا منها مكانا استراتيجيا في فترة انتقلت فيها مراكز الثقل السياسي والاقتصادي للجهة نحو الساحل. كونها عاصمة دولة زمن الحماديين، ثم مقرا لحاكم إقليمي له أهمية كبيرة عند الموحدين والحفصيين، حيث تمكنت من تركيز سكان كثر وطوّرت من الوظائف الحضرية العليا على مستوى جهوي، التي هي مرتبطة في قسم كبير منها بحضور الحكم بين أسوارها. إن وظائف التحكم هذه وكذا أهمية الحياة الثقافية والدينية المرفقة بالنشاطات الاقتصادية نجم عنه ازدهار جهوي امتد أولا إلى المقاطعة، ثم إلى شبكات ممتدة إلى غاية بلاد السودان البعيدة أي إلى ما بعد الصحراء. في هذا الفضاء، ظهرت بجاية في قمة

تراتبية المدن التي تتحكم فيها هي (أو التي تسعى الى التحكم فيها)، والتي استعملت كمناوبة لنفوذها في الداخل. وتترجم هذه الصورة بالتدفق الكبير للسلع بشكل نوعا ما حسب أنواع المنتجات، وأيضا بهجرة الأشخاص الذين جذبتهم الإمكانات المتاحة، خصوصا من ناحية فرص العمل أو الدراسة أو التجارة. في هذا الصدد، يبين الوصول الكثيف للاجئين الأندلسيين في نهاية القرن الخامس عشر محافظة بجاية عشية الفتح الإسباني على قوتها في الجاذبية . لكنها دخلت أيضا في منافسة مع مراكز قوى أخرى تمكنت من تقليص حيز نفوذها: ونعني بطبيعة الحال تونس طبعا التي ترسخت كعاصمة لإفريقية الحفصية بداية من 1230، وأيضا قسنطينة أو الجزائر في الغرب. وأخذ الحال "بعين الاعتبار" كذلك بداية من القرن الرابع عشر موانئ أخرى أقل أهمية ، لكنها تخندقت في مجالها الحيوي. ولم تبق على الأقل حتى نهاية القرن الخامس عشر كمركز وقطب ضغط لشبكات ممتدة نحو الداخل والساحل.

إذا ما وضعنا أنفسنا الآن على السلم المتوسطي، نلاحظ أن بجاية تحتل طبعا مكانة هامة، لكنها لم تعد تؤدي دورا بنّاء وقوة دافعة. إلى غاية القرن الثالث عشر، تقاسمت مع تونس وسبتة التجارة البحرية الكبيرة في الجهة. بعد ذلك، وجب عليها الالتفات إلى المنافسة المتنامية للموانئ الثانوية، خصوصا في المغرب الأوسط، مع الحفاظ على مكانة من الدرجة الأولى. لكنها لم تعد محرك هذه الحركات التجارية التي وجدت مصادرها خارج المغرب: في الأندلس أولا، ثم بسرعة في الموانئ الكبرى في جنوب أوروبا المسيحية، التي نظمت بداية من القرن الثاني عشر شبكات مبادلات في البحر المتوسط لصالحها. واندمجت بجاية إذن في

"اقتصاد عالمي" في طور التكوين[354]، وقد مدّ من تفرعاته بعيدا جدا في البحر المتوسط وإلى أبعد من ذلك.

هذا الإندماج وان كان مرغوبا فيه سيما من طرف الحكم الذي يجلب منه فوائد كبيرة، بقي غير مجد الى حد كبير . فلم تظهر أية سياسة فعلية للتوسع البحري أو التجاري. لم يبحث الحكام لا عن تسهيل ولا عن تشجيع نشرواستغلال نشاطات رعاياهم في البحر المتوسط، وبهذا بقيت استثمارات التجار البجائيين ضعيفة. واصطدم نقص هذه الديناميكية مع الشراسة التجارية لأوساط التجار اللاتينيين الأقوياء اقتصاديا وتجاريا، المعتمدين على أروبا الآخذة في التوسع القوي (خصوصا الديموغرافيا، وأيضا في كل قطاعات الاقتصاد)، والمرتكزين على رأسمالية فعّالة وكذا على الدول التي يسّرت نشاطاتها. إنهم الشركاء اللاتينيين الذين نظموا المبادلات بشكل تصاعدي مع بقية العالم الإسلامي. منذ ذلك الحين، وجدت أقطاب اندفاع هذا النشاط خارج المدينة، في موانئ الشمال الكبيرة مثل جنوة وبيزا أو ميورقة حيث نظموا شبكات المبادلات حسب منطقهم وتطابقا مع مصالحهم. وبهذا كانت بجاية قطبا ثانويا مدمجا بطريقة سلبية وخاضعة في شبكات لم تتحكم فيها. ووُضعت في علاقة مع فضاءات واسعة تعدت بقوة دار الإسلام، لكن بوساطة الفاعلين الأوروبيين.

ولهذا، لا يجب المبالغة في هذا الدور السلبي، إذلم تكن بجاية مرفأ استعماريا بسيطا، كما كان عليه حال بعض موانئ الشرق اللاتيني. إن قدرتها على جلب

---

(354) "إن اقتصاد-العالم هي قيمة من الفضاءات المفردة اقتصادية وغير اقتصادية، مجملة من طرفها، وتمثل مساحة كبيرة (مبدئيا، هي المنطقة المنسجمة الأكثر اتساعا في فترة ما وهي القسم المعطى من الكرة الأرضية، وتتجاوز في العادة حدود التجمعات الكثيفة الأخرى في التاريخ".

F. Braudel, *Civilisation matérielle, économie et capitalisme, XVe-XVIIIe siècle*, Paris, 1979, III, *Le temps du monde*, p. 14. Voir également J. L. Abu-Lughod, *Before European Hegemony. The World System AD 1250-1350* , Oxford, 1989.

التجار، ووظيفتها كنقطة التقاء -كما قال الجغرافيون- بين البحر المتوسط وبلادها الخلفية، هي نتاج إرادة سياسية وحضور الفاعلين الاقتصاديين الذين من شأنهم العمل كشركاء تجاريين بأكمل وجه. في هذا المعنى، إننا جد بعيدين عن صورة الركود الهيكلي أراد البعض إقراره في المنطقة بداية من القرن الحادي عشر. بل بالعكس، إذا ما كانت بجاية مقصودة من التجار اللاتين، فلأنها توفر لهم إمكانيات الغنى المستمر. واعتمدت هذه الجاذبية على أهمية سوقها الاستهلاكي، وعلى ازدهار سكانها وقدرتها على تأدية وظيفة إعادة توزيع نحو الجهات الداخلية التي استطاعت التحكم فيها وتنظيمها. إن مجيء التجار الأجانب يفترض أيضا استقبالا جيدا للميناء ولإدارته وللأوساط التجارية المحلية، وأيضا لظروف الحياة والتجارة التي ضمنها الحكم. كل هذا يرسم صورة – حتى وإن كانت غالبا جوفاء- لمدينة مزدهرة، نشطة وديناميكية، رغم الأزمات التي كثيرا ما كانت عميقة لكن استطاعت تجاوزها.

وبالرغم من ذلك فإن هذا الازدهار ارتبط بقدرة بجاية على ضمان الوصل بين شبكتين مشكلتين مختلفتين بشكل حساس. ففي الداخل، وجب عليها التوصل إلى التحكم في تسيير السلع والرجال في منطقة تخوم تخضع لقوى الأطراف القبلية والمناطق البعيدة، وأيضا ضغوطات القوى الجهوية، خصوصا في الغرب. وبذلك، فإن إشعاعها يمكن تحديده بعدم تنظيم الجهات الداخلية أو بمنافسة موانئ أخرى في الجهة، التي تطورت في القرن الرابع عشر. ففي البحر المتوسط، اندمجت بجاية في الشبكات التجارية التي لم تتحكم فيها، وهذا ما مرّ عن طريق التأقلم مع الطلب الأوروبي، خصوصا على الصوف والجلود. وهذا يترجمه خاصة طريق التبعية الزائدة وحساسية أكبر اتجاه حركة الظروف في أوروبا وتغييرات الطرق التجارية في البحر المتوسط، وهذا ما يفسر الأزمة التي اجتاحت

المدينة في القرن الرابع عشر، وهي أزمة ظرفية قبل أن تكون أزمة مركبة،[355] كما يوضحه بعد ذلك الاستئناف في القرن الخامس عشر.

بجاية هي بحق أنموذج للموانئ المسلمة من القرن الثاني عشر إلى القرن الخامس عشر، فهي نتيجة الاستثمار القوي للحكم في المناطق الساحلية، سيما في مدن الموانئ، لكن دون الارتماء الحقيقي في البحر وفي ما وراء البحر، ودون تشجيع الملاحة التجارية. هنا يجب البحث في أصل "نيل" الضفة الجنوبية للبحر المتوسط التي شاركت في التوسع العام للجهة وبذلك حافظت على ازدهارها الفعلي، مع عجزها عن التحول إلى مركز نشاط قوي ومهم. بجاية هي إذن نتاج هذا الظرف الجديد الذي عرف اندماج الفضاءات التي تجاهلتها من قبل بشكل كبير. إن انتقال البحر المتوسط من سيطرة إسلامية بشكل شبه كلي إلى فضاء منظم من الدول والتجار المسيحيين، أدى إلى تحول الحدود نحو الجنوب على الساحل الإفريقي. وشكلت الموانئ نقاط اتصال وارتكاز جوهرية بين الشبكات التي طوّرت منطقها الخاص بها: من جهة بحر متوسط نظمته المراكز المسيحية الكبرى ومن جهة أخرى فضاء إسلامي مندمج بقوة في هذا البحر المتوسط، حيث أن مناطقه الداخلية مبنية انطلاقا من الموانئ المسلمة.

وجدت بجاية المغاربية والمتوسطية في الوقت ذاته قبل كل شيء بفضل قدرتها على الاندماج في هذين النوعين من الشبكات وتمكنت من شغل مكانة من الدرجة الأولى بتركيزها لتدفق السلع وهجرة الأشخاص، وهذا ما جعلها بين القرن الحادي عشر والقرن الخامس عشر واحدة من المدن الرئيسية في الجهة. لكن القطيعة في هذه الصورة هي التي أدت إلى اختفائها لمدة طويلة من المشهد المتوسطي والمغاربي بعد 1510.

---

(355) في هذا المعنى، هذه الأزمة في قسم كبير منها نتيجة أزمة الاقتصاد العالمي في منتصف القرن الرابع عشر، التي مسّت الفضاء المتوسطي برمته. أنظر:

Abu-Lughod, *Before European Hegemony*, *op. cit.*, p. 125-129.

الملاحق

1ـ الملوك المغاربة (ق 9ـ15م)

الزيريون (ق 11ـ12م)

باديس بن المنصور: 386/ 996-406-1016.

المعز بن باديس: 406/ 1016-554/ 1062.

تميم بن المعز: 454/ 1062-501/ 1108.

يحيى بن تميم: 501/ 1108-509/ 1116.

علي بن يحيى: 509/ 1116-515/ 1121.

الحسن بن علي: 515/ 1121-543/ 1148.

الحماديون

حماد بن بلكين بن زيري: 398/ 1004-419/ 1028.

القائد بن حماد: 419/ 1028-446/ 1054.

محسن بن القائد: 446/ 1054-447/ 1055

بلكين بن محمد بن حماد بن بلكين: 447/ 1055-454/ 1062.

الناصر بن علناس بن حماد بن بلكين: 454/ 1062-481/ 1088.

المنصور بن الناصر: 481/ 1088-498/ 1105.

باديس بن المنصور: 498/ 1105.

العزيز بن المنصور: 498/ 1105-515/ 1121 أو 518/ 1124.

يحيى بن العزيز: 515/ 1121 أو 518/ 1124-547/ 1152.

الموحدون

عبد المؤمن 524/ 1130-558/ 1163.

يوسف الأول أبو يعقوب: 558/ 1163-580/ 1184.

يعقوب المنصور: 580/ 1184-595/ 1199.

محمد الناصر: 595/ 1199-610/ 1213.

يوسف الثاني المستنصر: 610/ 1213-620/ 1224.

عبد الواحد المخلوع: 620/ 1224.

عبد الله العادل: 621/ 1224-624/ 1227.

يحيى المعتصم: 624/ 1227-633/ 1236.

إدريس أبو عبد العلاء المأمون: 624/ 1227-630/ 1232.

عبد الواحد الرشيد: 630/ 1232-640/ 1242.

علي أبو الحسن سعيد: 640/ 1242-646/ 1248.

عمر المرتضى: 646/ 1248-665/ 1266.

الحفصيون

عبد الواحد بن أبي حفص عمر: 603/ 1207-618/ 1221: عامل إفريقية.

أبو محمد عبد الله: 623/ 1226-625/ 1228: عامل إفريقية.

أبو زكرياء يحيى الأول: 625/ 1228-647/ 1249: أول سلطان

أبو عبد الله محمد الأول المستنصر: 647/ 1249-675/ 1277.

أبو زكرياء يحيى الثاني الواثق: 675/ 1277-678/ 1279.

أبو اسحاق ابراهيم الأول: 678/ 1279-681/ 1283.

أبو فارس: 681/ 1283.

اغتصاب ابن أبي عمارة: 681/ 1283-683/ 1284.

أبو حفص عمر الأول: 683/ 1284-694/ 1295.

أبو عبد الله محمد الثاني أبو عصيدة: 694/ 1295-709/ 1309.

أبو يحيى أبو بكر الأول الشاهد: 709/ 1309.

أبو البقاء خالد الأول: 709/ 1309-711/ 1311.

أبو يحيى زكرياء الأول ابن للحياني: 711/ 1311-717/ 1317.

أبو عبد الله محمد الثالث أبو ضريبة: 717/ 1317-718/ 1318.

أبو يحيى أبو بكر الثاني: 718/ 1318-747/ 1346.

أبو حفص عمر الثاني: 747/ 1346.

أبو العباس أحمد الأول الفضل: 747/ 1346 ثم في 751/ 1350.

أبو إسحاق إبراهيم الثاني: 751/ 1350-770/ 1369.

أبو البقاء خالد الثاني: 770/ 1369-772/ 1370.

أبو العباس أحمد الثاني: 772/ 1370-796/ 1394.

أبو فارس عبد العزيز: 796/ 1394-837/ 1434.

أبو عبد الله محمد الرابع المستنصر: 837/ 1434-839/ 1435.

أبو عمر عثمان: 839/ 1435-893/ 1488.

أبو زكرياء يحيى الثالث: 893/ 1488-894/ 1489.

عبد المؤمن: 894/ 1489-895/ 1490.

أبو زكرياء يحيى الثاني: 895/ 1490-899/ 1494.

أبو عبد الله محمد الخامس: 899/ 1494-932/ 1526.

الملوك المستقلون في بجاية

أبو زكرياء يحيى ابن أبي اسحاق ابراهيم الأول وابن أخ أبي حفص عمر: 684/ 1285-700/ 1301.

أبو البقاء خالد: 700/ 1301 (ابن السابق الذكر)، سلطان تونس في 709/ 1309.

أبو يحيى أبو بكر: 712/ 1312 (أخ السابق الذكر، تمرّد)، سلطان تونس في 718/ 1318.

أبو عبد الله محمد (765/ 1364-767/ 1366) (عين عامل في 1346).

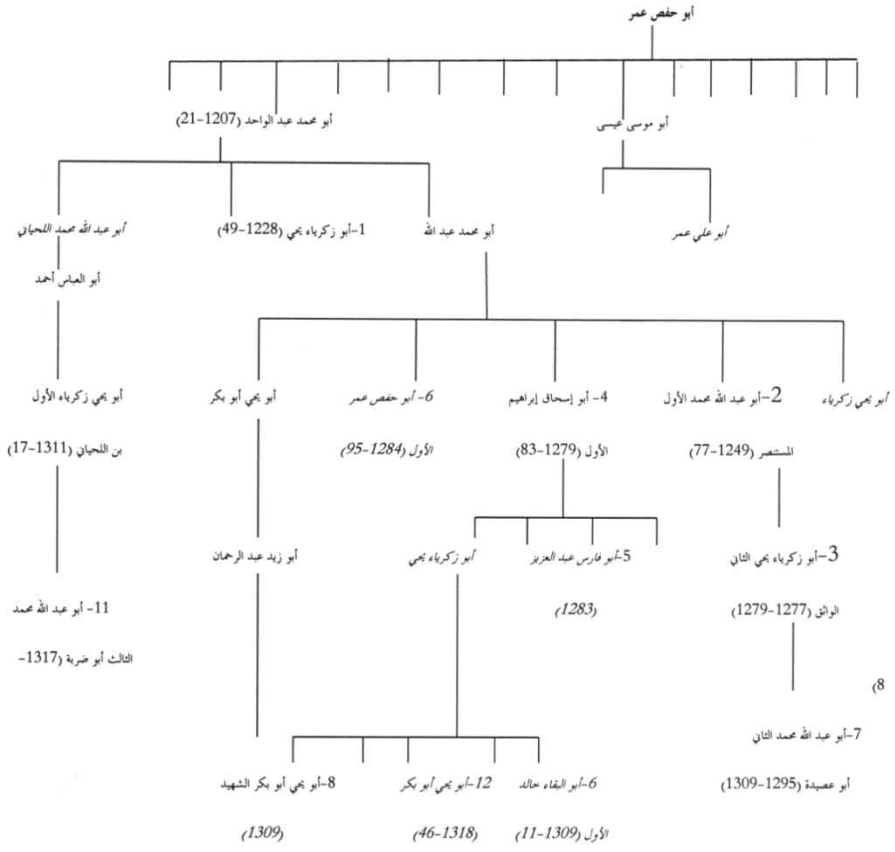
أبو العباس (ابن عم السابق الذكر، عامل ثم أمير قسنطينة، استولى على بجاية في 767/ 1366 وتونس في 772/ 1370).

2ـ شجرة نسب الحفصيين

ملاحق

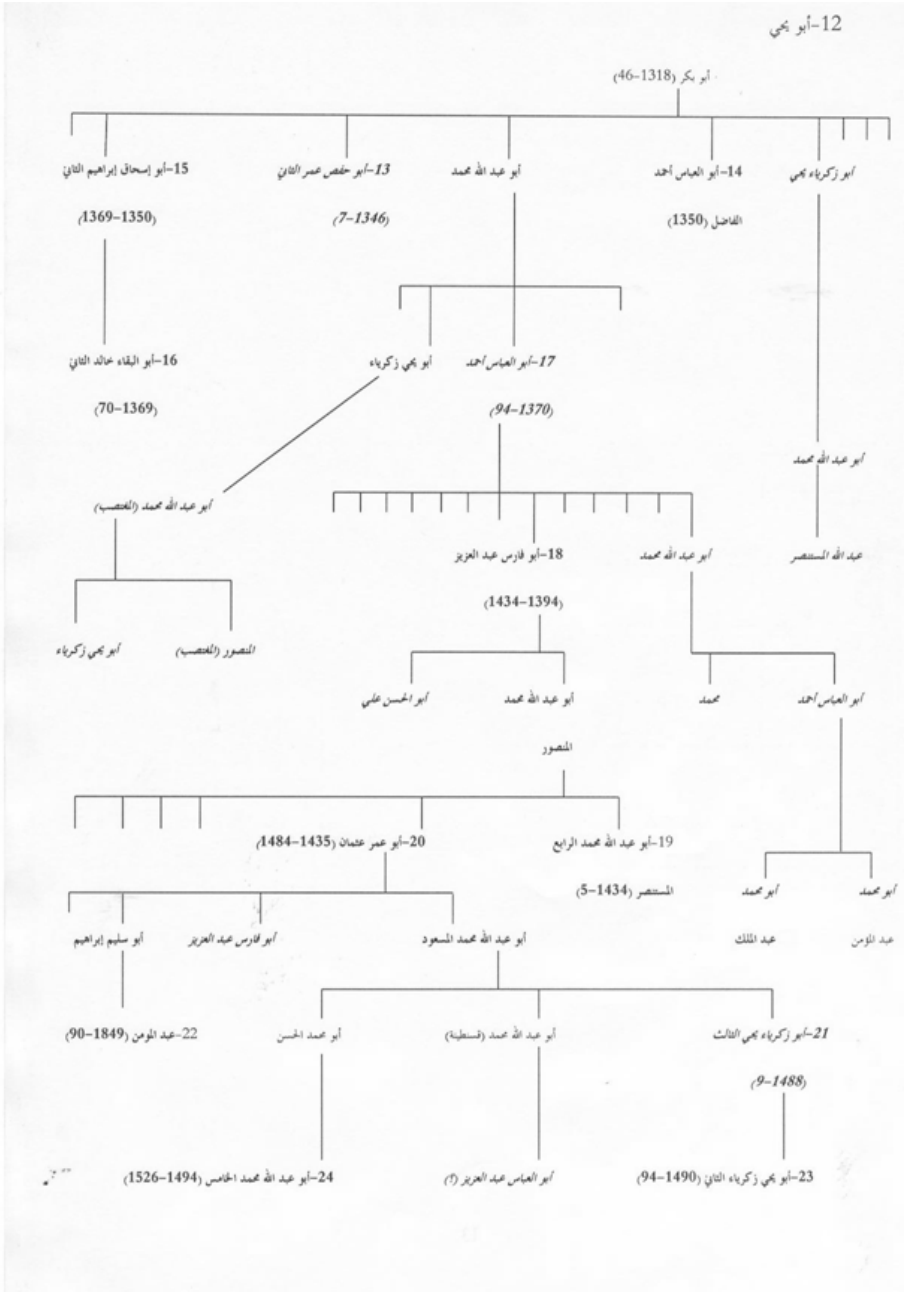
2- شجرة النسب للحفصيين[1]

الترقيم: حكم سلاطين تونس، الخط المائل: أمراء بجاية



(يتبع)

1/ من خلال روبار برنشفيك، بلاد البربر


12-أبو يحي
أبو بكر (1318-46)
أبو زكرياء يحي
14-أبو العباس أحمد
الفاضل (1350)
أبو عبد الله محمد
13-أبو حفص عمر الثاني
(1346-7)
15-أبو إسحاق إبراهيم الثاني
(1350-1369)
16-أبو البقاء خالد الثاني
(1369-70)
أبو عبد الله محمد (المنتصب)
أبو يحي زكرياء
المنصور (المنتصب)
17-أبو العباس أحمد
(1370-94)
أبو يحي زكرياء
18-أبو فارس عبد العزيز
(1394-1434)
أبو عبد الله محمد
أبو الحسن علي
أبو عبد الله محمد
المنصور
19-أبو عبد الله محمد الرابع
المستنصر (1434-5)
20-أبو عمر عثمان (1435-1484)
أبو فارس عبد العزيز
أبو سليم إبراهيم
أبو عبد الله محمد المسعود
22-عبد المومن (1849-90)
أبو محمد الحسن
24-أبو عبد الله محمد الخامس (1494-1526)
أبو عبد الله محمد (قسنطينة)
أبو العباس عبد العزيز (؟)
21-أبو زكرياء يحي الثالث
(1488-9)
23-أبو يحي زكرياء الثاني (1490-94)
أبو عبد الله محمد
عبد الله المستنصر
أبو العباس أحمد
محمد
أبو محمد
عبد الملك
أبو محمد
عبد المومن

3ـ مراجع معاهدات ومشاريع معاهدات السلم والتجارة

1161: **جنوة ـ الموحدون**

Annali genevesi di Caffaro e de'suoi continuatori dal MXCIX al MCCXCIII, I, éd/ L. T. Belgrano, Rome, 1890, p. 62, trad. M. Montesano, *Gli Annali di Caffaro (1099-1163)*, Gênes, 2002. p. 124 ; L. de Mas-Latrie, *Traités de paix et de commerce er documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen- Âge*, Paris, 1866, p. 108.

1166: **بيزا ـ الموحدون**

Bernardo Marangone, *Annales Pisani*, éd. M. Lupo Gentile, Bologne, 1936-1944 (*Rerum Italicarum Scriptores*, VI, parte 2, p. 40 ; Mas-Latrie, *Traités*, p. 22.

1181: **صقلية ـ الموحدون**

Breve Chronicon [Chronique anonyme du Mont Cassin], Milan, 1724 (*Revum italicarum sciptores*, 5), p. 70 ; Mas-Latrie, Traités, p. 152.

1186/11/5: **بيزا ـ الموحدون**

Texte arabe et trad. italienne M. Amari, *Diplomi arabi del R. Archivio fiorentino*, Florence, 1863, partie arabe, n° 5, p. 17-22 ; trad. reprise dans Mas-Latrie, *Traités*, p. 28-30.

1191: **جنوة – الموحدون**

Annali genovesi…, II, éd. L. T. Belgrano, C. Imperiale di Sant'Angelo, Rome, 1901, p. 41.

1221/8/5: **صقلية – الموحدون**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 153-155 [1]

---

[1] صحّح ر. برونشفيك تاريخ 1231 الذي أعطاه لوي دو ماس–لاتري (Louis de Mas-Latrie).

R. Brunschvig, « Note sur un traité conclu entre Tunis et l'empereur Frédéric II », *RT*, n. s., 9, 1932, p. 153-160.

أمضاها أبي اسحاق بن أبي ابراهيم باسم الخليفة الموحدي.

1223: **جنوة – تونس**

Annali genovesi…, II, p. 192.

1231/10/5: **البندقية- تونس**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 196-199.

1234/8: **بيزا – تونس**

Amari, *Diplomi*, partie latine, n° 28, p. 292-294 ; Mas-Latrie, *Traités*, p. 31-35.

1236/6/10: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 116-117.

1250/10/18: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 118-121.

1251/4/1: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 199-202.

1264/8/9: **بيزا – تونس**

Amari, *Diplomi*, partie latine, n° 29, p. 295-302 ; Mas-Latrie, *Traités*, p. 43-47.

1270/10/30: **ملك فرنسا وملك أ ٔ و وملك صقلية وملك نافارا – تونس**

A. – I. Sylestre de Sacy, « Mémoire sur le traité fait entre le roi de Tunis et Philippe le Hardi en 1270 », *Histoire et mémoires de l'Institut royal de France. Académie des inscriptions et Belles-Lettres*, 9, Paris, 1831, texte arabe p. 467-471, trad. p. 463-467, trad. reprise dans Mas-Latrie, *Traités*, p. 93-96.

1271/2/14: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 280-284 ; trad. dans A. Berne, Consuls sur mer et d'outre-mer de Montpellier au Moyen Âge XIIIe-XIVe siècle, Carcassonne, 1904, p. 175 s.

جوان 1271: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 203-206.

1272/11/6: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 122-125.

1278/6/13: **ميورقة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 187-188.

1285/6/2: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

A. de Capmany y Montpalau, éd. Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragón y diferentes príncipes infieles de Asia y Africa, desde el siglo xiii hasta el xv, Madrid, 1786, rééd. anast. Valence, 1974, p. 39-52 ; Mas-Latrie, Traités, p. 286-290.

1287/7/30: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

G. La Mantia, Codice diplomatico dei re aragonesi di Sicilia (1282-1355), I, Palerme, 1918 (Documenti per servire alla storia di Sicilia, Ia serie, Diplomatica, 23), n° 377-383.

1301/11/21: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

M. Alarcón y Santón, R. García de Linares, éd. Los documentos árabes diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón, Madrid-Grenade, 1940, n° 116, p. 247-253 (texte arabe et trad. contemporaine) ; A. Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón y los estados del Norte de Africa, Barcelone, 1951, n° 114, p. 392-394 (trad. contemporaine).

1305/8/3: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 211-216.

1308/8/21: **لاكورونيا أراجونة – تونس (تثبيت السلم)**

Mas-Latrie, Traités, p. 296 (avec la date du 20/8/1308) ; M. Alarcón y Santón, R. García de Linares, éd. Los documentos árabes, n° 124, p. 277-278; Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón, n° 122, p. 403.

1309/5/8: **لاكورونيا أراجونة – بجاية**

Mas-Latrie, Traités, p. 301-303 ; Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón, n° 124, p. 404-406.

1312/11/23: **ميورقة – بجاية**

E. de K. Aguiló, éd., « Tractat de pau entre el Rey de Mallorca Don Sanxo y el de Bugia Boyhahia Abubechre, firmat a Mallorca pels seus representants Gregori Sallambé de una part y Mahomat Abdellá Ben Acet de l'altra, dia 23 de novembre de 1312 », *BSAL*, 15, 1915, p. 217-226.

1313/1/27: **ميورقة – تونس**

Mas-Latrie, *Traités*, p. 188-192 ; trad. Berne, *Consuls sur mer*, p. 175 s.

1313/9/14: **بيزا – تونس**

Amari, *Diplomi*, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 29, p. 86-97 ; trad. reprise dans Mas-Latrie, *Traités*, p. 49-54.

1314/1/7: **لاكورونيا أراجونة – بجاية**

Mas-Latrie, Traités, p. 304-306 ; Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón, n° 133, p. 418-420.

1314/2/21: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 306-310 ; Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón, n° 128, p. 411-414.

1317/5/12: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 216-222.

1323/5/1: **لاكورونيا أراجونة – تونس (مشروع معاهدة، لم يصادق عليها في النهاية، أرسل إلى ملك تونس وبجاية)**

Mas-Latrie, Traités, p. 319-324 ; Masia de Ros, éd., La Corona de Aragón, n° 128, p. 437-442.

1329/7/15: **ميورقة – تونس**

J. Vich i Salom, J. Muntaner y Bujosa, éd., Documenta regni Majoricarum. Colección de documentos inéditos para la historia del antiguo reino de Mallorca (1229 a 1349), Palma de Majorque, 1945, n° 129, p. 143-144.

1336/12/16: **لاكورونيا أراجونة – تونس (لم يصادق عليها)**

R. Brunschvig, éd., « Documents inédits sur les relations entre la couronne d'Aragon et la Berbérie orientale au xive siècle », AIEO, 2, 1936, p. 247-250.

1343: **جنوة – تونس**

G. Petti Balbi, « Il trattato del 1343 tra Genova e Tunisi », *Saggi e documenti*, I, Gênes, 1978, p. 297-322, rééd. *Una città e il suo mare. Genova nel Medioevo*, Bologne, 1991, p. 214-222.

بيزا – تونس: 1353/5/16

Amari, Diplomi, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 30, p. 98-111 ; trad. contemp. partie latine, n° 30, p. 303-308 ; trad. it. et contemp. trad. reprises dans Mas-Latrie, Traités, p. 55-56.

بيزا – أبو عنان: 1358/4/9

Amari, Diplomi, partie latine, n° 31, p. 309-312 ; Mas-Latrie, Traités, p. 66-69.

لاكورونيا أراجونة – تونس: 1360/1/15

Texte arabe et trad. esp. Alarcón y Santón, García de Linares, Los documentos árabes, n° 140bis, p. 311-320; texte latin Isidoro de Las Cagigas, « Un traité de paix entre le roi Pierre IV d'Aragon et le sultan Abu Ishaq II (1360) », Hespéris, 19, 1934, p. 65-67.

جنوة – تونس: 1383/8/18

Cité dans le texte du traité de 1391, qui le renouvelle.

جنوة – تونس: 1391/10/17

Mas-Latrie, Traités, p. 130-132.

البندقية – تونس: 1392/7/4

Mas-Latrie, Traités, p. 232-237.

بيزا – تونس: 1397/12/14

Amari, Diplomi, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 34, p. 123-136 ; trad. contemp. partie latine, n° 35, p. 319-325 ; trad. it. et contemp. trad. reprises dans Mas-Latrie, Traités, p. 70-87.

لاكورونيا أراجونة – تونس: 1403/9/6

E. de K. Aguiló,, « Pau feta entre els reys de Aragó y de Sicilia de una part y el rey de Tunis de l'altre (1403) », BSAL, 9, 1902, p. 350-355.

سبتمبر 1414: **بيزا – تونس (لم يصادق عليها؟)**

Amari, *Diplomi*, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 35, p. 137-150.

فلورنسا – تونس: 1421/10/5

Amari, Diplomi, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 36, p. 151-164 ; trad. contemp. partie latine, n° 36, p. 326-330 ; trad. it. et contemp. trad. reprises dans Mas-Latrie, Traités, p. 344-354.

1427: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 244-249.

1433/10/19: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 134-142.

1438/5/30: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 250-254.

1445/4/23: **فلورنسا – تونس**

Amari, Diplomi, texte arabe et trad. it., partie arabe, n° 38, p. 169-180 ; trad. trad. it reprise dans Mas-Latrie, Traités, p. 355-360.

1444/2/12: **لاكورونيا أراجونة – تونس (مقترحات سلم)**

Fr. Cerone, « Alfonso il Magnanimo ed Abu ‘Omar Othmân, Trattative e negoziati tra il Regno di Sicilia di qua e di là dal Faro ed il Regno di Tunisi (1432-1457) », Archivio storico per la Sicilia Orientale, 9, 1912, p. 45-70 ; 10, 1913, p. 25-33.

1445/12/29: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 142-144.

1456/10/9: **البندقية – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p. 255-256.

1465/3/15: **جنوة – تونس**

Mas-Latrie, Traités, p.151.

1477: **لاكورونيا أراجونة – تونس**

Texte arabe et trad. J. Ribera, « Tratado de paz ó tregua entre Fernando I el Bastardo, rey de Nápoles, y Abuámer Otmán, rey de Túnez », *Centenario della Nascita di Michele Amari*, II, Palerme, 1910, p. 373-386.

المختصرات

AEM : Anuario de Estudios Medievales

AIEO : Annales de l’Institut d’Études Orientales

ASLSP : Atti della Società Ligure di Storia Patria

BEC : Bibliothèque de l'École des Chartes

BSAL : Boletín de la Sociedad Arqueológica Luliana (1885-1904, 1938-1977), *Bolletí de la Societat Arqueológica Luliana* (1905-1937, et depuis 1978).

BSP : Bollettino storico pisano

CCM : Cahiers de Civilisation Médiévale

CT: Cahiers de Tunisie

EI^2 : Encyclopédie de l'Islam, 2e édition

JESHO : Journal of the Economic and Social History of the Orient

RA: Revue africaine

REMMM: Revue des Mondes Musulmans et de la Méditerranée

RH : Revue Historique

RHCM : Revue d'Histoire et de Civilisation du Maghreb

ROMM : Revue de l'Occident Musulman et de la Méditerranée

RSI : Rivista storica italiana

RT : Revue tunisienne

a. : année

d. : deniers

f. : folio

fr. : *frammento*

l. : livre

min. : minutier

not. : notaire

p. : page

Rg. : registre

s. : sous

t. : tome

trad. : traduction

vol. : volume

ACA : Archivo de la Corona de Aragón

C. : *Cancillería*

CRD : Cartas Reales Diplomaticas

RP : Real Patrimonio

MR : Maestro racional

ADBR : Archives départementales des Bouches-du-Rhône

AHCB : Archivo Histórico de la Ciudad de Barcelona

AHCB : Archivo Histórico de Protocolos de Barcelona

AM : Archives Municipales de Marseille

AMV : Archivo Municipal de Valencia

LLM : *Llettres missives*

mc : *Manuels de Consells*

ARM : Archivo del Reino de Mallorca

RP : *Real Patrimonio*

LLC : *Llettres Comunes*

AH : *Arxiu Históric*

P : *Protocolos*

ARV : Archivo del Reino de Valencia

C : *Reial Cancelleria*

MR : *Maestre Racional*

P : *Protocolos notariales*

ASG : Archivo di Stato di Geneva

AS: *Archivio segreto*

not. ign. : *Notai ignoti*

ASP: Archivio di Stato di Pisa

ASV: Archivio di Stato di Venezia

BNF: Bibliothèque Nationale de France

المصادر والببليوغرافيا"المراجع"

أ- المصادر العربية

1. الجغرافيون

- البكري، كتاب المسالك والممالك، تحقيق أدريان فان لوون وأندري فيري، تونس 1992، ترجمة:

W. Mac Guckin De Slane, *Description de l'Afrique septentrionale*, Alger, 1913

- الحميري، كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، بيروت، 1980.

- ابن حوقل، كتاب صورة الأرض، تحقيق وترجمة:

Gaston Wiet et Jonanes Hendrik Ktamers, *La configuration de la terre*, Paris, 1964.

- ابن سعيد المغربي، كتاب الجغرافية، تحقيق اسماعيل العربي، بيروت، 1970، ط 2، الجزائر، 1982.

- الإدريسي، كتاب نزهة المشتاق، تحقيق وترجمة القسم الخاص بالمغرب محمد حاج صادق، المغرب في القرن 12م/ 6 هـ، الجزائر، 1983. ترجمة القسم الخاص بالغرب (منه أوروبا):

Le chevalier Robert, revue par Annliese Nef, *La première géographie de l'Occident*, Paris, 1999.

- الاصطخري، كتاب المسالك والممالك، ترجمة القسم الخاص بالمغرب:

André Miquel, « La description du Maghreb dans la géographie d'al-Içt'akhri », *ROMM*, 15-16, 1973, p. 231-239.

- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار، تحقيق سعد زغلول، الأسكندرية، 1958، ط 2، الدار البيضاء، 1985، ترجمة:

Edmond Fagnon, « L'Afrique septentrionale au XIIe siècle de notre ère. Description extraite du *Kitâb al-istibçar* », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologiques de Constantine*, 1899.

- العمري (ابن فضل الله)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، نشر حسن حسني عبد الوهاب، تونس، د ت ، ط 2، الكراسات التونسية، 81-82، 1973، ترجمة:

Maurice Gaudefroy-Demombynes, *Masālik al-abṣār fī mamālik al-amṣār*, I- *l'Afrique moins l'Égypte*, Paris, 1927.

- ياقوت الحموي، معجم البلدان، تحقيق:

Wüstenfeld, Leipzig, 1866-1867.

- الزهري، كتاب الجعرافية، تحقيق محمد حاج صادق

Mappemonde du calife al-Ma'mūn reproduite par Fazārī (IIIe/IXe siècle), rééditée et commentée par Zuhrī (VIe/XIIe siècle), éd. Muhammad Hadj Sadok, *Bulletin d'Études Orientales*, 21, 1968, p. 7-312.

2.الرحلات

- عبد الباسط بن خليل، الروض الباسم في حوادث العمر والتراجم، ترجمة:

Robert Brunschvig, *Deux récits de voyages inédits en Afrique du Nord au XVe siècle, 'Abd al-Bāsit b. Ḥalīl et Adorne*, Paris, 1936, rééd. 2001.

- العبدري، الرحلة المغربية، ترجمة:

Auguste Cherbonneau, « Notice et extrait du voyage d'el-Abdery », *Journal asiatique*, 1854, 5e série, IV, p. 144-176, repris dans *Revue de Géographie* (Paris), 4e année, 7, 1880, p. 50-61.

- البلوي، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق حسن السائح، د. ت. ن.

- ابن بطوطة، تحفة النظار، ترجمة:

Paule Charles-Dominique, « Voyages et périples (*Rihla*). Présent à ceux qui aiment à réfléchir sur les curiosités des villes et les merveilles des voyages », *Voyageurs arabes*, Paris, 1995

- ابن جبير، رحلة، ترجمة:

Paule Charles-Dominique, « Relation des péripéties qui surviennent pendant les voyages (*Rihla*) », *Voyageurs arabes*, Paris, 1995.

- التجاني، رحلة، نشر، تونس، 1958 (مع كشاف وتقديم من حسن حسني عبد الوهاب)، إعادة نشر، تونس، 1981، ترجمة:

Alphonse Rousseau, « Voyage du scheikh Et-Tidjani dans la régence de Tunis pendant les années 706, 707 et 708 de l'hégire (1306-

1309) », *Journal Asiatique*, 4e s., 20, 1852, p. 57-208 ; 5e s., 1, 1853, p. 102-168, 354-425 [et à part, Paris, 1853].

3ـ كتب الأخبار "التاريخ"

- البيذق، كتاب أخبار المهدي بن تومرت، نشر وترجمة:

Évariste Lévi-Provençal, *Documents inédits d'histoire almohade*, Paris, 1928

- البربر: أنظر ابن خلدون

- الفارسية: أنظر ابن قنفذ

- العبر: أنظر ابن خلدون

- ابن الأبار، كتاب الحلة السيراء، تحقيق حسين مؤنس، القاهرة، 1963، جزءان.

- ابن أبي زرع، كتاب الأنيس المطرب بروض القرطاس، نشرة الرباط، 1972،

ترجمة:

Auguste Beaumier, *Rawd al-K'irtās. Histoire des souverains du Maghreb et annales de la ville de Fès*, Paris, 1860, rééd. Rabat, 1999.

- ابن الأثير، كتاب الكامل في التاريخ، نشرة الجزائر، 1967، ترجمة جزئية:

Edmond Fagnan, *Annales du Maghreb et de l'Espagne*, Alger, 1901.

- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، القسم الموحدي، تحقيق محمد ابراهيم الكتاني، محمد زنيبر، محمد بن تاويت وعبد القادر زمامة، بيروت، 1985، ترجمه إلى الفرنسية:

Edmond Fagnan, *Histoire de l'Afrique et de l'Espagne*, Alger, 1901-1904, 2 vol. ; trad. esp. Ambrosio Huici Miranda, *al-Bayan al-Mugrib, Nuevos fragmentos amoravides y almohades*, Valence, 1963.

- ابن خلدون (عبد الرحمن)، كتاب العبر، نشرة بيروت، 1959، 7 أجزاء، (اختصار العبر)، ترجمة القسم الخاص بالمغرب:

W. Mac Guckin De Slane, *Histoire des Berbères*, Alger, 1852-1856, 4 vol., nouv. éd. revue de P. Casanova, Paris 1956 (البربر اختصارا)

- ابن خلدون، المقدمة، ترجمة:

Vincent Monteil, *Discours sur l'histoire universelle*, Paris, 1967-1968, 3 vol.

- ابن خلدون، رحلة ابن خلدون غربا وشرقا، ترجمة عبد السلام الشدادي:

Abdesselam Cheddadi, *Voyage d'Occident et d'Orient*, Paris, 1980.

- ابن الخطيب (لسان الدين)، كتاب أعمال الأعلام، تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد ابراهيم الكتاني، تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط، الدار البيضاء، 1964، ترجمه إلى الإسبانية:

Rafaela Castrillo, *Historia medieval islámica del Norte de África y Sicilia*, Madrid, 1983.

- ابن مرزوق، المسند، ترجمته إلى الإسبانية:

María J. Viguera, *El Musnad : hechos memorables de Abū l-Hasan sultán de los Benimerines*, Madrid, 1977.

- ابن قنفذ، الفارسية في مبادئ الدولة الحفصية، تحقيق عبد المجيد تركي ومحمد الشاذلي النيفر، تونس، 1968.

- ابن القطان، نظم الجمان في أخبار الزمان، تحقيق محمود علي مكي، تطوان، 1964، إعادة نشر، بيروت، 1990.

- المريني، عنوان الأخبار فيما مرّ على بجاية، ترجمة:

Laurent-Charles Féraud, « Conquête de Bougie par les Espagnols d'après un manuscrit arabe », *RA*, 12, 1868, p. 245-256, 337-349

- المراكشي (عبد الواحد)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تحقيق محمد سعيد العريان ومحمد العربي العلمي، القاهرة، 1949، ترجمة:

Edmond Fagnan, *Histoire des Almohades*, Alger, 1893

- المعجب: أنظر المراكشي.

- المقدمة: أنظر ابن خلدون.

- النميري (ابن الحاج)، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، تحقيق محمد بن شقرون، بيروت، 1990.

- النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء 24، تحقيق حسين نصار وعبد العزيز الأهواني، القاهرة، 1983.

- يحيى بن خلدون، كتاب البغية، تحقيق وترجمة:

A. Bel, *Histoire des Beni 'Abd el-Wâd, rois de Tlemcen*, Alger, 1903-1913, 3 vol.

- الزركشي، تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية، تحقيق حسين يعقوبي، تونس، 1998، ترجمة:

Edmond Fagnan, *Chronique des Almohades et des Hafsides attribuée à Zerkechi, Revue de la société archéologique de Constantine*, 1894, et à part, Constantine, 1895

4ـ كتب الطبقات

- تراجم أغلبية مستخرجة من مدارك القاضي عياض، نشر محمد الطالبي، تونس، 1968.

- الغبريني (أبو العباس أحمد بن عبد الله)، عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق رابح بونار، الجزائر، 1970.

- ابن الخطيب (لسان الدين)، الإحاطة في أخبار غرناطة، تحقيق محمد عبد الله عنان، القاهرة، 1973-1977.

- ابن مريم التلمساني، كتاب البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان، ترجمه إلى الإيطالية:

F. Provenzali, Alger, 1910.

- التادلي (ابن الزيات)، التشوف إلى رجال التصوف، تحقيق أ. فور، الرباط، 1958، ترجمه:

Maurice de Fenoyl, *Regard sur le temps des soufis ; vie des saints du Sud Marocain des V, VI, VIIe siècles de l'hégire*, Paris, 1995.

5ـ "مصادر متنوعة -أخرى"

- Alarcón y Santón (Maximiliano), García de Linares (Ramón), *Los documentos árabes diplomáticos del Archivo de la Corona de Aragón*, Madrid-Grenade, 1940.

- Amari (Michele), *Diplomi arabi del R. Archivio fiorentino*, Florence, 1863, 1867 (Appendice).

- العزاوي (أحمد)، نشر، رسائل: موحدية مجموعة جديدة، ج 1، القنيطرة، 1995.

Epalza (Miguel de), éd. et trad. esp., *La Tuhfa, autobiografía y polémica islámica contra el Cristianismo de 'Abdallāh al-Tarğumān (fray Anselmo Turmeda)*, *Atti della Accademia nazionale dei Lincei, Memorie, Classe di scienze morali, storiche e filologiche, serie* VIII, vol. XV, 1971.

- ابن عبدون، ترجمة:

Évariste Lévi-Provençal, *Séville musulmane au début du XIIe siècle. Le traité d'Ibn 'Abdūn sur la vie urbaine et les corps de métiers*, Paris, 1947, rééd. anast. 2001.

- ابن البيطار، المغني في الأدوية المفردة، ترجمة:

Lucien Leclerc, *Traité des Simples, Notices et extraits des manuscrits de la Bibliothèque nationale*, 23, 1877 ; 25, 1881 ; 27, 1883, rééd. anast. Paris, s. d.

- ابن حمديس، ديوان، ترجمة لقصيدة وصف قصر المنصور ببجاية:

Léon Bercher, « Le Palais d'al Mansur à Bougie », *RT*, 29, 1922, p. 50-54, et Francesco Gabrieli, « Il palazzo hammādita di Biğāya descritto da Ibn Hamdīs », *Aus der Welt der islamischer Kunst. Festschrift für Ernst Kühnel zum 75. Geburstag am 26.10.1957*, Berlin, 1959, p. 54-58 ; Ibn ◌amdîs, trad. it. Celestino Schiaparelli [1897-1909], nouv. éd. Stefania Elena Carnemolla, *Il Canzoniere*, Palerme, 1998.

- ابن منظور، لسان العرب، بيروت، 1955-1956.

- Lévi-Provençal (Évariste), « Un recueil de lettres officielles almohades », *Hespéris*, 28, 1941, p. 1-80.

- Turki (Abdel Magid), « La physionomie monumentale de Ceuta : un hommage nostalgique à la ville par un de ses fils, Muhammad b. al-Qāsim al-Ansārī (traduction annotée de son *Ihtis□ār al-ahbār*) », *Hespéris*, 20-21, 1982-1983, p. 113-162.

- الونشريسي، المعيار المعرب والجامع المغرب، تحقيق محمد حجي، بيروت، 1981، تحليل للفتاوى:

Vincent Lagardère, *Histoire et société en Occident musulman au Moyen Âge. Analyse du Mi'yār d'al-Wanšarīsī*, Madrid, 1995.

ب- المصادر اللاتينية :

1- وثائق الأرشيف

أ- **جنوة**: أرشيف دولة جنوة Archivio di Stato di Genova

* notaires[2] :

- Minutiers 3/I, 3/II, 5, 7, 8, 9/I, 9/II, 10, 11, 12/I, 13/I, 14, 15, 16/II, 17, 18/I, 18/II, 20/I, 20/II, 21/I, 21/II, 22, 24, 26/I, 26/II, 27, 28, 29, 30/I, 30/II, 31/I, 31/II, 32, 33, 34, 35, 36, 38, 39, 40/I, 40/II, 43, 44, 49, 52, 53, 54, 55/I, 55/II, 58, 60, 61, 62, 63/I, 63/II, 64, 65, 68/II, 70, 71, 72, 73, 74, 75/II, 76, 77, 78, 79, 80, 81, 82, 83, 84, 85, 86, 87, 88, 89, 90, 91, 92, 93, 94, 95, 96, 97, 98, 105, 109, 117, 118, 120/II, 121, 122, 123, 129, 130, 131, 132, 133, 136, 140, 143, 149/I, 193, 202, 233.

- *Manoscritto* 102.

- *Notai ignoti, buste* 1, 3, 5, 7, 8, 9, 10, 14, 18, 20, 21, 22, 29, II, III, IV.

- *Notai antichi, notai* Risso Baromeo, *filza* 1.

* *Archivio segreto*

- Registres 496, 506, 507, 508, 509, 510, 511, 514, 552, 1779, 1794, 1812, 2707A, 2731, 2737A, 2737B.

- *Maritimarum, filza* 1665.

* *Archivio di San Giorgio*

- *Caratorum Veterum*, n° 1551, 1552, 1553, 1555.

- *Manoscritto, membranacei di San Giorgio, regule comperarum capituli.*

ب- فنيزيا"البندقية": أرشيف دولة البندقية Venise : Archivio di Stato di Venezia

* Registres du Sénat

- *Senato, Misti*, registres 15, 44, 50.

- *Senato, Mar*, registres 1-9.

- *Senato, Incati di galere*, registres 1-2.

* *Cancelleria Inferiore*

- *busta* 27, notaire Francesco de Belleto.

- *busta* 211, Nicolo Turiano.

[2] Les notaires génois ont été étudiés à partir des dépouillements effectués par Michel Balard, et des fiches manuscrites qu'il a eu l'obligeance de me communiquer.

ج- بيزا: أرشيف دولة بيزا Archivio di Stato di Pisa

* Documents publics :
- *Atti pubblici* (doc. du 16/9/1379).
- *Comune* A, 29 (*Instrumentari*).
- *Comune* A, 46 (*Consoli del Mare*).

* *Diplomatico* :
- *Alliata.*
- *Cappelli.*
- *Coletti.*
- *Monastero degli olivetani di Pisa.*
- *Opera Primaziale del Duomo.*
- *Ospedali riuniti di S. Chiara.*
- *Roncioni*.
- *San Silvestro di Pisa.*
- *Trovatelli.*

د- برشلونة

* **Archivo Histórico de Protocolos de Barcelona** الأرشيف التاريخي الدبلوماسي لبرشلونة

- Bernat Nadal, *Manual*, 10/5/1395 -13/11/1395 (58/15).
- Bernat Nadal, *Manual*, 14/12/1402 - 1/6/1403 (58/30).
- Bernat Nadal, *Manual*, 8/11/1404 - 14/5/1405 (58/33).
- Bernat Nadal, *Secundus liber comandarum*, 1395-1406 (58/170).
- Bernat Nadal, *Quintus liber apocarum diversarum manumissoriarum*, 1407-1417 (58/179).
- Bernat Nadal, *Manual de cartas de pago de diferentes testamentarias*, 1423-1436 (58/181).
- Juan Nadal, *Manual*, 9/5/1410 - 16/10/1410 (54/17).
- Tomas de Bellmunt, *Quartus liber manuale comandarum*, 18/1/1414 - 21/1/1417 (79/38).
- Anthoni Brocard, *Primum librum apocharum faciencium pro diversis manumissoriis*, 1410-1424 (106/37).
- Pere Bastat, *Liber securitatum*, 1454-1461 (193/14).

- Pere Bastat, *Liber securitatum*, 9/8/1454-24/1/1461 (193/14).
- Anthoni Vilanova, *Liber securitatum* 6e (165/95).

أرشيف لاكورونيا أراجونة

*** Archivo de la Corona de Aragón (Arxiu de la Corona d'Aragó)**

- *Cancillería*

Registres 12, 15, 19, 21, 46, 65, 117, 210, 223, 247, 410, 466, 555, 557, 585, 587, 588, 590, 592, 873, 874, 875, 876, 886, 1055, 1118, 1261, 1263, 1389, 1397, 1402, 1403, 1423, 1426, 1427, 1428, 1430, 1437, 1438, 1444, 1446, 1819, 1908, 2114, 2177, 2180, 2199, 2204, 2205, 2206, 2207, 2208, 2212, 2239, 2240, 2242, 2246, 2263, 2288, 2388, 2398, 2414, 2415, 2698, 3658, 3827.

- *Cartas Reales Diplomaticas*

Jaime II, *caja* 136.

Pedro III, *caja* 1.

- *Cartas Reales*, *Rubrica de lletres comunes*, registre 1337.

- *Real Patrimonio*

Registres 1708, 1709.

- *Real Patrimonio, Maestro racional*

Registres 996, 1008, 1080, 1714, 1716.

هـ- ميورقة: أرشيف مملكة ميورقة

Archivo del Reino de Mallorca

* *Real Patrimonio*

Registres 1080, 1081, 1108, 1113, 1865, 2003A, 3764 à 3773, 3775, 3780, 3782, 3783, 3785, 3787, 3788, 3791, 3792, 3795, 3797, 3799, 3800, 3801, 3803, 3804, 3806, 3807, 3808, 3810, 3812 à 3815, 3820, 3821, 3823 à 3827, 3829, 3831, 3833, 3988/II.

* *Guiatges*

Registres 1 à 9.

و- بلنسية: أرشيف مملكة بلنسية

* Archivo del Reino de Valencia

- *Reial Cancelleria*

Registres 626 (*Confesiones y ventas de sarracenos*), 633 (*Licencia para embarque de moros*), 646 (*Armamentos de naves*), 664 (*Llibre*

d'armaments), 702 (*Llibre d'armaments de barques*), 706 (*Guiatges de mar*), 707 (*idem*).

- *Batllia*

Registres 193, 194, 195, 196, 197, 198 (confessions de sarrasins), 1142bis, 1144, 1157, 1162.

- *Maestre Racional*

Registres 1-12, 14-16, 18-28, 31-32, 34-47, 49-52, 54, 56-57, 60-66, 68-76, 78-90, 92-93, 95-97, 99-105, 109, 120, 11060.

- *Protocolos notariales*

Registres 796, 1121, 2007, 2009, 2010, 2013, 2412, 2415, 2638, 2641.

- *Gobernacion*, registre 2805.

* Archivo Municipal de Valencia

- *Claveria Comuna. Manuel d'Albarans i Censals*

Registres I-3, 5, 12, 18.

- *Lletres missives*

Registres g 3-8 à g 3-10, g 3-33.

- *Manuals de Consells*

Registres A-18, A-19, A-32.

ز- مرسيليا

أرشيف مرسيليا البلدي

* Archives municipales de Marseille

- Série AA (Actes constitutifs et politiques de la Commune)

Registres 131, 141, 149.

- Série BB (Délibérations communales)

Registres 14, 17, 18.

- Série HH (Affaires commerciales)

Registres 311, 334.

- Série II (Notaires et Familles)

1 II 6, 16, 39, 45.

2 II 62.

3 II 155.

* Archives départementales des Bouches-du-Rhône

- Série B (Cour des Comptes de Provence)

Registres 1501, 1517, 1519, 1520, 1936, 1937, 1940-1943.

- Série E (notaires)
14 E 350.
351E 48, 78, 79, 124, 138, 188, 235, 389, 447, 448, 449, 659.
355 E 52, 91.
373 E 88.
381 E 4, 10, 20, 25, 46, 59, 369, 371.
391 E 6, 8, 11, 15, 16, 123.

ر- **باريس:** المكتبة الوطنية الفرنسية Bibliothèque nationale de FranceNouvelles acquisitions latines, 1348, 1351, 1352.

2ـ قائمة المصادر وتقديمها

- Bautier (Robert-Henri), « Notes sur les sources de l'histoire économique médiévale dans les archives de Toscane », *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, 58, 1941-1946, p. 291-306.

—, « Notes sur les sources de l'histoire économique médiévale dans les sources italiennes (suite) », *Mélanges d'archéologie et d'histoire,* 60, 1948, p. 181-210.

—, « Sources pour l'histoire du commerce maritime en Méditerranée du XIIe au XVe siècle », *Les Sources de l'histoire maritime en Europe du Moyen Âge au XVIIIe siècle, Actes du IVe colloque international d'histoire maritime, Paris, 20-23 mai 1959,* dir. Michel Mollat, Paris, 1962, p. 137-179.

- Bautier (Robert-Henri), dir., *Sources de l'histoire économique et sociale du Moyen Âge ; la Provence*, Paris, 1969-1974, 3 vol.

- Bologna (Marco), *Archivio di Stato di Genova, cartolari notarili genovesi (150-299). Inventario*, Rome, 1990.

—, *Archivio di Stato di Genova, notai ignoti : frammenti notarili medioevali. Inventario*, Rome, 1988.

- Busquet (Raoul), *Les Fonds des archives départementales des Bouches du Rhône*, I, *Dépôt principal de Marseille, séries anciennes A à F*, Marseille, 1927.

- Casini (Bruno), *Inventario dell'Archivio del Comune di Pisa, (sec. XI-1509)*, Livourne, 1969.

- Cecchetti (B.), *Archivio di Stato di Venezia. Statistica degli atti custoditi nella sezione notarile*, Venise, 1886.

- Costamagna (Giorgio), *Cartolari notarili genovesi (1-149). Inventario*, Rome, 1956 et 1961, 2 vol.

- Da Mosto (Andrea), *L'Archivio di Stato di Venezia. Guida generale storico descrittivo ed analitico*, Rome, 1937 et 1940, 2 vol.

- *Guida generale degli Archivi di Stato*, Rome, 1986-1994, 4 vol.

- Isnard (Émile), *Inventaire sommaire chronologique des chartes, lettres patentes, lettres missives et titres divers antérieurs à 1500*, Marseille, 1939.

- Lapeyre (Henri), « Les archives de Valence », *Caravelle. Cahiers du monde hispanique et luso-brésilien*, 6, 1966, p. 53-71.

- Madurell Marimon (José María), *Archivo general de protocolos (Barcelona). Sección histórica. Indice cronológico alfabético*, Barcelone, 1950-1959, 3 vol.

- Pedani (Maria Pia), « Venezia e il Maghreb nei documenti dell'Archivio di Stato di Venezia », *Quaderni di Studi Arabi*, 10, 1992, p. 159-173.

- Raventos (Giralt), « Sources barcelonaises pour l'histoire de la marine et de l'économie maritime », *Les sources de l'histoire maritime en Europe du Moyen Âge au XVIIIe siècle, Actes du IVe colloque international d'histoire maritime, Paris, 20-23 mai 1959*, Paris, 1962, p. 207-225.

- Valérian (Dominique), *Les sources italiennes de l'histoire du Maghreb médiéval. Inventaire critique*, Paris, 2006.

3ـ طبعات النصوص والوثائق

- *AG* : voir Belgrano.

- Agnoletti (Anna Maria E.), éd., *Statuto dell'Arte della Lana di Firenze (1317-1319)*, Florence, 1940 (*Fonti e studi sulle corporazioni artigiane del Medio Evo*, 1).

- Aguiló (Estanislao de Kostka), éd., « Cartas reales. Rubrica », *BSAL*, 20, 1924-1925, p. 260-265, 340, 361.

—, éd., « Incident surgit ab motiu del canvi d'esclaus cristians y moros, pactat despres de la pau », *BSAL*, 15, 1915, p. 226-233.

—, éd., « Mostres de lous passats per la redencio de catius cristians », *BSAL*, 10, 1904, p. 337-340.

—, éd., « Pau feta entre els reys de Aragó y de Sicilia de una part y el rey de Tunis de l'altre (1403) », *BSAL*, 9, 1902, p. 350-355.

—, éd., « Rubrica dels llibres de pregons de la antiga curia de la governació, llibre I, any 1385 », *BSAL*, 9, 1901-1902, p. 13-16, 29-32, 60-64, 127-132, 144-148, 241-244, 271-277.

—, éd., « Tractat de pau entre el Rey de Mallorca Don Sanxo y el de Bugia Boyhahia Abubechre, firmat a Mallorca pels seus representants

Gregori Sallambé de una part y Mahomat Abdellá Ben Acet de l'altra, dia 23 de novembre de 1312 », *BSAL*, 15, 1915, p. 217-226.

- Alart (Julien Bernard), éd., « Documents sur la langue catalane des anciens comtés de Roussillon et de Cerdanya », *Revue des langues romanes*, 4, 1873, p. 44-61, 244-256, 353-385, 502-514 ; 5, 1874, p. 80-102.

- Arnaud d'Agnel (Gustave), éd., *Comptes du roi René*, Paris, 1908-1910, 3 vol.

- Artizzu (Francesco), éd., *Documenti inediti relativi ai rapporti economici tra la Sardegna e Pisa nel Medioevo*, Padoue, 1961 et 1962, 2 vol.

- Auvray (Lucien), éd., *Les Registres de Grégoire IX*, III, Paris, 1910.

- Azurri (Gerolamo), *Carta di Navigare*, éd. Ornella Bazurro, Gênes, 1985.

- Balard (Michel), éd., *Gênes et l'Outremer*, I, *Actes de Caffa du notaire Lamberto di Sambuceto, 1289-90*, Paris-La Haye, 1973, 2 vol.

- Balletto (Laura), éd., *Il cartulario di Arnaldo de Cumano e Giovanni di Donato (Savona, 1178-88)*, Rome, 1978, 2 vol.

- Balletto (Maria Louisa), *Navi e navigazione a Genova nel quattrocento. La « Cabella marinariorum » (1482-1491)*, Gênes, 1973.

- Baratier (Édouard), trad., *Documents d'histoire de la Provence*, Toulouse, 1971.

- Belgrano (Luigi Tommaso), éd., « Registro della Curia arcivescovile di Genova », *ASLSP*, 2, Gênes, 1862.

- Belgrano (Luigi Tommaso), Imperiale di Sant'Angelo (Cesare), éd., *Annali genovesi di Caffaro e de'suoi continuatori dal MXCIX al MCCXCIII*, Gênes puis Rome, 1890-1929, 5 vol., trad. partielle Marina Montesano, *Gli Annali di Caffaro (1099-1163)*, Gênes, 2002 [abrév. AG].

- Berger (Élie), éd., *Les Registres d'Innocent IV*, I, Paris, 1884.

- Blancard (Louis), éd., *Documents inédits sur le commerce de Marseille au Moyen Âge*, Marseille, 1884-1885, 2 vol., rééd. anast. en un vol., Genève, 1978 [abrév. Blancard, I pour les documents concernant la famille Manduel, et II pour les actes de 1248 du notaire Amalric].

- Bonaini (Francesco), éd., *Statuti inediti della città di Pisa dal XII al XIV secolo*, Florence, 1845-1870, 3 vol.

- Bonvillano : voir Eierman.

- Borlandi (Franco), éd., *El Libro di mercatantie et usanze de' paesi*, Turin, 1936 (Documenti e studi per la storia del commercio e del diritto commerciale italiano, 7).

- *Breve Chronicon [Chronique anonyme du Mont Cassin]*, Milan, 1724 (*Rerum italicarum scriptores*, 5).

- Brunetti (Mario), Cessi (Roberto), éd., *Le Deliberazioni del Consiglio dei rogati (senato) ; serie « mixtorum »*, II, *Libri XV-XVI*, Venise, 1961.

- Bruno (Agostino), éd., *Gli Antichi archivi del Comune di Savona*, Savone, 1890.

- Bruno (Federico), éd., « Le convenzioni commerciali e la marina savonese dai tempi più antichi sino alla fine del sec. XIV », *Atti della Società savonese di storia patria*, 7, 1924, p. 4-40.

- Brunschvig (Robert), éd., « Documents inédits sur les relations entre la couronne d'Aragon et la Berbérie orientale au XIVe siècle », *AIEO*, 2, 1936, p. 235-265.

- Buongiorno (Mario), *L'Amministrazione genovese nella « Romania »*, Gênes, 1973.

- Burgarella (Pietro), éd., « Il protocollo del notaio Adamo de Citella dell'anno 1286-1287 », *Archivio storico della Sicilia Orientale*, 75, 1979, p. 435-553.

—, éd., *Le Imbreviature del notaio Adamo de Citella a Palermo*, Rome, 1981.

- Burns (Robert Ignatius), éd., *Diplomatarium of the Crusader Kingdom of Valencia*, Princeton, 1985 et 1991, 2 vol.

- Cabanes (María Desamparados), éd., *Coses vedades en 1381*, Valence, 1971.

- Caetani (Gelasio), éd., *Varia. Raccolta delle carte più antiche dell'Archivio Caetani e Regesto delle pergamene del fondo pisano*, Cité du Vatican, 1936.

- Callura Cecchetti (Rosa), Zunino (Stella Maris), Luschi (Giovanna), éd., *Genova e Spagna nel XIV secolo. Il « Drictus catalanorum », 1386, 1392-1393*, Gênes, 1970.

- Capmany y Montpalau (Antonio de), éd., *Antiguos tratados de paces y alianzas entre algunos reyes de Aragón y diferentes príncipes infieles de Asia y Africa, desde el siglo XIII hasta el XV*, Madrid, 1786, rééd. anast. Valence, 1974.

—, éd., *Memorias históricas sobre la marina, comercio y artes de la antigua ciudad de Barcelona*, Madrid, 1779-1792, rééd. C. Batlle et E. Giralt, Barcelone, 1961-1963.

- Casini (Bruno), éd., « Il "breve" delle gabelle delle porta della Degazia del Mare di Pisa del 1362 », *Studi per Enrico Fiumi*, Pise, 1979, p. 373-429.

- Caturegli (Natale), éd., *Regesto della Chiesa di Pisa*, Rome, 1938 (*Regesta chartarum Italiae*, 24).

- Cecchi Aste (Elena), éd., *Il carteggio di Gaeta nell'archivio del mercante pratese Francesco di Marco Datini, 1387-1405*, Gaète, 1997.

- Cessi (Roberto), Luzzatti (Luigi), éd., *Le Regolazione delle Entrate e delle spese (sec. XIII-XIV)*, Padoue, 1925.

- Cessi (Roberto), Sambin (P.), éd., *Le Deliberazioni del consiglio dei Rogati (Senato). Serie « mixtorum »*, I, *libri I-XIV*, Venise, 1960.

- Chiaudano (Mario), éd., *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, IV, *Oberto Scriba de Mercato 1186*, Gênes, 1940.

- Chiaudano (Mario), Moresco (Mattia), éd., *Il Cartolare di Giovanni Scriba*, Turin, 1935, 2 vol. [abrév. Giovanni Scriba].

- Chiaudano (Mario), Morozzo della Rocca (Raimondo), éd., *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, I, *Oberto Scriba de Mercato 1190*, Gênes, 1938.

- Ciano (Cesare), éd., *La Pratica di mercatura datiniana (sec. XIV)*, Milan, 1964.

- Colon (Germà), Garcia (Arcadi), éd., *Llibre del Consolat de Mar*, Barcelone, 2001.

- *Cronica varia pisana*, Milan, 1725 (*Rerum Italicarum Scriptores*, 6).

- Dan (Pierre, o ss. T), « Les plus illustres captifs », *RA*, 27, 1883, p. 11-35, 191-206, 355-379 ; 28, 1884, p. 49-67 et à part, Paris, 1902.

- Day (John), éd., *Les Douanes de Gênes 1376-1377*, Paris, 1963, 2 vol.

- Dellacasa (Sabina), éd., *I* Libri Iurium *della Repubblica di Genova*, I/4, Gênes, 1998.

- Dentici Buccellato (Rosa Maria), éd., *Fisco e società nella Sicilia Aragonese. Le pandette delle gabelle regie del XIV secolo*, Palerme, 1983 (*Acta curie felicis urbis Panormi*, 2).

- Diez de Gamez (Gutierre), *El Victorial, crónica de don Pedro Niño, conde de Buelna, por su alférez Gutierre Diez de Games*, éd. Juan de Mata Carriazo, Madrid, 1940.

- Dini (Bruno), éd., *Una pratica di mercatura in formazione (1394-5)*, Florence, 1980.

- Doehaerd (Renée), *Les Relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outre-Mont, d'après les archives notariales génoises aux XIIIe et XIVe siècles*, Bruxelles-Rome, 1941.

- Doehaerd (Renée), Kerremans (Charles), *Les Relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outre-Mont, d'après les archives notariales génoises, 1400-1440*, Bruxelles-Rome, 1952.

- Dufourcq (Charles-Emmanuel), éd., « Documents inédits sur la politique ifriqiyenne de la Couronne d'Aragon », *Analecta sacra tarraconensia*, 25, 1952, p. 51-113, 255-291.

—, éd., *Recueil de documents concernant les relations des pays de la couronne d'Aragon avec le Maghreb de 1212 à 1323*, Thèse complémentaire, Université de Paris, 1965, 6 vol.

- Eierman (Joyce E.), Krueger (Hilmar C.), Reynolds (Robert L.), éd., *Notai liguri del sec. XII*, III, *Bonvillano (1198)*, Turin, 1939 [abrév. Bonvillano].

- Fabri (Félix), *Le Voyage en Égypte de Félix Fabri, 1483*, trad. Jacques Masson et Gisèle Hurseaux, Le Caire, 1975.

- Ferretto (Arturo), éd., *Documenti intorno alle relazioni fra Alba e Genova (1141-1270)*, *Biblioteca della Società storica subalpina* (Pignerol), 22, 1906.

—, éd., *Liber Magistri Salmonis, Sacri Palatii notarii, 1222-1226*, *ASLSP*, 36, 1906.

—, éd., *Codice diplomatico delle relazioni fra la Liguria, la Toscana e la Lunigiana ai tempi di Dante (1265-1321)*, *ASLSP*, 31/1-2, 1901-1903.

- Finke (Heinrich), éd., *Acta Aragonensia. Quellen zur deutschen, italienischen, französischen, spanischen zur Kirchen- und Kulturgeschichte aus der diplomatischen Korrespondenz Jaymes II (1291-1327)*, Berlin-Leipzig, 1908-1922, 3 vol.

- Forcheri (Giovanni), éd., *Navi e navigazione a Genova nel Trecento (il Liber Gazarie)*, Gênes, 1974.

- Garcia i Sanz (Arcadi), Ferrer i Mallol (Maria Teresa), éd., *Assegurances i canvis maritims medieval a Barcelona*, Barcelone, 1983.

- Giménez Soler (Andrés), éd., « Documentos de Túnez, originales ó traducidos, del Archivo de la Corona de Aragón », *Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans*, 3, 1909-1910, p. 210-259.

- Gioffrè (Domenico), éd., *Lettere di Giovanni da Pontremoli, mercante genovese 1453-59*, Gênes, 1982.

- Giovanni di Guiberto : voir Hall-Coll.

- Giovanni Scriba : voir Chiaudano.

- Girona Llagostera (Daniel), éd., *Itinerari del rei Martí (1396-1410)*, Barcelone, 1916.

- Giustiniani (Agostino), *Annali della Repubblica di Genova*, éd. Giovanni Battista Spotorno, Gênes, 1854, 2 vol.

- Golubovitch (Girolamo), *Biblioteca bio-bibliografica della Terra santa e dell'Oriente francescano*, V, Quarrachi, 1927.

- Greco (Lucia), éd., *Quaderno di bordo di Giovanni Manzini : prete-notaio e cancelliere (1471-1484)*, Venise, 1997.

- Gual Camarena (Miguel), éd., *El primer manual hispánico de mercadería (s. XIV)*, Barcelone, 1981.

- Guglielmo Cassinese : voir Hall-Coll.

- Guidi (A.), éd., *Atti di Ser Leopardo del Fornaio dai registri n° 3 e n° 4 delle serie contratti dell'Archivio della Mensa arcivescovile di Pisa, 1259-70*, Tesi di Laurea, sous la direction de M. Luzzati, Pise, 1975-1976.

- Guillaume de Pouille, *La Geste de Robert Guiscard*, éd. et trad. Marguerite Mathieu, Palerme, 1961.

- Gulotta (Pietro), éd., *Le Imbreviature del notaio Adamo de Citella a Palermo (2° registro, 1298-1299)*, Rome, 1982 (*Fonti e Studi del Corpus membranarum italicarum*, ser. 3, *Imbreviature matricole statuti e formulari notarili medievali*, 2).

- Hall-Coll (Margaret W.), Krueger (Hilmar C.), Reinert (Ruth G.), éd., *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, V, *Giovanni di Guiberto (1200-1211)*, Gênes, 1939-1940, 2 vol. [abrév. Giovanni di Guiberto].

- Hall-Coll (Margaret W.), Krueger (Hilmar C.), Reynolds (Robert L.), éd., *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, II, *Guglielmo Cassinese*, *1190-1192*, Turin, 1938, 2 vol. [abrév. Guglielmo Cassinese].

- Heers (Jacques), Groer (Georgette de), éd. et trad., *Itinéraire d'Anselme Adorno en Terre Sainte (1470-1471)*, Paris, 1978.

- Hinojosa Montalvo (José), éd., *Coses vedades en 1404*, Valence, 1972.

- Hoffmann (Hartmut), éd., *Chronica Monasterii Casinensis*, Hanovre, 1980 (*Monumenta Germaniae Historica*, *Scriptores*, 34).

- Huici Miranda (Ambrosio), Cabanes Pecourt (María Desamparados), éd., *Documentos de Jaime I de Aragón*, 4, Saragosse, 1982.

- Jorga (Nicolas), éd., *Notes et extraits pour servir à l'histoire des croisades au XVe siècle*, *Revue de l'Orient Latin*, 4, 1896, p. 25-118, 226-320, 503-622 ; 5, 1897, p. 108-212, 311-388 ; 6, 1898, p. 50-143, 370-434 ; 7, 1899, p. 38-107, 375-429 ; 8, 1900, p. 1-115, 267-310.

- Krueger (Hilmar C.), Reynolds (Robert L.), éd., *Notai liguri dei secoli XII e XIII*, VI, *Lanfranco (1202-1226)*, Gênes, 1951-1953, 3 vol. [abrév. Lanfranco].

- Léon l'Africain, *Description de l'Afrique*, trad. Alexis Épaulard, Paris, 1956, rééd. 1980 [abrév. Léon l'Africain].

- Lanfranco : voir Krueger.

- La Mantia (Giuseppe), *Codice diplomatico dei re aragonesi di Sicilia (1282-1355)*, I, Palerme, 1918 (*Documenti per servire alla storia di Sicilia*, I^a serie, *Diplomatica*, 23).

- La Primaudaie (Élie de), éd., « Documents inédits sur l'histoire de l'occupation espagnole en Afrique (1506-1574) », *RA*, 19, 1875, p. 62-77, 148-157, 161-193, 265-288, 337-360, 483-496 ; 20, 1876, p. 128-144, 232-244, 320-335, 387-416 ; 21, 1877, p. 17-32, 81-96, 198-229, 265-298, 361-379, 461-472.

- Liagre de Sturler (Léone), *Les relations commerciales entre Gênes, la Belgique et l'Outremont d'après les archives notariales génoises (1320-1400)*, Bruxelles-Rome, 1969, 2 vol.

- Lopez (Roberto Sabatino), Airaldi (Gabriella), éd., « Il più antico manuale italiano della mercatura », *Miscellanea di studi storici*, II, Gênes, 1983 (*Collana storica di fonti e studi*, 38), p. 100-133.

- Malipiero (Domenico), *Annali Veneti, dall'anno 1457 al 1500*, éd. T. Gar et A. Sagredo, *Archivio Storico Italiano*, 7, 1843-1844.

- *Manual de Novells Ardits, vulgarment apellat Dietari del Antich Consell Barceloni*, I, Barcelone, 1892.

- Marangone (Bernardo), *Annales Pisani*, éd. Michele Lupo Gentile, Bologne, 1936-1944 (*Rerum Italicarum Scriptores*[2], VI, parte 2).

- Marmol (Lluis de), *Description générale de l'Afrique*, trad. Nicolas Perrot d'Ablancourt, *L'Afrique de Marmol*, Paris, 1667, 3 vol.

- Mas-Latrie (Louis de), éd., « Charte de nolisement de l'an 1264 pour un voyage de Pise à Bougie », *BEC*, 2e série, 4, 1847-1848, p. 244-256.

—, éd., « Chartes inédites relatives aux États de Bougie et de Bône (1268-1293-1480) », *BEC*, 1re série, 2, 1840-1841, p. 388-397.

—, éd., « Relations commerciales de Florence et de la Sicile avec l'Afrique au Moyen Âge », *BEC*, 4e série, 5, 1859, p. 209-236.

—, éd., *Traités de paix et de commerce et documents divers concernant les relations des Chrétiens avec les Arabes de l'Afrique septentrionale au Moyen-Âge*, Paris, 1866, suppl.1872.

- Masia de Ros (Angeles), éd., *La Corona de Aragón y los estados del Norte de Africa*, Barcelone, 1951.

- Melis (Federigo), éd., *Documenti per la storia economica dei secoli XIV-XV*, Florence, 1972.

- Mollat (Guillaume), éd., *Jean XXII. Lettres communes*, IV, Paris, 1910.

- Monleone (Giovanni), trad., « Gli Annali di Giorgio Stella, 2° volume (1333-1382) », *La Berio*, X/1, 1970 à XII/3, 1972.

- Morozzo della Rocca (Raimondo), Lombardo (Antonio), éd., *Documenti del commercio veneto dei sec. XI-XIII*, Rome, 1940 (*Regesta chartarum Italiae*, 28-29).

- Nicolini (Nicola), éd., *Codice diplomatico sui rapporti veneto-napoletani durante il regno di Carlo I d'Angiò*, Rome, 1965.

- Pagnini della Ventura (Giovanni Francesco), éd., « Giovanni di Antonio Da Uzzano : La Pratica della mercatura (1442) », *Della decima e di varie altre gravezze imposte dal Comune di Firenze*, IV, Lisbonne, 1766, rééd. anast. Bologne 1967.

- Pardessus (Jean-Marie), éd., *Collection des lois maritimes antérieures au XVIIIe siècle*, Paris, 1828-1845, 6 vol.

- AA. VV. (UMR 5648 Histoire et archéologie des mondes chrétiens et musulmans médiévaux), *Pays d'Islam et monde latin, Xe-XIIIe siècle. Textes et documents*, Lyon, 2000.

- Pegolotti (Francesco Balducci), *La Pratica della mercatura*, éd. Allan Evans, Cambridge, Mass., 1936 [abrév. Pegolotti].

- Pernoud (Régine), éd., *Le IVe Livre des Statuts de Marseille*, Paris, 1935.

- Perrat (Ch.), éd., « Actes du roi Robert d'Anjou relatifs à la Provence, extraits des registres détruits des archives de Naples, 1314-1363 », *Bulletin philologique et historique (jusqu'en 1715)*, 1950, p. 119-195.

- Piles Ros (Leopoldo), éd., *Estudio documental sobre el bayle general de Valencia, su autoridad y jurisdicción*, Valence, 1970.

- Piloti (Emmanuel), *Traité d'Emmanuel Piloti sur le passage en Terre Sainte (1420)*, éd. Pierre Herman Dopp, Louvain-Paris, 1958.

- Pisano (Leonardo, dit Fibonacci), *Liber abbaci*, éd. Baldassarre Boncompagni, Rome, 1857. Trad. angl. Laurence Sigler, *Fibonacci's Liber Abaci*, New York, 2002.

- Pistarino (Geo), éd., *Notai genovesi in oltremare. Atti rogati a Tunisi da Pietro Battifoglio (1288-9)*, Gênes, 1986.

- Polonio (Valeria), éd., *Notai genovesi in Oltremare. Atti rogati a Cipro da Lamberto di Sambuceto (3 luglio 1300-3 agosto 1301)*, Gênes, 1982.

- Pongiglione (Vittorio), éd., « Il libro del podestà di Savona dell'anno 1250 », *Atti della Società savonese di storia patria*, 28, 1956, p. 57-233.

- Puncuh (Dino), éd., *Il Cartulario del notaio Martino : Savona, 1203-1206*, Gênes, 1974.

- Quadrado (José María), éd., *Privilegios y franquicias de Mallorca*, Palma de Majorque, 1895-1896, 2 vol.

- Ramis de Ayrelorcy Sureda (José), éd., « Partidas curiosas de los libros de cuenta de la familia Pont », *BSAL*, 21-22, 1926-7, p. 12-13.

- *I Registri della Cancelleria Angioina ricostruiti da Riccardo Filangieri con la collaborazione degli archivisti napoletani*, Naples, 1950 s.

- Ribera (Julián), « Tratado de paz ó tregua entre Fernando I el Bastardo, rey de Nápoles, y Abuámer Otmán, rey de Túnez », *Centenario della Nascita di Michele Amari*, II, Palerme, 1910, p. 373-386.

- Riera Melis (Antoni), « La llicencia per a barques de 1284. Una font important per a l'estudi del comerç exterior mallorqui del darrer quart del segle XIII », *Fontes rerum Balearium*, 3, 1979-1980, p. 121-140.

- Rossi (Franco), éd., *Servodio Peccator, notaio in Venezia e Alessandria d'Egitto (1444-1449)*, Venise, 1983.

- Scovazzi (Marco), éd., « Il viaggio in Italia del monaco islandese Nikolas », *Nuova Rivista storica*, 51, 1967, p. 358-362.

- Simeoni (Luigi), éd., *Vita Mathildis celeberrimae principis Italiae, carmine scripta a Donizone presbytero*, Bologne, 1930-1940 (*Rerum Italicarum Scriptores*², V, parte 2).

- Simonsohn (Shlomo), éd., *The Jews in Sicily*, I, *383-1300*, Leyde-New York-Cologne, 1997.

- Suriano (Francesco), *Treatise on the Holy Land*, trad. angl. Theophilus Bellorini et Eugène Hoade, Jérusalem, 1949.

- Sylvestre de Sacy (Antoine-Isaac), « Mémoire sur le traité fait entre le roi de Tunis et Philippe le Hardi en 1270 », *Histoire et mémoires de l'Institut royal de France. Académie des inscriptions et Belles Lettres*, 9, Paris, 1831, p. 463-471.

- Tellez (Gabriel), *Historia general de la Orden de Nuestra Señora de las Mercedes*, I, *1218-1567*, éd. Manuel Penedo Rey, Madrid, 1973-1977.

- Torre, (Antonio de la), éd., *Documentos sobre relaciones internacionales de los reyes católicos*, Barcelone, 1949-1951, 3 vol.

- Tuetey, éd., « Inventaire des biens de Charlotte de Savoie », *BEC*, 6e série, 1, 1865, p. 338-366.

- Urbani (Rossana) et Zazzu (Guido Nathan), éd., *The Jews in Genoa*, I, *507-1681*, Leyde-Boston-Cologne, 1999.

- Vich i Salom (J.), Muntaner y Bujosa (J.), éd., *Documenta regni Majoricarum. Colección de documentos inéditos para la historia del antiguo reino de Mallorca (1229 a 1349)*, Palma de Majorque, 1945.

- Villani (Giovanni), *Nuova Cronica*, éd. Giuseppe Porta, Parme, 1990-1991, 3 vol.

- Vittu (Jean-Pierre), « Un document sur la Barbarie en 1680 et 1681 : la relation de voyage du sieur Dancour », *CT*, 99-100, 1977, p. 295-319.

- Zeno (Riniero), éd., *Documenti per la storia del diritto marittimo nei secoli XIII e XIV*, Turin, 1936.

- Zurita (Jerónimo), *Anales de la Corona de Aragón*, éd. Angel Canella López, Saragosse, 1967-1973, 4 vol.

ج. أخرى

- Epstein (Isidore), *The Responsa of Rabbi Simon B. Zemah Duran as a Source of the History of the Jews in North Africa*, New York, 1930.

- Goitein (Shelomo D.), éd., *Letters of Medieval Jewish Traders, Translated from the Arabic with Introduction and Notes*, Princeton, 1973.

- *Kitab-ı Bahriye Pīrī Reis*, éd. fac-similé avec translittération du texte ottoman (Vahit Cabuk), adaptation en turc moderne (Vahit Cabuk et Tülây Duran) et trad. angl. (Robert Bragner), Istanbul, 1988, vol. 3.

- Mantran (Robert), « La description des côtes de l'Algérie dans le *Kitab-ı Bahriye* de Pīrī Reis », *ROMM*, 15-16, 1973, p. 159-168.

- Soucek (Svatopluk), « Tunisia in the "*Kitab-i bahriye*" by Piri Reis », *Archivum Ottomanicum*, 5, 1973, p. 129-296.

الدراسات

- Abitbol (Michel), « Juifs maghrébins et commerce transsaharien au Moyen Âge », *Les communautés juives des marges sahariennes du Maghreb*, dir. Michel Abitbol, Jérusalem, 1982, p. 229-251.

—, « Juifs maghrébins et commerce transsaharien du VIIIe au XVe siècle », *Revue française d'histoire d'Outre Mer*, 1979, p. 177-193.

- Abu-Lughod (Janet L.), *Before European Hegemony. The World System AD 1250-1350*, Oxford, 1989.

- Abulafia (David), *A Mediterranean Emporium. The Catalan Kingdom of Majorca*, Cambridge, 1994.

—, « A Tyrrhenian Triangle: Tuscany, Sicily, Tunis, 1276-1300 », *Studi di storia economica toscana nel Medioevo e nel Rinascimento in memoria di Federigo Melis*, Pise, 1987, p. 53-75.

—, *Commerce and Conquest in the Mediterranean, 1100-1500*, Londres, 1993

—, « El comercio y el reino de Mallorca, 1150-1450 », *En las costas del Mediterráneo occidental. Las ciudades de la Península Ibérica y del reino de Mallorca y el comercio mediterráneo en la Edad Media*, dir. David Abulafia, Blanca Garí, Barcelone, 1996, p. 115-154.

—, « Gli inizi del commercio genovese a Maiorca e il patto maiorcino-genovese del 1160 », *Oriente e Occidente tra medioevo ed età moderna. Studi in onore di Geo Pistarino*, dir. Laura Balletto, Gênes, 1997, p. 3-11.

—, « Gli Italiani fuori d'Italia », *Storia dell'economia italiana*, dir. R. Romano, I, Turin, 1990, p. 261-286, rééd. *Commerce and Conquest…*

—, *Italy, Sicily and the Mediterranean, 1100-1400*, Londres, 1987.

—, « Sul commercio del grano siciliano nel tardo medioevo », *La Società mediterranea all'epoca del Vespro. XI Congresso della Corona d'Aragona, Palermo-Trapani-Erice, 25-30 aprile 1982*, II, Palerme, 1983, p. 5-22.

—, « The Norman Kingdom of Africa and the Norman Expeditions to Majorca and the Muslim Mediterranean », *Anglo-Norman Studies*, 8, *Proceeding of the Battle Conference, 1984*, dir. R. Allen Brown, Woodbridge, 1985, p. 26-49, rééd. *Italy, Sicily…*

—, « The Pisan *Bacini* and the Medieval Mediterranean Economy: A Historian's Viewpoint », *Papers in Italian Archaeology*, 4, 1985, p. 287-302.

—, *The Two Italies: Economic Relations between the Norman Kingdom of Sicily and the Northern Communes*, Cambridge, 1977.

—, *The Western Mediterranean Kingdoms, 1200-1500*, Londres, 1997.

- Achouri (Isabelle), *Les Banu Hilal. Analyse structurale d'un nomadisme séculaire (du VIIe au XVIIe siècle)*, thèse de l'Université de Toulouse-Le-Mirail, sous la direction d'Alain Ducellier et Christophe Picard, 1998.

- Agosto (Aldo), « L'Archivio di Stato di Genova e le fonti relative alla storia degli Ebrei genovesi dal XV al XVIII secolo », *Italia Judaica. Gli ebrei in Italia tra Rinascimento ed età barocca. Atti del II convegno internazionale, Genova, 10-15 giugno 1984*, Rome, 1986, p. 91-98.

- Aguilar Sebastián (Victoria), « Política de 'Abd al-Mu'min con los Árabes de Ifrīqiya », *Actas del II coloquio hispano-marroqui de ciencias*

históricas. « Historia, ciencia y sociedad », Granada, 6-10 noviembre de 1989, Madrid, 1992, p. 17-30.

- Ahbab (Jamal), *La piraterie en Ifrīqiya aux trois derniers siècles du Moyen Âge (XIIIe-XVe siècle)*, Mémoire de maîtrise, sous la direction de Françoise Micheau, Université Paris I (Centre de recherches d'histoire et civilisation byzantines et du Proche-Orient médiéval), 1997-1998.

- Airaldi (Gabriella), « Alessandrini sulla via del mare », *Popolo e stato in Italia nell'età di Federico Barbarossa. Alessandria e la lega lombarda. Relazioni e comunicazioni al XXXIII congresso storico subalpino, Alessandria-Genova, ottobre 1968*, Turin, 1970, p. 423-439.

- Airaldi (Gabriella), « Aspetti dell'Espansione mediterranea genovese », *L'Italia ed i paesi mediterranei. Vie di comunicazione, scambi commerciali e culturali al tempo delle repubbliche marittime*, Pise, 1988, p. 35-41.

—, « Da Genova al Maghreb nel Basso Medioevo », *Italia e Algeria, aspetti storici di un'amicizia mediterranea*, dir. Romain H. Rainero, Milan, 1982, p. 69-80.

—, « I "Registri della catena" del Comune di Savona », *Miscellanea di storia savonese*, Gênes, 1978, p. 39-47.

—, « I Genovesi nel mondo islamico, carta sarracenica e carta in arabico », *Critica storica*, 1972, p. 106-121.

- Airaldi (Gabriella), Marcenaro (Giuseppe), *Credito e banca dall'Italia all'Europa, secoli XII-XVIII*, Gênes, 1992.

- Aïsssani (Djamil), « Le Mathématicien Eugène Dewulf (1831-1896) et les manuscrits médiévaux du Maghreb », *Historia Mathematica*, 23, 1996, p. 257-268.

- Aïssani (Djamil) et al., « Les mathématiques à Bougie médiéval et Fibonacci », *Leonardo Fibonacci. Il tempo, le opere, l'eredità scientifica*, dir. Marcello Morelli et Marco Tangheroni, Pise, 1994, p. 67-82.

- Ajello (Anna), La *Croce e la Spada. I Francescani e l'Islam nel Duecento*, Naples, 1999.

- Alcover (Antoni Maria), *Diccionari català-valencià-balear*, Palma de Majorque, 1930-1962.

- *Algérie, notice minéralogique par le service des Mines*, Alger, 1900.

- Amara (Allaoua), *Pouvoir, économie et société dans le Maghreb hammadide (395/1004 - 547/1152)*, Thèse de l'Université Paris 1, sous la direction de Françoise Micheau, Paris, 2002.

—, « La Qal'a des Banī Hammād : l'histoire d'un déclin », *Archéologie Islamique*, 11, 2001, p. 91-110.

- Amara (Allaoua), Nef (Annliese), « Al-Idrīsī et les Ḥammūdides de Sicile : nouvelles données biographiques sur l'auteur du *Livre de Roger* », *Arabica*, 48, 2001, p. 121-127.

- Amat di San Filippo (Pietro), *Indagini e studi sulla storia economica della Sardegna*, Turin, 1902.

- Amin (Samir), *L'échange inégal et la loi de la valeur, la fin d'un débat*, Paris, 1973.

- Amouric (Henri), « Les importations de céramiques dites de Bejaia (Bougie) en Provence et Ligurie (XIIIe-XVIe siècles). Le témoignage énigmatique des textes », *A Cerâmica medieval no Mediterrâneo ocidental, Lisboa, 16-22 de novembro 1987*, Mértola, 1991, p. 333-337.

- Amouric (Henri), Richez (Florence), Vallauri (Lucy), *Vingt mille pots sous les mers. Le commerce de la céramique en Provence et Languedoc du Xe au XIXe siècle*, Aix-en-Provence, 1999.

- Angelo (Francesco d'), « La ceramica nell'archeologia urbana : Palermo nel basso medioevo », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. X^e^-XVe siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 175-182.

- Antoni (Tito), « Leonardo Pisano detto il Fibonacci e lo sviluppo della contabilità mercantile nel duecento », *Leonardo Fibonacci. Il tempo, le opere, l'eredità scientifica*, dir. Marcello Morelli et Marco Tangheroni, Pise, 1994, p. 45-50.

- Aragò (A. M.), « Fletes de géneros prohibidos desde el puerto de Barcelona a la Ligura (1358-1409) », *Atti del I congresso storico Liguria-Catalogna*, Bordighera, 1974, p. 211-219.

- Arbach (Jamal Eddine), *Le domaine maritime en Occident musulman à l'époque almohade (XIIe-XIIIe siècles)*, thèse de l'Université de Toulouse-le-Mirail, sous la direction d'Alain Ducellier et Serge Robert, 1995.

- Arcas Campoy (María), « Valoración actual de la literatura jurídica de al-Andalus », *Actas del II Coloquio Hispano-Marroquí de ciencias históricas, « Historia, ciencia y sociedad »,Granada, 6-10 noviembre de 1989*, Madrid, 1992, p. 31-49.

- Argenti (Philip P.), *The Occupation of Chio by the Genoese and their Administration of the Island, 1346-1566*, Cambridge, 1958, 3 vol.

- Arié (Rachel), « Aperçus sur le royaume nasride de Grenade au XIVe siècle », *Quaderni di studi arabi*, 5-6, 1987-8, p. 58-69.

—, « Les relations entre le royaume nasride de Grenade et le Maghreb de 1340 à 1391 », *Relaciones de la Península ibérica con el Magreb siglos XIII-XVI. Actas del coloquio, Madrid, 1987*, dir. Mercedes García-Arenal et María Jesús Viguera, Madrid, 1988, p. 21-40.

—, « Une métropole hispano-musulmane au bas Moyen Âge : Grenade nasride », *CT*, 137-138, 1986, p. 47-67.

- Arkoun (Mohamed), « Transgresser, déplacer, dépasser », *Arabica*, 43/1, 1996, p. 28-70.

- Aromando (Angelo), « Le rappresaglie a Genova, viste e illustrate attraverso una controversia della fine del Trecento », *Memorie della*

Accademia lunigianese di scienze Giovanni Capellini, Scienze storiche e morali, 42, 1972, p. 17-79.

- Arribas Palau (Mariano), *Musulmanes de Valencia apresados cerca de Ibiza en 1413*, Tétouan, 1955.

- Arroyo (Rafael), « El comercio valenciano de exportación con Italia y Berbería a finales del siglo XIV », *VIII Congreso de historia de la corona de Aragón, Valencia, 1967*, II, Valence, 1973, p. 255-289.

- Artizzu (Francesco), *La Sardegna pisana e genovese*, Sassari, 1985.

- Ashtor (Eliyahu), *A Social and Economic History of the Near East in the Middle Ages*, Londres, 1976.

—, *East-West Trade in the Medieval Mediterranean*, Londres, 1986.

—, « Gli Ebrei nel commercio mediterraneo nell'alto medioevo (sec. X-XI) », *Gli Ebrei nell'alto medioevo*, Spolète, 1980 (*Settimane di studio del centro italiano di studi sull'alto medioevo*, XXVI), p. 401-464.

—, « Il retroscena economico dell'urto genovese-pisano alla fine del Duecento », *ASLSP*, n. s., 24/2, 1984, p. 51-81.

—, « L'artiglieria veneziana e il commercio di Levante », *Armi e cultura nel Bresciano, 1420-1870*, *Ateneo di Brescia*, 1981, p. 141-154, rééd. *East-West Trade*…

—, « L'exportation des textiles occidentaux dans le Proche-Orient musulman au bas Moyen Âge (1370-1517) », *Studi in memoria di Federigo Melis*, II, Naples, 1978, p. 303-377, rééd. *East-West Trade*…

—, « Les lainages dans l'Orient médiéval. Emploi, production, commerce », *Produzione commercio e consumo dei panni di lane (nei secoli XII-XVIII), Atti della II Settimana di studio di storia economica*, Florence, 1976, p. 657-686, rééd. *Studies in the Levantine Trade.*…

—, *Les Métaux précieux et la balance des paiements du Proche-orient à la basse époque*, Paris, 1971.

—, « Observations on Venetian Trade in the Levant on the XIVth Century », *Journal of European Economic History*, 5, 1976, p. 533-586, rééd. *East-West Trade*…

—, « Pagamento in contanti e baratto nel commercio italiano d'Oltremare (secoli XIV-XVI) », *Storia d'Italia. Annali* 6 : *Economia naturale, economia monetaria*, Turin, 1983, p. 363-396, rééd. *East-West Trade*…

—, « Quelques observations d'un orientaliste sur la thèse de Pirenne », *JESHO*, 13, 1970, p. 166-194, rééd. *Studies in the Levantine Trade*…

—, « Républiques urbaines à l'époque des Croisades », *Cahiers de Civilisation médiévale*, 18, 1975, p. 117-131.

—, *Studies in the Levantine Trade in the Middle Ages*, Londres, 1978.

—, « The Volume of Trade in the Later Middle Ages (1370-1498) », *Journal of European Economic History*, 4, 1975, p. 573-612, rééd. *Studies in the Levantine Trade*…

—, « Underdevelopment in the Pre-industrial Era. The Case of Declining Economies », *Journal of European Economic History*, 7, 1978, p. 285-310.

- Ayala Martínez (Carlos de), Buresi (Pascal), Josserand (Philippe), dir., *Identidad y representación de la frontera en la España medieval (siglos XI-XIV)*, Madrid, 2002.

- Ayalon (David), « Regarding Population Estimates in the Countries of Medieval Islam », *JESHO*, 28/1, 1985, p. 1-19.

- Aymard (Maurice), « Le blé de Sicile dans l'économie méditerranéenne au XVe siècle », *La Corona d'Aragona e il Mediterraneo : aspetti e problemi comuni da Alfonso il Magnanimo a Ferdinando il Cattolico (1416-1516). IX Congresso di storia della Corona d'Aragona, Napoli, 11-15 aprile 1973*, Naples, 1982, p. 287-289.

—, « Le blé de Sicile, année 1500 », *Studi dedicati a Carmelo Trasselli*, dir. Giovanna Motta, Messine, 1983, p. 77-97.

—, « Production, commerce et consommation des draps de laine du XIIe au XVIIe siècle », *RH*, 499, 1971, p. 5-12.

- Bach (Erik), « Études génoises ; le minutier de Lanfranco », *Studi in onore di Armando Sapori*, I, Milan, 1957, p. 375-389.

—, *La Cité de Gênes au XIIe siècle*, Copenhague, 1955.

- Bacharach (Jere L.), « The Ducat in Fourteenth Century Egypt », *Itinéraires d'Orient. Hommages à Claude Cahen*, Bures-sur-Yvette, 1994 (*Res Orientales*, 6), p. 95-101.

- Baduel (Pierre Robert), « Le front de l'État. Éléments pour une approche comparative autour de la Méditerranée », *ROMM*, 48-9, 1988, p. 127-164.

بعيزق (محمد صالح)، بجاية في العهد الحفصي: دراسة اقتصادية واجتماعية، رسالة دكتوراه، جامعة تونس الأولى، إشراف منيرة شبوتو – الرمادي، 1995.

—, « L'élite andalouse à Tunis et à Bougie et le pouvoir hafside », *Communautés et pouvoirs en Italie et au Maghreb au Moyen Âge et à l'époque moderne*, actes du séminaire de Rome, 26-27 octobre 2001, dir. A. Nef et D. Valérian, *Mélanges de l'École française de Rome. Moyen Âge*, 115/1, 2003, p. 523-542.

– "محاولة لتقدير عدد سكان بجاية في العهد الحفصي" نشر ضمن أعمال ملتقى:

Actes du Ve symposium international d'études ottomanes : Les villes arabes, la démographie historique et la mer Rouge à l'époque ottomane. Arab Historical Review for Ottoman Studies, n° 9-10, 1994, p. 73-82.

- Bakchine-Dumont (Simone), « Les Juifs du Touat », *Cahiers du CRA [Centre de Recherche Africaine], Histoire*, 1, 1980, p. 39-45.

- Balard (Michel), « Assurances et commerce maritime à Gênes dans la seconde moitié du XIVe siècle », *Les Transports au Moyen Âge. Actes du VIIe congrès des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Annales de Bretagne et des pays de l'Ouest*, 85/2, 1978, p. 273-282.

—, « Les conditions de la production sucrière en Méditerranée orientale à la fin du Moyen Âge », *La Route du sucre du VIIIe au XVIIIe siècle, Actes du colloque organisé par l'Association Populaire pour l'Éducation Scientifique, Schœlcher, 2000*, s. l. [Martinique], 2001, p. 41-48.

—, « Génois et Pisans en Orient (fin du XIIIe - début du XIVe siècle) », *ASLSP*, n. s., 24/2, 1984, p. 179-209.

--- « Les hommes d'affaires occitentaux ont-ils asphyxié l'économie byzantine ? » ; *Europa mdeievale e mondo bizantino. Contatti effettivi e possibiità di studi comparati* (tavola rotonda del XVIII Congresso del CISH, Montréal, 29 agosto 1995), dir. G. Arnaldi et G. Cavallo, Rome, 1997, p. 255-265.

—, « Le minoranze orientali a Genova (secc. XIII-XV) », *La Storia dei Genovesi*, III, Gênes, 1983, p. 71-90.

—, « Les Génois en Romanie entre 1204 et 1261. Recherches dans les minutiers notariaux génois », *Mélanges d'Archéologie et d'histoire*, 78, 1966, p. 467-502, rééd. *La mer Noire et la Romanie génoise (XIIIe-XVe siècle)*, Londres, 1989.

—, « Les républiques maritimes italiennes et le commerce en Syrie-Palestine (XIe-XIIIe siècle) », *AEM*, 24, 1994, p. 313-348.

—, « Navigations génoises en Orient d'après des livres de bord du XIVe siècle », *Académie des Inscriptions et Belles-Lettres. Comptes rendus des séances de l'année 1988*, Paris, 1988, p. 781-793.

—, « Notes sur le commerce génois en Tunisie au XIIIe siècle », *CT*, 155-156, 1991, p. 369-386.

—, « Remarques sur les esclaves à Gênes dans la seconde moitié du XIIIe siècle », *Mélanges d'archéologie et d'histoire*, 80, 1968, p. 627-280.

—, *La Romanie génoise (XIIe-début du XVe siècle)*, Rome-Gênes, 1978.

- Balard (Michel), Hocquet (Jean-Claude), Hadziiossif (Jacqueline), Bresc (Henri), « Le transport des denrées alimentaires en Méditerranée à la fin du Moyen Âge », *Maritime Food Transport*, dir. Klaus Friedland, Cologne, 1994, p. 91-175.

- Balletto (Laura), « Battista Aicardo di Porto Maurizio, detto Scarincio, corsaro-pirata del secondo Quattrocento », *Corsari, « Turchi » e Barbareschi in Liguria. Atti del I convegno di Studi, Ceriale, 7-8 giugno 1986*, Albenga, 1987, p. 143-170.

—, *Battista de Luco, mercante genovese del secolo XV e il suo cartulario*, Gênes, 1979.

—, « Bougie nei manuali toscani di Mercatura del due-trecento », *Italia e Algeria, aspetti storici di un'amicizia mediterranea*, dir. Romain H. Rainero, Milan, 1982, p. 81-95.

—, « Commerciando con gli infedeli in Siria, in Egitto e in Tunisia (1418-23) », *Genova - Mediterraneo - Mar Nero (secc. XIII-XV)*, Gênes, 1976, p. 33-43.

—, « Da Genova al Maghrib : 1222-1226 », *Archivio storico sardo di Sassari*, 8, 1982, p. 305-316.

—, « Famiglie genovesi nel Nord-Africa », *Dibattito su grandi famiglie del mondo genovese fra Mediterraneo ed Atlantico. Atti del convegno Montoggio, 28 ottobre 1995*, dir. Geo Pistarino, Gênes, 1997, p. 49-71.

—, « Gênes et le Maghreb au XVe siècle », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. Mohammed Hammam, Rabat, 1996, p. 91-106.

—, « I Genovesi a Tunisi sulla fine del duecento », *La Storia dei Genovesi. Atti del convegno di studi sui ceti dirigenti nelle istituzioni della Repubblica di Genova, Genova, 1983*, Gênes, 1987, p. 81-97.

—, « Tra Genovesi e Musulmani nel XIII secolo », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 153-183.

- Banti (Ottavio), « I Rapporti tra Pisa e gli stati islamici dell'Africa settentrionale tra l'XI e il XIV secolo », *Le Ceramiche medievali delle chiese di Pisa*, Pise, 1983, p. 9-26, rééd. *Scritti di storia diplomatica ed epigrafia*, Pise, 1995.

—, « I trattati fra Genova e Pisa dopo la Meloria fino alla metà del secolo XIV », *ASLSP*, n. s., 24/2, 1984, p. 349-366, rééd. *Scritti di storia diplomatica ed epigrafia*, Pise, 1995.

- Baratier (Édouard), « Influence de la politique angevine sur le déclin commercial de Marseille, aux XIIIe et XIVe siècles », *VI Congreso de historia de la Corona de Aragón, Cagliari-Alghero, 1957*, Madrid, 1959, p. 679-693.

—, « Le commerce de Marseille avec l'Afrique du Nord avant 1599 », *Marseille, Revue municipale*, n° 11, 1951, p. 31-37.

—, « Les relations commerciales entre la Provence et la Ligurie au bas Moyen Âge », *Atti del I Congresso storico Ligura-Provenza*, Bordighera-Aix-en-Provence-Marseille, 1966, p. 147-168.

—, « Production et commerce de la laine en Provence du XIIIe au XVIe siècle », *La Lana come materia prima, atti della I settimana di studio di storia economica*, Florence, 1974, p. 301-313.

- Baratier (Édouard), Raynaud (Félix), *Histoire du commerce de Marseille de 1291 à 1480*, Paris, 1951.

- Barcelo i Crespi (Maria), « Niçards a la Mallorca baixmedieval », *AEM*, 24, 1994, p. 67-87.

- Basso (Enrico), « Pirati e pirateria a Genova nel Quattrocento », *La Storia dei Genovesi*, IX, Gênes, 1991, p. 327-351.

- Batlle i Gallart (Carmen), « La alhóndiga, centro de la vida de los Catalanes en el Norte de Africa », *Mediterraneo medievale. Scritti in onore di Francesco Giunta*, I, Soveria Mennelli, 1989, p. 75-88.

—, « La presencia de mercaders catalans al nord d'Africa durant el segle XIII », *Homenatge a la memoria del prof. Emilio Saez*, Barcelone, 1989, p. 99-109.

—, « La vida y las actividades de los mercaderes de Barcelona dedicados al comercio mediterráneo (s. XIII) », *Le Genti del mare Mediterraneo. XVII Colloquio internazionale di storia marittima, Napoli, 28-31 gennaio 1980*, dir. Rosalba Ragosta, Naples, 1981, I, p. 291-339.

—, « Uns mercaders de Barcelona al Nord d'Africa a mitjan segle XIII », *Acta Mediaevalia*, 10, 1989, p. 145-157.

- Batlle i Gallart (Carmen), Casas (Montserrat), « La caritat privada i les institucions benèfiques de Barcelona (segle XIII) », *La Pobreza y la asistencia a los pobres en la Cataluña medieval*, I, Barcelone, 1980, p. 117-190.

- Batlle i Gallart (Carmen), Cuadrada (Coral), « Berenguer de Bonastre, un negociante barcelonés en el Norte de Africa (segunda mitad del siglo XIII) », *Sardegna, Mediterraneo e Atlantico tra medioevo ed età moderna. Studi storici in memoria di Alberto Boscolo*, dir. Luisa Arienzo, II : *Il Mediterraneo*, Rome, 1993, p. 129-150.

- Batlle i Gallart (Carmen), Varela (Elisa), « Las relaciones comerciales de Barcelona con el norte de África (siglo XIII) », *Anales de la Universidad de Alicante*, 7, 1988-89, p. 23-52.

- Bautier (Anne-Marie), « Contribution à un vocabulaire économique du midi », *Archivium latinitanis medii aevi, Bulletin Du Cange*, 25, 1955, fasc. 1, p. 5-28 ; 26, 1956, fasc. 1-2, p. 5-74 ; 27, 1957, fasc. 3, p. 241-286 ; 28, 1958, fasc. 2-3, p. 119-160 ; 29, 1959, fasc. 2-3, p. 173-217 ; 30, 1960, fasc. 2-3, p. 177-232.

- Bautier (Robert-Henri), « Les grands problèmes politiques et économiques de la Méditerranée médiévale », *RH*, 234/1, 1965, p. 1-28, rééd. *Commerce méditerranéen et banquiers italiens au Moyen Âge*, Londres, 1992.

—, « Les Marchands et banquiers de Plaisance dans l'économie internationale du XIIe au XVe siècle », *Il « Registrum magnum » del Comune di Piacenza : Atti del Convegno Internazionale di studio, Piacenza, 1985*, Plaisance, 1987, p. 182-237, rééd. *Commerce méditerranéen*…

—, « Les relations commerciales entre l'Europe et l'Afrique du Nord et l'équilibre économique méditerranéen du XIIe au XIVe siècle », *Bulletin philologique et historique du Comité des travaux scientifiques et historiques*, 1955, p. 399-416, rééd. *Commerce méditerranéen*…

- Bazzana (André), Guichard (Pierre), Sénac (Philippe), « La frontière dans l'Espagne médiévale », *Frontière et peuplement dans le monde méditerranéen au Moyen Âge. Actes du colloque d'Erice-Trapani, 18-25 septembre 1988*, dir. Jean-Michel Poisson, Rome-Madrid (*Castrum*, 4), 1992, p. 35-59.

- Bel (Alfred), *Les Benou Ghânya, derniers représentants de l'Empire almoravides et leur lutte contre l'Empire almohade*, Paris, 1903.

- Belhamissi (Moulay), « Le rôle de Bidjaia dans la Méditerranée aux époques hammadite, almohade et hafside », *Actes intégraux du 8e séminaire sur la pensée islamique, Bidjaia, 25 mars – 5 avril 1974*, II, s. l., s. d., p. 67-79.

- Belkhodja (Mohamed Habib), « Al-Hiğra al-Andalusiyya ilā Ifrīqiya fī l-qarn 7/13 » (L'émigration andalouse en Ifrīqiya au VIIe/XIIIe siècle), *CT*, 69-70, 1970, p. 129-137.

- Ben Cheneb (M.), « La Farisiyya ou les débuts de la dynastie hafisde par Ibn Qunfudh de Constantine », *Hespéris*, 8, 1928, p. 37-41.

- Ben Hsain Masmoudi (Rajae), *Approche quantitative de l'or monnayé en Occident musulman (450/1058-9 - 830/1426-7)*, thèse de l'université Paris 1, sous la direction de Jean Devisse, 1994.

- Ben Romdhane (Khaled), « Considérations sur le mithqâl maghrébin », *Africa*, 9, 1985, p. 251-257.

—, *Les Monnaies almohades. Aspects idéologiques et économiques*, thèse de troisième cycle, sous la direction de Jean Devisse, Université Paris VII, 1979.

—, « Supplément au catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque nationale : les dīnārs Ḥafsīdes », *Revue Numismatique*, série VI, 26, 1984, p. 218-223.

- Benchelabi (Safia), *Étude archéologique de Bidjâya*, mémoire de maîtrise, sous la direction d'Alastair Northedge, Université Paris 1, 2004.

- Bennassar (Lucile et Bartolomé), *Les Chrétiens d'Allah. L'histoire extraordinaire des renégats, XVIe-XVIIe siècles*, Paris, 1989.

- Benremdane (Ahmed), « Al-ğihād y la cautividad en los dictámenes jurídicos o fatuas de los alfaquíes musulmanes y de Al-Wanšarīsī, en particular : el caso de los musulmanes y de los cristianos de Al-Andalus », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 447-455.

- Bensa (Enrico), *Il Contratto di assicurazione nel medio evo*, Gênes, 1884.

- Bensaci (Mekkia), « Familles et individualités pisanes en relation avec le Maghreb », *CT*, 113-114, p. 57-75.

—, *Pise et le Maghrib au Moyen Âge*, thèse de troisième cycle, sous la direction de Charles-Emmanuel Dufourcq, Université Paris X, 1979.

- Bensch (Stephen P.), *Barcelona and its Rulers, 1096-1291*, Cambridge, 1995.

- Bercher (L.), « Le Palais d'al Mansur à Bougie », *RT*, 29, 1922, p. 50-54.

- Bergier (Jean-François), « Lucques et l'Europe : fidélité à quel destin ? », *Lucca e l'Europa degli affari (secoli XV-XVII)*, Lucques, 1990, p. 17-27.

- Bernard (Augustin), *Géographie universelle*, dir. Paul Vidal de la Blache et Louis Gallois, XI, *Afrique septentrionale et occidentale*, 1re partie, *Généralités et Afrique du Nord*, Paris, 1937.

- Berne (Albert), *Consuls sur mer et d'outre-mer de Montpellier au Moyen Âge (XIIIe-XIVe siècle)*, Carcassonne, 1904.

- Berque (Jacques), « Les capitales de l'islam maghrébin vues par Ibn Khaldoun et les deux Maqqari », *Annales islamologiques*, 8, 1969, p. 71-97.

—, « Les Hilaliens repentis, ou l'Algérie rurale au XVe siècle », *Annales ESC*, 25/5, 1970, p. 1325-1353.

—, « Ibn Khaldoun et les Bédouins », *Maghreb, histoire et sociétés*, Alger, 1974, p. 22-34 (titre original « Problèmes de la connaissance au temps d'Ibn Khaldoun », *Contribution à la sociologie de la connaissance*, Paris, 1967).

—, *L'intérieur du Maghreb, XVe-XIXe siècle*, Paris, 1978.

—, « Qu'est-ce qu'une tribu nord-africaine ? », *Éventail de l'histoire vivante. Mélanges Lucien Febvre*, Paris, 1954, rééd. *Maghreb, histoire et société…*, p. 22-34.

- Berthier (André), « Les écoles de langues orientales fondées au XIIIe siècle par les Dominicains en Espagne et en Afrique », *RA*, 73, 1932, p. 84-103.

- Berti (Graziella), « Pisa città mediterranea. La testimonianza delle ceramiche importate ed esportate », *Pisa e il Mediterraneo. Uomini, merci, idee dagli Etruschi ai Medici*, dir. Marco Tangheroni, Milan, 2003, p. 169-173.

- Berti (Graziella), Tongiorgi (Liana), *I Bacini ceramici medievali delle chiese di Pisa*, Rome, 1981.

—, *Ceramica pisana, secoli XIII-XV*, Pise, 1977.

—, « Ceramiche decorate (XI-XIV sec.) di importazione da vari centri del Mediterraneo e di produzione locale sulla base della documentazione in Toscana », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. Xe-XVe siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 83-91.

- Berti (Marcello), « Commende e redditività di commende nella Pisa della prima metà del Trecento », *Studi in memoria di Federigo Melis*, II, Naples, 1978, p. 53-145.

—, *Commercio all'ingrosso e al minuto dei panni di lana a Pisa nei primi decenni della dominazione fiorentina*, Pise, 1980.

- Beylié (Léon Marie Eugène de), *La Kalaa des Beni-Hammad. Une capitale berbère de l'Afrique du Nord au XIe siècle*, Paris, 1909.

- Bianquis (Thierry), « Les frontières de la Syrie au XIe siècle », *Frontière et peuplement dans le monde méditerranéen au Moyen Âge. Actes du colloque d'Erice-Trapani, 18-25 septembre 1988*, dir. Jean-Michel Poisson, Rome et Madrid, 1992 (*Castrum*, 4), p. 135-150.

- بجاية عبر العصور، الأصالة، 19، 1974.

- Billiard (L.), Vergnieau (F.), Balensi (E.), *Les Ports et la navigation de l'Algérie*, Paris, 1930.

- Biraben (Jean-Noël), *Les Hommes et la peste en France et dans les pays européens et méditerranéens*, Paris, 1975, 2 vol.

—, « Essai sur l'évolution du nombre des hommes », *Population*, 34/1, 1979, p. 13-24.

- Birebent (Jean), « Explorations souterraines en Algérie », *Annales de Spéléologie*, 8, fasc. 1.

- Blake (H.), « The *Bacini* of North Italy », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. X^e-XVe siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 93-111.

- Blancard (Louis), « Du consul de mer et du consul sur mer », *BEC*, 4e série, 3, 1857, p. 427-438.

—, *Le Millarès, étude sur une monnaie imitée de l'arabe par les chrétiens pour les besoins de leur commerce en pays maure*, Marseille, 1876.

- Bloch (Marc), « Le problème de l'or au Moyen-Âge », *Annales d'histoire économique et sociale*, 6, 1933, p. 1-34.

- Blomquist (Thomas W), « The Drapers of Lucca and the Marketing of Cloth in the Mid-thirteenth Century », *Economy, Society, Government in Medieval Italy. Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-1970, p. 65-73.

- Boissonnade (P.), « Relations commerciales de la France méridionale avec l'Afrique du Nord ou Maghreb du XIIe au XVe siècle, étude d'histoire économique », *Bulletin de la société de géographie*, 1929, p. 1-37.

- Borlandi (Franco), « "Futainiers" et futaines dans l'Italie du Moyen Âge », *Hommage à Lucien Febvre*, II, Paris, 1953, p. 133-140.

- Borràs i Feliu (Antoni), « L'ajuda als pobres en els testaments de Catalunya i Valencia del segle XV », *La Pobreza y la asistencia a los pobres en la Cataluña medieval*, I, Barcelone, 1980, p. 363-371.

- Borrut (Antoine), Picard (Christophe), « Râbata, ribât, râbita : une institution à reconsidérer », *Chrétiens et musulmans en Méditerranée médiévale (VIIIe-XIIIe siècle). Échanges et contacts*, dir. Nicolas Prouteau, Philippe Sénac, Poitiers, 2003, p. 33-65.

- Borsari (Silvano), « Il commercio veneziano nell'imperio bizantino nel XII sec. », *RSI*, 76, 1964, p. 982-1011.

- Bosch Vila (Jacinto), « Algunas consideraciones sobre 'taġr en al-Andalus' y la división político-administrativa de la España musulmana », *Études d'Orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, I, Paris, 1962, p. 23-33.

- Boscolo (Alberto), « Aspetti dell'economia della Sardegna dal periodo della supremazia pisana-genovese al primo periodo della dominazione aragonese », *Sardegna, Pisa e Genova nel Medioevo*, Gênes, 1978, p. 139-153.

—, « Problemi mediterranei dell'epoca di Pietro il Ceremonioso. 1353-1387 », *VIII Congreso de Historia de la Corona de Aragón*, t. II, vol. 3, Valence, 1973, p. 65-99.

- Boswell (John), *The Royal Treasure: Muslim Communities under the Crown of Aragon in the 14th Century*, New Haven et Londres, 1977.

- Botet y Sisó (Joaquím), « Nota sobre la encunyacio de monedes arabigues per il rey Don Jaime », *I Congreso de historia de la Corona de Aragón, Jaime I y su época*, II, Barcelone, 1913, p. 944-963.

- Boüard (Michel de), « Problèmes de subsistance dans un État médiéval : le marché et les prix des céréales au royaume angevin de Sicile (1266-82) », *Annales d'histoire économique et sociale*, 10, 1938, p. 483-501.

- Boubaker (Sadok), « La perception de la Méditerranée en Tunisie », *La Méditerranée tunisienne*, Paris, 2000, p. 17-42.

- Boukhzer (Hachemi), *Le grand projet de transformation de la ville algérienne, 1830-1870 : le cas de la ville de Bejaia, ex-Bougie*, thèse de l'EHESS, sous la direction de Marcel Roncayolo, 1998.

- Bourouiba (Rachid), *Les H'ammadites*, Alger, 1984.

—, *La Qal'a des Banī Hammâd*, Alger, 1975.

—, « Sur six dinars almohades trouvés à la Kalaa des Banu-Hammad », *Bulletin d'archéologie algérienne*, 2, 1966-1967, p. 271-291.

—, « La vie économique et les arts à Bidjaia la Hammadide », *Actes intégraux du 8e séminaire sur la pensée islamique, Bidjaia, 25 mars - 5 avril 1974*, II, s. l., s. d., p. 7-15.

- Bouzid (Aleya), *Catalogue des tribus berbères « Butr » au Maghreb d'après les sources arabes médiévales*, Diplôme de recherches approfondies, sous la direction de M. Chapoutot-Remadi, Tunis, 1991-1992.

- Braudel (Fernand), *Civilisation matérielle, économie et capitalisme, XVe-XVIIIe siècle*, Paris, 1979, 3 vol.

—, « Les Espagnols et l'Afrique du Nord de 1492 à 1577 », *RA*, 69, 1928, p. 184-233, 351-428, rééd. (sans une partie de l'apparat critique), *Les Écrits de Fernand Braudel. Autour de la Méditerranée*, Paris, 1996, p. 31-89.

—, *La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II*, Paris, 1re édition, Paris, 1949, 4e éd. corrigée, Paris, 1979, 2 vol.

—, « Monnaies et civilisation : de l'or du Soudan à l'argent d'Amérique. Un drame méditerranéen », *Annales ESC*, 1, 1946, p. 9-22.

- Brémond (Général de), *Berbères et Arabes. La Berbérie est un pays européen*, Paris, 1950.

- Bresc (Henri), *Arabes de langue, juifs de religion. L'évolution du judaïsme sicilien dans l'environnement latin, XIIe-XVe siècles*, Paris, 2001.

—, « Course et piraterie en Sicile (1250-1450) », *AEM*, 10, 1980, p. 751-765.

—, « Pantelleria entre l'Islam et la chrétienté », *CT*, 71-72, 1971, p. 105-127.

—, *Un monde méditerranéen ; économie et société en Sicile, 1300-1450*, Rome, 1986.

- Bresc (Henri), Eddé (Anne-Marie), Guichard (Pierre), « Les autonomismes urbains des cités islamiques », *Les Origines des libertés urbaines. Actes du XVIe Congrès des Historiens médiévistes de l'enseignement supérieur, Rouen, 7-8 juin 1985*, Rouen, 1990, p. 97-119.

- Brett (Michael), « The City-state in Mediaeval Ifrīqiya. The Case of Tripoli », *CT*, 137-138, 1986, p. 69-94.

—, « Ifrīqiya as a Market for Saharan Trade from the Tenth to the Twelfth Century A.D. », *Journal of African History*, 10/3, 1969, p. 347-364.

- Brodman (James W.), « Municipal Ransoming Law on the Medieval Spanish Frontier », *Speculum*, 60/2, 1985, p. 318-330.

—, *Ransoming Captives in Crusader Spain. The Order of Merced on the Christian-islamic Frontier*, Philadelphie, 1986.

- Bruno (Agostino), « Antico commercio e navigazione dei Savonesi nel Mediterraneo e nel Levante », *Bollettino della società Storica Savonese*, 1, 1898, p. 110-125.

- Brunschvig (Robert), *La Berbérie orientale sous les Hafsides, des origines au XVe siècle*, Paris, 1940-1947, 2 vol.

—, « Capitalisme et islam traditionnel », (conférence inédite, 1960), *Études sur l'Islam classique et l'Afrique du Nord*, Londres, 1986, p. 1-8.

—, « Esquisse d'histoire monétaire almohado-hafside », *Mélanges William Marçais*, Paris, 1950, p. 63-94.

—, « Ibn aš-Šammā', historien ḥafside », *AIEO*, 1934-1935, p. 193-212.

—, « Le problème de la décadence », *Classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'Islam. Actes du symposium international d'histoire et de civilisation musulmane, Bordeaux, 25-29 juin 1956*, dir. Robert Brunschvig et Gustav E. von Grünebaum, Paris, 1977, p. 29-51.

—, « Mesures de capacité de la Tunisie médiévale », *RA*, 77, 1935, p. 86-96.

—, « Métiers vils en Islam », *Studia islamica*, 16, 1962, p. 41-60.

—, « Note sur un traité conclu entre Tunis et l'empereur Frédéric II », *RT*, n. s., 9, 1932, p. 153-160.

—, « Quelques remarques sur les médersas de Tunisie », *RT*, n. s., 6, 1931, p. 261-285, rééd. *Études sur l'Islam classique et l'Afrique du Nord*, Londres, 1986.

—, « Un dinar ḥafside inédit », *Bulletin de la société historique et géographique de Sétif*, 2, 1941, p. 179-182.

- Bulst (Neithard), « L'essor (X^e^-XIVe siècle) », *Histoire des populations de l'Europe*, dir. Jacques Dupâquier et Jean-Pierre Bardet, I, Paris, 1997, p. 168-184.

- Buresi (Pascal), « Nommer, penser les frontières en Espagne aux XIe-XIIIe siècles », *Identidad y representación de la frontera en la España medieval (siglos XI-XIV)*, dir. Carlos de Ayala Martínez, Pascal Buresi, Philippe Josserand, Madrid, 2002, p. 51-74.

- Burns (Robert Ignatius), *Muslims, Christians and Jews in the Crusader Kingdom of Valencia*, Cambridge, 1984, trad catalane, *Moros, cristians i jueus en el regne croat de Valencia*, Valence, 1987.

—, « Les mudéjars du royaume de Valence au temps des Croisades : une majorité traitée en minorité dans un royaume du Moyen Âge », *Minorités et marginaux en Espagne et dans le Midi de la France (VIIe-XVIIIe siècle)*, Paris, 1986, p. 95-118.

—, « Piracy as an Islamic-Christian Interface in the Thirteenth Century », *Viator*, 11, 1980, p. 165-178.

- Bousquet (Georges-Henri), « Dans quelle mesure l'enseignement dogmatique a-t-il pu entraver l'évolution des institutions économiques et sociales de l'Islam ? », *Classicisme et déclin culturel dans l'histoire de l'Islam. Actes du symposium international d'histoire et de civilisation musulmane, Bordeaux, 25-29 juin 1956*, dir. Robert Brunschvig et Gustav E. von Grünebaum, Paris, 1977, p. 185-193.

- Byrne (Eugene H.), « Easterners in Genoa », *Journal of the American Oriental Society*, 38/1, 1918, p. 176-187.

—, *Genoese Shipping in the Twelfth and Thirteenth Centuries*, Cambridge (Mass.), 1930.

—, « Genoese Trade with Syria in the Twelfth Century », *American Historical Review*, 25/2, 1920, p. 191-219.

- Cabestany y Fort (Joan F.), « "Consol de Mar" y "Consols d'Ultramar" en Cataluña (siglos XIII-XIV) », *Le Genti del mare Mediterraneo. XVII Colloquio internazionale di storia marittima, Napoli, 28-31 gennaio 1980*, dir. Rosalba Ragosta, Naples, 1981, I, p. 397-426.

- Cahen (Abraham), « Les Juifs dans l'Afrique septentrionale », *Recueil de la Société archéologique de Constantine*, 11, 1867, p. 102-208.

- Cahen (Claude), « L'alun avant Phocée », *Revue d'histoire économique et sociale*, 41, 1963, p. 433-447, rééd. *Turcobyzantina et Oriens Christianus*, Londres, 1974.

—, « Amalfi en Orient à la veille, au moment et au lendemain de la première croisade », *Amalfi nel Medioevo : convegno internazionale, 14-16 giugno 1973*, Salerne, 1977, p. 269-283.

—, « À propos des *shuhʿūd* », *Studia Islamica*, 31, 1970, p. 71-79, rééd. *Les peuples musulmans…*, p. 161-168.

—, « Considérations sur l'utilisation des ouvrages de droit musulman par l'historien », *Atti del III congresso di studi arabi e islamici, Ravello, 1966*, Naples, 1967, p. 239-247.

—, « Douanes et commerce dans les ports méditerranéens de l'Égypte médiévale », *JESHO*, 7, 1964, p. 217-314, rééd. *Makhzūmiyyāt. Études sur l'histoire économique et financière de l'Égypte médiévale*, Leyde, 1967.

—, « L'évolution de l'*iqṭāʿ* du IXe au XIIIe siècle. Contribution à une histoire comparée des sociétés médiévales », *Annales ESC*, 8/1, 1953, p. 25-52, rééd. *Les peuples musulmans*, p. 231-269.

—, « Les finances urbaines dans le Moyen Âge musulman », *Ve Congrès international d'arabisants et islamisants, Bruxelles, 31 août - 6 septembre 1970, Correspondance d'Orient*, 11, 1971, p. 145-150.

—, « L'histoire économique de l'Orient musulman médiéval », *Studia islamica*, 3, 1955, p. 93-115, rééd. *Les peuples musulmans…*, p. 209-229.

—, *Introduction à l'histoire du monde musulman médiéval VIIe-XVe siècle. Méthodologie et éléments de bibliographie*, Paris, 1982.

—, « Mouvements populaires et autonomisme urbain dans l'Asie du Moyen Âge », *Arabica*, 5, 1958, p. 225-250 ; 6, 1959, p. 25-56, 233-265.

—, « Nomades et sédentaires dans le monde musulman du milieu du Moyen Âge », *Islamic Civilization*, dir. D. S. Richards, 1973, rééd. *Les peuples musulmans…*, p. 423-437.

—, *Orient et Occident au temps des Croisades*, Paris, 1983.

—, *Les peuples musulmans dans l'histoire médiévale*, Damas, 1977.

—, « Ports et chantiers navals dans le monde méditerranéen musulman jusqu'aux croisades », *La Navigazione mediterranea nell'alto medioevo*, Spolète, 1978 (*Settimane di Studio del Centro italiano di studi sull'alto medioevo*, XXV), I, p. 299-319.

—, « Quelques mots sur le déclin commercial du monde musulman à la fin du Moyen Âge », *Studies in the Economic History of the Middle East*, dir. M. A. Cook, Londres, 1967, p. 31-36, rééd. *Les Peuples musulmans…*, p. 359-366.

—, « Quelques mots sur les hilaliens et le nomadisme », *JESHO*, 11, 1968, p. 130-133.

—, « Quelques problèmes concernant l'expansion économique musulmane au haut Moyen-Âge », *L'Occidente e l'Islam nell'alto Medio*

Evo, Spolète, 1965 (*Settimane di studio del Centro Italiano di Studi sull'Alto Medio Evo*, XII), I, p. 391-432, rééd. *Les Peuples musulmans…*, p. 322-357.

—, « Un traité d'armurerie composé pour Saladin », *Bulletin d'Études Orientales*, 19, 1942-1948, p. 103-163.

- Calero Secall (María Isabel), « Málaga : un puerto en una ciudad », *Al-Andalus y el Mediterráneo*, Barcelone-Madrid, 1995, p. 115-122.

- Calvini (Nilo), *Nuovo glossario medievale ligure*, Gênes, 1984.

- Cambuzat (Paul-Louis), *L'Évolution des cités du Tell en Ifrīqiya du VIIe au XIe siècle*, Alger, 1986, 2 vol.

- Canale (Michele Giuseppe), *Nuova Istoria della Repubblica di Genova, del suo commercio e della sua letteratura dalle origini all'anno 1797*, II et III, Florence, 1860, 2 vol.

- Cardon (Dominique), *La Draperie au Moyen Âge. Essor d'une grande industrie européenne*, Paris, 1996.

- Cariñena Balaguer (Rafael), « Los llibres d'aramament : una fuente fundamental para el estudio del comercio valenciano en el Mediterráneo a lo largo del siglo XV (1406-1530) », *Congreso de Jóvenes historiadores y geógrafos, Madrid, 1980*, Madrid, 1990, p. 713-732.

- Carrère (Claude), « Aspects de la production et du commerce de la laine en Aragon au milieu du XVe siècle », *La Lana come materia prima, atti della I settimana di studio di storia economica*, dir. Marco Spallanzani, Florence, 1974, p. 205-219.

—, *Barcelone au temps des difficultés, 1380-1462*, Paris, 1967.

—, « Le droit d'ancrage et le mouvement du port de Barcelone au milieu du XVe siècle », *Estudios de historia moderna*, 3, 1953, p. 67-156.

—, « Marseille, Aigues-Mortes, Barcelone et la compétition en Méditerranée occidentale au XIIIe siècle », *AEM*, 10, 1980, p. 161-172.

- Carus Wilson (Eleanora), « The Woollen Industry », *The Cambridge Economic History*, dir. M. Postan et E. E. Rich, Cambridge, 1952, II, p. 355-428.

- Casaretto (Pier Francesco), *La moneta genovese in confronto con le altre valute mediterranee nei secoli XII e XIII*, *ASLSP*, 55, 1928.

- Castagneto (Pierluigi), *L'Arte della Lana a Pisa nel Duecento e nei primi decenni del Trecento. Commercio, industria e istituzioni*, Pise, 1996.

- Ceccarelli Lemut (Maria-Luisa), « L'uso della moneta nei documenti pisani dei sec. XI e XII », *Studi sugli strumenti di scambio a Pisa nel Medioevo*, Pise, 1979, p. 47-127.

- Cerisola (Nello), *Storia del porto di Savona*, Savone, 1968.

- Cerone (Francesco), « Alfonso il Magnanimo ed Abu 'Omar Othmân, Trattative e negoziati tra il Regno di Sicilia di qua e di là dal Faro ed il Regno di Tunisi (1432-1457) », *Archivio storico per la Sicilia Orientale*, 9, 1912, p. 45-70 ; 10, 1913, p. 22-78.

- Cessi (Roberto), « Le relazioni commerciali tra Venezia e le Fiandre nel sec. XIV », *Politica ed economia di Venezia nel Trecento*, Rome, 1952, p. 71-172.

—, *Venezia nel Duecento : tra Oriente e Occidente*, Venise, 1985.

- Chalal (Djameleddine), Roubache (Abdelkrim), *Bougie. Une modification pour atteindre l'habiter*, Mémoire de fin d'études en vue de l'obtention du diplôme d'architecte d'État, École polytechnique d'architecture et d'urbanisme d'Alger, Alger, 1998-1999.

- Chapoutot-Remadi (Mounira), « Fronte sahariano e fronte mediterraneo », *Hinterland*, 3e année, n° 15-16, 1980, p. 10-21.

—, « Les Charfi et la cartographie », *Itinéraires du savoir en Tunisie*, dir. Hassen Annabi, Mounira Chapoutot-Remadi et Samia Kamarti, Tunis-Paris, 1995, p. 84-95.

—, « Les relations entre l'Égypte et l'Ifrīqiya aux XIIIe et XIVe siècle d'après les auteurs mamlûks », *Actes du premier congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb*, I, *Cahiers du CERES*, *Série histoire*, 1, Tunis, 1979, p. 139-159.

—, « Réflexions sur l'industrie textile dans le monde musulman au Moyen Âge. À propos d'un livre récent », *Annales*, *ESC*, 35/3-4, 1980, p. 504-511.

—, « Tunis », *Grandes villes méditerranéennes du monde musulman médiéval*, dir. Jean-Claude Garcin, Rome, 2000, p. 235-262.

- Cheddadi (Abdeslam), « Les Musulmans et la Méditerranée », *Qantara*, 1992, rééd. *Ibn Khaldoun revisité*, Casablanca, 1999, p. 69-74.

- Chérif (Mohamed), *Ceuta à l'époque almohade et mérinide*, 1996.

- Cherubini (Giovanni), « I prodotti della terra : olio e vino », *Terra e uomini nel Mezzogiorno normanno-svevo*, *Atti delle settime giornate normanno-sveve*, *Bari*, *15-17 ottobre 1985*, dir. Giosuè Musca, Bari, 1987, p. 187-234.

- Chiappa Mauri (Maria Luisa), « Il commercio occidentale di Genova nel XIV secolo », *Nuova Rivista storica*, 57, 1973, p. 571-612.

- Chiaudano (Mario), « Breve Curiae Maris pisanae civitatis », *Novissimo digesto italiano*, 2, Turin, 1974, p. 575.

—, « La moneta di Genova nel secolo XII », *Studi in onore di Armando Sapori*, I, Milan, 1957, p. 187-214.

—, « Mercanti genovesi del secolo XII », *Ricerche storiche ed economiche in memoria di Corrado Barbagallo*, dir. Luigi di Rosa, II, Naples, 1970, p. 123-146.

- Chiauzzi (Gioia), « Le substrat autochtone au Maghreb », *Maghreb Médiéval. L'apogée de la civilisation islamique dans l'Occident arabe*, Aix-en-Provence, 1991, p. 13-53.

- Cipolla (Carlo Maria), *Money*, *Prices and Civilization in the Mediterranean World*, Princeton, 1956.

—, « Studi di storia della moneta. I, Movimenti dei cambi in Italia dal secolo XIII al XV », *Studi nelle scienze giuridiche e sociali*, 29, 1948, p. 31-239.

- Cipollone (Giulio), *Cristianità-Islam : cattività e liberazione in nome di Dio : il tempo di Innocenzo III dopo « il 1187 »*, Rome, 1992.

—, « L'ordre de la Sainte Trinité et de la rédemption des captifs (1198). Les Trinitaires dans le Midi », *Islam et chrétiens du Midi (XIIe-XIVe s.)*, Toulouse, 1983 (*Cahiers de Fanjeaux*, 18), p. 135-156.

—, « La redenzione e la liberazione dei cativi. Lettura cristiana e modello di redenzione e liberazione secondo la regola dei Trinitari », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 345-384.

- Cissoko (Sékéné Mody), « Les Songhay du XIIe au XVIe siècle », *L'Histoire générale de l'Afrique*, IV, *L'Afrique du XIIe au XVIe siècle*, dir. Djibril Tamsir Niane, Paris, 1985, p. 213-235.

- Citarella (Armand O.), « Il declino del commercio marittimo di Amalfi », *Archivio storico per le province napoletane*, s. III, 13, 1975, p. 9-54.

—, « The Relations of Amalfi with the Arab World before the Crusades », *Speculum*, 42, 1967, p. 299-312.

- Cohen (H. J.), « The Economic Background and Secular Occupation of Muslim Jurisprudents and Traditionists in the Classical Period of Islam », *JESHO*, 13, 1970, p. 26-31.

- Coll Julià (Nuria), « Aspectos del corso catalán y del comercio internacional en el siglo XV », *Estudios de historia moderna*, 4, 1954, p. 159-186.

—, « Documentación notarial relativa a los pobres en la Cataluña del siglo XV », *La Pobreza y la asistencia à los pobres en la Cataluña medieval*, II, Barcelone, 1982, p. 287-311.

- Collier (Raymond), Billiou (Joseph), *Histoire du commerce de Marseille*, III, *1480-1599*, Paris, 1951.

- Combes (Jean), *Montpellier et le Languedoc au Moyen Âge*, Montpellier, 1990.

—, « Quelques remarques sur les bourgeois de Montpellier au Moyen Âge », *Recueil de mémoires et travaux de la société d'histoire du droit et des institutions des anciens pays de droit écrit*, 7, 1970, p. 93-132.

- Combes (Jean), Sayous (André-É.), « Les commerçants de Montpellier aux XIIIe-XIVe siècles », *RH*, 188-189, 1940, p. 341-377.

- Comolli (Isabelle), *Histoire de la ville de Bougie du VIe siècle av. J. C. au XIIe siècle*, Montpellier, 1987.

- Concina (Ennio), *Fondaci. Architettura, arte e mercatura tra Levante, Venezia e Alemagna*, Venise, 1997.

- Conio (Antoni), « Rescat d'un captiu en Riba barbaresca », *Tres vielh procès marsilhes*, Carcassonne, 1933, p. 12-16.

- Constable (Olivia Remie), « Funduq, Fondaco, and Khan in the Wake of Christian Commerce and Crusade », *The Crusades from the Perspective of Byzantium and the Muslim World*, dir. A. E. Laiou et R. P. Mottahedeh, Washington, 2001, p. 145-156.

—, *Housing the Stranger in the Mediterranean World. Lodging, Trade, and Travel in Late Antiquity and the Middle Ages*, Cambridge, 2003.

—, « Muslim Merchants in Andalus International Trade », *The Legacy of Muslim Spain*, dir. S. Kh. Jayyusi, Leyde, 1992, p. 759-773.

—, *Trade and Traders in Muslim Spain. The Commercial Realignment of the Iberian Peninsula, 900-1500*, Cambridge, 1994.

- Cortelazzio (Manlio), « Arabismi di Pisa e Arabismi di Venezia », *Lingua nostra*, 18, 1957, p. 95-97, rééd. *Venezia, il Levante e il mare*, Pise, 1989, p. 447-449.

- Costa (Maria-Mercè), « La pau del 1428 i els mercaders genovesos de la Corona d'Aragó », *AEM*, 10, 1980, p. 556-576.

- Coulon (Damien), *Barcelone et le grand commerce d'Orient au Moyen Âge. Un siècle de relations avec l'Égypte et la Syrie-Palestine (ca. 1330 – ca. 1430)*, Madrid-Barcelone, 2004.

—, « L'expansion occidentale vers le Levant à la fin du Moyen Âge. La mise en place de structures de domination commerciale », *L'expansion occidentale (XIe-XVe siècles). Formes et conséquences. XXXIIIe Congrès de la SHMES (Madrid, Casa de Velázquez, 23-26 mai 2002)*, Paris, 2003, p. 159-175.

- Cresti (Federico), « Algeri nel XVII secolo : documenti iconografici e fonte letterarie. II, 1635-1700 », *Studi Maghrebini*, 17, 1985, p. 3-56.

- Cristiani (Emilio), *Nobiltà e popolo nel comune di Pisa*, Naples, 1962.

- Cruselles Gómez (Enrique), « La organización del transporte marítimo en la Valencia de la primera mitad del siglo XV », *AEM*, 24, 1994, p. 155-177.

- Cuadrada (Coral), Orlandi (Angela), « Ports, tràfics, vaixells, productes : Italians i Catalans a la Mediterrània baixmedieval », AEM, 24, 1994, p. 3-48.

- Dahmani (Saïd), « Essai d'établissement d'une carte des voies de circulation dans l'est du Maghrib central du IXe au XIIe siècle », *Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord. Actes du IIIe colloque international, réunis dans le cadre du 110e Congrès national des sociétés savantes (Montpellier, 1-5 avril 1985)*, Paris, 1986, p. 337-350.

- Dapping (George Bernard), *Histoire du commerce entre le Levant et l'Europe depuis les croisades jusqu'à la fondation des colonies d'Amérique*, Paris, 1830, 2 vol.

- Davidsohn (Robert), *Forschungen zur Geschichte von Florenz*, Berlin, 1901, 4 vol.

—, *Storia di Firenze*, Florence, 1956-68, 7 vol.

- Day (John), « Colonialisme monétaire en Méditerranée au Moyen Âge », *Actes du IIe colloque international d'histoire, Athènes, 1983 : Économies méditerranéennes. Équilibres et intercommunications, XIIIe-XIXe siècle*, I, Athènes, 1985, p. 305-319.

- De Roover (Raymond), « The "Cambium Maritimum" Contract According to the Genoese Notarial Records of the XIIth and XIIIth Centuries », *Economy, Society, Government in Medieval Italy. Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-70, p. 15-33.

—, *L'Évolution de la lettre de change XIVe-XVIIe siècles*, Paris, 1953.

- Debruge (M.), « Les pieds d'Hercule. Abris sous roche à Bougie », *Recueil de la société archéologique de Constantine*, 37, 1903, p. 127-132.

- Del Treppo (Mario), « Assicurazioni e commercio internazionale a Barcellona nel 1420-1429 », *RSI*, 69, 1957, p. 508-541 ; 70, 1958, 44-81.

—, *I Mercanti catalani e l'espansione della Corona d'Aragona nel secolo XV*, Naples, 1972.

- Delort (Robert), *Le Commerce des fourrures en Occident vers la fin du Moyen Âge*, Rome, 1975.

- Delumeau (Jean), *L'Alun de Rome XVe-XIXe siècle*, Paris, 1962.

- Dermenghem (Émile), « Al-Hirrālī. Un çoufi du XIIIe siècle, érudit, métaphysicien, philosophe et poète », *AIEO*, 7, 1948, p. 39-53.

- Desimoni (Cornelio), « La moneta e il rapporto dell'oro all'argento nei secoli XII al XIV », *Atti della R. Accademia dei Lincei*, serie V, *Classe di scienze morali, storiche e filologiche*, vol. III, 1ª parte, 1895, p. 4-56.

- Despois (Jean), *L'Afrique du Nord*, Paris, 1958 (1re éd. 1949).

—, « La bordure saharienne de l'Algérie orientale », *RA*, 86, 1942, p. 197-219.

- Devisse (Jean), « Approximatives, quantitatives, qualitatives : valeurs variables de l'étude des traversées sahariennes », *Relaciones de la Península ibérica con el Magreb siglos XIII-XVI. Actas del coloquio, Madrid, 1987*, dir. Mercedes García-Arenal et María Jesús Viguera, Madrid, 1988, p. 165-203.

—, « Commerce et routes du trafic en Afrique occidentale », *Histoire générale de l'Afrique*, III, *L'Afrique du VIIe au XIe siècle*, dir. Mohamed el-Fasi, Paris, 1990, p. 397-463.

—, « Routes de commerce et échanges en Afrique occidentale en relation avec la Méditerranée. Un essai sur le commerce africain médiéval

du XIe au XVIe siècle », *Revue d'Histoire Économique et Sociale*, 50, 1972, p. 42-73, 357-397.

- Dewulf (Eugène), « Notice sur l'aqueduc de Bougie », *Recueil de la Société archéologique de Constantine*, 10, 1866, p. 316-319.

- Dhina (Atallah), « Note sur l'authenticité et la portée du "Testament" de Yaghmurasan », *RHCM*, 6-7, 1969, p. 22-24.

—, *Le royaume abdelouadite à l'époque d'Abou Moussa Ier*, Alger, 1985.

- Di Tucci (Raffaele), « La condizione dei mercanti stranieri in Sardegna durante la dominazione aragonese », *Archivio Storico Sardo*, 7, 1911, p. 3-38.

- Di Tucci (R.), *Studi sull'economia genovese del secolo XII. La nave e i contratti marittimi. La banca privata*, Turin, 1933.

- Díaz Borrás (Andrés), *Los orígenes de la piratería islámica en Valencia : la ofensiva musulmana trecentista y la reacción cristiana*, Barcelone, 1993.

—, *Problemas marítimos de Valencia a finales de la Edad Media : el corso, la piratería y el cautiverio en su incidencia sobre la dinámica económica. 1400-1480*, Thèse de doctorat, Université de Valence, 1987.

—, « Atención valenciana a la redención de cautivos cristianos », *Estudis castellonensc*, 3, 1986, p. 337-353.

—, « El comercio valenciano con Berbería en la "Era de los Descubrimientos" a través de los llibres d'armaments. Una aproximación », *Congreso de Jóvenes historiadores y geógrafos, Madrid, 1980*, Madrid, 1990, p. 733-748.

—, « L'estudi de la pirateria a través dels avisaments costaners. Replegament cristià i setge islàmic a la València de la transició à la modernitat : 1480-1520 », *AEM*, 20, 1990, p. 275-295.

—, *El Miedo al Mediterráneo : la caridad popular valenciana y la redención de los cautivos bajo poder musulmán 1323-1539*, Barcelone, 2001 (édition partielle de sa thèse de doctorat de 1987).

- Díaz Borrás (Andrés), Cariñena Balaguer (Rafael), « Corsaris valencians i esclaus barbarescs a les darreries del segle XIV : una subasta d'esclaus a Valencia el 1385 », *Estudis castellonensc*, 2, 1984-5, p. 441-456.

- Djaït (Hichem), « La wilāya d'Ifrīqiya au IIe/VIIIe siècle : étude institutionnelle », *Studia islamica*, 27, 1967, p. 77-121 ; 28, 1968, p. 79-108.

- Djelloul (Néji), « Histoire topographique de Mahdia et de ses environs au Moyen Âge », *CT*, 162-163, 1993, p. 71-108.

جلول (ناجي)، الرباطات البحرية بإفريقية في العصر الوسيط، تونس، 1999.

- Djender (Mahieddine), *Introduction à l'histoire de l'Algérie*, Alger, 1970, nouvelle édition augmentée, Alger, 1991.

- Dokali (Rachid), « Monnaies almohades et hafsides découvertes à Ténès », *Bulletin d'archéologie algérienne*, 3, 1968, p. 369-391.

- Dossat (Yves), « Les ordres de rachat, les Mercédaires », *Assistance et Charité*, Toulouse, 1978 (*Cahiers de Fanjeaux*, 13), p. 365-387.

- Doumerc (Bernard), « La crise structurelle de la marine vénitienne au XVe siècle : le problème du retard des mude », *Annales ESC*, 40/3, 1985, p. 605-623.

—, « La ville et la mer : Tunis au XVe siècle », *Villes et sociétés urbaines au Maghreb. Actes du IVe congrès international d'histoire et de civilisation du Maghreb, Tunis, avril 1986, CT*, 137-138, 1986, p. 111-130.

—, « Le consulat vénitien de Tunis (1470-1473) », *CT*, 155-156, 1991, p. 447-478.

—, « Par Dieu écrivez plus souvent ! La lettre d'affaires à Venise à la fin du Moyen Âge », *La circulation des nouvelles au Moyen Âge. XXIVe Congrès de la SHMES, Avignon, juin 1993*, Rome-Paris, 1994, p. 99-109.

—, « Venise et la dynastie hafside à la fin du XVe siècle », *CT*, 117-118, 1981, p. 573-581.

—, *Venise et l'émirat hafside de Tunis (1231-1535)*, Paris, 1999.

- Doussinague (José-María), *La política internacional de Fernando el Católico*, Madrid, 1944.

- Doxey (G.), « Diplomacy, Trade and War; Muslim Majorca in International Politics, 1159-1181 », *Journal of Medieval History*, 20/1, 1994, p. 39-61.

- Dozy (Reinhart), *Supplément aux dictionnaires arabes*, Leyde, 1881, 2 vol.

- Dubois (Henri), *Les foires de Chalon et le commerce dans la vallée de la Saône à la fin du Moyen Âge (v. 1280-v. 1430)*, Paris, 1976.

- Du Cange, *Glossarium mediae et infimae latinitatis*, Niort, 1883-1887, rééd. anast. Graz, 1954.

- Ducellier (Alain), « L'Adriatique et la Berbérie au Moyen Âge : trafic d'appoint ou trafic caché ? », *CT*, 117-118, 1981, p. 561-572.

—, « Raguse, l'Italie et la Berbérie au Moyen Âge : à propos de quelques documents inédits ou peu connus », *CT*, 61-64, 1968, p. 27-44.

—, « Le Registre de Giovanni Manzini. Notaire sur les galées vénitiennes de Barbarie (1472-1476) », *CT*, 155-156, 1991, p. 513-534.

- Dufeil (Michel-Marie), « Traces d'Orient à Paris au XIIIe siècle », *RHCM*, 3, 1967, p. 48-49.

- Dufourcq (Charles-Emmanuel), « Aperçu sur le commerce entre Gênes et le Maghrib au XIIIe siècle », *Économies et sociétés au Moyen Âge. Mélanges offerts à Édouard Perroy*, Paris, 1973, p. 721-736.

—, « Aspects internationaux de Majorque durant les derniers siècles du Moyen Âge », *Mayurqa*, 11, 1974, p. 5-52.

—, « La continuité des activités catalano-aragonaises dans les États musulmans méditerranéens, d'Alphonse le Magnanime à Ferdinand le Catholique », *IX congresso di storia della Corona d'Aragona, La Corona d'Aragona e il Mediterraneo : aspetti e problemi comuni da Alfonso il Magnanimo a Ferdinando il Cattolico (1416-1516), Napoli, 1973*, II, Naples, 1982, p. 199-223.

—, « Le commerce du Maghreb médiéval avec l'Europe chrétienne et marine musulmane : données connues et problèmes en suspens », *Actes du congrès d'histoire et de civilisation du Maghreb, Tunis, 1974, Cahiers du CERES, Série histoire*, 1, Tunis, 1979, p. 161-192.

—, « Les consulats catalans de Tunis et de Bougie au temps de Jacques le conquérant », *AEM*, 3, 1966, p. 469-479.

—, *L'Espagne catalane et le Maghrib aux XIIIe et XIVe siècles* : *de la bataille de Las Navas de Tolosa (1212) à l'avènement du sultan mérinide Abou-l-Hasan (1331)*, Paris, 1966.

—, « Rapports entre l'Afrique et l'Espagne au XIIIe siècle », *Medievalia*, 1, 1980, p. 88-102.

—, « Les relations de la péninsule ibérique et de l'Afrique du Nord au XIVe siècle », *AEM*, 7, 1970-71, p. 39-65.

—, « Un impérialisme médiéval face au Maghreb : la naissance et l'essor de l'Empire catalan, d'après des travaux récents », *CT*, 79-80, 1972, p. 101-124.

—, « Un projet castillan du XIIIe siècle : la "croisade d'Afrique" », *RHCM*, 1, 1966, p. 26-51.

—, « Vers la Méditerranée orientale et l'Afrique », *Jaime I y su época, X congreso de historia de la Corona de Aragón*, I, Saragosse, 1979, p. 5-90.

—, *La Vie quotidienne dans les ports méditerranéens au Moyen Âge (Provence, Languedoc, Catalogne)*, Paris, 1975.

- Duro (Cesáreo Fernández), « Perdida de la ciudad de Bugia, en Africa, año 1555, referida por un clérigo vizcaino, testigo de vista », *Boletín de la Real Academia de la Historia*, 29, 1896, p. 465-537.

- Eddé (Anne-Marie), *La Principauté ayyoubide d'Alep (579/1183-658/1260)*, Stuttgart, 1999.

- Edler de Roover (Florence), *Glossary of Medieval Terms of Business, Italian Series, 1200-1600*, Cambridge (Mass.), 1934.

- *Encyclopédie de l'Islam*, 2e édition, Leyde, 1960-2000.

- Epstein (Stephan R.), *An Island for itself. Economic Development and Social Change in Late Medieval Sicily*, Cambridge, 1992.

- Epstein (Steven A.), *Genoa and the Genoese, 958-1528*, Chapel Hill, 1996.

—, *Wills and Wealth in Medieval Genoa, 1150-1250*, Cambridge, Mass., 1984.

- Even (Pierre), *Les Villes du Maghreb dans les plans européens de la Renaissance*, mémoire de maîtrise, sous la direction de Françoise Micheau, Université Paris I (Centre de recherches d'histoire et civilisation byzantines et du Proche-Orient médiéval), 2002-2003.

- Face (Richard D.), « Symon de Gualterio: a Brief Portrait of a Thirteenth-century Man of Affairs », *Economy, Society, Government in Medieval Italy. Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-1970, p. 75-94.

- Fall (Yoro K.), *L'Afrique à la naissance de la cartographie moderne (14e / 15e siècles : les cartes majorquines)*, Paris, 1982.

- Farrugia de Candia (J.), « Monnaies hafsides du musée du Bardo », *RT*, n. s., 9, 1938, p. 231-288.

- Favier (Jean), *De l'or et des épices. Naissance de l'homme d'affaires au Moyen Âge*, Paris, 1987.

- Fèbvre (Lucien), « Frontières : le mot et la notion », *Bulletin du Centre International de Synthèse*, 45, 1928, rééd. *Pour une histoire à part entière*, Paris, 1962, p. 11-24.

- Fennell Mazzaoui (Maureen), *The Italian Cotton Industry in the Later Middle Ages, 1100-1600*, Cambridge, 1981.

- Féraud (Laurent-Charles), « Expédition du roi Pierre III d'Aragon à Collo (au XIIIe siècle) d'après une chronique catalane », *RA*, 16, 1872, p. 241-258.

—, « Histoire des villes de la province de Constantine. Bougie », *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique de la province de Constantine*, 13, 1869, p. 85-407, rééd., *Histoire de Bougie*, avec une présentation de Nedjma Abdelfettah Lalmi, Paris, 2001.

—, « Notes sur Bougie. Légendes – traditions », *RA*, 2, 1857, p. 458-465 ; 3, 1858, p. 45-51, 296-308, 442-468.

- Ferhat (Halima), « La fiscalité au Maghreb du XIe au XIIIe siècle : enjeux et conflits », *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècles : les siècles de la foi*, Casablanca, 1993, p. 127-142.

—, « Remarques sur l'histoire des villes et la fragilité du tissu urbain avant le XVe siècle », *Sciences sociales et phénomènes urbains dans le monde arabe*, Casablanca, 1997, p. 97-104.

—, « Le rôle de la minorité andalouse dans l'intervention hafside à Sabta », *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècles…*, p. 143-158.

—, *Sabta des origines au XIVe siècle*, Rabat, 1993.

—, « Un maître de la mystique maghrébine au XIIe siècle : Abu Madyan de Tlemcen », *Le Maghreb aux XIIe et XIIIe siècle…*, p. 55-78.

- Ferrari Alfonso (Graziella), « Rapporti commerciali tra Savonesi e Catalani nel secolo XIV », *Atti del I congresso storico Liguria-Catalogna*, Bordighera, 1974, p. 235-247.

- Ferrer i Mallol (Maria Teresa), « El consolat de mar i els consolats d'ultramar, instrument i manifestació de l'expansió del comerç català », *L'Expansió catalana a la Mediterrània a la baixa edat mitjana*, dir. Maria Teresa Ferrer i Mallol et Damien Coulon, Barcelone, 1999, p. 53-79.

—, « Dos registres de l'"Officium maris" de Génova (1402-1403, 1408-1410) », *Atti del I congresso storico Liguria-Catalogna*, Bordighera, 1974, p. 248-348.

—, « L'emigració dels sarraïns residents a Catalunya, a Aragó i al País Valencià durant la baixa edat mitjana », *L'expulsió dels moriscos : consequències en el món islàmic i el món cristià*, Barcelone, 1994, p. 19-26.

—, *La Frontera amb l'islam en el segle XIV. Cristians i sarraïns al pais Valencia*, Barcelone, 1988.

—, « Els Italians a terres catalanes (s. XII-XIV) », *AEM*, 10, 1980, p. 392-467.

—, « Les mudéjars de la Couronne d'Aragon », *REMMM*, 63-4, 1992, p. 179-200.

—, « La navegació de conserva a l'edat mitjana », *AEM*, 24, 1994, p. 453-464.

—, « La redempcio de captius a la corona catalano-aragonesa, siglo XIV », *AEM*, 15, 1985, p. 237-297.

—, « Els redemptors de captius: Mostolafs, eixees o alfaquecs (segles XII-XIII) », *Medievalia*, 9, 1990, p. 85-106.

—, *Els Sarraïns de la Corona catalano-aragonesa en el segle XIV. Segregació i discriminació*, Barcelone, 1987.

- Ferrer Navarro (Ramón), *La exportación valenciana en el siglo XIV*, Saragosse, 1977.

—, « Los judíos en el comercio valenciano durante el siglo XIV », *Primer congreso de historia del País Valenciano, Valencia, 1971*, Valence, 1973, p. 553-566.

- Fodale (Salvatore), « Il riscatto dei Siciliani "captivi" in Barberia (XIV-XV secolo) », *Quaderni medievali*, 12, 1981, p. 61-84.

- Fontaine (Jacques), *Villages kabyles et nouveau réseau urbain en Algérie. Le cas de la région de Bejaïa*, Tours, 1983.

- Fontenay (Michel), « Le Maghreb barbaresque et l'esclavage méditerranéen aux XVIe et XVIIe siècles », *CT*, 157-158, 1991, p. 7-43.

- Forand (Paul G.), « Notes on *'Ušr* and *Maks* », *Arabica*, 13, 1966, p. 137-141.

- Forstner (Martin), *Das Wegenetz des Zentralen Maghreb in islamischer Zeit. Ein Vergleich mit dem antiken Wegenetz*, Wiesbaden, 1979.

- Fossier (Robert), *Enfance de l'Europe. Aspects économiques et sociaux*, Paris, 1982, 2 vol.

- Fourquin (Guy), « Une conjoncture dramatique ? », *Histoire économique et sociale du monde*, I, *L'ouverture du monde, XIVe-XVIe siècle*, dir. Bartolomé Bennassar et Pierre Chaunu, Paris, 1977, p. 307-350.

—, *Histoire économique de l'Occident médiéval*, Paris, 3e éd., 1979.

- François (Véronique), « Les céramiques médiévales d'Alexandrie : un témoignage archéologique d'importance », *Alexandrie médiévale*, dir. Christian Décobert et Jean-Yves Empereur, Le Caire, 1998, p. 57-64.

- Gabrieli (Francesco), « Il palazzo ʿammādita di Biǧāya descritto da Ibn ʿamdīs », *Aus der Welt der islamischer Kunst. Festschrift für Ernst Kühnel zum 75. Geburstag am 26.10.1957*, Berlin, 1959, p. 54-58.

- Gaïd (Mouloud), *Histoire de Bejaïa et de sa région depuis l'antiquité jusqu'à 1954*, Alger, 1976.

- Gais (N. E.), « Aperçu sur la population musulmane de Majorque au XIVe siècle », *RHCM*, 9, 1970, p. 19-30.

- Galasso (Giuseppe), « Il commercio amalfitano nel periodo normanno », *Studi in onore di Riccardo Filangieri*, I, Naples, 1959, p. 81-103.

- Garcin (Jean-Claude), *Un centre musulman de Haute-Égypte médiévale : Qūṣ*, Le Caire, 1976.

—, dir., *Grandes villes méditerranéennes du monde musulman médiéval*, Rome, 2000.

—, « Histoire, démographie, histoire comparée, périodisation », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, Xe-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, III, Paris, 2000, p. 36-55.

—, « Ibn Hawqal, l'Orient et l'Occident », *ROMM*, 35, 1983, p. 77-91.

—, « La "Méditerranéisation" de l'Empire mameluk sous les sultans Bahrides », *Rivista degli Studi Orientali*, 48, 1973-74, p. 109-116.

—, « Milieux urbains et mouvements populaires », *Arabica*, 43, 1996, p. 146-151.

—, « Pour un recours à l'histoire de l'espace vécu dans l'étude de l'Égypte arabe », *Annales ESC*, 35/3-4, 1980, p. 436-451, rééd. *Espaces, pouvoirs et idéologies de l'Égypte médiévale*, Londres, 1987.

—, « Transport des épices et espace égyptien entre le XIe et le XVe siècle », *Les Transports au Moyen Âge. Actes du VIIe congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Rennes, juin 1976*, *Annales de Bretagne*, 85/2, 1978, p. 305-314.

- Garí (Blanca), « Genova e i porti islamici del Mediterraneo occidentale (secc. XI-XIII) », *La Storia dei Genovesi. Atti del convegno sui ceti dirigenti nelle istituzioni della repubblica di Genova (Genova, 11-14 giugno 1991)*, Gênes, 1994, p. 345-353.

—, « El reino de Granada y la política comercial genovesa en la Península ibérica en la segunda mitad del siglo XIII », *Relaciones exteriores*

del Reino de Granada. IV Coloquio de historia medieval andaluza, Almeria, 1988, p. 287-296.

- Gautier (Émile-Félix), « Le cadre géographique de l'histoire en Algérie », *Histoire et historiens de l'Algérie*, Alger, 1930, p. 17-35.

—, *Les Siècles obscurs du Maghreb*, Paris, 1927.

- Gayraud (Roland-Pierre), « Alexandrie médiévale et la Méditerranée : l'indice des importations céramiques », *Alexandrie médiévale*, dir. Christian Décobert et Jean-Yves Empereur, Le Caire, 1998, p. 65-69.

- Gazulla (Faustino D.), « La redención de cautivos entre los musulmanes », *Boletín de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, 13, 1928, p. 321-342.

- Gennaro (G. de), « Commercio e navigazione nella Puglia medioevale », *Economia e Storia* (Milan), 1971, p. 71-76.

- Germain (Alexandre), « De la monnaie mahométane attribuée à un évêque de Maguelone », *Mémoires de la société archéologique de Montpellier*, 1re série, 3, 1850-1854, p. 683-704.

- الجيلالي (عبد الرحمان بن محمد)، تاريخ الجزائر العام، ج 2، الجزائر، 1954-1955، إعادة نشر، بيروت، 1983.

- Gilles (Henri), « Législation et doctrine canoniques sur les Sarrasins », *Islam et Chrétiens du Midi*, Toulouse, 1983 (*Cahiers de Fanjeaux*, 18), p. 195-213.

- Giménez Soler (Andrés), « El comercio en tierra de infieles durante la Edad Media », *Boletín de la Real Academia de Buenas Letras de Barcelona*, 5, 1910, p. 171-199, 287-298, 521-524.

—, « Episodios de las relaciones entre la corona de Aragón y Túnez », *Anuari de l'Institut d'Estudis Catalans*, 1, 1907-1908, p. 195-224.

- Gioffrè (Domenico), « Il commercio d'importazione genovese alla luce dei registri del dazio (1495-1537) », *Studi in onore di Amintore Fanfani*, V, Milan, 1962, p. 115-242.

- Giuffrida (Antonio), « Frammenti di corrispondenza commerciale del genovese Giovanni Gregorio Stella residente a Tunisi (1479-1480) », *CT*, 77-78, 1972, p. 25-37.

—, « La realtà economica della presenza genovese in Sicilia nel secolo XIV », *Genova e Pisa, Atti del seminario di studi sulle interrelazioni tra il regno di Sicilia e i comuni di Genova e di Pisa nell'età di Enrico VII di Lussemburgo, Istituto storico siciliano*, Palerme, 1988, p. 79-85.

- Goitein (Shelomo D.), « The Mediterranean Mind in the High Middle Ages (950-1250) as Reflected in the Cairo Geniza Documents », *Amalfi nel Medioevo: convegno internazionale, 14-16 giugno 1973*, Salerne, 1977, p. 177-192.

—, *A Mediterranean Society. The Jewish Communities of the Arab World as Portrayed in the Documents of the Cairo Geniza*, Berkeley-Los Angeles, 1967-1988, 5 vol.

—, « La Tunisie du XIe siècle à la lumière des documents de la Géniza du Caire », *Études d'orientalisme dédiées à la mémoire de Lévi-Provençal*, II, Paris, 1962, p. 559-579.

—, « The Unity of the Mediterranean World in the "Middle" Middle Ages », *Studia Islamica*, 12, 1960, p. 29-42.

- Golvin (Lucien), « Les céramiques émaillées de période hammâdide. Qal'a des Banû Hammâd (Algérie) », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. X^e^-XVe siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 203-217.

—, *Le Maghreb central à l'époque des Zirides. Recherches d'archéologie et d'histoire*, Paris, 1957.

- Gourdin (Philippe), « L'Afrique du Nord est-elle au Moyen Âge le "grenier à blé" de l'Europe méditerranéenne ? », *Romanité et cité chrétienne. Permanences et mutation, intégration et exclusion du Ier au VIe siècle. Mélanges en l'honneur d'Yvette Duval*, Paris, 2001, p. 151-168.

—, « Les approvisionnements en cuir de la ville de Gênes pendant la deuxième moitié du XVe siècle (d'après les actes du notaire Nicolò Raggi) », *Nuova Rivista Storica*, LXXV/111, 1991, p. 571-612.

—, « Les fortifications du Maghreb d'après les sources écrites ; la vision d'Ibn Khaldûn », *Sites et monuments disparus d'après les témoignages des voyageurs*, Bures-sur-Yvette, 1996 (*Res Orientales*, 8), p. 25-31.

—, « Les marchands étrangers à Tunis à la fin du Moyen Âge », *Tunis cité de la mer. Actes du Colloque de Tunis (1997)*, Tunis, 1999, p. 157-184.

—, « Le "partage" du Maghreb entre l'Aragon et la Castille au traité de Monteagudo (1291) », *Le Partage du monde. Échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale*, dir. Michel Balard et Alain Ducellier, Paris, 1998, p. 399-409.

—, *Les relations politiques et économiques entre l'Italie tyrrhénienne et le Maghreb au XVe siècle*, thèse sur travaux, volume de synthèse, Paris, décembre 2001.

- Greco (Lucia), « Sulle rotte delle galere veneziane : il cartulario di bordo del prete Giovanni Manzini (1471-1486) », *Archivio Veneto*, sér. V, 172, 1991, p. 5-37.

- Greif (Avner), « Reputation and Coalitions in Medieval Trade: Evidences on the Maghribi Traders », *Journal of Economic History*, 48, 1989, p. 857-882.

- Grierson (Philip), « La moneta veneziana nell'economia mediterranea del Trecento e Quattrocento », *La Civiltà veneziana del Quattrocento*, Florence, 1957, p. 75-97.

- Gsell (Stéphane), *Atlas archéologique de l'Algérie*, Alger, 1911, rééd. Alger, 1997, feuille 7.

—, « Vieilles exploitations minières en Afrique du Nord », *Hespéris*, 8, 1928, p. 1-21.

- Gual Camarena (Miguel), *Vocabulario del comercio medieval. Colección de aranceles aduaneros de la Corona de Aragón (s. XIII y XIV)*, Tarragone, 1968.

- Guichard (Pierre), « Les Almohades », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, I, Paris, 1995, p. 205-232.

—, « Les Almoravides », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, I, Paris, 1995, p. 151-167.

—, *Les Musulmans de Valence et la reconquête (XIe-XIIIe siècle)*, Damas, 1990-1991.

—, « Nomadisme et tribalisme », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, II, Paris, 2000, p. 111-128.

—, « Omeyyades et Fatimides au Maghreb. Problématique d'un conflit politico-idéologique (vers 929-vers 960) », *L'Égypte fatimide. Son art et son histoire*, dir. Marianne Barrucand, Paris, 1999, p. 55-67.

—, « Les pays de la Méditerranée occidentale entre le Ve et le Xe siècles. Retour sur la problématique pirennienne », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. Mohammed Hammam, Rabat, 1996, p. 75-90.

—, « La poussée européenne et les musulmans d'Occident », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, I, Paris, 1995, p. 281-314.

- Guillené (Christian), « Assistance et charité à Gérone au début du XIVe siècle », *La Pobreza y la asistencia a los pobres en la Cataluña medieval*, I, Barcelone, 1980, p. 191-204.

- Guiral Hadziiossif (Jacqueline), « L'apport des communautés juives et musulmanes de Valence au commerce méditerranéen au XVe siècle », *Economies méditerranéennes. Équilibres et intercommunications, XIIIe-XIXe siècle. Deuxième colloque international d'histoire du Centre de recherche Néohelléniques (Athènes, 18-25 septembre 1983)*, Athènes, 1985, p. 461-471.

—, « Les convers à Valence à la fin du XVe siècle », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 11, 1975, p. 81-98.

—, « L'organisation de la production rurale et artisanale à Valence au XVe siècle », *AEM*, 15, 1985, p. 415-465.

—, « Les relations commerciales du royaume de Valence avec la Berbérie au XVe siècle », *Mélanges de la Casa de Velázquez*, 10, 1974, p. 99-131.

—, « Le sel d'Ibiza et de la Mata à la fin du Moyen Âge », *Le Sel et son histoire. Actes du colloque de l'Association interuniversitaire de l'Est, Nancy, 1979*, Nancy, 1980, p. 93-108.

—, *Valence, port méditerranéen au XVe siècle (1410-1525)*, Paris, 1986.

- Gutwirth (Eleazar), « El comercio hispano-magrebi y los judíos (1391-1444) », *Hispania*, 45, 1985, p. 199-205.

- Hadj Sadok (Mohamed), « À travers la Berbérie orientale du XVIIIe siècle avec le voyageur al-Warthīlānī », *RA*, 95, 1951, p. 315-399.

—, « Avec un cheikh de Zemmorah à travers l'Ouest constantinois du XVIIIe siècle », *Bulletin de la société historique et géographique de Sétif*, 1, 1935, p. 42-59.

- Hadjiat (Abdelhamid), *Le Maghrib central sous le règne du sultan abdelwadide Abou Hamu Musa II (1359-89)*, thèse de doctorat d'État, sous la direction de Robert Mantran, Aix-en-Provence, 1991.

- حاجيات (عبد الحميد)، "السلطان أبي حمو موسى الثاني، مجلة تاريخ وحضارة المغرب، 5، 1968، ص 7-29، 6-7، ص 8-33، 8، 1970، ص 7-39، 9، 1970، ص 29-54.

- Hammam (Mohammed), « La pêche et le commerce du poisson en Méditerranée occidentale (X^e-début XVIe). Tableau historico-géographique établi d'après les sources musulmanes », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. Mohammed Hammam, Rabat, 1996, p. 151-179.

- Harvey (L. P.), *The Islamic Spain. 1250 to 1500*, Chicago-Londres, 1990.

- Hasnaoui (Milouda), « La ley islámica y el rescate de los cautivos según las fetwas de al-Wanšarīsī e Ibn Ṭarkāṭ », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 549-558.

- Hassan Abdel Wahab (Selim), « Captives Waqf in Syria and Egypt (491-589 H./1097-1193 A.D.) », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 559-570.

- Hassen (Muhammad), « Les *Ribâṭ* du Sahel d'Ifrîqiya. Peuplement et évolution du territoire au Moyen Âge », *Zones côtières littorales dans le monde méditerranéen au Moyen Âge : défense, peuplement, mise en valeur, Actes du colloque international organisé par l'École française de Rome et la*

Casa de Velázquez, Rome, 23-26 octobre 1996, dir. Jean-Marie Martin, Rome-Madrid, 2001 (*Castrum*, 7), p. 147-162.

- Hazard (Harry W.), *The Numismatic History of Late Medieval North Africa*, New York, 1952 (Numismatic Studies, 8).

- Heers (Jacques), « Le Commerce du sel en Méditerranée occidentale », *Le Rôle du sel dans l'histoire*, dir. Michel Mollat, Paris, 1968, p. 127-132.

—, « Il commercio nel Mediterraneo alla fine del sec. XIV e nei primi anni del XV », *Archivio storico italiano*, 113/2, 1955, p. 157-209.

—, *Gênes au XVe siècle. Activité économique et problèmes sociaux*, Paris, 1961.

—, « Gênes et l'Afrique du Nord vers 1450 : les voyages "per costeriam" », *AEM*, 21, 1991, p. 233-245.

—, « La mode et les marchés des draps de laine : Gênes et la Montagne à la fin du Moyen Âge », *Annales ESC*, 26/5, 1971, p. 1093-1117, rééd. *Société et économie…*

—, *L'Occident aux XIVe et XVe siècles*, Paris, 1963.

—, « Le prix de l'assurance maritime à la fin du Moyen Âge », *Revue d'histoire économique et sociale*, 37, 1959, p. 7-19, rééd. *Société et économie…*

—, « Le royaume de Grenade et la politique marchande de Gênes en Occident », *Le Moyen Âge*, 63, 1957, p. 87-121, rééd. *Société et économie…*

—, « Le Sahara et le commerce méditerranéen à la fin du Moyen Âge », *AIEO*, Alger, 1958, p. 247-255.

—, *Société et économie à Gênes (XIVe-XVe siècle)*, Londres, 1979.

—, « Types de navires et spécialisations des trafics en Méditerranée à la fin du Moyen Âge », *Le Navire et l'économie maritime du Moyen Âge à la fin du XVIIIe siècle, principalement en Méditerranée, Actes du 2e colloque international d'histoire maritime, 1957*, Paris, 1958, p. 107-118.

- Heers (Marie-Louise), « Les Génois et le commerce de l'alun », *Revue d'Histoire Économique et Sociale*, 32, 1954, p. 31-53.

- Hennequin (Gilles), « Les monnaies et la monnaie », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e^-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, II, *Sociétés et cultures*, Paris, 2000, p. 219-243.

- Herlihy (David), *Pisa in the Early Renaissance. A Study of Urban Growth*, New Haven, 1958, 229 p., trad. italienne *Pisa nel Duecento*, Pise, 1973.

- Heyd (W.), *Histoire du commerce du Levant au Moyen Âge*, Leipzig, 1885-6, rééd. Amsterdam, 1967, 2 vol.

- Hinojosa Montalvo (José), « Actividades comerciales de los judíos en Valencia (1391-1492) », *Saitabi*, 29, 1979, p. 21-42.

—, « Confesiones y ventas de cautivos en Valencia de 1409 », *Lugarzas*, 3, 1971, p. 113-127.

—, *The Jews of the Kingdom of Valencia, from Persecution to Expulsion, 1391-1492*, Jérusalem, 1993.

—, « Sobre los mercaderes extrapeninsulares en la Valencia del siglo XV », *Saitabi*, 26, 1976, p. 59-92.

—, « Tácticas de apresamiento de cautivos y su distribución en el mercado valenciano (1410-1434) », *Questions valencianes*, 1, 1979, p. 5-44.

- Hirschberg (Haim Zeev), *A History of the Jews in North Africa*, I, *From the Antiquity to the Sixteenth Century*, Leyde, 1974.

- Hocquet (Jean-Claude), « Ibiza, carrefour du commerce maritime et témoin d'une conjoncture méditerranéenne (1250-1650) », *Studi in memoria di Federigo Melis*, I, Naples, 1978, p. 491-526.

—, *Le Sel et la fortune de Venise*, 1 : *Production et monopole*, Villeneuve d'Ascq, 1978.

—, *Voiliers et commerce en Méditerranée, 1200-1650*, Lille, 1979.

- Hoenerbach (Wilhem), *Das nordafrikanische Itinerar des 'Abdarī vom Jahre 688/1289*, Leipzig, 1940.

- Hopkins (J. F. P.), *Medieval Muslim Government in Barbary until the Sixth Century of the Hijra*, Londres, 1958.

- Hoshino (Hidetoshi), *L'Arte della lana in Firenze nel Basso Medioevo. Il commercio della lana e il mercato dei panni fiorentini nei secoli XIII-XV*, Florence, 1980.

- Iancu-Agou (Danièle), « Les relations entre les Juifs de Marseille et les communautés juives d'Afrique du Nord à la fin du XVe siècle », *Les relations intercommunautaires juives en Méditerranée occidentale, XIIIe-XXe siècle, Abbaye de Sénanque, 1982*, dir. Jean-Louis Miège, Paris, 1984, p. 23-33.

- Idris (Hady-Roger), *La Berbérie orientale sous les Zirides, X^e^-XIIe siècle*, Paris, 1962.

—, « Commerce maritime et *kirāḍ* en Berbérie orientale d'après un recueil inédit de *fatwā*s médiévales », *JESHO*, 1961, p. 225-239.

—, « L'invasion hilalienne et ses conséquences », *CCM*, 11, 1968, p. 353-369.

—, « Problématique de l'épopée sanhâdjienne en Berbérie orientale (X^e^-XIIe siècle) », *AIEO*, 1959, p. 243-255.

- Ivars Cardona (Andreu), *Dos creuades valenciano-mallorquines a les còstes de Berbería, 1397-1399. Estudi documental*, Valence, 1921.

- Jacoby (David), « Les juifs à Venise du XIVe au milieu du XVIe siècle », *Venezia, centro di mediazione tra Oriente e Occidente (sec. XV-XVI)*, Florence, 1977, p. 163-216.

—, « Les Italiens en Égypte aux XIIe et XIIIe siècles : du comptoir à la colonie ? », *Coloniser au Moyen Âge*, dir. Michel Balard et Alain Ducellier, Paris, 1995, p. 76-89.

- Jadla (Ibrahim), « Les Juifs en Ifrīqiya à l'époque hafside », *Histoire communautaire, histoire plurielle. La communauté juive de Tunisie. Actes du colloque de Tunis, 25-27 février 1998*, Tunis, 1999, p. 145-151.

- Jaïdi (Houcine), *L'Afrique et le blé de Rome aux IVe et Ve siècles*, Tunis, 1990.

- Jehel (Georges), « Besants et dinars à Gênes au XIIIe siècle », *État et colonisation au Moyen Âge et à la Renaissance*, dir. Michel Balard, Lyon, 1989, p. 55-70.

—, « Catalans et Majorquins à Tunis en 1289 », *Cuadernos de historia económica de Catalunya*, 20, 1979, p. 125-130.

—, *Les Génois en Méditerranée occidentale (fin XIe-début XIVe siècle). Ébauche d'une stratégie pour un empire*, s. l., 1993.

—, *L'Italie et le Maghreb au Moyen Âge. Conflits et échanges du VIIe au XVe siècle*, Paris, 2001.

—, « Jews and Muslims in Medieval Genoa: from the Twelfth to the Fourteenth century », *Mediterranean Historical Review*, 10, 1995, p. 120-132.

—, « Les Placentins en Afrique du Nord au Moyen Âge », *Precursori di Cristoforo Colombo. Mercanti e banchieri piacentini nel mondo durante il medioevo. Atti del Convegno Internazionale di Studi, Piacienza, 10-12 settembre 1992*, Bologne, 1994, p. 169-179.

- Jenkins (Marilyn), *Medieval Maghribî Ceramics. A Reappraisal of the Pottery Production of the Western Regions of the Muslim World*, Ph. D. Dissertation, New York University, 1978.

—, « Medieval Maghribi Luster-painted Pottery », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. X^e^-XVe siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 335-342.

- Jiménez Mata (María Carmen), « Ordenación territorial del litoral », *Al-Andalus y el Mediterráneo*, Barcelone-Madrid, 1995, p. 47-56.

- Julien (Charles-André), *Histoire de l'Afrique du Nord*, Paris, 1931, rééd. 1951 (avec la collaboration de Christian Courtois et Roger Le Tourneau), rééd. 1994.

- Kably (Mohamed), « Espace et pouvoir au "Maroc" à la fin du "Moyen Âge" », *ROMM*, 48-49, 1988, p. 26-37.

—, « Potere universale e poteri provinciali nel Maghreb », *Federico II e il mondo mediterraneo*, dir. Pierre Toubert et Agostino Paravicini Bagliani, Palerme, 1994, p. 270-285.

—, *Société et religion au Maroc à la fin du « Moyen Âge » (XIVe-XVe siècle)*, Paris, 1986.

القبلي (محمد)، "ملاحظات حول التجارب الوحدوية الوسيطية ببلاد المغرب الكبير"، مراجعات حول المجتمع والثقافة بالمغرب الوسيط، الدار البيضاء، 1987، ص 7-20.

- Kaddache (Mahfoud), *L'Algérie médiévale*, Alger, 1992.

- Kasdi (F.), Nait Benali (H.), *Diagnostic de la culture de l'olivier dans la partie occidentale (périphérique) du Parc National de Gouraya et possibilités de réhabilitation*, Projet de fin de cycle, Université de Bejaia, Institut des sciences de la nature, Bougie, 1998.

- Kazimirski (A.), *Dictionnaire arabe-français*, Paris, 1860, 2 vol.

- Kedar (Benjamin Z.), *Merchants in Crisis. Genoese and Venetian Men of Affairs and the 14th c. Depression*, New Heaven-Londres, 1976, trad. it. *Mercanti in crisi a Genova e Venezia nel '300*, Rome, 1981.

- Khalilieh (Hassan S.), « The Ribât System and its Role in Coastal Navigation », *JESHO*, 42/2, 1999, p. 212-225.

- Khaneboubi (Ahmed), *Les premiers sultans mérinides (1269-1331) : histoire politique et sociale*, Paris, 1987.

- Kisaichi (Masatoshi), « The Maghrib », *Islamic Urban Studies, Historical Review and Perspectives*, dir. Masaghi Haneda, Toru Miura, Londres-New York, 1994, p. 11-82.

- Krueger (Hilmar C.), « Genoese Trade with North-west Africa in the XIIth Century », *Speculum*, 8, 1933, p. 377-395.

—, « Navi e proprietà navale a Genova (seconda metà del sec. XII) », *ASLSP*, n. s., 25/1, 1985.

—, « The Routine of Commerce between Genoa and Northwest Africa during the Late Twelfth Century », *The Mariner's Mirror*, 19/4, 1933, p. 417-438.

—, « The Ware of Exchanges in the Genoese-African Traffic of the Twelfth Century », *Speculum*, 12, 1937, p. 57-71.

- Kurio (Hars), *Geschichte und Geschichtsschreiber der 'Abd al-Wâdiden (Algerien im 13.-15. Jahrhundert). Mit einer Teiledition des Naz□m ad-Durr des Mu✝ammad b. 'Abd al-Ğalīl at-Tanasī*, Fribourg, 1973.

- La Roncière (Charles de), *Découverte d'une relation de voyage datée du Touat et décrivant en 1447 le bassin du Niger*, Paris, 1919.

—, « Une nouvelle carte de l'école cartographique des Juifs de Majorque », *Comité des travaux historiques et scientifiques : Bulletin de la section de Géographie*, 47, 1932, p. 113-118.

- Lacoste (Yves), *Ibn Khaldoun. Naissance de l'Histoire, passé du tiers-monde*, Paris, 1966, rééd. 1981.

—, « Littoral, frontières marines », *Littoral, frontières marines. Hérodote*, 93, 1999, p. 3-19.

- Lagardère (Vincent), *Les Almoravides, jusqu'au règne de Yūsuf b. Tašfīn (1039-1106)*, Paris, 1989.

—, *Campagnes et paysans d'al-Andalus (VIIIe-XVe siècle)*, Paris, 1993.

—, « Le commerce des céréales entre al-Andalus et le Maghrib aux XIe et XIIe siècle », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. Mohammed Hammam, Rabat, 1996, p. 123-150.

- *La Lana come materia prima. I fenomeni della sua produzione e circolazione nei secoli XIII-XVII. Atti della I settimane di studio, Istituto internazionale di storia economica F. Datini, aprile 1969*, dir. Marco Spallanzani, Florence, 1974.

- Lane (Frederic C.), « La marine marchande et le trafic maritime de Venise à travers les siècles », *Les sources de l'histoire maritime en Europe du Moyen Âge au XVIIIe siècle, actes du IVe colloque international d'histoire maritime, Paris, 20-23 mai 1959*, Paris, 1962, p. 7-32.

—, « Progrès technologiques et productivité dans les transports maritimes de la fin du Moyen Âge au début des Temps modernes », *RH*, 510, 1974, p. 277-302.

—, *Venetian Ships and Shipbuilders of the Renaissance*, Baltimore, 1934, trad. *Navires et constructeurs à Venise pendant la Renaissance*, Paris, 1965.

- Lanfreducci (Bosio), « Costa e discorsi di Barberia. Rapport maritime, militaire et politique sur la côte d'Afrique depuis le Nil jusqu'à Cherchell par deux membres de l'Ordre de Malte (1er septembre 1587) », éd. Ch. Monchicourt, trad. fr. Pierre Grandchamp, *RA*, 66, 1925, p. 419-549.

- Lange (Dierk), « L'alun du Kawar, une exportation africaine vers l'Europe », *Cahiers du CRA [Centre de recherche africaine], Histoire*, 2, 1982, p. 21-24.

—, « Royaumes et peuples du Tchad », *Histoire générale de l'Afrique*, IV, *L'Afrique du XIIe au XVIe siècle*, dir. Djibril Tamsir Niane, Paris, 1985, p. 265-293.

- Laroui (Abdallah), *L'Histoire du Maghreb. Un essai de synthèse*, Paris, 1970, rééd. Casablanca, 1995.

- Larrère (Jean-Jacques), Villain-Gandossi (Christiane), « Le *Llibre del consolat de mar* : les gens de mer, leurs droits et leurs obligations », *106e Congrès national des sociétés savantes, Perpignan 1981*, Paris, 1984, p. 153-167.

- Latham (J. D.), « Toward a Study of Andalusian Immigrations and its Place in Tunisian History », *CT*, 19-20, 1957, p. 203-252, trad. fr. « Contribution à l'étude des immigrations andalouses et leur place dans l'histoire de la Tunisie », *Recueil d'études sur les Moriscos andalous en Tunisie*, dir. Miguel de Epalza et O. Ramón Petit, Madrid-Tunis, 1973, p. 21-63, rééd. *From Muslim Spain to Barbary*, Londres, 1986.

—, « Towns and Cities of Barbary – the Andalusian Influence », *Islamic Quarterly*, 16, 1972, p. 189-204, rééd. *From Muslim Spain*…

- Laurioux (Bruno), « Modes culinaires et mutations du goût à la fin du Moyen Âge », *Artes Mechanicae en Europe médiévale*, Actes du colloque

de Bruxelles, 16 octobre 1987 (*Archives et Bibliothèques de Belgique*, numéro spécial), dir. R. Jansen-Sieben, Bruxelles, 1989, p. 199-222, rééd. *Une histoire culinaire du Moyen Âge*, Paris, 2005, p. 285-302.

- Lavoix (Henri), *Catalogue des monnaies musulmanes de la Bibliothèque Nationale*, II, *Espagne et Afrique*, Paris, 1891.

- Le Goff (Jacques), *La Bourse et la vie*, Paris, 1986.

- Lesage (Georges), *Marseille angevine. Recherches sur son évolution administrative, économique et urbaine de la victoire de Charles d'Anjou à l'arrivée de Jeanne 1re (1264-1348)*, Paris, 1950.

- Lethielleux (Jean), *Ouargla, cité saharienne, des origines au début du XXe siècle*, Paris, 1983.

- Lévi-Provençal (Évariste), « Un nouveau texte d'histoire mérinide, le *Musnad* d'Ibn Marzûq », *Hespéris*, 5, 1955, p. 1-82.

- Levtzion (Nehemia), « The Jews of Sijilmasa and the Saharan Trade », *Les communautés juives des marges sahariennes du Maghreb*, dir. Michel Abitbol, Jérusalem, 1982, p. 253-263.

- Lewicki (Tadeusz), « Les liaisons maghrébines sahariennes et soudanaises de la ville de Ouargla au Moyen Âge », *Études maghrébines et soudanaises*, Varsovie, 1976, p. 9-78.

—, « Quelques extraits inédits relatifs aux voyages des commerçants et missionnaires ibādites nord-africains au pays du Soudan occidental et central au Moyen Âge », *Folia orientalia*, II, 1960, p. 1-27.

—, « Le rôle du Sahara et des Sahariens dans les relations entre le Nord et le Sud », *Histoire générale de l'Afrique*, III, *L'Afrique du VIIe au XIe siècle*, dir. Mohamed el-Fasi, Paris, 1990, p. 303-339.

- Lézine (Alexandre), *Deux villes d'Ifriqiya. Sousse, Tunis*, Paris, 1971.

- Liagre de Sturler (Léone), « Le commerce de l'alun en Flandre au Moyen Âge », *Le Moyen Âge*, 61, 1955, p. 177-206.

- Llinares (Armand), « Raimond Lulle et l'Afrique », *RA*, 105, 1961, p. 98-116.

- Loeb (Isidore), « Les négociants juifs à Marseille au milieu du XIIIe siècle », *Revue des Études Juives*, 16, 1888, p. 73-83.

- Lombard (Maurice), « Arsenaux et bois de marine dans la Méditerranée musulmane du VIIe au XIe siècle », *Le Navire et l'économie maritime du Moyen Âge au XVIIIe siècle, principalement en Méditerranée, Actes du IIe colloque international d'histoire maritime*, Paris, 1958, p. 53-106.

—, « Le bois dans la Méditerranée musulmane VIIe-XIe siècles ; un problème cartographié », *Annales ESC*, 14/2, 1959, p. 234-254.

—, *L'Islam dans sa première grandeur (VIIIe-XIe siècle)*, Paris, 1971.

—, « L'or musulman du VIIe au XIe siècle. Les bases monétaires d'une suprématie économique », *Annales ESC*, 2/2, 1947, p. 143-160.

—, *Les Métaux dans l'ancien monde, du Ve au XIe siècle*, Paris-La Haye, 1974.

—, *Les Textiles dans le monde musulman, VIIe-XIIe siècle*, Paris, 1978.

- Lopez (Roberto Sabatino), « L'Attività economica di Genova nel marzo 1253, secondo gli atti notarili del tempo », *ASLSP*, 64, 1935, p. 166-270.

—, « Aux origines du capitalisme génois », *Annales d'Histoire Économique et Sociale*, 9, 1937, p. 429-454.

—, « Back to Gold: 1252 », *Economic History Review*, 2^d s., 9/2, 1956, p. 219-240.

—, *Genova marinara nel Duecento. Benedetto Zaccaria, ammiraglio e mercante*, Milan-Messine, 1933, rééd. (sans les éditions de documents) *Benedetto Zaccaria, ammiraglio e mercante nella Genova del Duecento*, Florence, 1996.

—, « I Genovesi in Africa Occidentale nel Medio Evo », *Studi sull'economia genovese nel Medio Evo*, I, Turin, 1936, p. 1-61.

—, « Le marchand génois. Un portrait collectif », *Annales ESC*, 13/3, 1958, p. 501-515, rééd. *Su e giù...*, p. 17-33.

—, « El Origen de la oveja merina », *Estudios de Historia Moderna*, 4, 1954, p. 3-11, trad. it. « L'origine della pecora merina », *Su e giù...*, p. 265-275.

—, « Le origini dell'arte della lana », *Studi sull'economia genovese nel Medio Evo*, Turin, 1936, p. 63-181.

—, *La prima crisi della banca di Genova (1250-1259)*, Milan, 1956.

—, « Prima del ritorno all'oro nell'Occidente duecentesco : i primi denari grossi d'argento », *RSI*, 79/1, 1967, p. 174-181, rééd. *Su e giù…*, p. 305-312.

—, *La Révolution commerciale dans l'Europe médiévale*, Paris, 1974.

—, « Settecento anni fa : il ritorno all'oro nell'occidente duecentesco », *RSI*, 65, 1953, p. 19-55.

—, « Stars and Spices: the Earliest Italian Manual of Commercial Practice », *Economy, Society, Government in Medieval Italy. Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-70, p. 35-42.

—, *Storia delle colonie genovesi nel Mediterraneo*, Bologne, 1938, rééd. Gênes, 1997.

—, *Su e giù per la Storia di Genova*, Gênes, 1975.

—, « Un texte inédit : le plus ancien manuel italien de technique commerciale », *RH*, 243, 1970, p. 67-76.

- López de Coca Castañer (José Enrique), « Esclavos, alfaqueques y mercaderes en la frontera del mar de Alborán (1490-1516) », *Hispania*, 139, 1979, p. 275-300.

- López Pérez (María Dolores), « Las asociaciones de fletadores mallorquines bajomedievales : ¿ un intento de monopolización del comercio magrebí ? », *AEM*, 24, 1994, p. 89-104.

—, « La circulación de cereales en el Mediterráneo occidental bajomedieval : la producción magrebí », *La Mediterrània, àrea de convergència de sistemes alimentaris (segles V-XVIII). XIV Jornades d'estudis històrics locals, Palma, 29 de novembre - 2 de desembre de 1995*, Palma de Majorque, 1996, p. 169-180.

—, « La Corona de Aragón i el Magreb : politica i comerç (1331-1410) », *Butlleti de la Societat catalana d'Estudis historics*, 5, 1994, p. 121-134.

—, *La Corona de Aragón y el Magreb en el siglo XIV (1331-1410)*, Barcelone, 1995.

—, « La corona de Aragón y el Norte de Africa : las diferentes áreas de intervención mercantil catalano-aragonesa en el Magreb a finales del siglo XIV y principios del XV », *Acta Mediaevalia*, 11-12, 1990-1991, p. 299-323.

—, « La expansión económica catalanoaragonesa hacia el Magreb medieval », *L'Expansió catalana a la Mediterrània a la baixa edat mitjana*, dir. Maria Teresa Ferrer i Mallol et Damien Coulon, Barcelone, 1999, p. 81-104.

—, « Farons per a galiotes de moros : un ejemplo de organización de la defensa costera en la Cataluña medieval », *Miscel.lània de textos medievals*, 8, 1996, p. 1-12.

—, « La financiación de las empresas corsarias catalano-aragonesas durante la Baja Edad Media : los armamentos de naves mallorquinas », *VIII jornades d'estudis historics locals : el comerç alternatiu. Corsarisme i contraban (ss. XV-XVIII), Palma de Majorque, 1989*, Palma de Majorque, 1990, p. 86-105.

—, « Los operadores magrebíes en la Corona de Aragón a finales del trescientos y principios del cuatrocientos : las actividades mercantiles de judíos y musulmanes norteafricanos », *XIV Congresso di Storia della corona d'Aragona, Sassari-Alghero, 19-24 maggio 1990*, III, Sassari, 1996, p. 557-572.

—, « El pogrom de 1391 en Mallorca y su repercusión en los intercambios comerciales con el Magreb », *I Col.loqui d'Història dels Jueus a la Corona d'Aragó, Lérida, 1989*, Lérida, 1991, p. 239-260.

—, « Piratería y corsarismo en el Mediterráneo occidental medieval : el control de las actividades corsarias en Mallorca a finales del siglo XIV y principios del XV », *VII jornades d'estudis historics locals : la Mediterrània. Antropologia i història, Palma, 1988*, Palma de Majorque, 1990, p. 173-203.

- Lourie (Elena), « Free Moslems in the Balearic Island under Christian Rule in the XIIIth Century », *Speculum*, 45, 1970, p. 624-649.

- Luzzatto (Gino), « La commenda nella vita economica dei secoli XIII e XIV con particolare riguardo a Venezia », *Convegno internazionale di studi storici del diritto marittimo medioevale di Amalfi, ottobre 1934*, I, Naples, 1934, rééd. *Studi di Storia economica veneziana*, Padoue, 1954, p. 59-79.

- Luzzatto (Gino, sous le pseud. de G. Padovan), « Capitale e lavoro nel commercio veneziano dei secoli XI e XII », *Rivista di storia economica*, 6, 1941, rééd. *Studi di storia economica...*, p. 89-116.

- Ly-Tall (Madina), « Le déclin de l'Empire du Mali », *L'Histoire générale de l'Afrique*, IV, *L'Afrique du XIIe au XVIe siècle*, dir. Djibril Tamsir Niane, Paris, 1985, p. 197-212.

- M'ghirbi (Salah), *Les Voyageurs de l'Occident musulman du XIIe au XIVe siècle*, Tunis, 1996.

- Macaire (Pierre), *Majorque et le Maghrib au XVe siècle*, thèse de troisième cycle, sous la direction de Charles-Emmanuel Dufourcq, Université Paris X, 1977.

- Maccagni (Carlo), « Leonardo Fibonacci e il rinnovamento delle matematiche », *L'Italia ed i paesi mediterranei. Vie di comunicazione, scambi commerciali e culturali al tempo delle repubbliche marittime*, Pise, 1988, p. 91-115.

- MacKenzie (N. D.), *Ayyubid Cairo. A Topographical Study*, Le Caire, 1992.

- Mainoni (Patricia), *Mercati lombardi tra Barcelona e Valencia nel Basso medioevo*, Bologne, 1982.

- Malausséna (P.), « Promissio redemptionis : le rachat des captifs chrétiens en pays musulman à la fin du XIVe siècle », *Annales du Midi*, 80, 1968, p. 255-281.

- Mallett (Michael Edward), *The Florentine Galleys in the Fifteenth Century*, Oxford, 1967.

—, « The Sea Consuls of Florence in the Fifteenth Century », *Papers of the British School at Rome*, 27, 1959, p. 156-169.

- Malowist (Marian), « Les fondements de l'expansion européenne en Afrique au XVe siècle : Europe, Maghreb et Soudan occidental », *Acta Poloniae historica*, 18, 1968, p. 155-179.

—, « Quelques observations sur le commerce de l'or dans le Soudan occidental au Moyen Âge », *Annales ESC*, 25/6, 1970, p. 1630-1636.

- Mangiante (Stefania), « Una biblioteca notarile dugentesca », *Miscellanea di storia ligure in memoria di Giorgio Falco*, Gênes, 1966, p. 121-128.

- Mansouri (Mohamed Tahar), « Les milieux marchands européens et la langue arabe au Maghreb médiéval », *Trames de langues. Usages et métissages linguistiques dans l'histoire du Maghreb*, dir. Jocelyne Dakhlia, Paris, 2004, p. 281-292.

—, « Perceptions arabes de la Méditerranée médiévale : de la maîtrise à la crainte », *Sailing Ships of the Mediterranean Sea and the Arabian Gulf*, Koweit, 1998, p. 51-63.

—, « Produits agricoles et commerce maritime en Ifrīqiya aux XIIe - XVe siècles », *Cultures et nourritures de l'Occident musulman. Essais dédiés à Bernard Rosenberger, Médiévales*, 33, 1997, p. 125-139.

—, « Une famille de cartographes tunisiens : les Sharfi », *La Méditerranée médiévale. Perceptions et représentations*, dir. Hatem Akkari, Paris-Tunis, 2002, p. 263-277.

—, « Vie portuaire à Tunis au Bas Moyen Âge (XII-XVe siècle) », *Tunis, cité de la mer*, dir. Alia Baccar-Bournaz, Tunis, 1999, p. 143-156.

- Marçais (Georges), *Les Arabes en Berbérie du XIe au XIVe siècle*, *Recueil des notices et mémoires de la société archéologique du département de Constantine*, 47, 1913.

—, « Note sur les ribats en Berbérie », *Mélanges d'histoire et d'archéologie de l'Occident musulman*, I, Alger, 1957, p. 23-36.

—, *Les Poteries et faïences de Bougie (collection Debruge). Contribution à l'étude de la céramique musulmane*, Constantine, 1916.

—, « Les Villes de la côte algérienne et la piraterie au Moyen Âge », *AIEO*, 13, 1955, p. 118-142.

- Marengo (Emilio), « Genova e Tunisi (1388-1515) », *ASLSP*, 32, 1901.

- Martin (Jean-Marie), *La Pouille du VIe au XIIe siècle*, Rome, 1993.

- Martinez-Gros (Gabriel), « La division du monde selon Idrīsī », *Le Partage du monde. Échanges et colonisation dans la Méditerranée médiévale*, dir. Michel Balard et Alain Ducellier, Paris, 1998, p. 315-334.

—, « Ibn Khaldūn et la mer », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 99-112.

- Mas-Latrie (René de), « Droit de marque et de représailles au Moyen Âge », *BEC*, 6e série, 2, Paris, 1866, p. 529-577.

- Massiéra (Paul), « M'sila du Xe au XVe siècle », *CT*, 85-86, 1974, p. 177-207.

- Mauny (Raymond), *Tableau géographique de l'Ouest africain au Moyen Âge d'après les sources écrites, la tradition et l'archéologie*, Dakar, 1961.

- Maurici (Ferdinando), « Le difese costiere della Sicilia (secoli VI-XV) », *Zones côtières littorales dans le monde méditerranéen au Moyen Âge : défense, peuplement, mise en valeur, Actes du colloque international organisé par l'École française de Rome et la Casa de Velázquez, Rome, 23-26 octobre 1996*, dir. Jean-Marie Martin, Rome-Madrid, 2001 (*Castrum*, 7), p. 177-204.

- Mc Neill (John R.), *The Mountains of the Mediterranean World*, Cambridge, 1992.

- Melis (Federigo), « Intensità e regolarità nella diffusione dell'informazione economica generale nel Mediterraneo e in Occidente alla fine del Medioevo », *Histoire économique du monde méditerranéen, 1450-1650, Mélanges en l'honneur de Fernand Braudel*, Toulouse, 1973, p. 389-424.

—, « La lana della Spagna mediterranea e della Berberia occidentale nei secoli XIV-XV », *La Lana come materia prima, atti della I settimana di studio di storia economica*, dir. Marco Spallanzani, Florence, 1974, p. 241-251, rééd. *I Mercanti...*, p. 233-250.

—, « Malaga nel sistema economico del XIV e XV secolo », *Economia e Storia*, III-1 et 2, 1956, p. 19-59 et 139-163, rééd. *I Mercanti...*, p. 135-213.

—, *I Mercanti nell'Europa medievale e rinascimentale*, Florence, 1990.

—, « La situazione della marina mercantile all'inizio dell'epoca enrichina : fattori tecnici ed economici di sviluppo », *Actas do congresso internacional de historia dos descobrimentos, V*, 1961, p. 451-459, rééd. *I trasporti...*, p. 111-118.

—, *I Trasporti e le comunicazioni nel Medioevo*, Florence, 1984.

—, « Werner Sombart e i problemi della navigazione nel Medio Evo », *Biblioteca della rivista Economia e storia*, 8, Milan, 1964, rééd. *I Trasporti...*, p. 3-68.

- Merores (Margarete), *Gaeta im frühen Mittelalter (8. bis 12. Jahrhundert)*, Gotha, 1911.

- Messier (Ronald A.), « The Almoravids. West African Gold and Gold Currency of the Mediterranean Basin », *JESHO*, 17, 1974, p. 31-47.

—, « Sijilmâsa : l'intermédiaire entre la Méditerranée et l'Ouest de l'Afrique », *L'Occident musulman et l'Occident chrétien au Moyen Âge*, dir. Mohammed Hammam, Rabat, 1995, p. 181-196.

- Micheau (Françoise, avec la collaboration de Pierre Guichard), « Les sources des mégapoles orientales », *Mégapoles méditerranéennes*, dir. Claude Nicolet, Paris-Rome, 2000, p. 685-704.

- Miquel (André), « La géographie arabe après l'an Mil », *Popoli e paesi nella cultura altomedievale*, Spolète, 1983 (*Settimane di studio del Centro Italiano di Studi sull'alto Medioevo*, XXIX), p. 153-174.

—, *La Géographie humaine du monde musulman jusqu'au milieu du XIe siècle*, Paris-La Haye, 1967-1988, 4 vol.

—, « La perception de la frontière aux approches de l'an Mil de notre ère », *ROMM*, 48-9, 1988, p. 22-25.

- Modéran (Yves), « Botr et Branès : sur les origines du dualisme berbère médiéval », *Mutations d'identités en Méditerranée. Moyen Âge et époque contemporaine*, dir. Henri Bresc, Christiane Veauvy, Paris, 2000, p. 53-65.

- Mohamedi (Anissa), « Information sur les découvertes récentes en céramique médiévale effectuées à Sétif (Algérie) », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. X^e^-XVe siècle Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 219-220.

- Mollat du Jourdain (Michel), « De la piraterie sauvage à la course réglementée, XIII-XIVe siècle », *Mélanges de l'École française de Rome. Moyen Âge - Temps modernes*, 87, 1975, p. 7-25, rééd. *Études d'histoire maritime (1938-1975)*, Turin, 1977, p. 591-609.

—, « Les intérêts commerciaux français en Méditerranée au temps d'Alphonse le Magnanime », *XIV congresso di storia della corona d'Aragona, Sassari-Alghero, 19-24 maggio 1990*, vol. II, t. 2, Sassari, 1996, p. 629-642.

—, *Jacques Cœur ou l'esprit d'entreprise*, Paris, 1988.

- Moreles Muñiz (María Dolores-Carmen), « Aportación a la política africana de Fernando el Católico : Bugia », *Estudios de Historia medieval en homenaje a Luis Suarez Fernández*, Valladolid, 1991, p. 361-373.

- Mutgé i Vives (Josefa), « Algunas noticias sobre las relaciones entre la Corona Catalano-Aragonesa y el Reino de Túnez de 1345 a 1360 », *Relaciones de la Península ibérica con el Magreb, siglos XIII-XVI. Actas del coloquio, Madrid, 1987*, dir. Mercedes García-Arenal et María Jesús Viguera, Madrid, 1988, p. 131-164.

- Nam (Jong-Kuk), *Le Commerce du coton en Méditerranée à la fin du Moyen Âge*, thèse de l'Université Paris 1, sous la direction de Michel Balard, 2004.

- Nef (Annliese), *L'élément islamique dans la Sicile normande : identités culturelles et construction d'une nouvelle royauté (XIe-XIIe siècle)*, Thèse de l'Université Paris X-Nanterre, sous la direction de Henri Bresc, 2001.

- Nelson (Benjamin N.), « Blancardo (the Jew?) of Genoa and the Restitution of Usury in Medieval Italy », *Studi in onore di Gino Luzzatto*, I, Milan, 1949, p. 96-116.

- Niane (Djibril Tamsir), « Le Mali et la deuxième expansion manden », *L'Histoire générale de l'Afrique*, IV, *L'Afrique du XIIe au XVIe siècle*, dir. Djibril Tamsir Niane, Paris, 1985, p. 141-196.

- Noberasco (Filipo), « Savona allo spirale del secolo XII », *Atti della Società Savonese di Storia Patria*, 14, 1932, p. 212-269.

- *Nouveau glossaire nautique d'Augustin Jal* (A-L), Paris-La Haye, 1970-1998.

- Oliel (Jacob), *Les Juifs au Sahara. Le Touat au Moyen Âge*, Paris, 1994.

- Origone (Sandra), « Commercio marittimo nella Savona del XII secolo », *Società savonese di storia patria. Atti e memorie*, 30, 1994, p. 51-61.

- Pagano (Sergio), « Il testo della Regola dei Trinitari (1198) : redazione, annotazioni diplomatiche, aggiornamenti del secolo XIII », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 51-117.

- Pellegrini (Gianbattista), « Contatti linguistici arabo-veneziani », *Venezia e il Levante fino al secolo XV. Atti del II convegno internazionale di storia della civiltà veneziana*, dir. A. Pertusi, II, Florence, 1973, p. 301-330, également dans Id., *Gli Arabismi nelle lingue neolatine, con speciale riguardo all'Italia*, Brescia, 1972, II, p. 575-599.

—, « Contributo allo studio dell'influsso arabo in Liguria », *Miscellanea di storia ligure*, II, Milan, 1961, p. 15-95, rééd. *Gli Arabismi...*, I, p. 333-400.

—, « "Facchino" nella storia linguistica ed economica italiana », *Studi in onore di Amintore Fanfani*, III, Milan, 1962, p. 323-343, rééd. *Gli Arabismi...*, II, p. 503-523.

- Pérès (Henri), « Relations entre le Tafilalet et le Soudan à travers le Sahara du XIIe au XIVe siècle », *Mélanges de géographie et d'orientalisme offerts à É.-F. Gautier*, Tours, 1937, p. 409-414.

- Pérez Pérez (Desamparados), Pascual-Leone Pascual (Elena), « Algunos aspectos del comercio valenciano a fines del siglo XIV », *VII Congreso de Historia de la Corona de Aragón*, 2, Barcelone, 1962, p. 529-546.

- Pernoud (Régine), Busquet (Raoul), *Histoire du Commerce de Marseille*, I, Paris, 1949.

- Petit (Odette), « Les relations intellectuelles entre l'Espagne et l'Ifrīqiya aux XIIIe et XIVe siècles », *IBLA*, 127, 1971, p. 93-121.

- Petry (Carl F.), *The Civilian Elite of Cairo in the Later Middle Ages*, Princeton, 1981.

- Petti Balbi (Giovanna), « Il consolato genovese di Tunisi nel Quattrocento », *Archivio storico italiano*, 576, 1998, p. 226-256.

—, « Deroghe papali al "Devetum" sul commercio con l'Islam », *Rassegna degli Archivi di Stato*, anno XXXII, 3, 1972, p. 521-533.

—, « Gli insediamenti genovesi nel Nord-Africa durante il '400 », *Medioevo Mezzogiorno Mediterraneo. Studi in onore di Mario Del Treppo*, dir. Gabriella Rossetti et Giovanni Vitolo, Naples, 2000, p. 121-137.

—, « La presenza lucchese a Genova in età medioevale », *Lucca e l'Europa degli affari (secoli XV-XVII)*, Lucques, 1990, p. 29-43.

—, *Simon Boccanegra e la Genova del '300*, Gênes, 1991.

—, « Il trattato del 1343 tra Genova e Tunisi », *Saggi e documenti*, I, Gênes, 1978, p. 297-322, rééd. *Una città e il suo mare. Genova nel Medioevo*, Bologne, 1991, p. 200-222.

- Picard (Christophe), « Les arsenaux musulmans de la Méditerranée et de l'océan Atlantique (VIIe-XVe siècle) », *Chemins d'outre-mer. Études d'histoire sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, éd. Damien Coulon, Catherine Otten, Paule Pagès, Dominique Valérian, Paris, 2004, p. 691-710.

—, « Le commerce des produits agricoles entre le Maghreb Occidental et l'Andalus au XIIe siècle », *Productions et explorations africaines : actualités archéologiques en Afrique du Nord antique et médiévales, 6e Colloque international sur l'histoire et l'archéologie de l'Afrique du Nord (Pau, 1993)*, dir. Pol Trousset, Paris, 1995, p. 177-187.

—, « L'échec maritime musulman ? », *La puissance maritime*, dir. Christian Buchet, Jean Meyer, Jean-Pierre Poussou, Paris, 2004, p. 123-142.

—, *La mer et les musulmans d'Occident au Moyen Âge. VIIIe-XIIIe siècle*, Paris, 1997.

—, *L'Océan atlantique musulman. De la conquête arabe à l'époque almohade. Navigation et mise en valeur des côtes d'al-Andalus et du Maghreb occidental (Portugal-Espagne-Maroc)*, Paris, 1997.

- Piersantelli (Giuseppe), *La Penetrazione commerciale genovese nel Sahara a mezzo il secolo XV*, Gênes, 1937.

- Piles Ros (Leopoldo), « El Dret del XXe e XXXXXe. (Para favorecer las relaciones comerciales de los judíos nor-africanos con el Reino de Valencia, 1393-1495) », *Sefarad*, 44, 1984, p. 217-282.

—, *La Judería de Valencia*, Barcelone, 1991.

- Pinto (Giuliano), Sonnino (Eugenio), « L'Italie », *Histoire des populations de l'Europe*, dir. Jacques Dupâquier et Jean-Pierre Bardet, I, Paris, 1997, p. 485-508.

- Pirenne (Henri), *Mahomet et Charlemagne*, Paris, 1937, rééd. 1992.

- Pistarino (Geo), « Politica ed economia del Mediterraneo nell'età della Meloria », *ASLSP*, n. s., 24/2, 1984, p. 23-50.

—, « Genova e il Maghreb nel secolo XII », *Italia e Algeria, aspetti storici di un'amicizia mediterranea*, dir. Romain H. Rainero, Milan, 1982, p. 23-68

- Planhol (Xavier de), *L'Islam et la mer. La mosquée et le matelot, VIIe-XXe siècle*, Paris, 2000.

- Poncet (Jean), « L'évolution des "genres de vie" en Tunisie. Autour d'une phrase d'Ibn Khaldoun », *CT*, 7-8, 1954, p. 315-323.

—, « Géographie et histoire : pays subdésertique et exemple tunisien », *Annales ESC*, 16/1, 1961, p. 99-109.

—, « Le mythe de la catastrophe hilalienne », *Annales, ESC*, 22/5, 1967, p. 1099-1120.

—, « Prospérité et décadence ifrīqiyennes », *CT*, 33-35, 1961, p. 221-243.

- Pons (Antonio), « Als mercaders mallorquin qui mercadetgen a Bugia », *BSAL*, 24, 1932-1933, p. 262.

—, « Los Judíos del reino de Mallorca durante los siglos XIII y XIV », *Hispania*, 20, 1960, p. 3-54, 163-266, 368-540.

—, *Los Judíos del reino de Mallorca durante los siglos XIII y XIV*, Palma de Majorque, 1984, 2 vol.

- Port (Célestin), *Essai sur le commerce maritime de Narbonne*, Paris, 1854.

- Pou Montaner (Juan), Sevillano Colom (Francisco), *Historia del puerto de Palma de Mallorca*, Palma de Majorque, 1974.

- Pouzet (Louis), « Maghrébins à Damas au VIIe/XIIIe siècle », *Bulletin d'Études Orientales*, 28, 1975, p. 167-199.

- Prémare (Alfred-Louis de), *Maghreb et Andalousie au XIVe siècle Les notes de voyage d'un Andalou au Maroc (1344-1345)*, Lyon, 1981.

- Pryor (John H.), *The Commenda in Mediterranean Maritime Commerce during the Thirteenth Century. A Study Based on Marseille*, Thèse dactyl., Université de Toronto, 1974.

—, *Geography, Technology and War. Studies in the Maritime History of the Mediterranean, 649-1571*, Cambridge, 1988.

—, « Mediterranean Commerce in the Middle Ages: a Voyage under Contract of Commanda », *Viator*, 14, 1983, p. 133-194.

—, « The Origin of the Commenda Contract », *Speculum*, 52, 1977, p. 5-37.

- Racine (Pierre), « À Crémone à la fin du XIIIe siècle. Note sur le marché du coton », *Studi in memoria di Federigo Melis*, I, Naples, 1978, p. 527-541.

—, « À Marseille en 1248 : l'activité des hommes d'affaires de Plaisance », *Annales du Midi*, 78, 1966, p. 221-233.

—, « À propos du binôme Gênes-Plaisance », *Oriente e Occidente tra medioevo ed età moderna. Studi in onore di Geo Pistarino*, dir. Laura Balletto, Gênes, 1997, p. 1035-1057.

—, « Les débuts des consulats italiens Outre-mer », *État et colonisation au Moyen Âge et à la Renaissance*, dir. Michel Balard, Lyon, 1989, p. 267-276.

—, « I mercanti piacentini a Genova durante il Duecento : gruppo economico o gruppo di pressione ? », *La Storia dei Genovesi*, X, Gênes, 1990, p. 43-57.

- Ragheb (Youssef), « La fabrication des lames damascées en Orient », *JESHO*, 40/1, 1997, p. 30-72.

—, « Les marchands itinérants du monde musulman », *Voyages et voyageurs au Moyen Âge. XXVIe congrès de la Société des historiens médiévistes de l'enseignement supérieur public, Limoges-Aubazine, mai 1995*, Paris, 1996, p. 177-215.

- Rauchenberger (Dietrich), « Jean Léon l'Africain et son manuscrit de 1526 à travers sa description des cérémonies de mariage à Fez », *Colloque « Léon l'Africain », organisé par François Pouillon et Oumelbanine Zhiri, Paris, 22-24 mai 2003* (à paraître).

- Rausell Boizas (Hermenegildo) et al., « Movimiento secular de las importaciones trigueras del siglo XV mediante la ayudas de la ciudad de Valencia », *Estudis*, 2, 1973, p. 5-95.

- Reclus (Élisée), *Nouvelle géographie universelle. La terre et les hommes*. XI, *L'Afrique septentrionale, deuxième partie, Tripolitaine, Tunisie, Algérie, Maroc, Sahara*, Paris, 1886.

- Régné (Jean), *History of the Jews in Aragon. Regesta and Documents 1212-1327*, Jérusalem, 1978.

- Renouard (Yves), *Les Hommes d'affaires italiens au Moyen Âge*, Paris, 1968.

- Ricard (Robert), « Le commerce de Berbérie et l'Empire portugais », *AIEO*, 2, 1936, p. 266-290.

—, « Les établissements européens en Afrique du Nord du XVe au XVIIIe siècle et la politique d'occupation restreinte », *RA*, 79, 1936, p. 687-688.

- Riera Melis (Antoni), *La Corona de Aragón y el reino de Mallorca en el primer cuarto del siglo XIV*, I, *Las repercusiones arancelarias de la autonomía balear (1298-1311)*, Barcelone, 1986.

—, « El Mediterrani occidental al darrer quart del segle XIII : concurrència comercial i conflictualitat politica », *AEM*, 26/2, 1996, p. 729-782.

- Rocca (Pietro), *Pesi e misure antiche di Genova e del Genovesato*, Gênes, 1871.

- Rodinson (Maxime), « Les conditions religieuses islamiques de la vie économique », *Handbuch der Orientalistik*, sechster Band – *Geschichte der Islamischen Länder*, sechster Abschnitt, *Wirtschaftsgeschichte des vorderen Orients in islamischer Zeit*, Teil 1, Leyde-Cologne, 1977, p. 18-30.

—, *Islam et capitalisme*, Paris, 1966.

- Romano (Ruggiero), « À propos du commerce du blé dans la Méditerranée des XIVe et XVe siècles », *Hommage à Lucien Febvre*, II, Paris, 1953, p. 149-161.

- Romestan (Guy), « Les marchands de Montpellier et la Leude de Majorque pendant la première moitié du XIVe siècle », *Majorque, Languedoc et Roussillon de l'antiquité à nos jours. Actes du 53e Congrès de la fédération historique du Languedoc méditerranéen et du Roussillon, Palma, 1980*, Montpellier, 1982, p. 53-60.

- Rosenberger (Bernard), « L'histoire économique du Maghreb », *Handbuch der Orientalistik*, sechster Band - *Geschichte der Islamischen*

Länder, sechster Abschnitt, *Wirtschaftsgeschichte des vorderen Orients in islamischer Zeit*, Teil 1, Leyde-Cologne, 1977, p. 205-238.

—, « La pratique du commerce », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e^-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, II, Paris, 2000, p. 245-273.

—, *Société, pouvoir et alimentation. Nourriture et précarité au Maroc précolonial*, Rabat, 2001.

- Roth (Cecil), « Genoese Jews in the XIIth Century », *Speculum*, 25, 1950, p. 190-197.

- Rouvillois-Brignol (Madeleine), « Quelques remarques sur les variations de l'occupation du sol dans le Sud-Est algérien », *Histoire et archéologie de l'Afrique du Nord. Actes du IIIe colloque international, réunis dans le cadre du 110e Congrès national des sociétés savantes (Montpellier, 1-5 avril 1985)*, Paris, 1986, p. 35-53.

- Ruzafa Garcia (Manuel), « Los mudéjares en desarrollo mercantil valenciano del cuatrocientos », *Revista d'historia medieval* (Valence), 2, 1991, p. 179-189.

—, « Los operadores económicos de la morería de Valencia », *IV Simposio internacional de Mudejarismo : Economía (Teruel, 1987)*, Teruel, 1992, p. 247-259.

—, « Els orígens d'una família de mercaders mudèjars en el segle XV : Caat Ripoll (1381-1422) », *Afers*, 7, 1988-89, p. 169-188.

—, « Las relaciones económicas entre los mudéjares valencianos y el reino de Granada en el siglo XV », *IV Coloquio de Historia Medieval Andaluza. Relaciones exteriores del reino de Granada. Almería, 1985*, Almeria, 1988, p. 343-381.

السعداوي (أحمد)، "المغرب الإسلامي في مواجهة الطاعون: الطاعون الأعظم والطواعين التي تلته القرنين 14 و15"، *IBLA*، 175، 1995، ص 119-141.

- Sacerdoti (Alberto), « Il consolato veneziano del regno hafsida di Tunisi (1274-1518) », *Studi Veneziani*, 11, 1969, p. 531-535.

—, « Note sulle galere da mercato veneziane nel XV secolo », *Bollettino dell'Istituto di storia della società e dello stato veneziano*, 4, 1962, p. 80-105.

—, « Venezia e il regno hafsida di Tunisi : trattati e relazioni diplomatiche (1231-1534) », *Studi veneziani*, 8, 1966, p. 303-346.

- Sáinz de la Maza (Regina), « Los mercaderios de la Corona de Aragón durante la segunda mitad del siglo XIV », *Miscel.lania de Textos medievals*, 4, 1988, p. 221-299.

- Salavert i Roca (Vicente), « La Corona de Aragón en el mundo mediterráneo del siglo XIV », *VIII Congreso de historia de la Corona de Aragón, Valencia,1967*, II, Valence, 1973, p. 31-64.

- Salicrú i Lluch (Roser), « Cartes de captius cristians a les presons de Tunis del regnat de Ferran d'Antequera », *Miscel.lania de Textos Medievals*, 7, 1994, p. 549-590.

—, « En busca de una liberación alternativa : fugas y apostasía en la Corona de Aragón bajomedieval », *La Liberazione dei 'cativi' tra cristianità e islam. Oltre la crociata e il ğihād : tolleranza e servizio umanitario. Atti del Congresso interdisciplinare di studi storici (Roma, 16-19 settembre 1998)*, dir. Giulio Cipollone, Cité du Vatican, 2000, p. 703-713.

—, *El Sultanat de Granada i la corona d'Aragó, 1410-1458*, Barcelone, 1998.

- Sanchez Martínez (Manuel), « Las relaciones de la Corona de Aragón con los países musulmanes en la época de Pedro el ceremonioso », *Pere el Ceremoniós e la seve epoca*, Barcelone, 1989, p. 77-97.

- Sancho (Pedro A.), « La redencion de cautivos por los frailes Trinitarios », *BSAL*, 8, 1900.

- Santamaría Arández (Alvaro), *Ejecutoria del reino de Mallorca*, Palma de Majorque, 1990.

—, « Mallorca en el siglo XIV », *AEM*, 7, 1970-1971, p. 165-238.

- Sapori (Armando), « Il commercio internazionale nel Medioevo », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 495-533.

—, « La cultura del mercante medievale italiano », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 53-93.

—, « Economia e morale alla fine del Trecento. Francesco di Marco Datini e ser Lapo Mazzei », *Studi di storia economica*, I, Florence, 1955, p. 155-179.

—, *Le Marchand italien au Moyen Âge*, Paris, 1952, trad. it. *Il Mercante italiano nel medioevo*, Milan, 1981.

—, *Mercatores*, Milan, 1941.

—, « I primi viaggi di Levante e Ponente delle galere fiorentine », *Archivio storico italiano*, 114, 1956, p. 39-91, rééd. *Studi di storia economica*, III, Florence, 1967, p. 3-21.

- Sastre Moll (Jaime), *Economía y sociedad del reino de Mallorca. Primer tercio del siglo XIV*, Palma de Majorque, 1986.

—, « Estancia y salida de musulmanes libres y esclavos durante el reinado de Sancho I y Felipe de Mallorca », *Boleti de la societat arqueologica lul.liana*, 44, 1988, p. 125-170.

—, « El puerto de la Ciutat de Mallorca durante el reinado de Sancho y la regencia de Felipe de Mallorca (1311-1330). Rentas reales portuales y su reinversion », *Miscel.lània de Textos medievals*, 7, 1994, p. 141-188.

- Sayous (André-É.), *L'Activité de deux capitalistes-commerçants marseillais vers le milieu du XIIIe siècle : Bernard de Manduel (1227-1237) et Jean de Manduel (1233-1263)*, Paris, 1929, rééd. *Commerce et finance…*

—, « Le commerce de Marseille avec la Syrie au milieu du XIIIe siècle », *Revue des études historiques*, 1929, p. 391-408.

—, *Le Commerce des Européens à Tunis depuis le XIIe siècle jusqu'à la fin du XVIe siècle*, Paris, 1929.

—, *Commerce et finance en Méditerranée au Moyen Âge*, Londres, 1988.

—, « Les méthodes commerciales de Barcelone au XIIIe siècle d'après des documents inédits des Archives de la Cathédrale », *Estudis Universitaris Catalans*, vol. XVI, 45, 1931, rééd. *Commerce et finance*…

—, « Les méthodes commerciales de Barcelone au XVe siècle, d'après des documents inédits de ses archives », *Revue historique de droit français et étranger*, 2, 1936, p. 255-301, rééd. *Commerce et finance*…

—, *El mètods comercials a la Barcelona medieval*, Barcelone, 1975.

—, « Les Opérations du capitaliste et commerçant marseillais Étienne de Manduel entre 1200 et 1230 », *Revue des questions historiques*, 3e série, 16, p. 5-29, et à part, Bordeaux, 1930, rééd. *Commerce et finance*…

- Schacht (Joseph), *Introduction au droit musulman*, Oxford, 1964, trad. fr. Paris, 1983, rééd. anast. 1999.

- Schaube (Adolf), *Das Konsulat des Meeres in Pisa*, Leipzig, 1888.

- Sella (Pietro), *Glossario latino italiano. Stato della Chiesa. Veneto. Abruzzi*, Cité du Vatican, 1944.

- Seltzer (P.), *Le climat de l'Algérie*, Alger, 1946.

- Service hydrographique de la marine, *Instructions nautiques. Mer Méditerranée. Afrique (Côte nord) à l'est du Détroit de Gibraltar ; Levant entre la mer Égée et le Canal de Suez*, Paris, 1968.

- Sevillano Colom (Francisco), « Mallorca y Valencia : relaciones maritimo-mercantiles en el siglo XIV », *Primer congreso de historia del País Valenciano, Valencia, 1971*, Valence, 1973, p. 539-551.

—, « Un manual mallorquín de Mercadería medieval », *AEM*, 9, 1974-1979, p. 517-530.

—, « Monedas que circulaban en el Mediterráneo a fines del siglo XV », *AEM*, 10, Barcelone, 1980, p. 699-732.

- Shatzmiller (Joseph), « Au sein de la communauté juive : l'étranger et sa concurrence économique », *Forestieri e stranieri nelle città basso-medievale*, Florence, 1988, p. 223-233.

- Shatzmiller (Maya), « L'organisation du travail urbain et les métiers », *États, sociétés et cultures du monde musulman médiéval, X^e-XVe siècle*, dir. Jean-Claude Garcin, II, Paris, 2000, p. 198-218.

- Silva (Pietro), « Intorno all'industria e al commercio della lana in Pisa », *Studi Storici*, 19, 1910, p. 329-400.

- Sivan (Emmanuel), *L'Islam et la croisade. Idéologie et propagande dans les réactions musulmanes aux croisades*, Paris, 1968.

- Solal (A.), « Au tournant de l'histoire méditerranéenne du Moyen Âge : l'expédition de Pierre III d'Aragon à Collo (1282) », *RA*, 101, 1957, p. 247-271.

- Soucek (Svatopluk), *Piri Reis and Turkish Mapmaking after Colombus. The Khalili Portulan Atlas*, Londres, 1996.

—, « À propos du livre des instructions nautiques de Pīrī Reis », *Revue des Études Islamiques*, 41/2, 1973, p. 241-255.

- Sourdel (Dominique et Janine), *La Civilisation de l'Islam classique*, Paris, 1968.

- Spicciani (Amleto), « La produttività del capitale monetario e la questione dell'interesse nella dottrina teologico-canonistica dei secoli XIII e XIV », *Fonte Avellana nella società dei secoli XIII e XIV, Atti del terzo convegno del Centro di Studi avellaniti*, Fonte Avellana, 1979, p. 325-362, rééd. *Capitale e interesse tra mercatura e povertà nei teologi e canonisti dei secoli XIII-XV*, Rome, 1990, p. 17-48.

- Spufford (Peter), Wilkinson (Wendy), Tolley (Sarah), *Handbook of Medieval Exchange*, Londres, 1986.

- Stöckly (Doris), « Les premiers convois de galées commerciales vénitiennes en direction de la Barbarie au milieu du XVe siècle », *CT*, 155-156, 1993, p. 479-511.

—, *Le système de l'incanto des galées du marché à Venise (fin XIIIe - milieu XVe siècle)*, Leyde, 1995.

- Stouff (Louis), « Les Juifs d'Arles et leurs relations avec les communautés de la Méditerranée occidentale au bas Moyen Âge », *Les relations intercommunautaires juives en Méditerranée occidentale, XIIIe-XXe siècle, Abbaye de Sénanque, 1982*, dir. Jean-Louis Miège, Paris, 1984, p. 9-22.

- شيخة (جمعة)، "ثورة الميورقيين بإفريقية وأثرها في توازن القوى بين الإسلام والنصرانية في المغرب والأندلس"، الكراسات التونسية، 117-118، 1981، ص 91-122.

- شكري (أحمد)، مملكة غانة وعلاقتها بالحركة المرابطية، الرباط، 1997.

- Talbi (Mohamed), « Les bida' », *Studia islamica*, 12, 1960, p. 43-77, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne…*, p. 319-349.

—, « Les contacts culturels entre l'Ifrīqiya hafside et le sultanat nasride d'Espagne (1232-1492). Contribution à l'histoire des mentalités », *Actas del II coloquio hispano-tunecino de Estudios Históricos, Madrid-Barcelona, 1972*, Madrid, 1973, p. 63-90, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne…*, p. 263-293.

—, « Les courtiers en vêtements en Ifrīqiya au IXe-Xe siècle, d'après les *Masā'il al-Samāsira* d'al-Ibyānī », *JESHO*, V/2, 1962, p. 160-194, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne…*, p. 231-262.

—, « Effondrement démographique au Maghreb du XIe au XVe siècle », *CT*, 97-98, 1977, p. 51-60.

—, *L'Émirat aghlabide, 184-296/800-909*, Paris, 1966

—, *Études d'histoire ifriqiyenne et de civilisation musulmane*, Tunis, 1982.

الطالبي (محمد)، "الهجرة الأندلسية إلى إفريقية أيام الحفصيين"، الأصالة، 26، 1975، ص 46-90، نشرة ثانية في:

Études d'histoire ifriqiyenne…, p. 165-213.

—, « Intérêt des œuvres juridiques traitant de la guerre pour l'historien des armées médiévales ifrikiennes », *CT*, 15, 1956, Tunis, 1982, p. 289-293, rééd. *Études d'histoire ifriqiyenne…*, p. 105-110.

—, *Plaidoyer pour un islam moderne*, Tunis-Paris, 1998.

- Tangheroni (Marco), *Gli Alliata, una famiglia pisana nel medioevo*, Padoue, 1969.

—, *Aspetti del commercio dei cereali nei paesi della Corona d'Aragona*, I, *La Sardegna*, Pise, 1981.

—, *Commercio e navigazione nel Medioevo*, Bari, 1996.

—, « Il *Regnum Sardinie* nell'economia della Corona d'Aragona », *Medioevo Tirrenico*, Pise, 1992, p. 65-104.

—, « Sui rapporti commerciali tra Pisa e la Tunisia nel Medioevo », *L'Italia ed i paesi mediterranei. Vie di comunicazione, scambi commerciali e culturali al tempo delle repubbliche marittime*, Pise, 1988, p. 75-90.

—, « Trasporti navali e commercio marittimo nell'Italia del Quattrocento », *La Penisola italiana e il mare. Costruzioni navali, trasporti e commerci tra XV e XX sec.*, dir. Tommaso Fanfani, Naples, 1993, p. 31-56.

- Tenenti (Alberto), Vivanti (Corrado), « Le film d'un grand système de navigation. Les galères marchandes vénitiennes aux XIVe-XVIe siècles », *Annales ESC*, 16/1, 1961, p. 83-86.

- Thiriot (Jacques), « Céramiques fines islamiques du Midi de la France au Bas Moyen Âge », *A Cerâmica medieval no Mediterrâneo ocidental, Lisboa, 16-22 de novembro 1987*, Mértola, 1991, p. 285-304.

- Thoden (Rudolf von), *Abū 'l-Ḥasan 'Ali. Merinidenpolitik zwischen Nordafrika und Spanien in den Jahren 710-752 H./1310-1351*, Fribourg, 1973.

- Tolan (John), *Les Sarrasins*, Paris, 2003.

- Torres Balbás (Leopoldo), « Atarazanas hispanomusulmanas », *Al-Andalus*, 1946, 11, p. 175-209.

- Torres Delgado (Cristobal), « El reino nazari de Granada (1232-1492). Aspectos socioeconómicos y fiscales », *Actas del II coloquio de historia medieval andaluza, Sevilla 8/10 abril 1981*, Séville, 1982, p. 297-334.

- Touati (Houari), *Islam et voyage au Moyen Âge*, Paris, 2000.

- Toubert (Pierre), « Frontière et frontières : un objet historique », *Frontière et peuplement dans le monde méditerranéen au Moyen Âge. Actes*

du colloque d'Erice-Trapani, 18-25 septembre 1988, dir. Jean-Michel Poisson, Rome et Madrid, 1992 (*Castrum*, 4), p. 9-17.

- Toukabri (Hmida), « La communauté juive de l'Ifriqiya au temps des Fatimides et des Zirides », *Histoire communautaire, histoire plurielle. La communauté juive de Tunisie. Actes du colloque de Tunis, 25-27 février 1998*, Tunis, 1999, p. 135-143.

—, *Les Juifs dans la Tunisie médiévale (909-1057) d'après les documents de la Geniza du Caire*, Paris, 2002.

- Trasselli (Carmelo), « Sicilia, Levante e Tunisia nei sec. XIV e XV », *Mediterraneo e Sicilia all'inizio dell'epoca moderna*, Cosenza, 1977 (1re éd. Trapani 1952), p. 71-169.

- Trenchs Ordena (José), « "De Alexandrini", el comercio prohibido con los musulmanes y el papado de Aviñón durante la prima mitad del siglo XIV », *AEM*, 10, 1980, p. 237-320.

—, « Les "alexandrini", ou la désobéissance aux embargos conciliaires ou pontificaux contre les musulmans », *Islam et chrétiens du Midi (XIIe-XIVe s.)*, Toulouse, 1983 (*Cahiers de Fanjeaux*, 18), p. 168-193.

- Trevisan (Rossella), « Per la storia dell'Ordo Maris di Pisa in torno alla metà del duecento : il registro "Comune A46" », *Pisa e la Toscana occidentale nel Medioevo*, I, *A Cinzio Violante nei suoi 70 anni*, Pise, 1991, p. 325-366.

- Tucci (Ugo), « Le colonie mercantile italiane e il commercio internazionale nel Medioevo », *Ateneo Veneto*, 181, 1993, p. 7-28.

- Udina Martorell (Federico), « Las relaciones entre Túnez y la Corona de Aragón en el segundo tercio del siglo XIV hasta 1360 », *AEM*, 10, 1980, p. 337-342.

—, « Sur les rapports entre la Tunisie et l'Aragon entre 1360 et 1379 », *Actas del II coloquio hispano tunecino de estudios históricos, Madrid-Barcelona, 1972*, Madrid, 1973, p. 49-62.

- Udovitch (Abraham L.), « At the Origins of the Western *Commenda*: Islam, Israel, Byzantium? », *Speculum*, 37, 1962, p. 198-207.

—, « Bankers without Banks: Commerce, Banking and Society in the Islamic World of the Middle Ages », *The Dawn of Modern Banking*, Yale, 1979, p. 255-273.

—, « Merchants and *Amīr*s: Government and Trade in Eleventh Century Egypt », *Asian and African Studies*, 22, 1988, p. 53-72.

—, « I musulmani e gli ebrei nel mondo di Federico II : linee di demarcazione e di comunicazione », *Federico II e il mondo mediterraneo*, dir. Pierre Toubert, Agostino Paravicini Bagliani, Palerme, 1994, p. 191-213.

—, *Partnership and Profit in Medieval Islam*, Princeton, 1970.

—, « A Tale of Two Cities. Commercial Relations between Cairo and Alexandria during the Second Half of the 11th Century », *The Medieval City*.

Essays in Honour of Roberto Sabatino Lopez, New-Haven-Londres, 1977, p. 143-162.

—, « Time, the Sea and Society: Duration of Commercial Voyages on the Southern Shores of the Mediterranean during the High Middle Ages », *La Navigazione mediterranea nell'alto Medioevo*, Spolète, 1978 (*Settimane di studio del centro italiano di studi sull'Alto Medioevo*, XXV), II, p. 503-546.

- Unali (Anna), *Mariners, pirates i corsaris catalans a l'epoca medieval*, Barcelone, 1986.

—, « Pénétration religieuse et territoriale des chrétiens au Maghreb au XIIIe siècle », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 143-152.

- Urbani (Rossana), « Fonti per il commercio mediterraneo ligure nell'ultimo medioevo : i rapporti con l'Africa settentrionale », *Atti del IV Convegno internazionale della ceramica, 1971*, Gênes, 1971, p. 431-437.

—, « Genova e il Maghrib tra il '400 e '500 (nuovi documenti archivistici) », *Genova, la Liguria e l'Oltremare tra medioevo ed età moderna. Studi e ricerche d'archivio*, Gênes, 1976, p. 185-206.

—, « Note d'archivio sui notai genovesi del '400 : l'attività di Bartolomeo Canessa », *La Berio*, 11/1, 1971, p. 10-21.

—, « Ricerche d'archivio sui rapporti tra Genova e il Nord-Africa alla fine del Quattrocento », *Archivi e cultura*, 7, 1973, p. 137-146

- Urvoy (Dominique), *Penser l'islam : les présupposés islamiques dans l'"Art" de Lull*, Paris, 1980.

—, « La structuration du monde des ulémas à Bougie au VIIe/XIIIe siècle », *Studia Islamica*, 43, 1976, p. 87-107.

- Valérian (Dominique), « Les affaires de Giovanni da Pontremoli au Maghreb après la chute de Constantinople », Colloque « La conquête de Constantinople : l'événement, sa portée et ses échos (1453-2003) », Tunis, 2003 (à paraître).

—, « Les Andalous à Bougie, XIe-XVe siècle », *Migrations et diasporas méditerranéennes, XIe-XVIe siècles*, dir. Michel Balard et Alain Ducellier, Paris, 2002, p. 313-330.

—, « Les archives de Marseille, sources de l'histoire du Maghreb médiéval : le cas du port de Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *Annales du Midi*, 113, 2001, p. 5-26.

—, « Conflits et résolution des conflits dans les communautés européennes au Maghreb (XIIe-XVe siècle) », *Communautés et pouvoirs en Italie et au Maghreb au Moyen Âge et à l'époque moderne*, actes du séminaire de Rome, 26-27 octobre 2001, dir. Annliese Nef et Dominique Valérian, *Mélanges de l'École française de Rome. Moyen Âge*, 115/1, 2003, p. 543-564.

—, « Contribution à l'étude de la guerre dans le Maghreb médiéval : Bougie et la mer de la fin du XIe au début du XVIe siècle », *Mésogeios*, 7, 2000, p. 126-142.

—, « Les élites politiques et l'activité économique des ports musulmans (XIIIe - XVe siècle) », Architecture, institutions et sociétés portuaires des cités maritimes de la Méditerranée (IXe - XIIIe siècle), Seventh International Conference on Urban History (European Association of Urban Historians), *European City in Comparative Perspective*, Athens - Piraeus 27-30 October 2004 (à paraître).

—, « L'expansion européenne médiévale vue par l'historiographie maghrébine contemporaine », *Savoirs historiques au Maghreb. Constructions et usages*, dir. Sami Bergaoui et Hassan Remaoun, Tunis-Oran, 2006 (Cahiers du CERES, série histoire, 16), p. 313-330.

—, « Le facteur économique dans la politique catalane à Bougie (XIIIe-XVe siècle) », *L'Expansió catalana a la Mediterrània a la baixa edat mitjana*, dir. Maria Teresa Ferrer i Mallol et Damien Coulon, Barcelone, 1999, p. 145-160.

—, « Gênes, l'Afrique et l'Orient : la place du Maghreb dans la politique génoise en Méditerranée (seconde moitié du XIIe siècle) », *Chemins d'outre-mer. Études d'histoire sur la Méditerranée médiévale offertes à Michel Balard*, éd. Damien Coulon, Catherine Otten, Paule Pagès, Dominique Valérian, Paris, 2004, p. 827-837.

—, « Gênes et Pise : une concurrence pour le marché bougiote », Colloque « Bougie et sa région à travers les Âges », Bougie, 9-12 novembre 1997 (à paraître).

—, « Ifrīqiyan Muslim Merchants in the Mediterranean at the End of the Middle Ages », *Mediterranean Historical Review*, 14/2, 1999, p. 47-66.

—, « Quelques réflexions sur le commerce et la consommation du vin dans les ports maghrébins au Moyen Âge (XIe-XVe siècle) », *Seminario internacional Migraciones Mediterráneas : una visión histórica de una realidad actual, Tortosa, 27 y 28 de noviembre* (à paraître).

- Vallet (Éric), *Marchands vénitiens en Syrie à la fin du XVe siècle*, Paris, 1999.

- Vanacker (Claudette), « Géographie économique de l'Afrique du Nord selon les auteurs arabes, du milieu du IXe siècle au milieu du XIIe siècle », *Annales ESC*, 28/3, 1973, p. 659-680.

- Vaquer Bennasar (Onofre), « Comerç i capital mercantil a Mallorca (1448-1480) », *La Mediterrània. Antropologia i història*, Palma de Majorque, 1990, p. 161-171.

—, *El Comerç marítim de Mallorca. 1448-1531*, Palma de Majorque, 2001.

—, « El comerç marítim de Mallorca a la segona meitat del segle XV », *Randa*, 29, 1991, p. 105-119.

—, « El comercio marítimo de Mallorca en el transito a la modernidad », *Società savonese di storia patria. Atti e memorie*, 32-33, 1996-7, p. 223-233.

—, « Corsarisme a la segona meitat del segle XV a Mallorca », *VIII Jornades d'Estudis Històrics Locals : El comerç alternatiu. Corsarisme i contraban (ss. XV-XVIII), Palma de Mallorca, 1989*, Palma de Majorque, 1990, p. 107-116.

—, « Navegació i comerç a Mallorca, segle XV, segonda meitat », *Fontes rerum Balearium*, 1990, p. 95-142.

- Varaldo (Carlo), « Savona nel secondo Quattrocento. Aspetti di vita economica e sociale », *Savona nel Quattrocento e l'istituzione del Monte di Pietà*, Savone, 1980, p. 7-163.

- Ventura (Domenico), « Cronaca di un riscatto. Dalle lettere di Giovanni Carocci, mercante pisano "schiavo" in Tunisi (1384-87) », *Ricerche storiche*, 22, 1992, p. 3-20.

- Verlinden (Charles), *L'Esclavage dans l'Europe médiévale*, I, *Péninsule ibérique - France*, Bruges, 1955.

—, « Medieval “Slavers” », *Economy, Society, Government in Medieval Italy. Essays in Memory of Robert L. Reynolds. Exploration in Economic History*, 7, 1969-70, p. 1-14.

—, « Le registre du marchand brugeois Martin van der Beurse aux archives de Valence (1414-1427) », *Les Espagnes médiévales. Mélanges offerts à Jean Gautier-Dalché. Annales de la Faculté des sciences humaines de Nice*, 46, Nice, 1983, p. 153-158.

- Vernet (Robert), « La production céréalière dans le Maghreb du XIIIe siècle », *Jaime I y su época, X congreso de historia de la Corona de Aragón*, III, Saragosse, 1978, p. 253-268.

—, « Recherches sur la production et la circulation des céréales dans le Maghreb médiéval », *RHCM*, 13, 1976, p. 31-62.

—, « Les relations céréalières entre le Maghreb et la Péninsule ibérique du XIIe au XVe siècle », *AEM*, 10, 1980, p. 321-335.

- Vernet-Ginés (Juan), « The Maghreb Chart in the Biblioteca Ambrosiana », *Imago Mundi*, 16, 1962, p. 1-16.

- Vidal (José Juan), « El comercio de trigo entre Mallorca y Africa del Norte en los siglos XVI y XVII», *Mayurqa*, 15, 1976, p. 73-92.

- Vidal Beltran (Eliso), *Valencia en la época de Juan I*, Valence, 1974.

- Vidal Castro (Francisco), « Economía y sociedad en al-Andalus y el Magreb a través del Mi‘yār de al-Wanšarīsī. Breve introducción a su contenido », *Actas del II Coloquio hispano-marroqui de ciencias históricas. “Historia, ciencia y sociedad”, Granada, 6-10 noviembre de 1989*, Madrid, 1992, p. 339-356.

- Vidiásov (María F.), « Le Maghreb médiéval : “mercantilisme parasitaire” ou société productrice ? », *Anaquel de Estudios Arabes* (Madrid), 3, 1992, p. 241-246.

- Vincke (Johannes), « Königtum und Sklaverei im aragonischen Staatenbund während des 14. Jahrhunderts », *Gesammelte Aufsätze zur Kulturgeschichte Spaniens*, 25, 1970, p. 19-112.

- Vinyoles i Vidal (Teresa María), « La vita quotidiana della gente di mare (esempi barcellonesi dei secoli XIV e XV) », *Medioevo. Saggi e rassegne*, 21, 1996, p. 9-35.

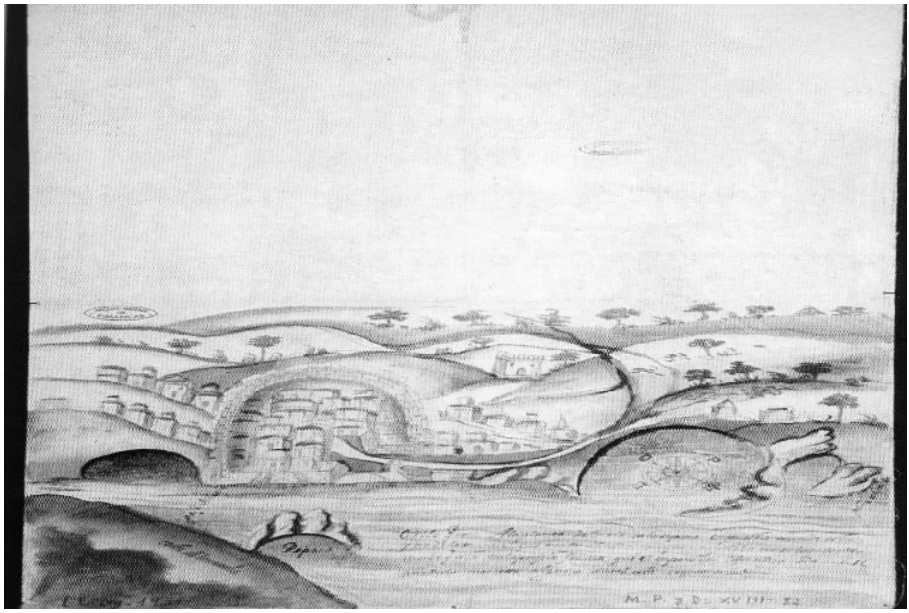
- Watbled (Ernest), « Aperçu sur les consulats français dans le Levant et les États barbaresques », *RA*, 16, 1872, p. 20-34.

- Whitehouse (David), « Medieval pottery in Italy : the present state of research », *La Céramique médiévale en Méditerranée occidentale. x^e-xve siècle. Colloque international de Valbonne, 11-14 septembre 1978*, Paris, 1980, p. 66-82.

- Wolff (Philippe), « Un grand commerce médiéval : les céréales dans le bassin de la Méditerranée occidentale. Remarques et suggestions », *VI Congreso de historia de la Corona de Aragón, Cagliari-Alghero, 1957*, Madrid, 1959, p. 147-164.

- Yver (Georges), *Le Commerce et les marchands dans l’Italie méridionale aux XIIIe et XIVe siècles*, Paris, 1903.

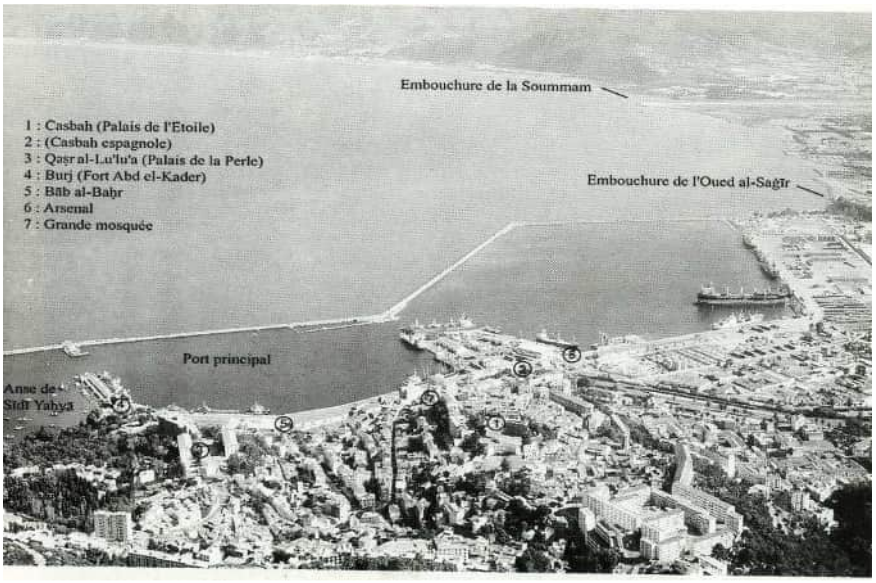
- Zaki (M’barek), « Jihâd et contre-djihâd en Méditerranée du XIIe au XVIe siècle », *Course et jihâd maritime, Revue Maghreb Europe. Histoire, économies, sociétés*, 11, 1997-1998, p. 33-48.



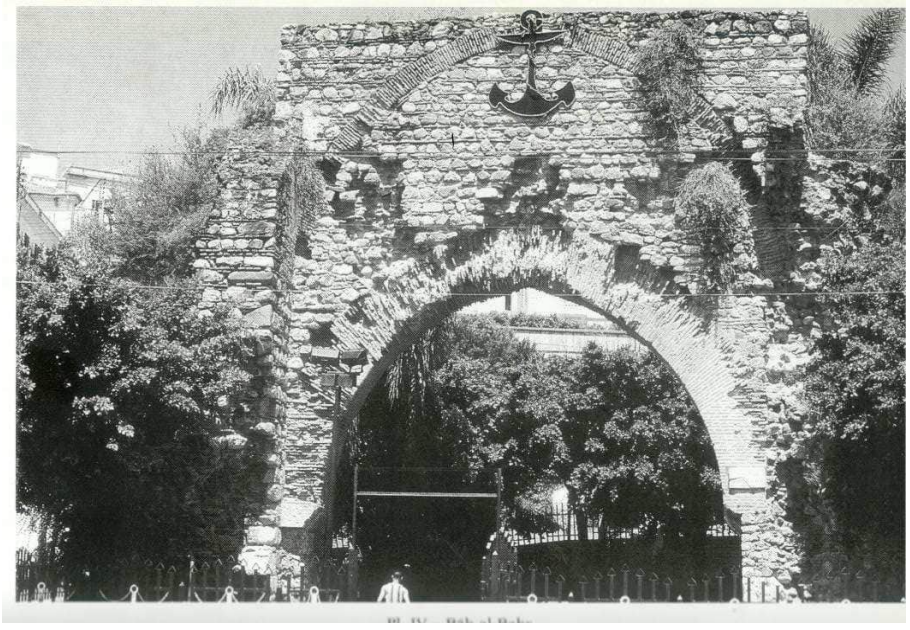
اللوحة 1: مخطط بجاية، لكرتثار (Cortazar, 1603)



اللوحة 2: مخطط بجاية لفارماين (Vermeyen, 1551)



اللوحة 3: منظر عام من جبل قوراية



اللوحة 4: باب البحر

فهرس الخرائط

الصفحة

1- خريطة عامة للمغرب..... 47
2- مخطط بجاية العام.....137
3- مخطط بجاية.....143
4- منطقة بجاية.....167
5- حيزات هيمنة بجاية.....186
6- خريطة قبائل جهة بجاية. 188
7- بجاية: قطب المغرب الأوسط (مدن ربطها الإدريسي ببجاية).....226
8- المسالك البرية بحسب الادريسي الإدريسي.....228
9- مسالك الرحلات (القرن 13-15م) 232
10- الخريطة العامة للمغرب والصحراء.....283
11- مناجم الذهب الإفريقي.....286
12- التجارة و طرق المبادلات في إفريقيا الغربية 292
13- المسالك الصحراوية بحسب الإدريسي.....297
14- أمكنة المراسي.....313
15- هجمات القراصنة البجائيين في المياه المسيحية.....596
16- شبكة بجاية التجارية في القرن الثالث عشر.....829
17- وجهات السسفن الميورقية إلى المغرب (1385-1491).....848
18- وجهاتالسفن الميورقية إلى المغرب (1420-1500).....882

فهرس الجداول

1- معطيات مناخية في بجاية وقسنطينة.....242
2- متوسط قيمة بوزون الميلاريس بسو العملة الجنوية (1162-1264).....419
3- متوسط قيمة بوزون الميلاريس بالعملة المرسيلية (1210-1248).....421
4- قيمة الدوبل (الدينار المزدوج) بسو العملة الجنوية (1268-1348).....424
5- حمولة المركب المرسيلي سانت ماري (القديسة مريم) (1297).....429
6- قاموس مصطلحات الأقمشة التي استوردتها بجاية 432
7- أنسجة مستوردة من جنوة (1164-1282).....439
8- أنسجة مستوردة من ميورقة (1408-1480).....445
9- صادرات جنوة من الكتان إلى بجاية (1161-1291) 452
10- واردت الحبوب من المملكة الأنجيفية (1276) 464
11- سعر الصوف البجائي في السوق الجنوية (النصف الثاني من القرن 13م).....506
12- بلاغات وجود قراصنة مسلمين في بلنسية (1350-1399).....565
13- مهمات فداء الأسرى في بجاية (1370-1425) 566
14- عدد الأسرى المحتجزين في بجاية (1370-1479).....568
15- أماكن احتجاز الأسرى البلنسيين في المغرب (1400-1479) 572
16- طاقم قليوطة بجاية أسرت في 1423.....576
17- أنماط المراكب التي استعملها القراصنة البجائيين (1315-1498).....585
18- الاستيلاء على السفن في المياه المسيحية (1370-1434) 592
19- أثمان افتداء الأسرى بالدوبل (1378-1441).....639
20- أثمان افتداء الأسرى بالعملات الأوروبية (1379-1427) 640
21- مسلمون ويهود بجائيون متواجدون في ميورقة وبلنسية (1279-1500).....678
22- تجار مسلمين ويهود ينشطون في بجاية (1336-1492) 688
23- أنماط المراكب التجارية (1150-1500) 739

24- الاستثمارات الجنوية المتوسطة (بالليفر) باتجاه المغرب والمشرق (1158-1161).....758
25- الاستثمارات الجنوية ببجاية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر.....759
26- المبالغ المستثمرة في التجارة الجنوية ببجاية (1250-1259) 768
27- الإستثمارات المرسيلية ببجاية (القرن 13م) 780
28- توزيع الاستثمارات الجنوية (1158-1161) 799
29- الاستثمارات الجنوية في بجاية وتونس وسبتة (1155-1164) 799
30- الاستثمارات الجنوية (1182-1191) 801
31- معاهدات السلم التي أمضاها الحفصيون (1230-1360) 806
32- العقود البرشلونية (1200-1290): التوزيع حسب الوجهات (القرن 13م).....820
33- توزيع الطلبيات المرسيلية حسب الوجهة (القرن 13م) 825
34- حصة الموانئ المغربية في الاستثمارات الجنوية (1202-1216) 830
35- حصة الموانئ المغربية في الاستثمارات الجنوية (1222-1226) 831
36- الاستثمارات الجنوية في تونس وبجاية (1224-1239) 832
37- الاستثمارات الجنوية في بجاية وتونس في القرن 13م بفترة عشرية.....833
38- توزيع انطلاق السفن الميورقية نحو المغرب بحسب الوجهة (1385-1419) 847
39- معاهدات السلم بين الحفصيين والقوى المسيحية (1360-1510) 866
40- عددالسفن التي ضمنت الروابط بين ميورقة وبجاية (1420-1499) 869
41- رخص المرور الممنوحة لميورقة للوجهات المغاربية 881
42- وجهات المسلمين الذين غادروا جزيرة ميورقة 882
43- تطور حصة بجاية والجزائر في التجارة الميورقية إلى المغرب (1385-1500) 883

فهرس الرسوم البيانية

1- التوزيع الشهري لمغادرة المراكب الجنوية نحو بجاية
(منتصف القرن 12-نهاية القرن 13م) 389
2- التوزيع الشهري لمبيعات الصوف البجائي بجنوة في النصف الثاني
من القرن 13م (حسب عدد العقود) 497
3- التوزيع الشهري لمبيعات الصوف البجائي بالسوق الجنوي
في النصف الثاني من القرن 13م (حسب عدد العقود) 498
4- التوزيع الشهري لمبيعات الصوف البجائي بجنوة في النصف الثاني
من القرن 13م (حسب القيمة) 498
5- عدد الأسرى المسلمين السابقين المحررين في ميورقة وبلنسية
باتجاه بجاية (1330-1499) 646
6- عدد المراكب التي غادرت ميورقة باتجاه بجاية (1310-1410) 844

فهرس المحتويات

تصدير المجلس 3

مقدمة المترجم..... 6

شكر..... **8**

مقدمة..... **11**

تقديم المصادر..... **26**

I- المصادر العربية..... 26

1 الكتابات الجغرافية-نصوص الرحلات..... 26

2) كتب الأخبار"التاريخ"..... 29

3) كتب التراجم والطبقات..... 32

4) أنوع أخرى من المصادر العربية..... 33

II- المصادر باللغة اللاتينية..... 34

1) النصوص..... 34

2) وثائق الأرشيف..... 36

III- مصادر أخرى..... 39

القسم الأول: قطب جهوي للمغرب: بناء سيطرة اقليمية مثيرة للجدل **43**

الفصل الأول : بجاية قطب كبير في الفضاء السياسي المغاربي..... **47**

I- قطب مغاربي تنافست عليه قوى إقليمية..... 53

1) تأسيس العاصمة الحمادية الثانية..... 56
2) مدينة أساسية في الجهاز الموحدي بالمغرب..... 62
3 عاصمة جهوية يتنازع عليها.العبد الواديون والمرينيون..... 69
أ) عاصمة الثغور الغربية للسلطنة الحفصية..... 69
ب) الأزمة العبد الوادية الطويلة (711/ 1311-732/ 1332..... 80
ج) المحاولتان المرينيتان (748/ 1347-761/ 1359..... 90
- دوافع ومبررات الفتوحات المرينية..... 91
- فتح أبي الحسن لبجاية..... 93
- أبو عنان..... 96
- أسباب الفشل المريني..... 98
II- بجاية في الفضاء السياسي الحفصي بين التبعية والاستقلالية..... *102*
1) بجاية المستقلة: قاعدة انطلاق للاستيلاء على الحكم بتونس..... 102
أ) الاغتصابات الأولى للسلطة في بجاية: أبو إسحاق (678/ 1279) وأبو فارس (681/ 1283..... 104
ب) أمراء بجاية المستقلين: أبو زكرياء (684/ 1285-700/ 1301)، أبو البقاء (700/ 1301-709/ 1309) وأبو بكر (712/ 1312-718/ 1318..... 106
ج) الأزمة المرينية وتداعياتها : أبو عبد الله وأبو العباس (765/ 1364-772/ 1370..... 109

د) استعادة السيطرة في عهد أبي فارس وعثمان (796/ 1394-893/ 1488)..... 110
ه) الاسستقلالية في نهاية القرن الخامس عشر..... 112
2) استقلالية في محيط إفريقية..... 114
أ) شعور بالهوية البجائية ضمن الإطارالحفصي..... 114
ب)استقلالية ممنوحة تدريجيا لجهة محيطة..... 118
ج) دور الفاعلين المحليين..... 123
- تفويض متفاوت للسيادة إلى العمال..... 123
- مشاركة السكان في القضايا..... 128
الفصل الثاني: التحكم الصعب في المجال."الاقليم"..... 133
I- حاضرة "مدينة" متوسطة الحجم 136
1) توسّع المدينة..... 140
2)- المنظر الحضري..... 151
أ)- مدينة محميةبقوة..... 151
ب) البنايات والمؤسسات الدينية والمدنية..... 156
3) أهمية السكان الحضر..... 160
II-فضاء سياسي خاضع لقوى الأطراف..... 166
1)- تأكيد الجهات الهامشية."المناطق " المحيطية 167
أ) القاعدة المجالية "الاقليمية"الحمادية..... 168

ب) التحكم في المدن الساحلية بالغرب: الجزائر -ودلس..... 171
ت) فقدان تدريجي للتحكم في الشرق: بونة، وقسنطينة والقل..... 174
ث) الجنوب المتمرد وصعوبة التحكم في المنافذ الصحراوية: بسكرة والحضنة..... 178
2) القبائل بين التبعية والمقاومة..... 184
أ) جدول القبائل..... 187
- القبائل البربرية..... 188
* البرانس..... 189
* البتر..... 191
- القبائل العربية..... 192
* زغبة..... 194
* رياح..... 195
ب) دور القبائل في التاريخ السياسي البجائي..... 196
* مساندة ضرورية للحكم..... 198
- توازن في النظام السياسي..... 200
- مناوبة الحكم في الداخل..... 202
- القوة العسكرية في خدمة الحكم..... 203
* رهان مربك للقبائل..... 206
- بجاية، تونس والقبائل..... 206

- القبائل: عامل تفاقم للنزاعات الإقليمية..... 208
* الفقدان التدريجي للسلطة على جزء من المجال "الاقليم" وإضعاف الدولة..... 210
الفصل الثالث: المبادلات والفضاءات الاقتصادية الداخلية..... **223**
I- بجاية: منفذ لشبكة من الطرق البرية..... 224
II- الوسط الطبيعي والحضور البشري..... 237
1) بلاد الجبال..... 237
2) من البحر إلى الصحراء: أقاليم مناخية متباينة..... 240
3) جهات مأهولة بصورة أقل..... 243
III- النشاطات الاقتصادية في بجاية وفي مجالها الحيوي..... 248
1) أزمة الفلاحة المستقرة، ازدهار تربية الماشية..... 249
2) الإنتاج الفلاحي..... 261
أ- منتجات الأرض..... 261
* الحبوب..... 262
* الحدائق والبساتين 264
* الغابة..... 269
ب) تربية الماشية والصيد..... 272
3) المعادن والحرف..... 275
أ- ثروات باطن الأرض..... 275

ب) الصناعات التحويلية..... 276
* النسيج والجلود..... 277
* الخزفيات..... 279
IV- منفذ للمنتجات الصحراوية؟..... 282
1) المنتجات في جنوب الصحراء..... 283
2) المسالك الصحراوية..... 291
أ- المسالك الممكنة..... 291
ب) التطور..... 293
3) تنظيم التجارة..... 302
القسم الثاني: بجاية ميناء متوسطي..... 309
الفصل الأول: الحضور التجاري وأنشطة في ميناء بجاية..... 311
I- الوصول إلى الميناء..... 312
1) مرافق الميناء..... 312
2) ديوان البحر..... 322
II- الجاليات التجارية الأجنبية..... 346
1) الفنادق..... 348
2) تنظيم الجاليات..... 358
III- بيع وشراء: تقنيات ووسائل..... 388
1) الممارسات التجارية..... 391

2) الوسائل النقدية..... 408

الفصل الثاني: البحر مصدر للربح: التجارة..... 427

I- الواردات: هيمنة المواد النسيجية..... 428

1) سوق للأقمشة الأوروبية..... 430

2) المواد الأولية للصناعة النسيجية..... 450

3) المواد الغذائية..... 460

أ) القمح والحبوب الأخرى..... 460

ب) منتجات غذائية أخرى..... 471

4) توابل المشرق..... 481

5) مجوهرات وصياغة."حلي..... 485

6) المواد الممنوعة: الخشب والمعادن..... 487

II- الصادرات: غلبة منتجات الرعي"تربية المواشي..... 491

1) منتجات استجابة لطلب الصناعات الأوروبية..... 493

أ) عظمة وانحطاط صوف بجاية..... 493

القرن الثاني عشر- بداية القرن الرابع عشر: استجابة لطلب أوروبي قوي..... 494

تراجع صادرات الصوف في القرن الرابع عشر..... 509

ب) الجلود: المحافظة الدائمة على الصادرات المشهورة..... 514

ج) منتجات أخرى مرتبطة بصناعة الجلد والصوف..... 524

- الشب..... 524
- مواد الصباغة والقشور البجائية..... 527
2) ضعف صادرات المواد المصنعة..... 528
أ) الخزفيات..... 529
ب) المنسوجات..... 533
3) صادرات أخرى..... 535
أ) الشمع..... 535
ب) المواد الغذائية..... 538
ج) الخشب ومنتجات نباتية أخرى..... 542
د) العبيد..... 543
الخاتمة: الميزان التجاري ومسألة المعادن الثمينة..... 544
الفصل الثالث: البحر مصدر للأرباح: القرصنة..... 555
I- تطور القرصنة البجائية..... 555
1)- نشاط محدود إلى غاية الثلث الثاني من القرن الرابع عشر..... 556
2) بجاية، ميناء القرصنة المنظّمة: نهاية الربع الأخير من القرن الرابع عشر – الربع الأول من القرن الخامس عشر..... 563
3) تراجع بعد 1430..... 571
II- تنظيم القرصنة..... 574

1) الفاعلون في القرصنة..... 575
2) السفن..... 584
3) الهجمات..... 588
4) قرصنة منظمة أم قرصنة غير منظّمة؟..... 595
III- الحصيلة المادية..... 604
1) أولوية الأسرى في اقتصاد القرصنة المنظّمة..... 604
أ) اليد العاملة من العبيد..... 606
ب) الفداء..... 612
- ضوابط الفداء..... 619
- الإطار القانوني..... 619
- بعثات الفداء الرسمية وتبادل الأسرى..... 623
- نشاط جماعات الرهبان..... 626
- الفداء الشخصي..... 630
2) السلبي..... 643
أ) حالة حرب كامنة..... 643
ب) التداعيات على التجارة..... 649
القسم الثالث: ارتباط قوي بالظرفية المتوسطية..... 659
الفصل الأول :تجارة لم يتحكم فيها البجائيون إلا جزئيا..... 662
I- المشاركة الضعيفة للبجائيين في التجارة البحرية..... 662

1) حيز تجاري محدود..... 663
أ) تجارة تعدت قليلا حدود دار الإسلام..... 664
ب) حضور استثنائي في الموانئ المسيحية..... 670
2) أوساط تجارية ضيقة..... 684
أ) الأندلسيون..... 684
ب) اليهود..... 694
ج – دور الحكم والنخب السياسية..... 705
3) عدم كفاية الأسطول التجاري..... 709
4) أسباب هذا التراجع..... 721
II- غلبة التجار المسيحيين..... 732
1) وسائل التوسع التجاري..... 732
أ) تطور التقنيات التجارية..... 733
ب) ازدهار أساطيل التجارة..... 737
2) الأوساط التجارية المسيحية: تعبئة فئات المجتمع العريضة..... 756
أ) جنوة، النصف الثاني من القرن الثاني عشر..... 756
ب) سنوات 1250..... 767
ج) المدن التجارية الأخرى..... 780
الفصل الثاني: تطور مرتبط بتحولات في المغرب والبحر المتوسط.... **789**
I- العصر الذهبي في القرنين الثاني عشر والثالث عشر..... 791

1) النصف الثاني من القرن الثاني عشر: تطور العلاقات التجارية مع المدن الإيطالية..... 794
2) القرن الثالث عشر الجميل..... 803
II- أزمة القرن الرابع عشر..... 835
1) تراجع التجار الإيطاليين والبروفانسيين وتطور ميورقة..... 836
2) أسباب الأزمة..... 850
3) علاقات نزاع أكثر فأكثر مع القوى الأوروبية..... 855
III- استئناف نسبي بداية من الثلث الثاني من القرن الخامس عشر..... 861
1) وضعية ملائمة أكثر..... 862
أ- عودة الاستقرار إلى إفريقية..... 862
ب) علاقات أقل نزاعا مع القوى المسيحية..... 863
ج) الاستئناف "الانتعاش"الاقتصادي في أوروبا..... 867
2) استئناف النشاط التجاري البجائي..... 868
أ) عودة المتعاملين التجاريين القدامى..... 869
ب) اندماج بجاية في شبكة الملاحة شرق-غرب..... 872
ج) مكانة بجاية في التجارة المغاربية..... 880
الخاتمة العامة..... 889
الملاحق..... 895

قائمة المصادر والبيبليوغرافيا.ٱلمراجع..... 908
فهرس الخرائط..... 985
فهرس الجداول..... 986
فهرس الرسوم البيانية..... 988
فهرس المحتويات..... 989

بجاية
ميناء مغاربي

Bougie port maghrébin



Dominiaue valérian
ترجمة : الدكتور عمار علاوة

جاءت الترجمة للبحث الموسوم ب: بجاية ميناء مغربي، في ست مائة وثلاث وستين(663) صفحة بما في ذلك الملاحق وقائمة المراجع.

يعتبر هذا العمل أول ترجمة بالعربية، يلقي الضوء على تاريخ بلاد المغرب في الفترة الإسلامية الوسيطة، وبالتحديد على مدينة بجاية، وتاريخها العريق، الحافل بالأحداث والإنجازات الكبيرة، كمدينة مزدهرة ونشطة على الصعيدين الاقتصادي والسياسي، كونها أحد أكبر موانئ المغرب والبحر المتوسط، وقطبا كبيرا من أقطابه الجهوية الذي تنافست عليه قوى إقليمية كبيرة.

فالتاريخ يشهد أنها كانت، على مرّ السنين، وبحكم طبيعتها وموقعها الاستراتيجية فضاء واسعا لأنشطة ومبادلات تجارية، ميزتها الحيوية والحركة الدائبة، ووسيطا فعالا بين الشبكات المغربية والمتوسطية. وفي الأخير يظل هذا الإنجاز إثراء للمكتبة العربية، وتسهيلا لمهة الباحثين الجزائريين والعرب.

من ملخص البحث

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت الجزائر
ص ب 575 الجزائر ديدوش مراد
الهاتف: 24 07 23 21 213+
الفاكس: 07 07 23 21 213+
www.csla.dz